شرح قصيدة الإمام ابن القيم

تأليف
أحمد بن ابراهيم بن عيسى

الجزء الثاني

المكتب الإسلامي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

تَوضيحُ المَقاصِدِ وَتصحيح القواعد
في شرح
قصيدة الإمام ابن القيم

الموسُومَة بالكافِيةِ الشافية في الإنتصار للفرقةِ النّاجية

تأليف

أحمد بن ابراهيم بن عيسى

الجزء الثاني

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى ١٣٨٢ دمشق

الطبعة الثانية ١٣٩٤ بيروت

المكتب الإسلامي

دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف: ١١١٦٣٧ - برقياً: إسلامي

بيروت: ص.ب ٣٧٧١ - هاتف: ٢٨٥٨٢٢ - برقياً: إسلامياً

فصل

في جناية التأويل على ماجاء به الرسول والفرق بين المردود والمقبول.

شرع الناظم رحمه الله في ذكر التأويل وما جنى على الشريعة المطهرة من البلايا والمحن، والشرور والفتن، وذكر ما يقبل منه وما يرد. قال:

هذا وأصل بلية الاسلام من تأويل ذي التحريف والبطلان

وهو الذي قد فرق السبعين بل زادت ثلاثاً قول ذي البرهان

يشير الى قوله ﷺ «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.. » الحديث(١).

وهو الذي قتل الخليفة جامع الـــقرآن ذا النورين والاحسان

يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وهو الذي قتل الخليفة بعده أعني علياً قاتل الأقران

وهو الذي قتل الحسين وأهله فغدوا عليه ممزقي اللحمان

وهو الذي في يوم حرتهم أبا ح حمى المدينة معقل الايمان

حتى جرت تلك الدماء كأنها في يوم عيد سنة القربان

أي وقعة الحرة، وذلك أن يزيد بن معاوية وجه مسلم بن عقبة المزي

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، من حديث معاوية رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « الا ان من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة » وهو حديث صحيح.

في جيش عظيم من أهل الشام ، فنزل بالمدينة فقاتل أهلها ، فهزمهم ، وقتلهم بحرة المدينة قتلا ذريعاً ، واستباح المدينة ثلاثة أيام ، فسميت وقعة الحرة لذلك ، وفيها يقول الشاعر .

فان تقتلونا يوم حرة واقم   فانا على الاسلام أول من قتل

وكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ، ويقال لها : حرة زهرة ، وكانت الوقعة بموضع يعرف بـ (واقم) على ميل من مسجد رسول الله ﷺ ، فقتل بها بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين ، وهم ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان ، وقتل بها من حملة القرآن سبعمائة رجل ، من قريش سبعة وتسعون قتلوا جهراً ظلماً في الحرب ، وصبراً . كذا ذكر القرطبي رحمه الله في « التذكرة » وفي كتاب « آكام المرجان في أحكام الجان » للشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي الصفدي الحنفي قال : كانت وقعة الحرة لثلاث ليال بقين من ذي الحجة ، سنة ثلاث وستين على باب طيبة ، واستشهد فيها خلق كثير وجماعة من الصحابة . قال خليفة : فجميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاثمائة وستون[1] . وروي أن رسول الله ﷺ وقف على الحرة وقال : « ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتي بعد أصحابي » وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية ، وأخرجوا مروان بن الحكم ، وبني أمية ، وأمروا عليهم حنظلة بن عبد الله الغسيل ، ولم يوافق أهل المدينة أحد من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا فيهم ، فجهز اليهم يزيد

---

(١) في الاصل : وستين

ابن معاوية مسلم بن عقبة ، فأوقع بهم . قال السهيلي : وقتـــل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف . قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : هذا خسف ، ومجازفة ، والحرة التي تعرف بها هذا اليوم يقـــال لها : حرة زهرة ، وعرفت (حرة زهرة) بقرية كانت لبني زهرة ، قوم من اليهود قال الزبير في فضائل المدينة : كانت قرية كبيرة في الزمن القديم ، وكان فيها ثلثمائة صائغ ، وكان يزيد قد أعذر الى أهل المدينة ، وبذل لهم من العطاء أضعاف أضعاف ما يعطي الناس ، واجتهد في استمالتهم الى الطاعة ، والتحذير من الخلاف ، ولكن أبى الله الا ما أراد ، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون . انتهى .

وغدا له الحجاج يسفكها ويقتـــل صاحب الايمان والقرآن
وجرى بمكة ما جرى من أجله   من عسكر الحجاج ذي العدوان
وهو الذي أنشا الخوارج مثلما   أنشا الروافض أخبث الحيوان
ولأجله شتموا خيار الخلق بعـــد الرسل بالعدوان والبهتان
ولأجله سل البغاة سيوفهم   ظناً بأنهم ذوو إحســـان
ولأجله قد قال أهل الاعتزا   ل مقالة هدّت قوى الايمان
ولأجله قالوا بأن كلامـــهُ   سبحانه خلق من الاكوان
ولأجله قد كذبت بقضائه   شبه المجوس العابدي النيران
ولأجله قد خلدوا أهل الكبا   ئر في الجحيم كعابدي الأوثـــان

ولأجله قد أنكروا لشفاعة الـــمختار فيهم غاية النكران

ولأجله ضرب الامام بسوطهم صدّيق أهـــل السنة الشيباني

ولأجله قد قـــال جهم ليس رب العرش خارج هذه الأكوان

كلا ولا فوق السموات العلى والعرش من رب ولا رحمان

مافوقها رب يطاع جباهنا تهوي له بسجود ذي خضعان

ولأجله جحدت صفات كماله والعرش أخلوه من الرحمن

ولأجله أفنى الجحيم وجنة الـــمأوى مقالة كاذب فتان

ولأجله قالوا الاله معطل أزلاً بغير نهـــاية وزمان

ولأجله قد قـال ليس لفعله من غـــاية هي حكمة الديان

ولأجله قـــد كذبوا بنزوله نحو السماء بنصف ليـــل ثان

ولأجله زعموا الكتاب عبارة وحـــكاية عن ذلك القرآن

ما عندنا شيىء سوى المخلوق والـــقرآن لم يسمع من الرحمن

مـاذا كلام الله قط حقيقة لكن مجاز ويح ذي البهتان

ولأجله قتل ابن نصر أحمدا ذاك الخزاعي العظيم الشان

إذ قال ذا القرآن نفس كلامه ما ذاك مخلوق من الأكوان

أي : ولأجـــله قتل الواثق أحمـــد بن نصر بن مالك الخزاعي ـ

وقصته معروفة ، ذكرها ابن الجوزي في « مناقب الامام أحمد » رحمه الله تعالى. قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى في « مناقب الامام أحمد » أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي ، كان من أهل الدين والصلاح ، والأمارين بالمعروف ، وسمع الحديث من مالك بن أنس ، وحماد بن زيد ، وهشيم في آخرين . وقد روى عنه يحيى بن معين وغيره. وكان قد اتهم بأنه يريد الخلافة ، فأخذ وحمل الى الواثق . فقال له : دع ما أخذت له ، ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله . قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله . قال : أفترى ربك في القيامة ؟ قال : كذا جاءت الرواية . قال : ويحك وكما يرى المحدود المجسم ؟ ودعا بالسيف ، وأمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيد ، وأمر بشد رأسه بحبل ، وأمرهم أن يمدوه ، ومشى اليه حتى ضرب عنقه ، وأمر بحمل رأسه الى بغداد ، فنصب بالجانب الشرقي أياماً ، وفي الجانب الغربي أياماً .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز باسناده عن أبي بكر المروذي قال : سمعت أباعبد الله أحمد بن حنبل ، وذكر أحمد بن نصر . فقال : رحمه الله ما كان أسخاه ، لقد جاد بنفسه . قال الخطيب : ولم يزل رأس أحمد بن نصر منصوباً ببغداد ، وجسده مصلوباً بـ « سر من رأى » ست سنين الى أن حط ، وجمع بين رأسه وبدنه ، ودفن بالجانب الشرقي في المقبرة المعروفة بالمالكية ، ودفن في شوال سنة سبع وثلاثين .

وهو الذي جر ابن سينا والألى قالوا مقالته على الكفران
فتأولوا خلق السموات العلى وحدوثها بحقيقة الامكان
وتأولوا علم الإله وقوله وصفاته بالسلب والبطلان

وتأولوا البعث الذي جاءت به رسل الإله لهذه الأبدان

بفراقها لعناصر قد ركبت حتى تعود بسيطة الأركان

وهو الذي جر القرامطة الأُلى يتأولون شرائع الايمان

فتأولوا العملي مثل تأول الـ ـعلمي عندكمُ بلا فرقان

وهو الذي جر النصير وحزبه حتى أتوا بعساكر الكفران

فجرى على الاسلام أعظم محنة وخمارها فينا الى ذا الآن

قوله : وخمارها فينا الى ذا الآن ؛ أي : أن فتن التتار لم تزل الى زمان الناظم ، وقد تقدم بعض ما فعلوه ببغداد في الفصل الذي أوله :

وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعاً للمسلمين فقال بالامكان

وما جرى على الاسلام من هؤلاء الملاعين كثير شهير ، فان حديثهم يأكل الاحاديث ، ولكن نشير الى بعض ما جرى في عصر الناظم وقبله ، وما فعله شيخ الاسلام رحمه الله ، فان له اليد البيضاء في جهادهم ، قرأت في ترجمته لبعض أصحابه قال : وفي أول رمضان سنة ثنتين وسبعمائة كانت وقعـة شقحب المشهورة ، وحصل للناس شدة عظيمة ، وظهر فيها من كرامات الشيخ ، وإجابة دعـائه ، وعظيم جهاده ، وفرط شجاعته ، ونهاية كرمه ، ونصحه للاسلام ، وغير ذلك ما يتجاوز الوصف . قال بعض أصحابه : ثم ساق الله جيش الاسـلام العرمرم المصري صحبة أمير المؤمنين ، والملك الناصر محمد بن قلاوون سوقاً حثيثاً للقاء التتار ، فاجتمع الشيخ بالخليفة والسلطان وأعيان الأمراء ، وكلهم بمرج الصفر قبلي دمشق ، وبينهم وبين التتار أقل من مقدار ثلاث ساعات ، وبقي الشيخ هو

وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائماً بجهاده ولأمة حربه ، يوصي الناس بالثبات ، ويعدهم النصر ، ويبشرهم بالغنيمة ، والفوز باحدى الحسنيين ، الى أن صدق الله وعده ، وأعز جنده ، وهزم التتار وحده ، ودخل جيش الاسلام الى دمشق ، والشيخ في أصحابه شاك في سلاحه ، داخلا معهم ، عالية كلمته ، مقبولة شفاعته ، مكرماً ، معظماً ، يقول للمداحين : أنا رجل ملة ، لا رجل دولة ، وأخبرني حاجب من الحجاب ذو دين وأمانة وصدق .قال : قال لي الشيخ يوم اللقاء : يا فلان الدين ، أوقفني موقف الموت ، فسقته الى مقابلة العدو ، وهم منحدرون كسيل ، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار ، فرفع طرفه الى السماء ، وحرك شفتيه ، ثم انبعث وأقبل على القتال ، ثم حال القتال والالتحام وما عدت رأيته ، حتى فتح الله وانحاز التتار الى جبل صغير عصموا أنفسهم به من سيوف المسلمين آخر النهار ، واذا بالشيخ وأخيه يصيحان تحريضاً على القتال ، وتخويفاً للناس من الفرار . فقلت : لك البشارة بالنصر ، فهاهم محصورون بهذا السفح ، وفي غد إن شاء الله يؤخذون عن آخرهم ، قال : فحمد الله ، وأثنى عليه ، ودعالي دعاء رأيت بركته في ذلك الوقت وبعده . وقال ابن فضل الله : وحكي من شجاعته في مواقف الحروب نوبة شقحب ، ونوبة كسروان ، ما لم يسمع الا عن صناديد الرجال ، وأبطال اللقاء ، وأحلاس الحرب ، تارة يباشر القتال ، وتارة يحرض عليه ، وركب البريد الى مهنا بن عيسى أمير العرب ، واستحضره الى الجهاد ،وركب بعدها الى السلطان ، واستنفره وواجه بالكلام الغليظ أمراءه وعسكره ، ولما جاء السلطان الى شقحب ، لاقاه الى قرب الحرة ، وجعل يشجعه ويثبته ، فلما رأى السلطان كثرة التتار قال : ياخالد بن الوليد . فقال له : لاتقل هذا ، بل قل يا الله ،

واستغث بالله ربك وحده ، ووحده تنصر ، وقل : يامالك يوم الدين ، إياك نعبد ، وإياك نستعين ، ثم صار تارة يقبل على الخليفة ، وتارة على السلطان ، ويهديها ، ويربط جأشها ، حتى جاء نصر الله والفتح . وحكي أنه قال للسلطان : اثبت فانك منصور . فقال له بعض الأمراء : قل : ان شاء الله . فقال : ان شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً ، فكان كما قال ، وقبل ذلك في نوبة غازان فعل من أنواع الجهاد وأنواع الخير، من انفاق الأموال ،وإطعام الطعام ، وغير ذلك ما هو معروف مشهور ، فرحمه الله ورضي عنه .

وجميع مافي الكون من بدع وأحـــداث تخالف موجب القرآن
فأساسها التأويل ذو البطلان لا تأويل أهل العلم والايمان
إذ ذاك تفسير المراد وكشفه وبيان معناه الى الأذهان
قد كان أعلم خلقه بكلامه صلى عليه الله كل أوان
يتأول القرآن عند ركوعه وسجوده تأويل ذي برهان
هذا الذي قالتـــه أم المؤمنـــين حكاية عنه لها بلسان
فانظر الى التأويل ما تعني به خير النساء وأفقه النسوان
أتظنها تعني به صرفـــاً عن الـــمعنى القوي لغير ذي الرجحان
وانظر الى التأويل حين يقول علّـــمه لعبد الله في القرآن
ماذا أراد به سوى تفسيره وظهور معنـــاه له ببيان
قول ابن عباس هو التأويل لا تأويل جهميّ أخي بهتان

وحقيقة التأويل معناه الرجو ع الى الحقيقة لا الى البطلان
وكذاك تأويل المنام حقيقة المرئي لا التحريف بالبهتان
وكذاك تأويل الذي قد أخبرت رسل الإله به من الايمان
نفس الحقيقة إذ تشاهدها لدى يوم المعاد برؤية وعيان
لا خلف بين أئمة التفسير في هذا وذلك واضح البرهان
هذا كلام الله ثم رسوله وأئمة التفسير للقرآن
تأويله هو عندهم تفسيره بالظاهر المفهوم للأذهان
ما قال منهم قط شخص واحد تأويله صرف عن الرجحان
كلا ولا نفي الحقيقة لا ولا عزل النصوص عن اليقين فذان
تأويل أهل الباطل المردود عند أئمة العرفان والايمان
وهو الذي لا شك في بطلانه والله يقضي فيه بالبطلان
فجعلتم للفظ معنى غير معناه لديهم باصطلاح ثان
وحملتم لفظ الكتاب عليه حتى جاءكم من ذاك محذوران
كذب على الالفاظ مع كذب على من قالها كذبان مقبوحان
وتلاهما أمران أقبح منهما جحد الهدى وشهادة البهتان
إذ يشهدون الزور إن مراده غير الحقيقة وهي ذو بطلان

اعلم أن كلام الناظم في هذه الأبيات هو معنى ما ذكره شيخ الاسلام في « التدمرية » فانه قال : القاعدة الخامسة : إنا نعلم ما أخبرنا من وجه دون وجه ، فان الله قال : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء : ٨٢ وقال : (أفلم يدبروا القول) المؤمنون : ٦٨ وقال : (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) ص : ٢٩ وقال : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد : ٢٤ فأمر بتدبر القرآن كله . وقد قال تعالى : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذي في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب) آل عمران : ٧ .

وجمهور سلف الأمة وخلفها ، على أن الوقف على قوله : (وما يعلم تأويله الا الله) .

وهذا هو المأثور ، عن أبي بن كعب ، وابن مسعود ، وابن عباس وغيرهم . وروي عن ابن عباس ، أنه قال : التفسير على أربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير تعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه الا الله ، من ادعى علمه فهو كاذب . وقد روي عن مجاهد ، وطائفة ، أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله . وقد قال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس ، من فاتحته الى خاتمته ، أقفه عند كل آية ، وأسأله عن تفسيرها ، ولا منافاة بين القولين عند التحقيق ، فان لفظ التأويل قد صار متعدد الاصطلاحات ، مستعملاً في ثلاثة معان : أحدها ، وهو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه

وأصوله ، أن التأويـــل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترن به ، وهذا الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات ، وترك تأويلها ،وهل ذلك محمود ، أو مذموم ، أوحق ، أوباطل ؟ والثاني : أن التأويل بمعنى التفسير ، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن ، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المفسرين . واختلف علماء التأويل ، ومجاهـد إمام المفسرين ، قال الثوري : اذا جاءك التفسير عن مجاهد ، فحسبك به ، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي ، والبخاري ، وغيرهما ، فاذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشـــابه ، فالمراد معرفة تفسيره ، الثالث من معاني التأويل : هو الحقيقة التي يؤول اليها الكلام ، كما قـــال تعالى : (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنابالحق) الاعراف : ٦٣ فتأويل مافي القرآن من أخبار المعاد : هو ما أخبر الله به فيه ، مما يكون من القيامة ، والحساب ، والجنة ، والنار ، ونحوذلك ، كما قال في قصة يوسف لما سجدأبواه واخوته : (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يوسف : ١٠٠ فجعل عين ما وجد في الخارج : هو تأويل الرؤيا ، فالتأويل الثاني : هو تفسير الكلام ، وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ ، حتى يفهم معناه ، أو تعرف علته ، أو دليله ، وهذا التأويل الثالث هو عين ماهو موجود في الخارج ، ومنه قول عائشة : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفرلي » يتأول القرآن[١] يعني قوله (فسبح بحمد ربك وستغفره) النصر : ٤ وقول سفيان بن عيينة : السنة: هي تأويل الأمر

---

(١) رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ،

والنهي ، فان نفس الفعل المأمور به ، هو تأويل الأمر به ، ونفس الموجود المخبر عنه ، هو تأويل الخبر ، والكلام خبر وأمر ؛ ولهذا يقول أبو عبيد وغيره : الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة ، كما ذكروا ذلك في اشتمال الصماء ، لأن الفقهاء يعلمون تفسير ماأمر به ونهى عنه ؛ لعلمهم بمقاصد الرسول ﷺ ، كما يعلم أتباع بقراط وسيبويه ونحوهما ، من مقاصدهما ، ما لا يعلم بمجرد اللغة ؛ ولكن تأويل الأمر والنهي ، لابد من معرفته ، بخلاف تأويل الخبر . اذا عرف ذلك ، فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات ، وتأويل ما أخبر الله تعالى به من الوعد والوعيد ، هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد . ولهذا ما يجيء في الحديث ؛ يعمل بمحكمه ، ويؤمن بمتشابهه ، لأن ما أخبر الله عن نفسه ، وعن اليوم الآخر ، فيه ألفاظ متشابهة ، يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا ، كما أخبر أن في الجنة لحماً ، ولبناً ، وعسلاً ، وخمراً ، ونحو ذلك ، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظاً ومعنى ، ولكن ليس هو مثله ، ولا حقيقته كحقيقته ، فأسماء الله تعالى وصفاته أولى ، وان كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه ، ان لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق ، ولا حقيقته كحقيقته ، والاخبار عن الغائب ، لايفهم ، إن لم يعبر عنه بالاسماء المعلومة معانيها في الشاهد ، ويعلم بها مافي الغائب ، بواسطة العلم بما في الشاهد ، مع العلم بالفارق المميز ، وأن ما أخبر الله به من الغيب ، أعظم مما في الشاهد ، وفي الغائب ، مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر ؛ فنحن إذا أخبرنا بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار ؛ علمنا معنى ذلك ، وفهمنا ما أريد منا فهمه ، بذلك الخطاب ،

وفسرنا ذلك . وأما نفس الحقيقة المخبر عنها ، مثل التي لم يكن بعد ، وإنما يكون يوم القيامة ؛ فذلك من التأويل الذي لا يعلمه الا الله ؛ ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف ، عن قوله : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ قالوا : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وكذلك قال ربيعة شيخ مالك قبله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، ومن الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا الايمان . فبين أن الاستواء معلوم ، وأن كيفية ذلك مجهولة ، ومثل هذا يوجد كثيراً في كلام السلف والأئمة ، ينفون علم العباد بكيفية صفات الله تعالى ، وأنه لا يعلم كيف الله الا الله ، فلا يعلم ما هو إلا هو . وقد قال النبي ﷺ : « لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » وهذا في « صحيح مسلم » وغيره . وقال في الحديث الآخر : « اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو نزلته في ، كتابك أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك » والحديث في «المسند» . و « صحيح أبي حاتم » ، وأطال الكلام . وهو كلام نفيس ، وهو معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى .

فصل

فيما يلزم مدعي التأويل لتصحيح دعواه

وعليكم في ذا وظائف أربع والله ليس لكم بهن يدان

منها دليل صارف للفظ عن موضوعه الأصلي بالبرهان

إذ مدّعي نفس الحقيقة مدّع للأصل لم يحتج إلى برهان
فاذا استقام لكم دليل الصرف يا هيهات طولبتم بأمر ثان
وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي قلتم هو المقصود بالتبيان
فاذا أتيتم ذاك طولبتم بأمـــر ثالث من بعد هذا الثاني
إذ قلتم إن المراد كذا فما ذا دلكم أتخرص الكهان
هب أنه لم يقصد الموضوع لــكن قد يكون القصد معنى ثان
غير الذي عينتموه وقد يكو ن اللفظ مقصوداً بدون معان
كتعبد وتلاوة ويكو ذا ك القصد أنفع وهو ذو إمكان
من قصد تحريف لها يسمى بتأ ويل مع الاتعاب للاذهان
والله ما القصدان في حدسوا[1] في حكمة المتكلم المنان
بل حكمة الرحمن تبطل قصده التحـريف حاشا حكمة الرحمن
وكذاك تبطل قصده إنزالها من غير معنى واضح التبيان
وهما طريقا فرقتين كلاهما عن مقصد القرآن منحرفان

حاصل كلام الناظم في هذا الفصل ، إلزام أهل التأويل أربعة لوازم ، ولا سبيل لهم الى دليل قاطع بها . الأول : المطالبة بدليل صارف للفظ عن موضوعه الأصلي ، وهو أن الأصل في الألفاظ الحقيقية ، فالمدعي النقل عن الحقيقية ، يحتاج الى دليل قاطع ، فاذا أقاموا الدليل الموجب للصرف

(١) اي في سواء .

عن الحقيقة ، وهيهات ، طولبوا بالأمر الثاني ، وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي قالوه. فاذا أقاموا احتمالاً أو احتمالين أو ثلاثة ، طولبوا بالدليل على أن المراد أحد المحتملات ، وليس عندهم إلا التخرص والظن ، وإذا قدرنا أنه لم يقصد الموضوع ، فقد يكون القصد معنى آخر ، كالتعبد ونحوه . وإذ كان المقصود بها التعبد والتلاوة ، فذاك القصد أنفع ، وهو ممكن ، وهو أولى من أن يكون القصد بإنزالها ، تحريفها المسمى بالتأويل ، ولهذا قال الناظم : والله ما القصدان في حد سوا الخ .. أي : أن حكمة المولى سبحانه تأبى ذلك ، أي تأبى أن ينزلها سبحانه لقصد التأويل والتحريف ، إلا أن ينزل ألفاظاً ليس لها معان . وإن كانت هاتان الطريقتان الباطلتان ، طريقتين لفرقتين منحرفتين عن مقاصد القرآن . وقوله : وعليكم في ذا وظائف أربع الخ .. تقدمت ثلاث منها ، ويأتي الرابع في الفصل بعده ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل

وأتى ابن سينا بعد ذا بطريقة ... أخرى ولم يأنف من الكفران

قال المراد حقائق الألفاظ تخـ ... ـييلاً وتقريباً إلى الأذهان

عجزت عن الأدراك للمعقول إلا ... في مثال الحس كالصبيان

كي يبرز المعقول في صور من الـ ... ـمحسوس مقبولاً لذي الأذهان

فتسلط التـأويل إبطال لهـــذا القصد وهو جناية من جـاني
هذا الذي قد قاله مـع نفيه لحقائق الأُلفاظ في الأُذهان
وطريقة التأويل أيضاً قد غدت مشتقة من هــذه الخلجـان
وكلاهما اتفقـا على أن الحـــقيقة منتف مضمونهـــا ببيان
لكن قد اختلفا فعند فريقكم مـا إن أُريدت قطء بالتبيان
لكنّ عندهمُ أريد ثبوتها في الذهن إذ عدمت من الإحسان
اذ ذاك مصلحة المخاطب عندهم وطريقة البرهـان أمر ثان
فكلاهما ارتـكبا أَشد جناية جنيت على القرآن والايمان
جعلوا النصوص لأجلها غرضاً لهم قـد خرّقوه بأُسهم الهذيان

يعني الناظم أن ابن سينا وأمثاله من الملاحدة الفلاسفة لما فتح المتكلمون باب التأويل، الذي هو تحريف النصوص، فإن حقيقة قول المتكلمين: إن الرب لم يكن قادراً، ولا كان الكلام والفعل ممكناً له، ولم يزل كذلك دائماً مدة، أو تقدير مدة لا نهاية لها، ثم إنه تكلم وفعل من غير سبب اقتضى ذلك، وجعلوا مفعوله هو فعله، وإرادته بعلة أزلية؛ والمفعول متأخراً، وجعلوا القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح. وكل هـذا خلاف المعقول الصريح، وخلاف الكتاب والسنة. وأنكروا صفاته ورؤيتـه، وقالوا: كلامه مخلوق، وهو خلاف دين الإسلام. والذين اتبعوا هؤلاء المتكلمين وأثبتوا الصفات. قالوا: يريد جميع المرادات بإرادة واحدة، وكل كلام تكلم به أو يتكلم به، إنما هو شيء واحد لا يتعدد

ولا يتبعض، وإذا رؤي رؤي بلا مواجهة ولا معاينة وانه لم يسمع، ولم ير الأشياء حتى وجدت، لم يقم به أنه موجود، بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك، إلى امثال هـذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح والمنقول الصحيح، فلما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء، وأن هذا هو الإسلام الذي عليه هؤلاء، وعلموا فساد هذا، أظهروا قولهم بقدم العالم، واحتجوا بأن تجدد الفعل - بعد أن لم يكن، ممتنع، بل لا بد لكل متجدد من سبب حادث، فيكون الفعل دائماً، ثم ادعوا دعوى كاذبة، لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها. وهو أنه إذا كان الفعل دائماً، لزم قدم الأفلاك والعناصر، ثم لما أرادوا تقرير، النبوة جعلوها فيضاً فاض من العقل الفعال أو غيره، من غير أن يكون رب العالمين يعلم أن له رسولاً معيناً، ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا يعلم الجزئيات ولانزل من عنده ملك، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ﷺ، وهو العقل الفعال، وأنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر، وغير ذلك مما أخبرنا به الرسول ﷺ. وزعموا أن ماجـاء به الرسول ﷺ، إنما أراد به خطاب الجمهور، بما يخيل إليهم، بما ينتفعون به، من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقـائق، وعلمت الناس ما الأمر عليه. وهذا معنى قول الناظم، حكاية عن ابن سينا. قـال : المراد حقـائق الألفاظ تخييلا وتقريباً إلى الاذهان. لأن الجمهور لا يمكنهم إدراك المعقول، إلا في مثال محسوس. فأبرزت الرسل المعقول في المحسوس، حتى تقبله أذهان الجمهور. فيقول الناظم : هذا هو الذي قد قاله ابن سينا، مع نفيه لحقائق الألفاظ في

الأذهان . فالتأويل عند ابن سينا لأجل إبطال هذا القصد ، ولهـــذا يحرم التأويل عند الفلاسفة إلا للعارف ، وأشار الناظم إلى ذلك بقوله :

فلذاك يحرم عندهم تأويله ... لكنه حل لذي العرفان

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتسلط الأوغاد والأوقاح والـــ ... أرذال بالتحريف والبهتان

كل إذا قابلته بالنص قا ... بله بتأويل بلا برهان

ويقول تأويلي كتأويل الذيـــن ... تأولوا فوقية الرحمن

بل دونه فظهورها في الوحي بالنـــصين مثل الشمس في التبيان

أيسوغ تأويل العلو لكم ولا ... تتأولوا الباقي بلا فرقان

وكذاك تأويل الصفات معانها ... ملء الحديث وملء ذي القرآن

والله تأويل العلو أشد من ... تأويلنا لقيامة الأبدان

وأشد من تأويلنا لحياته ... ولعلمه ومشيئة الاكوان

وأشد من تأويلنا لحدوث هـــذا العالم المحسوس بالإمكان

وأشد من تأويلنا بعض الشرا ... ئع عند ذي الانصاف والميزان

وأشد من تأويلنا لكلامه ... بالفيض من فعّال ذي الاكوان

وأشد من تأويل أهل الرفض أخبـــار الفضائل حازها الشيخان

وأشد من تأويل كل مؤول ... نصاً بأن مراده الوحيان

إذ صرح الوحيان مع كتب الإلـــه جميعها بالفوق للرحمن
فلأي شيء نحن كفار بذا التـــأويل بـل أنتم على الايمـان
إنا تأولنـا وأنتم قد تـــأولتم فهاتوا واضح الفرقان
ألكم على تأويلـكم أجران حيــث لنا على تأويلنا وزران
هذي مقالتهم لكم في كتبهم منها نقلناها بلا عدوان
ردوا عليهم إن قدرتم أو فـــنحوا عن طريق عساكر الايمان
لا تحطمنكمُ جنودهم كحطـــم السيل ما لاقى من الديدان

الأوغاد : جمع وغد وهو الذي يخدم بملء بطنه . والأوقاح : جمع وقح وهو الذي لاحياء له . يعني أن الأوغاد والأوقاح والارذال من الباطنية والفلاســفة وغيرهم ، لما رأوا تأويل المتكلمين لعلو الرب سبحانه وتعالى ، وفوقيته على خلقه ، وكذا تأويلهم لصفاته تعالى . فقال أولئك للمتكلمين : تأويلكم للعلو أعظم من تأويلنا للقيامة ، وأشــــد من تأويلنا لحياته سبحانه وعلمه ومشيئته ، وأشد من تأويلنا لحدوث العالم بالإمكان ، وأعظم من تأويلنا لكلامه بأنه فاض من العقل الفعال ، وأشد من تأويل الروافض الأخبار التي في فضائل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأشد من تأويل كل مؤول ، لأنه قد صرح الوحيان ، وجميع الكتب الإلهية بالفوقيه فلأي شيء نكفر بتأويلنا ، وأنتم مؤمنون . فنحن قد تأولنا كما تأولتم ، فهاتوا فرقاً واضحاً ، وهذا معنى قول الناظم: هذي مقالتهم لكم في كتبهم الخ . فردوا عليهم إن قدرتم ، وهيهات ، وإلا فتنحوا عن

طريق عساكر الإيمان ، فهم الذين يردون على أولئك الأوغاد ، وذلك أنهم قبلوا ما أخبر الله بـه عن نفسـه ، أو أخبر به رسوله ، إثباتاً بلا تأويل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، وقبلوا ما جاء عن الله ورسوله . وقالوا : آمنا به كل من عند ربنا ، والحمد لله وحده .

قال الناظم :

وكذا نطالبكم بأمر رابع　　والله ليس لكم بذا إمكان
وهو الجواب عن المعارض إذ به الد　　عوى تتم سليمة الأركان
لكنّ ذا عين المحال ولو يسا　　عدكم عليه رب كل لسان
فأدلة الإثبات حقاً لا يقو　　م لها الجبال وسائر الاكوان
تنزيل رب العالمين ووحيه　　مع فطرة الرحمن والبرهان
أنّى يعارضها كناسة هذه الـ　　أذهان بالشبهات والهذيان
وجعاجع وفراقع ماتحتها　　إلا السراب لوارد ظمآن
فلتهنكم هذي العلوم اللاء قد　　ذخرت لكم عن تابع الإحسان
بل عن مشايخهم جميعاً ثم وفـ　　ـقتم لها من بعد طول زمان
والله ماذخرت لكم لفضيلة　　لكمُ عليهم يا أولي النقصان
لكن عقول القوم كانت فوق ذا　　قدراً وشأنهم فأعظم شان
وهم أجل وعلمهم أعلى وأشـ　　ـرف أن يشاب بزخرف الهذيان
فلذاك صانهم الإله عن الذي　　فيه وقعتم صون ذي إحسان

سميتم التحريف تأويلاً كذا الـ ـعطيل تنزيها سما لقبان
وأضفتم أمراً إلى ذا ثالثاً شراً وأقبح منه ذا بهتان
فجعلتم الإثبات تجسيماً وتشـ ـبيهاً وذا من اقبح العدوان
فقلبتم تلك الحقائق مثل ما قلبت قلوبكم عن الإيمان
وجعلتم الممدوح مذموماً كذا بالعكس حتى استكمل اللبسان
وأردتم أن تحمدوا بالاتبا ع نعم لمن يافرقة البهتان ؟
وبغيتم أن تنسبوا للابتدا ع عساكر الآثار والقرآن
وجعلتم الوحيين غير مفيدة للعلم والتحقيق والبرهان
لكن عقول الناكبين عن الهدى لهما تفيد ومنطق اليونان
وجعلتم الايمان كفراً والهدى عين الضلال وذا من الطغيان
ثم استخفيتم عقولاً ما أرا د الله أن تزكو على القرآن
حتى استجابوا مهطعين لدعوة التـ ـعطيل قد هربوا من الايمان
يا ويحهم لو يشعرون بمن دعا ولما دعا قعدوا قعود جبان

هذا هو الرابع من الأمور التي تقدمت في الفصل قبله ، لأنه طالبهم بثلاثة أشياء ، وبقي الرابع : وهو أنا نطالبهم بالجواب عن المعارض لهم ، وهو أدلة الإثبات ، وجوابهم عنها عين المحال . وكيف يعارض النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والفطرة ؛ كناسة الآراء والأذهان ،

وجماجع وفراقع ما تحتها إلا السراب للوارد الظمآن ، فليهنهم الاعتياض بهذه العلوم التي قد ذخرت عن الصحابة والتابعين ، والأئمة المهديين ، فإن الله تعالى صانهم ونزههم عن هذا الذي وقع فيه هؤلاء ، نعوذ بالله من الخذلان .

وقوله : سميتم التحريف تأويلاً الخ . أي : أنهم سموا تحريفاتهم تأويلاً ، وسموا التعطيل تنزيهاً ، وأضافوا الى ذلك أمراً ثالثاً أقبح وأشنع ، وهو أنهم سموا الاثبات تجسيماً وتشبيهاً ، فقلبوا الحقائق ، وجعلوا الممدوح مذموماً ، والمذموم ممدوحاً ، فدلسوا ولبسوا .

وقوله : وأردتم أن تحمدوا بالاتباع الخ .. أي : أنهم أرادوا أن يحمدوا باتباع الكتاب والسنة ، وهم عن ذلك بمراحل ، وهذا معنى قوله : لكن لمن ، ومع ذلك نسبوا للابتداع عساكر الآثار والقرآن ، وصرحوا بأن نصوص الوحيين لاتفيد اليقين ، وأن العلم واليقين إنما يستفاد من غيرهما ، كعقولهم ، ومنطق اليونان ، وقالوا : إذا تعارضت الأدلة اللفظيه والقواطع العقليه بزعمهم ، قدمنا القواطع العقلية ، وجعلوا الايمان كفراً ، والهدى ضلالاً ، ثم استخفوا أصحاب العقول الضعيفة غير الزكية ، فاستجابوا مهطعين لدعوتهم ، واتبعوهم على تحريفهم وتأويلهم .

فصل

في شبه المحرفين للنصوص باليهود وإرثهم التحريف منهم وبراءة أهل الاثبات مما رموهم بـه من هذه الشبه .

هذا وثَمَّ بلية مستورة فيهم سأبديها لكم ببيان

ورث المحرّف من يهود وهم أولو التحريف والتبديل والكتمان،
فأُراد ميراث الثلاثة منهمُ فعصت عليه غاية العصيان،
إذ كان لفظ النص محفوظاً فما التبديل والكتمان في الإمكان،
فأراد تبديل المعاني إذ هي المقصود من تعبير كل لسان،
فأتى اليها وهي بارزة من الألفاظ ظاهرة بلا كتمان،
فنفى حقائقها وأعطى لفظها معنى سوى موضوعه الحقان،
فجنى على المعنى جناية جاحد وجنى على الألفاظ بالعدوان،
وأتى الى حزب الهدى أعطاهمُ شبه اليهود وذا من البهتان،
إذ قال إنهم مشبهة وأنتم مثلهم فمن الذي يلحاني،
في هتك أستار اليهود وشبههم من فرقة التحريف للقرآن،

مراد الناظم رحمه الله أن المحرف ، أي : المؤول ورث ، التحريف من اليهود . وهم أولو التحريف والتبديل والكتمان ، فأراد المحرف ميراث الثلاثة منهم ، فعصت عليه ، ولم يمكنه ذلك ، لأن لفظ النص محفوظ ، قد تولى الله حفظه ، كما قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ، الحجر : ٩ فعدل الى تبديل المعاني ، لأنها هي المقصودة بالتعبير ، ولم يمكنه الكتمان أيضاً ، فنفى حقائقها ، وأعطى لفظها معنى غير معناه الموضوع له ، فجحد المعنى ، وجنى على اللفظ بالعدوان ، ثم بعد ذلك سمى أهل الاثبات والهدى مشبهة ، وأنهم مثل اليهود ، وهذا معنى قول الناظم : فمن الذي

يلحاني في هتك أستار اليهود وشبههم . ومعنى يلحاني : ينازعني . قال في « القاموس » لاحاه ملاحاة ولحاء : نازعه . انتهى . أي : من ينازعني في هتك أستار المعطلة ، وتشبيههم باليهود . ثم شرع الناظم في بيان شبههم المحقق باليهود فقال :

يامسلمين بحق ربكم اسمعوا قولي وعوه وعي ذي عرفان
ثم احكموا من بعد من هذا الذي أولى بهذا الشبه بالبرهان
أم اليهود بأن يقولوا حطة فأبوا وقالوا حطة لهوان
وكذلك الجهمي قيل له استوى فأبى وزاد الحرف للنقصان
قال استوى استولى وذا من جهله لغة وعقلاً ما هما سيان
عشرون وجهاً تبطل التأويل باستولى فلا تخرج عن القرآن
قد أفردت بمصنف هو عندنا تصنيف حبر عالم رباني
ولقد ذكرنا أربعين طريقة قد أبطلت هذا بحسن بيان
هي في الصواعق إن ترد تحقيقها لا تختفي الا على العميان
نون اليهود ولام جهمي هما في وحي رب العرش زائدتان
وكذلك الجهمي عطل وصفه ويهود قد وصفوه بالنقصان
فهما اذاً في نفيهم لصفاته الـعليا كما بينته أخوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في ايضاح ماذكره من شبه المعطلة باليهود ،

وأنهم ورثوا منهم التحريف ، فذكر أن اليهود قيل لهم : (قولوا حطة) البقرة : ٥٨ والأعراف : ١٦١ فأبوا وقالوا : حنطة ، وكذلك الجهمية . قيل لهم : استوى ؟ فأبوا وقالوا : استولى : وليس كذلك ، فإن هذا من جهل الجهمي بمعنى استوى لغة وعقلاً ، وذكر أن تفسير الاستواء بالاستيلاء باطل من عشرين وجهاً ، أفردها شيخ الاسلام في مصنف مفرد ، وقد ساقها الناظم فيما تقدم ، وزاد وجهاً فصارت إحدى وعشرين وجهاً .

قوله : ولقد ذكرنا أربعين طريقة . أي : وقد أبطلنا تفسير الاستواء بالاستيلاء من أربعين طريقاً ، ذكرها الناظم رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بـ « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة » وهو في مجلدات في غاية الاجادة والنفاسة ، فجزاه الله عن الاسلام خيراً .

وقوله : قد أفردت بمصنف هو عندنا الخ . يعني به شيخ الاسلام كما تقدم .

قولـه :

وكذلك الجهمي عطل وصفه ويهود قد وصفوه بالنقصان

أي : أن الجهمية شابهوا اليهود أيضاً ، فالجهمية نفوا صفات الرب سبحانه ، واليهود وصفوه بالنقصان ، فوصفوه بأنه فقير ، تعالى الله عن ذلك ، وأن يده مغلولة ، ووصفوه بالندم ، والتعب ، تعالى الله وتقدس عن إفكهم .

فصل

في بيان بهتانهم في تشبيه أهـــل الاثبات بفرعون ، وقولهم : إن مقالة العلو عنه أخذوها وإنهم أولى بفرعون وأنهم أشباهه .

ومن العجائب قولهم فرعون مذ هبه العلو وذاك في القرآن
ولذاك قد طلب الصعود اليه بالصـــرح الذي قد رام من هامان
هذا رأيناه بكتبهم ومن أفواههم سمعاً الى الآذان
فاسمع إذاً من الذي أولى بفر عون المعطل جاحد الرحمن
وانظر الى من قال موسى كاذب حين ادعى فوقية الرحمن
فمن المصائب أن فرعونيكم أضحى يكفر صاحب الايمان
ويقول ذاك مبدل الدين سا ع بالفساد وذا من البهتان
ان المورث ذالهم فرعون حـــين رمى به المولود من عمران
فهو الامام لهم وهاديهم بتـــبوع يقودهم الى النيران
هو أنكر الوصفين وصف الفوق والتــكليم انكاراً على البهتان
إذ قصده إنكار ذات الرب فالتـــعطيل مرقاة لذا النكران
وسواه جاء بسلم وبآلة وأتى بقانون على بنيان
وأتى بذاك مفكراً ومقدراً ورث الوليد العابد الاوثان

وأتى الى التعطيل من أبوابه لا من ظهور الدار والجدران

وأتى به في قالب التنزيه والتـعظيم تلبيساً على العميان

وأتى الى وصف العلو فقال ذا التـجسيم ليس يليق بالرحمن

فاللفظ قد أنشاه من تلقائه وكساه وصف الواحد المنان

والناس كلهم صبي العقل لم يبلغ ولو كانوا من الشيخان

الا أناساً سلموا للوحي هم أهل البلوغ وأعقل الانسان

فأتى الصبيان فانقادوا له كالشاء اذ تنقاد للجوبان

فانظر الى عقل صغير في يدي شيطان ما يلقى من الشيطان

أي : ومن العجائب أن المعطلة تزعم أن العلو مذهب فرعون ، وهذا من قلب الحقائق وقد تقدم توضيح ذلك . قوله : إذ قصده إنكار ذات الرب تعالى الخ . أي : إن قصد فرعون اللعين انكار ذات الرب تعالى. قوله: وسواه جاء بسلم وبآلة الخ ، أي : أن هؤلاء النفاة ، وضعوا القوانين فيما جاءت به الانبياء عن الله ، فما وافق تلك القوانين قبلوه ، وما خالفها لم يتبعوه ، وتأولوه أو فوضوه ، قوله : وأتى بذاك مفكراً ومقدراً . أي : النافي فكر وقدر فيما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسله ، وأنه ورث بذلك الوليد بن المغيرة ، الذي ذكره الله تعالى في قوله : (انه فكر وقدر) المدثر : ١٣ الآية . ورحم الله الناظم ، فلقد استعظم نسبتهم مذهب العلو الى فرعون ، فلو دفع الى زمن من زاد في الطنبور نغمة ، وصنف مصنفاً في إيمان فرعون ، وإن كان المحيي ابن عربي قد زعم ذلك ،

فمذهبه معلوم ، ومشربه مذموم ، فالله المستعان . قوله : إذ تنقاد للجوبان ، وهو الراعي .

فصل

في بيان تدليسهم وتلبيسهم الحق بالباطل

قالوا اذا قال المجسم ربنا حقاً على العرش استوى بلسان
فسلوه كم للعرش معنى واستوى أيضاً له في الوضع خمس معان
وعلى فكم معنى لها أيضاً لدى عمرو فذاك إمام هذا الشان
بين لنا تلك المعاني والذي منها أريـــد بواضح التبيان

يعني أن المعطلة لشدة تدليسهم وتلبيسهم ، قالوا : إذا قالت المثبتة : إن الله تعالى استوى على العرش ، فسلوه: كم للعرش معنى . واستوى : كم معنى لها لدى عمرو. أي عند عمرو ، وهو سيبويه ، إمام النحاة ، فإن اسمه عمرو بن عثمان بن قنبر . قال صاحب « العواصم والقواصم » : إذا قال لك المجسم (الرحمن على العرش استوى) : طه : ٥ فقل : استوى على العرش ، تستعمل على خمسة عشر وجهاً ، فأيها تريد ؟ انتهى . قال شيخ الاسلام في تفسير سورة (الإخلاص) : ومن قال: الاستواء له معان متعددة، فقد أجمل كلامه، فإنهم يقولون : استوى فقط، ولا يصلونه بحرف، وهذا له معنى . ويقولون : استوى على كذا ، وله معنى، واستوى إلى كذا، وله معنى ، واستوى مع كذا ، وله معنى ، فتنوع معانيه بحسب صلاته .

وأما استوى على كذا ، فليس في القرآن ولغة العرب المعروفة إلا بمعنى واحد . قال تعالى : (فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) الفتح : ٢٩ وقال : (واستوت على الجودي)هود : ٤٤ وقال : (لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا ستويتم عليه) الزخرف : ١٣ وقد أتي النبي ﷺ بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله في الغرز قال : « بسم الله » فلما استوى على ظهرها قال : « الحمد لله » . وقال ابن عمر : أهل رسول الله ﷺ بالحج ، فلما استوى على بعيره ... وهذا المعنى يتضمن شيئين : علوه على ما استوى عليه ، واعتداله ايضاً ، فلا يسمون المائل على الشيء مستوياً عليه . ومنه حديث الخليل بن أحمد لما قال : استووا .

وقوله :

قد استوى بشر على العراق ‏ ‏ ‏ من غير سيف ودم مهراق

هو من هذا الباب ، فان المراد به بشر بن مروان ، واستواؤه عليها ، أي على كرسي ملكها ، لم يرد بذلك مجرد الاستيلاء ، بل استواء منه عليها ، إذ لو كان كذلك لكان عبد الملك الذي هو الخليفة قد استوى أيضاً على العراق وعلى سائر مملكة الاسلام ، ولكان عمر بن الخطاب قد استوى على العراق وخراسان والشام ومصر وسائر ما فتحه ، ولكان رسول الله ﷺ قد استوى على اليمن وغيرها مما فتحه . ومعلوم أنه لم يوجد في كلامهم استعمال الاستواء في شيء من هذا ، وإنما قيل فيمن استوى بنفسه على بلد : فإنه مستو على سرير ملكه ، كما يقال : جلس فلان على السرير ، وقعد على التخت . ومنه قوله : (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) يوسف : ١٠٠ وقوله : (اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء

ولها عرش عظيم) النمل : ٢٣ وقول الزمخشري وغيره: استوى على كذا، بمعنى ملك دعوى ، مجردة ، فليس لها شاهد في كلام العرب . ولو قدر ذلك لكان بهـذا المعنى باطلا في استواء الله على العرش ، لأنه أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وقد أخبر أن العرش كان موجوداً قبل خلق السموات والارض، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، فهو من حين خلق العرش مالك له مستول عليه ، فكيف يكون الاستيلاء عليـــه مؤخراً عن خلق السموات والارض ؟! وايضاً فهو مالك لكل شيء مستول عليه ، لايخص العرش بالاستواء ، وليس هــذا كتخصيصه بالربوبية في قوله : (ورب العرش) المؤمنون : ٨٦ فانه قد يخص لعظمته ، ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال : رب العرش ،ورب كل شيء، وأما الاستواء المختص بالعرش ، فلا يقال: استوى على العرش ، وعلى كل شيء ،ولا استعمل ذلك أحد من المسلمين في كل شيء، ولا وجد في كتاب ولا سنة ، كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة، وفي كل شيء عامة ، وكذلك لفظ الخلق ونحـــوه من الالفاظ التي تخص وتعم ، كقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق) العلق: ١-٢ فالاستواء من الالفاظ المختصة بالعرش لا تضاف إلى غيره لا خصوصاً ولا عموماً ، وهذا مبسوط في موضع آخر . انتهى كلامه .

قال الناظم :

فاسمع فداك معطل هذي الـــــجعاجع ما الذي فيها من الهذيان

قل للمجعجع ويحك اعقل ما الذي قد قلته إن كنت ذا عرفان

العرش عرش الرب جل جلاله واللام للمعهود في الأذهان

ما فيه إجمال ولا هو موهم نقل المجاز ولا له وضعان

ومحمد والانبياء جميعهم شهدوا به للخالق الرحمن

منهم عرفناه وهم عرفوه من رب عليه قد استوى ديان

لم تفهم الأذهان منه سرير بلقيس ولا بيتاً على الأركان

كلا ولا عرشاً على بحر ولا عرشاً لجبريل بلا بنيان

كلا ولا العرش الذي إن ثل من عبد هوى تحت الحضيض الداني

كلا ولا عرش الكروم وهذه الأعناب في حرث وفي بستان

لكنها فهمت بحمد الله عرش الرب فوق جميع ذي الاكوان

وعليه رب العالمين قد استوى حقاً كما قد جاء في القرآن

اي أن قوله تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ المراد به عرش الرب سبحانه ، واللام للعهد الذهني ولا تفهم الاذهان من العرش غير ذلك ، كعرش بلقيس المذكور في قوله تعالى : (ولها عرش عظيم) النحل : ٢٣ ولا بيتاً على الأركان كما في قوله تعالى : (خاوية على عروشها) البقرة : ٢٥٩ ولا عرشاً على الماء المذكور في حديث رواه سنيد بن داود في تفسيره مرفوعاً الى النبي ﷺ قال : « إن ابليس اتخذ عرشاً على الماء مثل عرش الرحمن عز وجل ... » الحديث ، وهو حديث منكر ، ولا عرشاً لجبريل ولا العرش المذكور في قولهم : ثل عرشه ، أي : ذهب سلطانه وجاهه ونحو ذلك ، ومنه قول عمر رضي الله عنه : كاد عرشي ان يثل ، ولا عرش الكروم . قال ابن عباس : معروشاً : ما يعرش

من الـــكرم ، والعروش الأبنية ،وعرش البيت سقفه ، ولا العروش التي هي البيوت من سقف ونحوه . وهذا بحمد الله من أظهر المعارف التي لا تحتاج الى الاسهاب والاطناب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذا استوى الموصول بالحرف الذي ظهر المراد به ظهور بيان
لا فيه إجمال ولا هو مفهم للاشتراك ولا مجاز ثاني
تركيبه مع حرف الاستعلاء نـــص في العلو بوضع كل لسان
فاذا تركب مع الى فالقصد مع معنى العلو لوضعه ببيان
وإلى السماء قد استوى فمقيد بتمام صنعتها مع الاتقان
لكن على العرش استوى هو مطلق من بعد ما قد تم بالاركان
لكنما الجهمي يقصر فهمه عن ذا فتلك مواهب المنان
فاذا اقتضى واو المعية كان معـــناه استواه مقدم والثاني
فاذا أتى من غير حرف كان معـــناه الكمال فليس ذا نقصان
لا تلبسوا بالباطل الحق الذي قد بين الرحمن في الفرقان
وعلى للاستعلاء فهي حقيقـــة فيه لدى أرباب هذا الشان

اما الاستواء المطلق فله عدة معان ، فإن العرب تقول : استوى كذا ، أي : انتهى ، وكمل . ومنه قوله تعالى : (ولما بلغ أشده واستوى) القصص: ١٤ وتقول : استوى وكذا نحو قولهم :استوى الماء والخشبة ، واستوى الليل

والنهار إذا ساواه. وتقول : استوى إلى كذا : إذا قصد إليه علواً وارتفاعاً، نحو : استوى الى السطح والجبل . واستوى على كذا ؛ أي : ارتفع عليه، ولا تعرف العرب غير هذا ، فالاستواء في هذا التركيب نص لا يحتمل غير معناه، كما هو نص في قوله تعالى : (ولما بلغ أشده واستوى) القصص : ١٤ لا يحتمل غير معناه، ونص في قولهم : استوى الليل والنهار، في معناه لا يحتمل غيره. وقول الناظم : تركيبه مع حرف الاستعلاء نص الخ . أي : أن استواء الرب سبحانه المعدى بأداة على المعلق بعرشه المعرف باللام المعطوف بثم على خلق السموات والأرض ، المطرد في موارده على أسلوب واحد ، لا يحتمل معنيين البتة ، فاستواء الرب على عرشه المختص به الموصول بأداة على ، نص في معناه لا يحتمل سواه ، والله علم.

قال الناظم رحمه الله :

وكذلك الرحمن جل جلاله ... لم يحتمل معنى سوى الرحمن

ياويحه بعماه لو وجد اسمه الـــرحمن محتملاً لخمس معان

لقضى بأن اللفظ لا معنى له ... إلا التلاوة عندنا بلسان

فلذاك قال أئمة الاسلام في ... معناه ما قد ساءكم ببيان

ولقد أحلناكم على كتب لهم ... هي عندنا والله بالكيمان

يقول الناظم رحمه الله : وكذلك اسم الرحمن لا يحتمل معنى سوى الرحمن .

قوله : ياويحه بعماه ، اي : ياويح المعطل بسبب عماه ، لو وجد اسم

الرحمن محتملا لخمسة معان لأظهرها، وقضى، أي حكم بأنه لا معنى للرحمن الا التلاوة . وقد قال أئمة الاسلام في معناه : ما ساءكم أيها المعطلة ، وهو موجود في كتبهم بالكيمان ، أي : بالكثرة . ولنذكر بعض ماذكره العلماء في معنى الرحمن الرحيم . كما أحال على ذلك الناظم ، فهما اسمان مشتقان من رحم بجعله لازماً بنقله إلى باب فعل بضم العين ، أو بتنزيله منزلة اللازم، إذ هما صفتان مشبهتان ، وهي لا تشتق من متعد . والرحمن أبلغ من الرحيم ، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالباً . كما في قطع وقطّع ، ومن غير الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لا يفيده زائده من المبالغة، كحذر وحاذر، فان حذر أبلغ من حاذر . فالرحمن صفة في الأصل بمعنى كثير الرحمة جداً ، ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها، وهو الله . والرحيم : ذو الرحمة الكثيرة .

وقال الناظم في « بدائع الفوائد » : أسماء الرب تعالى أسماء ونعوت ، فإنها دالة على صفات كماله ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه تعالى ، ووصفه لا ينافي اسميته ووصفيته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله ، ومن حيث هو اسم في القرآن ورد غير تابع معنى ، كقوله تعالى : (الرحمن علم القرآن) الرحمن : ١ (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الملك : ٢٠ وهذا شأن الاسم العلم . ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى ، حسن مجيئه مفرداً غير تابع ، كمجيء اسمه (الله) كذلك ، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمن ، كاسمه (الله) فإنه دال على صفة الألوهية ، ولم يجيء قط تابعاً لغيره ، بل متبوعاً ، بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ، ولهذا لا تجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة .

قال رحمه الله تعالى : وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم . وكأن الأول الوصف، والثاني الفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته ، أي صفة ذات له سبحانه ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه رحمة ، أي: صفة فعل له سبحانه ، فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيما) الأحزاب : ٤٣ (إنه بهم رؤوف رحيم) التوبة : ١١٧ ولم يجيء قط رحمن بهم، فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو الراحم برحمته .

قال رحمه الله تعالى : وهذه النكته لا تكاد تجدها في كتاب ، وان تنفست عندها مرآت قلبك ، لم تنجل لك صورتها . انتهى .

فصل

في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحكم عليها باحتمال عدة معان حتى أسقطوا الاستدلال بها .

والللفظ منه مفرد ومركب   في الاعتبار فما هما سيان
واللفظ في التركيب نص في الذي   قصد المخاطب منه في التبيان
أو ظاهر فيه وذا من حيث نسبته إلى الأفهام والأذهان
فيكون نصاً عند طائفة وعند سواهمُ هو ظاهر التبيان
ولدى سواهم مجمل لم يتضح   لهمُ المراد به اتضاح بيان

فالأولون لإلفهم ذاك الخطا ... ب وإلفهم معناه طول زمان

طال المراس لهم لمعناه كما ... اشتدت عنايتهم بذاك الشان

والعلم منهم بالمخاطب إذ هم ... أولى به من سائر الإنسان

ولهم أتم عناية بكلامه ... وقصوده مع صحة العرفان

فخطابه نص لديهم قاطع ... فيما أريد به من التبيان

لكنَّ من هو دونهم في ذاك لم ... يقطع بقطعهم على البرهان

ويقول يظهر ذا وليس بقاطع ... في ذهنه لا سائر الأذهان

ولإلفه بكلام من هو مقتد ... بكلامه من عالم الازمان

هو قاطع بمراده وكلامه ... نص لديه واضح التبيان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هـذا الفصل أن الألفاظ قسمان : مفرد ومركب ، وأن المركب نص في الذي قصد المخاطب ، أو ظاهر ، وأن ذلك من الامور النسبية ، أي : بالنسبة الى الافهام والأذهان ، فيكون نصاً بالنسبة الى طائفة ، وعند طائفة هو ظاهر ، وعند غيرهم هو مجمل ، و المجمل هو اللفظ المتردد بين محتملين فأكثر على السواء ، وقيل : ما لم تتضح دلالته ، وقيل : ما أفاد جملة من الاشياء . وقيل : مالا يفهم منه عند الإطلاق معنى ، أي : معين . وقيل : ما لا يفهم منه مراد المتكلم .

قوله : فالأولون ، أي : الطائفة الأولى بسبب الفهم للخطاب والفهم للمعنى ، وطول ممارستهم لمعناه لشـدة عنايتهم بمعرفة الخطاب ، وعلمهم

بالخاطب ـ بكسر الطاء ـ فيكون خطابه عندهم نصاً قاطعاً . وأما الطائفة الأخرى فهم لنقصهم عن الأولين في تلك الخصال التي تقدمت ، يرون ذلك ظاهراً ، أي : بالنسبة إليهم لا الى غيرهم ، وهذا معنى قول الناظم : وليس بقاطع الخ . وأما كلام من هو مقتد بكلامه من العلماء فهو لإلفه بكلامه يقطع بمراده ، وكلامه عنده نص واضح .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والفتنة العظمى من المتسلق الـ ـمخدوع ذي الدعوى أخي الهذيان

لم يعرف العلم الذي فيه الكلا م ولا له إلف بهذا الشان

لكنه منه غريب ليس من سكانه كلاً ولا والجيران

فهو الزنيم دعيّ قوم لم يكن منهم ولم يصحبهم بمكان

وكلامهم أبداً لديه مجمل وبمعزل عن إمرة الايقان

شد التجارة بالزيوف يخالها نقداً صحيحاً وهو ذو بطلان

حتى إذا ردت إليه ناله من ردها خزي وسوء هوان

فأراد تصحيحاً لها إذ لم يكن نقد الزيوف يروج في الأثمان

ورأى استحالة ذا بدون الطعن في باقي النقود فجاء بالعدوان

واستعرض الثمن الصحيح بجهله وبظلمه يبغيه بالبهتان

عوجا ليسلم نقده بين الورى ويروج فيهم كامل الأوزان

اشار الناظم رحمه الله بهذه الأبيات إلى القائلين بالإجمال ، وهم المدعون الذين لم يعرفوا العلم الذي فيه الكلام ، ولا إلف لهم به ، فهم غرباء منه ليسوا من سكانه ولا جيرانه ، فاذا وجدوا الكلام فهو لديهم مجمل وبمعزل عن اليقين .

قوله : فهو الزنيم دعي قوم ... الخ . قال في « القاموس » :الزنيم : المستلحق في قوم ، والدعي مزنم كمعظم : اللئيم المعروف بلؤمه أو شره انتهى . وفي « مختـــار الصحاح » : الزنيم : المستلحق في قوم ليس منهم لايحتاج إليه ، وكأنه فيهم زنمة ، وهي شيء يكون للمعز في آذانها كالقرط ، وهي أيضاً شيء يقطع من أذن البعير ويترك معلقاً . وقوله تعالى : (عتل بعد ذلك زنيم) القلم : ١٣ قال عكرمة : هو اللئيم يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها . انتهى .

قوله : شد التجارة بالزيوف .. الخ . قال في « القاموس » : والدراهم زيوفاً ،صارت مردودة لغش درهم زيف وزائف ، أو الأولى ردية جمـــع زياف ، وفلان الدراهم جعلها زيوفاً كزيفها هي ، أي : أن تجارته وبضاعته في العلم زيوف وهو يظنها نقوداً صحيحة ، فلماردت عليه ناله من ردها أشد الخزي وأعظم الهوان ، فأراد تصحيحها ، وأنى ذلك!?فصار يطعن في باقي النقود الصحيحة بجهله وظلمه ، يبغيها عوجاً حتى يسلم ذلك النقد الزائف بين الناس ويروج بين الجهال والطغام.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس ليسوا أهل نقد للذي قد قيل إلا الفرد في الازمان

والزيف بينهم هو النقد الذي قد راج في الأسفار والبلدان

إذهم قد اصطلحوا عليه وارتضوا بجوازه جهراً بلا كتمان
فإذا أتاهم غيره ولو انه ذهب مصفي خالص العقيان
ردوه واعتذروا بأن نقودهم من غيره بمراسم السلطان
فاذا تعاملنا بنقد غيره قطعت جوامكنا من الديوان
والله منهم قد سمعنا ذا ولم نكذب عليهم ويح ذي البهتان

أي : أن أكثر الناس ليسوا بأهل معرفة للزيوف ، اللهم إلا الواحد بعد الواحد في الأزمنة . والنقد الزائف هو الذي قد راج بين الناس ، فإذا أتى الناس غيره ولو أنه ذهب مصفى خالص العقيان : أي : الذهب ، لأن العقيان هو الذهب ، ردوه واعتذروا بأن نقودهم من غيره ، فإذا تعاملنا بغير ذاك النقد قطعت جوامكنا من الديوان .

قوله : والله منهم قد سمعنا ذا ... الخ . وبئس ما فعلوا حيث اعتاضوا عن الآخرة بالدنيا والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله :

يا من يريد تجارة تنجيه من غضب الإله وموقد النيران
وتفيده الأرباح بالجنات والحور الحسان ورؤية الرحمن
في جنة طابت ودام نعيمها ماللفناء عليه من سلطان
هيء لها ثمناً تباع بمثله لاتشترى بالزيف من أثمان
نقداً عليه سكة نبوية ضرب المدينة أشرف البلدان

أظننت يامغرور بائعها الذي يرضى بنقد ضرب جنكسخان
منتك والله المحال النفس إن طمعت بذا وخدعت بالشيطان
فاسمع إذاً سبب الضلال ومنشأ التـــخليط اذ يتناظر الخصمان
يحتج باللفظ المركب عارف مضمونه بسياقه لبيان
واللفظ حين يساق بالتركيب محـــفوف به للفهم والتبيان
جند ينادي بالبيان عليه مثـــل ندائنا باقامة وأذان
كي يحصل الإعلام بالمقصود من إيراده ويصير في الأذهان
فيفك تركيب الكلام معاند حتى يقلقله من الاركان
ويروم منه لفظه قد حملت معنى ســواه في كلام ثان
فيكون دبوس السلاق وعدة للدفع فعل الجاهل الفتان
فيقول هذا مجمل واللفظ محـــتمل وذا من أعظم البهتان
وبذاك يفسد كل علم في الورى والفهم من خبر ومن قرآن
إذ أكثر الألفاظ تقبل ذاك في الــــأفراد قبل العقد والتبيان
لكن إذا ما ركبت زال الذي قد كان محتملا لدى الوحدان
فاذا تجرد كان محتملا لغـــير مراده أو في كلام ثان
لكنّ ذا التجريد ممتنع فان يفرض يكن لاشك في الاذهان

والمفردات بغير تركيب كمثـــل الصوت تنعقه بتلك الضان
وهنالك الاجمال والتشكيك والتـجهيل والتحريف والاتيان بالبطلان
فاذا همُ فعلوه راموا نقله لمركب قد حف بالتبيان
وقضوا على التركيب بالحكم الذي حكموا به للمفرد الوحدان
جهلا وتجهيلا وتدليساً وتلـــبيساً وترويجاً على العميان

يعني الناظم رحمه الله أن اللفظ حين يساق بالتركيب فمحفوف بـــه من القرائن ما يبين المراد ، وذلك معنى قوله : جند ينادي عليه ...الخ . أي : فإذا أتى معاند وفك تركيب الكلام وقلقل أركانه ، وأراد منه لفظة قد حملت معنى آخر في كلام ثان .

وقوله : فيكون دبوس السلاق. قال في « القاموس » : دبوس كتنور واحد الدبابيس للمقامع كأنه معرب . سلق العظم : التحاه وفلاناً طعنه ، فيقول: يحتمل ويحتمل ، وهذا اللفظ مجمل ، فبذاك تفسد علوم الورى ، لأن ، أكثر الألفاظ تقبل ذاك في الإفراد قبل التركيب . ولكن الأمر كما قال الناظم :التجريد ممتنع ، وإن فرض فهو في الأذهان. وأما المفردات فهي كمثل الصوت تنعقـــه بالضان ، وقصدهم بذلك التشكيك والتجهيل والتحريف والله المستعان .

فصل

في بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني

هذا هداك الله من إضلالهم وضلالهم في المنطق اليونان
كمجردات في الخيال وقد بنى قوم عليها أوهن البنيان
ظنوا بأن لها وجوداً خارجاً ووجودها لو صح في الاذهان
أنى وتلك مشخصات حصّلت في صورة جزئية بعيان
لكنها كلية إن طابقت أفرادها كاللفظ في الميزان
يدعونه الكلي وهو معين فرد كذا المعنى هما سيان
تجريد ذا في الذهن أو في خارج عن كل قيد ليس في الامكان
لا الذهن يعقله ولا هو خارج هو كالخيال لطيفة السكران
لكن تجردها المقيد ثابت وسواه ممتنع بلا إمكان
فتجرد الاعيان عن وصف وعن وضع وعن وقت لها ومكان
فرض من الأذهان يفرضه كفر ض المستحيل هما لها فرضان
الله أكبركم دهى من فاضل هذا التجرد من قديم زمان
تجريد ذي الألفاظ عن تركيبها وكذاك تجريد المعاني الثاني

والحق أن كليهما في الذهن مفـــروض فلا تحكم عليه وهو في الأذهان
فيقودك الخصم المعاند بالذي سلمته للحكم في الأعيان
فعليك بالتفصيل إن هم أطلقوا أو أجملوا فعليك بالتبيان

يعني الناظم رحمه الله تعالى أن غلط المتكلمين في تجريد الألفاظ، يشبه غلط الفلاسفة في تجريد المعاني ، وذلك أن الفلاسفة يزعمون أن الجواهر العقلية التي هي العقل والنفس والمـــادة والصورة ، لها حقيقة في الخارج ، والصواب أنه لا حقيقة لها في الخارج، وإنما هي أمور معقولة في الذهن يجردها العقل من الأمور المعينة ، كما يجوز العقل الكليات المشتركة بين الأصناف كالحيوانية الكلية ، والانسانية الكلية . والكليات إنما تكون كليات في الأذهان لا في الأعيان ، وهذا معنى قول الناظم : يدعونه الكلي وهو معين ... الخ .

ومن هؤلاء من يظن أنها تكون في الخارج كليات ،وأن في الخارج ماهيات كلية مقارنة للأعيان غير الموجودات المعينة،وكذلك منهم من يثبت كليات مجردة عن الأعيان يسمونها المثل الأفلاطونية، ومنهم يثبت دهراً مجرداً عن المتحرك والحركة، ويثبت خلاءاً مجرداً ليس متحيزاً و لا قائماً بمتحيز ، ويثبت هيولى مجردة عن جميع الصور . الهيولى في لغتهم بمعنى : المحل . يقال للفضة هيولى الخاتم ، والدرهم والخشب هيولى الكرسي ، أي هذا المحل الذي تصنع فيه هذه الصورة . وهذه الصورة الصناعية عرض من الاعراض ، ويدعون أن الجسم هيولى محل الصورة الجسمية غير نفس الجسم القائم بنفسه ، وهذا غلط، وإنما هذا يقدر في النفس كما يقدر امتداد مجرد عن كل ممتد ،وعدد مجرد عن كل معدود ، ومقدار مجرد عن كل مقدر ، وهـذه كلها أمور

مقدرة في الأذهان لا وجود لها في الأعيان ، وهؤلاء الذين جردوا الحقائق عن قيودها، وأخذوها مطلقة أخرجوها عن مسمياتها، وماهياتها جميع القيود الخارجة، فلم يجعلوها داخلة في حقيقتها ، فأثبتوا إنساناً لا طويلاً ولا قصيراً، ولا أسود ولا أبيض، ولا في زمان ولا في مكان ، ولا ساكناً ولا متحركاً ، ولا هو في العالم ولا خارجه ، ولا له لحم ولا عظم ، ولا عصب ولا ظفر، ولا له شخص ولا ظل، ولا يوصف بصفة ، ولا يتقيد بقيد . ثم رأوا الإنسان الخارجي بخلاف ذلك كله، فقالوا: هذه عوارض خارجة عن حقيقته، وجعلوا حقيقته تلك الصورة الخالية التي جردوها ، فهي المعنى لحقيقة هؤلاء الذين اعتبروها مجردة عن سائر القيود ، وجعلهم تلك الأمور التي لا تكون إنساناً في الخارج ، لأنها خارجة عن حقيقته، كجعل هؤلاء القيود التي لا يكون اللفظ مقيداً إلا بها ، مقتضية لمجازه ، فتأمل هذا التشابه والتناسب بين الفريقين ، هؤلاء في تجريد المعاني ، وهؤلاء في تجريد الألفاظ ، وتأمل مادخل على هؤلاء وهؤلاء من الفساد في اللفظ والمعنى ، وبسبب هذا الغلط دخل من الفساد في العلوم ما لا يعلمه إلا الله تعالى . وهذا معنى قول الناظم : فتجرد الأعيان عن وصف ... الخ . أي أن تجرد المعين عن الوصف والوضع والوقت والمكان إنما هو شيء يفرضه الذهن كفرض المستحيل.

قوله : الله أكبر كم دهي من فاضل ، فإياك والإصغاء إلى التجريدين ، لأن الحق أنهما مفروضان في الذهن ، فلا تسلم ما ادعاه المتكلمون والفلاسفة فيهما، فيقودك الخصم المعاند بهذا الذي سلمته وتصير مغلوباً معه مقهوراً والله أعلم .

فصل

في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب

وتمسكوا بظواهر المنقول عن أشياخهم كتمسك العميان
وأبوا بأن يتمسكوا بظواهر النصين واعجبا من الخذلان
قول الشيوخ محرم تأويله إذ قصدهم للشرح والتبيان
فاذا تأولنا عليهم كان إبطالا لما راموا بلا برهان
فعلى ظواهرها تمر نصوصهم وعلى الحقيقة حملها لبيان
ياليتهم أجروا نصوص الوحي ذا الـمجرى من الآثار والقرآن
بل عندهم تلك النصوص ظواهر لفظية عزلت عن الايقان
لم تغن شيئاً طالب الحق الذي يبغي الدليل ومقتضى البرهان
وسطوا على الوحيين بالتحريف إذ سموه تأويلا بوضع ثان
فانظر الى الأعراف ثم ليوسف والكهف وافهم مقتضى القرآن
فاذا مررت بآل عمران فهمت القصد فهم موفق رباني

معنى كلام الناظم في هذا الفصل أن النفاة تمسكوا بظواهر المنقول عن مشايخهم ، وأبوا عن التمسك بظواهر النصين ، ويحرم عندهم تأويل قول المشايخ ، لان قصدهم الشرح والبيان قالوا : فاذا تأولنا عليهم ، كان

ذلك إبطالاً لما قصدوه ، فلذلك حملوا نصوصهم على ظواهرها، واعتقدوها على حقيقتها ، فياليتهم أجروا نصوص الكتاب والسنة هذا المجرى ، ولكن عندهم أن نصوص الكتاب والسنة ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ، ولذلك سطوا عليها بالتحريف، وسموه تأويلاً، وتأويلهم هذا ليس هو المعنى بالتأويل في الكتاب والسنة ، ولهذا قال الناظم : فانظر الى الأعراف .. الخ يعني قولهتعالى : (هل ينظرون إلا تأويله) الأعراف : ٥٣ وقوله تعالى في سورة يوسف : (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يوسف : ١٠٠ وقوله تعالى في سورة الكهف عن الخضر في قصة موسى: (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً) الكهف : ٨٣ .

قوله : فاذا مررت بآل عمران ... الخ . يعني قوله تعالى : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) آل عمران : ٧ .

قال شيخ الاسلام : إن الصواب قول من يجعله معطوفاً ، وتكون الواو لعطف المفرد على مفرد ، أو يكون كلا القولين حقاً ، وهي قراءتان ،والتأويل المنفي غير التأويل المثبت ، وأن الصواب هو قول من يجعلها واو استئناف ، فيكون التأويل المنفي علمه عن غير الله ، هو الكيفيات التي لايعلمها غيره ، وهذا فيه نظر، وابن عباس جاء عنه أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، وجاء عنه ، أن الراسخين لايعلمون تأويله ، وجاء عنه أنه قال : التفسير على اربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله ، ومن ادعى علمه فهو كاذب . وهذا القول يجمع القولين ،ويبين أن العلماء يعلمون من تفسيره ما لا يعلمه غيرهم ،وأن فيه مالا يعلمه إلا الله ، فأما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله :

(الا الله) آل عمران : ٧ جعل التأويل بمعنى التفسير ، فهذا خطأ قطعاً .
انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وعلمت أن حقيقة التأويل تبـــيين الحقيقة لا المجاز الثاني
ورأيت تأويل النفاة مخالفاً   لجميع هذا ليس يجتمعان
اللفظ هم أنشوا له معنى بذا   ك الاصطلاح وذاك أمر دان
وأتوا الى الالحاد في الأسماء والتــــحريف للألفـــاظ بالبهتان
فكسوه هذا اللفظ تلبيساً وتد   ليسا على العميان والعوران

تقدم معنى هذه الأبيات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاستن كل منافق ومكذب   من باطني قرمطي جـــاني
في ذا بسنتهم وسمى جحده   للحق تأويلا بلا فرقان
وأتى بتـأويـل كتأويلاتهم   شبرا بشبر صارخاً بأُذان
إنّا تأولنا كما أولـــتمُ   فأتوا نحاكمكم الى الوزان
في الكفتين تحط تأويلاتنا   وكذاك تأويلاتــكم بوزان
هذا وقد أقررتم أنا بأيـــدينا صريح العدل والمـــيزان
وغدوتم فيه تلاميذاً لنـــا   أو ليس ذلك منطق اليونان

منا تعلمتم ونحن شيوخكم لاتجحدونا منة الاحسان
فسلوا مباحثكم سؤال تفهم وسلوا القواعد ربة الاركان
من أين جاءتكم وأين أصولها وعلى يدي من ياأولي النكران؟!
فلأي شيء نحن كفار وأنـــتم مؤمنون ونحن متفقان؟
إن النصوص أدلة لفظيـــة لم تفض قط بنا الى إيقان
فلذاك حكمنا العقول وأنتم ايضاً كذاك فنحن مصطلحان
فلأي شيء قد رميتم بيننا حرب الحروب ونحن كالاخوان
الاصل معقول ولفظ الوحي معـــزول ونحن وأنـــتم صنوان
لا بالنصوص نقول نحن وأنتم أيضاً كذاك فنحن مصطلحان
فذروا عداوتنا فان وراءنا ذاك العدو الثقل ذو الاضغان
فهمُ عدوكمُ وهم أعداؤنا فجميعنا في حربهم سيان

تقدم الكلام في معنى هذه الابيات، ومعنى ذلك أن القرامطة والباطنية ونحوهم من أعداء الشريعة ، كلهم يقولون لنفاة علو الرب تعالى على عرشه وصفاته : تأويلنا ما في الكتاب والسنة ، من ذكر المعاد ، وحياة الرب ومشيئته ، وعلمـــه ، وتأويلنا لحدوث العـالم ونحو ذلك كتأويلكم ، فلأي شيء نحن كفار ، وأنتم مؤمنون ؟ ! فهاتوا واضح الفرق بيننا وبينكم ، ولن يجد المتكلمون إلى ذلك سبيلاً ، فإن القرامطة والباطنيـة

لما جحدوا الشريعة ، وتأولوا التأويلات الشنيعة ، فتأولوا العلميات مع العمليات ، فقالوا : الصلوات الخمس معرفة أسرارنا ، وصيام شهر رمضان كتمان أسرارنا ، والحج هو الزيارة لشيوخنا المقدسين ، وإنما فتح لهم هـــذا الباب الجهمية والرافضة ، حيث صـــار بعضهم يقول : الامام المبين علي بن أبي طالب ، والشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية ، والبقرة المأمور بذبحها عائشة ، واللؤلو والمرجان الحسن والحسين ، فلســـان حال القرامطة أو قالهم يقول للجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من أهل التحريف والتأويل : إذا كنا نحن وانتم قـــد حكمنا العقول . فلأي شيء تنصبون لنا العداوة ، وترمون بيننا الحرب؟! فإن العرش عندنا وعندكم ليس فوقه إلا العدم المحض ، والنفي الصرف ، وكذا عنـــدنا أن الكتب المنزلة ليست كلام الله ، بل هي فيض من (العقل) الفعال ، وعندكم أنها مخلوقة ، فعندنا وعندكم أنه لا قول لله سبحانه في الأرض ، وليس فوق السماء رب ، وكذا عندنا رؤيته تعالى محال ، وعند متقدميكم أنه لا يرى ، لكن متأخروكم يقولون : يرى رؤية المعدوم ، لأنهم يقولون : يرى ولكن لا بشرط اتصال الأشعة ، ومقابلة الرائي المرئي ، فعلام هذا الحرب مع الوفاق ، والصلح الذي بيننا ؟ ! فدعوا عداوتنا ، واحملوا معنا على المجسمة ، فانهم أعداؤنا وأعداؤكم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

تلك المجسمة الألى قالوا بـــأن الله فوق جميع ذي الاكوان
واليه يصعد قولنا وفعالنـا ... واليه ترقى روح ذي الايمان

واليه قد عرج الرسول حقيقة ... وكذا ابن مريم مصعد الابدان
وكذاك قالوا إنه بالذات فو ... ق العرش قدرته بكل مكان
وكذاك ينزل كل آخر ليلة ... نحو السماء فهاهنا جهتان
للابتداء والانتهاء وذان للـ ... أجسام أين الله من هذان
وكذاك قالوا إنه متكلم ... قام الكلام به فيا إخوان
أيكون ذاك بغير حرف أم بلا ... صوت فهذا ليس في الامكان
وكذاك قالوا ما حكينا عنهم ... من قبل قول مشبه الرحمن
فذروا الحراب لنا وشدوا كلنا ... جمعاً عليهم حملة الفرسان
حتى نسوقهم بأجمعنا الى ... وسط العرين ممزقي اللحمان

قال في « القاموس » : العرين كأمير : مأوى الأسد ، والضبع ، والذئب ، والحية . انتهى .

ولقد كووا بالنصوص ومالنا ... بلقائها أبد الزمان يدان
كم ذا بقال الله قال رسوله ... من فوق أعناق لنا وبنان
اذ نحن قلنا قال آرسطو المعـ ... ـلم اولاً او قال ذاك الثاني
وكذاك ان قلنا ابن سينا قال ذا ... او قاله الرازي ذو التبيان
قالوا لنا قال الرسول وقال في الـ ... ـقرآن كيف الدفع للقرآن
وكذاك أنتم منهم ايضاً بهـ ... ـذا المنزل الضنك الذي تريان

ان جئتموهم بالعقول أتوكم بالنص من أثر ومن قرآن
فتحالفوا إنا عليهم كلنا حزب ونحن وأنتم سلمان
فاذا فرغنا منهم فخلافنا سهل فنحن وأنتم اخوان
فالعرش عند فريقنا وفريقكم ما فوقه أحد بلا كتمان
مافوقه شيء سوى العدم الذي لا شيء في الاعيان والاذهان
ما الله موجود هناك وانما الـعدم المحقق فوق ذي الاكوان
والله معدوم هناك حقيقة بالذات عكس مقالة الديصان
هذا هو التوحيد عند فريقنا وفريقكم وحقيقة العرفان
وكذا جماعتنا على التحقيق في التوراة والانجيل والفرقان
ليست كلام الله بل فيض من الـفعال او خلق من الاكوان
فالأرض مافيها له قول ولا فوق السما للخلق من ديان
بشر أتى بالوحي وهو كلامه في ذاك نحن وأنتم مثلان
ولذاك قلنا إن رؤيتنا له عين المحال وليس في الامكان
وزعمتم أنا نراه رؤية الـمعدوم لا الموجود في الاعيان
اذ كل مرئي يقوم بنفسه او غيره لابد في البرهان
من أن يقابل من يراه حقيقة من غير بعد مفرط وتدان

ولقد تساعدنا على ابطال ذا أنتم ونحن فما هنا قولان
أما البلية فهي قول مجسم قال القران بدا من الرحمن
هو قوله وكلامه منه بدا لفظا ومعنى ليس يفترقان
سمع الامين كلامه منه وأداه الى المختار من انسان
فله الأداء كما الأدا لرسوله والقول قول الله ذي السلطان
هـذا الذي قلنا وأنتم إنه عين المحال وذاك ذو بطلان
فاذا تساعدنا جميعاً انه ما بيننا لله من قرآن
إلا كبيت الله تلك اضافة الـ ـمخلوق لا الأوصاف للديان
فعلام هذا الحرب فيما بيننا مع ذا الوفاق ونحن مصطلحان!؟
فاذا أبيتم سلمنا فتحيزوا لمقالة التجسيم بالاذعان
عودوا مجسمة وقولوا ديننا الـ إثبات دين مشبه الديان
أولا فلا منا ولا منهم وذا شأن المنافق إذ له وجهان
هذا يقول مجسم وخصومه ترميه بالتعطيل والكفران
هو قائم هو قاعد هو جاحد هو مثبت تلقاه ذا لونان
يوماً بتأويل يقول وتارة يسطو على التأويل بالنكران

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في المطالبة بالفرق بين ما يتأول وما لا يتأول

فنقول فرق بين ما أولته ومنعته تفريق ذي برهان
فيقول ما يفضي الى التجسيم أو لناه من خبر ومن قرآن
كالاستواء مع التكلم هكذا لفظ النزول كذاك لفظ يدان
إذ هذه أوصاف جسم محدث لا ينبغي للواحد المنان
فنقول أنت وصفته أيضاً بما يفضي الى التجسيم والحدثان
فوضعته بمشيئة مع قدرة وكلامه النفسيّ وهو معان
أو واحد والجسم حامل هذه الـ أوصاف حقاً فأت بالفرقان
بين الذي يفضي الى التجسيم أو لا يقتضيه بواضح البرهان
والله لو نشرت شيوخك كلهم لم يقدروا أبداً على الفرقان

شرع الناظم رحمه الله في مطالبة المتكلمين في الفرق بين ما يتأول ومالا يتأول من نصوص الكتاب والسنة ، وذلك أن بعض المتكلمين يثبت الصفات السبعة ، كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . وبعضهم يزيد على هذه الصفات صفة التكوين ، فتصير الصفات الثابته عندهم ثمانية ، فيقال لهؤلاء : لا فرق بين ما أثبتموه ونفيتموه ، بل القول في

أحدهما كالقول في الآخر ، فان قلتم : ان ارادته مثل إرادة المخلوقين ، فكذلك محبته ، ورضاه ، وغضبه ، وهذا هو التمثيل . وإن قلتم : له ارادة تليق به . قيل لكم : وكذلك له محبة تليق بـه ، وللمخلوق محبة تليق به . وله سبحانه رضى وغضب يليق به ، وللمخلوق رضى وغضب يليق به ، وان قلتم : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام ، فيقال لكم : الارادة ميل النفس الى جلب منفعة ، أو دفع مضرة . فان قلتم : هذه ارادة المخلوق قيل لكم : وهذا غضب المخلوق ، وكذلك يلزمون بالقول في كلامه ، وسمعه ، وبصره ، وعلمه ، وقدرته ، إن نفوا عنه المحبة والرضى ، والغضب ، ونحو ذلك بما هو من خصائص المخلوقين ، فهذا منتف عن السمع ، والبصر ، والكلام ، وجميع الصفات . وان قلتم : انه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين . قيل لكم : وهكذا السمع ، والبصر ، والكلام ، والقدرة ، والعلم ، فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض ، يقال له فيما نفاه ، كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته ، وهذا هو معنى قول الناظم : فيقول ما يفضي الى التجسيم الخ . . . وهذا الالزام لازم لهم كما ترى ، وجوابهم عنه في غاية الصعوبة . ولهذا قال الناظم :

والله لو نشرت شيوخك كلهم لم يقدروا أبداً على الفرقان

وقوله : فأت بالقرآن ، كذا في النسخ ، والصواب فأت بالفرقان . أي بالفرقان بين ما يتأول ومالا يتأول .

فصل

في ذكر فرق آخر لهم وبيان بطلانه

فلذاك قال زعيمهم في نفسه   فرقاً سوى هذا الذي تريان

هذي الصفات عقولنا دلت على   إثباتها مع ظاهر القرآن

فلذاك صناها عن التأويل فاعـ   ـجب يا أخا التحقيق والعرفان

كيف اعتراف القوم أن عقولهم   دلت على التجسيم بالبرهان

فيقال هل في العقل تجسيم أم الـ   ـمعقول ينفيه كذا النقصان

إن قلتم ينفيه فانفوا هذه الـ   أوصاف وانسلخوا من القرآن

أو قلتم يقضي باثبات له   ففراركم منها لأي معان؟!

أو قلتم ينفيه في وصف ولا   ينفيه في وصف بلا برهان

فيقال ما الفرقان بينهما وما الـ   ـبرهان فأتوا الآن بالفرقان

ويقال قد شهد العيان بأنه   ذو حكمة وعناية وحنان

مع رأفة ومحبة لعباده   أهل الوفاء وتابعي القرآن

ولذاك خصوا بالكرامة دون أعـ   ـداء الإله وشيعة الكفران

وهو الدليل لنا على غضب وبغـ   ـض منه مع مقت لذي العصيان

والنص جاء بهذه الأوصاف مع ... مثل الصفات السبع في القرآن
ويقال سلّمنا بأن العقل لا ... يقضي اليها فهي في الفرقان
أفنفي آحاد الدليل يكون للـــمدلول نفياً يا أولي العرفان
أو نفي مطلقه يدل على انتفا المـــدلول في عقل وفي قرآن
أفبعد ذا الانصاف ويحكم سوى ... محض العناد ونخوة الشيطان
وتحيز منكم اليهم يا أولي الـــقرآن والاثار والايمان ؟!

ذكر الناظم لمثبتي بعض الصفات دون بعض فرقاً آخر ، وبين بطلانه ، وذلك أنهم إن قالوا : أثبتنا تلك الصفات ، لأن العقل دل على إثباتها مع النقل ؛ فان الفعل الحادث دل على القدرة ، والتخصيص دل على الارادة ، والإحكام دل على العلم ، وهذا الصفات مستلزمة للحياة ، والحي لا يخلو عن السمع ، والبصر ، والكلام . أو ضد ذلك ، فيقال لهم عن هذا جوابان :

أحدهما أن يقال : عدم الدليل المعين لايستلزم عدم المدلول المعين ، فهب أن ما سلكتموه من الدليل العقلي لايثبت ذلك ، فإنه لا ينفيه ، وليس لكم أن تنفوه بغير دليل ، لأن النافي عليه الدليل ، كما على المثبت ، والسمع قد دل عليه ، ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولاسمعي ، فيجب اثبات ماأثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم .

الثاني : أن يقال : يمكن اثبات هـــذه الصفات بنظير ما أثبتم به تلك من العقليات ، فيقال : نفع العباد بالاحسان اليهم يدل على الرحمة ، كدلالة التخصيص على المشيئة ، واكرام الطائعين يدل على محبتهم ، وعقاب الكافرين

يدل على بغضهم ، كما قد ثبت بالشهادة والخبر من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه ، والغايات الموجودة في مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة ، تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على المشيئة وأولى ، لقوة العلة الغائية ، ولهذا كان ما في القرآن من بيان ما في المخلوقات من النعم والحكم، أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة،وهذا شرح كلام الناظم في هذا الفصل ، والله أعلم .

فصل

في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامه عقلاً ونقلاً

واعلم بأن طريقهم عكس الطريـــق المستقيم لمن له عينـــان
جعلوا كلام شيوخهم نصاً له الاحـــكام موزونا به النصـــان
وكلام رب العالمين وعبده متشابهاً متحملاً لمعان
فتولدت من ذينك الأصلين أو لاد أتت للغي والبهتان
إذ من سفاح لا نكاح كونها بئس الوليد وبئست الألوان
عرضوا النصوص على كلام شيوخهم فكأنها جيش لذي سلطان
والعزل والابقاء مرجعه الى السـلطان دون رعية السلطان
وكذاك أقوال الشيوخ فإنها المـيزان دون النص والقرآن

إن وافقا قول الشيوخ فمرحباً أو خالفت فالدفع بالإحسان
إما بتأويل فإن أعيى فتفـــويض ونتركها لقول فلان
إذ قوله نص لدينا محكم فظواهر المنقول ذات معان
والنص فهو به عليم دوننا وبحاله مــا حيلة العميان
الا تمسكهم بأيدي مبصر حتى يقودهم كذي الأرسان
فاعجب لعميان البصائر أبصروا كون المقلَّد صاحب البرهان
ورأوه بالتقليد أولى من سوا ه بغير ما (هدي ولا)[1] برهان
وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا معناهما عجباً لذي الحرمان

أشار الناظم رحمه الله تعالى لهذه الأبيات إلى أن طريق النفاة عكس طريق أهل الاستقامة، فإن النفاة جعلوا كلام شيوخهم نصاً محكماً. وقول الناظم: جعلوا كلام شيوخهم نصاً له الاحكام، هو بكســـر الهمزة، أي محكماً، وكلام الله ورسوله متشابهاً مجملاً، فلما بنوا الأمر على هــــذين الأصلين الباطلين تولد من ذلك أنهم يعرضون النصوص على كلام مشايخهم؛ فإن وافقتها قبلوها وإن خالفتها دفعوها إما بالتأويل، فإن عجزوا عن ذلك فالتفويض. ويقولون: كلام الشيخ أولى، وهو أعلم منا بالنصوص، ونحن مقلدون، ونحن كالعميان، والأعمى لا بد له من قائد ونحو ذلك.

قال الناظم: فاعجب لعميان البصائر أبصروا كون المقلد صاحب البرهان. المقلد بفتح اللام، أي عجبـــاً لعميان البصائر كيف أبصروا أن مقلدهم أولى بالصواب من غيره من المقلدين، فاعجب لهذا الحرمان.

(١) زيادة ليست في الاصل، ولا في غيره من النسخ، ولايستقيم الوزن بدونها.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

قول الشيوخ أتم تبيانا على الـــوحيين لا والواحد المنـــان
النقل نقل صادق والقول من ذي عصمة في غاية التبيان
وسواه إما كاذب أو صح لم يك قول معصوم وذي تبيان
أفيستوي النقلان يا أهل النهى والله لا يتماثل النقلان
هذا الذي ألقى العداوة بيننا في الله نحن لأجله خصمان

أي أنهم لما عموا عن الوحيين ، وزعموا أنهم لا يفهمون معناهما ، فكيف يفهمون كلام الشيوخ ، مع أن الوحيين أتم بياناً من كلامهم ، ولأن الوحيين نقل صادق عن قائل معصوم . وأما أقوال الشيوخ فهي إما نقل كاذب ، وان صحت فهي عن غير معصوم ، فهل يستوي النقلان ؟ كلا وهيهات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم لكن نصرنا موجب القرآن
ولنا سلوك ضد مسلكهم فما رجلان منا قط يلتقيان
إنا أبينا أن ندين بما بـــه دانوا من الآراء والبهتان
إنا عزلناها ولم نعبأ بهـــا يكفي الرسول ومحكم الفرقان
من لم يكن يكفيه ذان فلا كفا ه الله شر حوادث الأزمـــان
من لم يكن يشفيه ذان فلا شفا ه الله في قلب ولا أبدان

من لم يكن يغنيه ذان رماه رب العرش بالإعدام والحرمان

من لم يكن يهديه ذان فلا هدا ه الله سبل الحق والإيمان

إن الكلام مع الكبار وليس مع تلك الأراذل سفلة الحيوان

أو ساخ هذا الخلق بل إنتانه جيف الوجود وأخبث الانتان

الطالبين دماء أهل العلم بالـ ـكفران والعدوان والبهتان

الشاتمي أهل الحديث عداوة للسنة العليا مع القرآن

جعلوا مسبتهم طعام حلوقهم فالله يقطعها من الأذقان

كبراً وإعجاباً وتيها زائداً وتجاوزاً لمراتب الإنسان

لو كان هذا من وراء كفاية كنا حملنا راية الشكران

لكنه من خلف كل مخلّف عن رتبة الإيمان والإحسان

قوله : كبراً وإعجاباً ... الخ هذا مأخوذ من قول القائل :

حجاب وإعجاب وفرط تصلف ومد يد نحو العلى بتكلف

فلو كان هذا من وراء كفاية لهان[1] ولكن من وراء تخلف

قال الناظم رحمه الله تعالى :

من لي بشبه خوارج قد كفروا بالذنب تأويلاً بلا إحسان

ولهم نصوص قصروا في فهمها فأتوا من التقصير في العرفان

وخصومنا قد كفرونا بالذي هو غاية التوحيد والإيمان

---

(1) في الاصل لهاء ، وهو خطأ .

يقول الناظم : إن الخوارج أحسن حالاً منكم أيها الخصوم ، لأن الخوارج في تكفيرهم بالذنوب أخذوا بنصوص الوعيد لكن أخطؤوا في ذلك ، وقصرت أفهامهم . وأما أنتم فخالفتم النصوص وكفرتم من أخذبها وقدمها على غيرها ، بل كفرتم بما هو غاية التوحيد والإيمان .

فصل

في بيان كذبهم ورميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج وبيان شبههم المحقق بالخوارج .

ومن العجائب أنهم قالوا لمن ... قد دان بالآثار والقرآن
أنتم بذا مثل الخوارج إنهم ... أخذوا الظواهر ما اهتدوا لمعان
فانظر الى ذا البهت هذا وصفهم ... نسبوا إليه شيعة الإيمان
سلوا على سنن الرسول وحزبه ... سيفين سيف يد وسيف لسان
خرجوا عليهم مثلما خرج الألى ... من قبلهم بالبغي والعدوان
والله ما كان الخوارج هكذا ... وهم البغاة أئمة الطغيان
كفرتم أصحاب سنته وهم ... فساق ملته فمن يلحاني
إن قلت هم خير وأهدى منكم ... والله ما الفئتان مستويان
شتان بين مكفر بالسنة الـ ... ـعليا وبين مكفر العصيان
قلتم تأولنا كذاك تأولوا ... وكلاكما فئتان باغيتان

ولكم عليهم ميزة التعطيل والتـحريف والتبديل والبهتان
ولهم عليكم ميزة الاثبات والتـصديق مع خوف من الرحمن
ألكم على تأويلكم أجران إذ لهمُ على تأويلهم وزران
حاشا رسول الله من ذا الحكم بل أنتم وهم في حكمه سيان
وكلاكما للنص فهو مخالف هذا وبينكما من الفرقان
هم خالفوا نصاً لنص مثله لم يفهموا التوفيق بالإحسان
لكنكم خالفتم المنصوص للـشبه التي هي فكرة الأذهان
فلأي شيء أنتم خير وأقـرب منهم للحق والإيمان
هم قدموا المفهوم من لفظ الكتا ب على الحديث الموجب التبيان
لكنكم قدمتمُ رأي الرجا ل عليهما أفأنتمُ عدلان
أم هم إلى الاسلام أقرب منكم لاح الصباح لمن له عينان
والله يحكم بينكم يوم الجزا بالعدل والإنصاف والميزان
هذا ونحن فمنهمُ بل منكمُ برآء الا من هدى وبيان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان كذبهم في رميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج ، وأوضح شبههم المحقق بالخوارج ، وذلك أن النفاة قالوا للمثبتة : أنتم أخذتم بالضواهر ولم تهتدوا للمعاني كالخوارج .

قال الناظم : فانظر إلى ذا البهت هـذا وصفهم . . أي : أنهم وصفوا

المثبتة بما هو وصفهم ، وذلك أنهم سلوا السيوف على السنة وأهلها ، وخرجوا عليهم كخروج الخوارج على الأمة ، لكن الخوارج مع بغيهم وطغيانهم كفروا فساق الملة ، وأما هم فكفروا من اتبع الكتاب والسنة ، فيقول الناظم : فمن يلحاني ؛ أي : ينازعني إن قلت : إن الخوارج خير وأهدى منكم ، وشتان بينكم وبينهم ، لأنكم تكفرون باتباع السنة وتقديم النصوص على غيرها ، وهم يكفرون بالذنوب والمعاصي ، وإذا قلتم : تأولنا ، فهم كذلك تأولوا ، وكلاكما فئتان باغيتان ، ولكن زدتم عليهم بالتعطيل والتحريف والتبديل والبهتان ، وهم تميزوا عنكم بالإثبات والتصديق والخوف من الله ، أفلكم على تأويلكم أجران إذ لهم على تأويلهم وزران ؟! وحاشا رسول الله من هذا الحكم ، بل أنتم وهم في حكمه سيان ، ومع هذا فكلاكما مخالف للنص ، ولكن بينكما فرق كثير ، لأنهم خالفوا نصاً لنص آخر لما لم يفهموا التوفيق بين النصوص ، وأما أنتم فخالفتم النصوص بالعدوان والشبه التي ما نزل الله بها من سلطان ، وهم أيضاً قدموا ما فهموه من القرآن على الحديث وأما أنتم فخالفتم القرآن والحديث ، وقدمتم عليهما آراء الرجال فهم أقرب منكم إلى الاسلام ، والله يحكم بينكم وبينهم يوم القيامة وهو العليم الحكيم ، ومع هذا فنحن منكم ومنهم براء إلا من هدى وبيان .

ثم شرع الناظم في بيان الموازنة بينهم وبين الخوارج وترجيح الخوارج عليهم فقال :

فاسمع إذاً قول الخوارج ثم قو — لن خصومنا واحكم بلا ميلان

من ذا الذي منا إذاً أشباههم — إن كنت ذا علم وذا عرفان

قال الخوارج للرسول اعدل فلم — تعدل وما ذي قسمة الديان

وكذلك الجهمي قال نظير ذا … لكنه قد زاد في الطغيان!

قال الصواب بأنه استولى فلم … قلت استوى وعدلت عن تبيان

أي: أن الخوارج قال قائلهم وهو ذو الخويصرة التميمي للنبي ﷺ وهو يقسم: اعدل يارسول الله كما في الصحيح عن أبي سعيد قال: بينا النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله ذو الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل» قال عمر بن الخطاب: ائذن لي فأضرب عنقه. قال: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ...» الحديث[1].
وكذلك الجهمي قال: الصواب: استولى على العرش، فلم قلت يارسول الله: استوى؟.

وكذاك ينزل أمره سبحانه … لم قلت ينزل صاحب الغفران

ماذا بعدل في العبارة وهي مـوهمة التحيز وانتقال مكان

أي وكذلك الجهمي لما قال الرسول: «ينزل ربنا». قال الجهمي: بل ينزل أمره، لأن النزول يقتضي الحركة والانتقال.

وكذاك قلت بأن ربك في السما … أوهمت حيز خالق الأكوان

كان الصواب بأن يقال بأنه … فوق السما سلطان ذي السلطان

أي: قال الجهمي: إنك قلت أيها الرسول عن الله إنه في السماء وذلك يقتضي

(١) رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

التحيز والمكان لله ، كان الصواب بأن يقال بأنه فوق السماء سلطانه سبحانه .

وكذاك قلت اليه يعرج والصوا ب إلى كرامة ربنا المنان

أي : أن الجهمي لنفيه علو الرب سبحانه فوق خلقه يقول : الصواب أن العروج إلى كرامة الله ، لا إلى الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك قلت بأن منه ينزّل القرآن تنزيلاً من الرحمن
كان الصواب بأن يقال نزوله من لوحه أو من محل ثان

أي : أن الجهمي قال للرسول : لم ذكرت أن القرآن ينزل من الرحمن ، والصواب أن نزوله من اللوح المحفوظ ، أو من محل آخر .

وتقول أين الله والأين فممتنع عليه وليس في الإمكان
لو قلت من كان الصواب كما ترى في القبر يسأل ذلك الملكان

أي : يقول الجهمي للرسول : إنك تقول : أين الله ؟ والأين ممتنع على الله تعالى ومحال ، وليس بممكن ، والصواب أن تقول : من الله؟ كما يسأل الملكان في القبر الميت فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتقول اللهم أنت الشاهد الـ أعلى تشير بأصبع وبنان
نحو السماء وما إشارتنا له حسية بل تلك في الأذهان
والله ما ندري الذي نبديه في هذا من التأويل للاخوان

فقلنا لهم إن السما هي قبلة الـــداعي كبيت الله ذي الاركان

قالوا لنا هذا دليل أنه فوق السماء بأوضح البرهان

فالناس طراً إنما يدعونه من فوق هذي فطرة الرحمن

لا يسألون القبلة العليا ولـــكن يسألون الرب ذا الاحسان

قالوا وما كانت إشارته إلى غير الشهيد منزّل الفرقان

أتراه أمسى للسما مستشهداً حاشاه من تحريف ذي البهتان

أي : أن الجهمي يقول للرسول : إنك تشير بأصبعك إلى السماء — في خطبته بعرفة — في الموقف العظيم ، وتقول : « اللهم اشهد »[1] ونحن لا ندري ما تبديه من التأويل في هذا . فإن قلنا للناس : ان السماء قبلة الداعي كبيت الله . قالوا لنا : هذا دليل أنه فوق السماء ، لأن الناس إنما يدعونه من فوق ، وعلى هذا فطر الله الخلق ، ومعلوم بالضروره أنهم لا يسألون القبلة ، وكذلك معلوم أنهم لا يستشهدون السماء ، وإنما يستشهدون من فوقها سبحانه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك قلت بانه متكلم وكلامه المسموع بالآذان

نادى الكليم بنفسه وكذاك قد سمع الندا في الجنة الأبوان

وكذا ينادي الخلق يوم معادهم بالصوت يسمع صوته الثقلان

إني أنا الديان آخذ حق مظـــلوم من العبد الظلوم الجـــاني

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن جابر رضي الله عنه في باب : حجة النبي صلى الله عليه وسلم .

وتقول إن الله قال وقائل ... وكذا يقول وليس في الإمكان
قول بلا حرف ولا صوت يرى ... من غير ما شفة وغير لسان
أوقعت في التشبيه والتجسيم من ... لم ينف ما قد قلت في الرحمن
لو لم تقل فوق السماء ولم تشر ... بإشارة حسية ببيان
وسكت عن تلك الأحاديث التي ... قد صرحت بالفوق للديان
وذكرت أن الله ليس بداخل ... فينا ولا هو خارج الأكوان
كنا انتصفنا من أولي التجسيم بل ... كانوا لنا أسرى عبيد هوان
لكن منحتهم سلاحاً كلما ... شاؤوا لنا منهم أشد طعان
وغدوا بأسهمك التي أعطيتهم ... يرموننا غرضاً بكل مكان
لو كنت تعدل في العبارة بيننا ... ما كان يوجد بيننا رجفان
هذا لسان الحال منهم وهو في ... ذات الصدور يغل بالكتمان
يبدو على فلتات ألسنهم وفي ... صفحات أوجههم يرى بعيان
سيما إذا قرىء الحديث عليهم ... وتلوت شاهده من القرآن
فهناك بين النازعات وكورت ... تلك الوجوه كثيرة الألوان
ويكاد قائلهم يصرح لو يرى ... من قابل فتراه ذا كتمان

يعني أن الجهمي يقول : إنك يارسول الله قلت بأنه سبحانه متكلم

بكلام مسموع ، وذكرت أنه نادى الكليم ، وكذا نادى الأبوين في الجنة ، وأنه ينادي الخلق يوم المعاد ، وتقول : إن الله قال ، وقائل ، ويقول ، ولا يكن قول بلا حرف ولا صوت ولا شفة ولا لسان ، فإذا نحن لم ننف ما قلته في الرحمن وقعنا في التشبيه والتجسيم ، ولـــكن لو لم تقل : فوق السماء ، ولم تشر إليـه الإشارة الحسية ، ولم تنطق بالأحاديث التي صرحت بالفوقية ، وذكرت أن الله ليس بداخل العالم ولا خارجـــه ، كنا انتصفنا من المجسمة وكانوا لنا أسرى ، ولكنك منحتهم سلاحاً كلمـا شاؤوا طاعنونا به أشد المطاعنة ، وغدوا يرموننا بتلك الأسهم التي أعطيتهم ، وصرنا لهم غرضاً بكل مكان . والغرض قال في « القاموس » الغرض محركة : هدف يرمى فيه جمعه أغراض ، فلو كنت عدلت بيننا في العبارة لم يوجد بيننا رجفان : قال في « القاموس » رجف حرك وتحرك واضطرب شـــديداً رجفا ورجفانا ورجوفا ورجيفا .

قوله : هذا لسان الحال منهم ... الخ ؛ أي : إنهم يقولون هذا بلسان حالهم . ولكنه مكتوم في صدورهم مغلول ، ومع ذلك فهو يبدو على فلتات ألسنتهم ، ويرى في صفحات وجوههم ، لا سيما إذا قرىء الحديث عليهم ، وتلي شاهده من القرآن ، فهناك بين (النازعات) و (كورت) ، أي إنك إذا قرأت عليهم الحديث وتلوت مايصدقه من القرآن تلونت وجوههم فتارة تظلم ، وتارة تصفر وتغير كحالة من في نزع الموت . والنازعات في قوله تعالى (والنازعات غرقا) النازعات : ١ هي الملائكـة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم على قول أكثر المفسرين . وقوله تعـــالى : (إذا الشمس كورت) التكوير : ١ قال ابن عباس : أظلمت . وقـــال مقاتل والكلبي : ذهب ضوؤها . وقال مجاهد : اضمحلت . وقيل : غورت ، والله أعلم .

قوله: ويكاد قائلهم يصرح. أي: بما في نفسه لو يري قابلا، بل ذكر شيخ الاسلام في بعض رسائله أن بعض من خاطبه صرح بأنه لا يقبل من الرسول ﷺ ما يقوله في هذا الباب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ياقوم شاهدنا رؤوسكمُ على ... هـذا ولم نشهده من إنسان
إلا وحشو فؤاده غل على ... سنن الرسول وشيعة القرآن

أي إنا رأينا رؤوسهم على هذا الذي ذكرناه ، ولم نشهده من أحد إلا وفؤاده محشو غلا على سنن الرسول ﷺ وشيعة القرآن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو الذي في كتبهم لكن بلطـف عبارة منهم وحسن بيان
وأخو الجهالة نسبة للفظ والـمعنى فنسب العالم الرباني

يقول الناظم: إن هذا الذي ذكرناه عنهم هو الذي في كتبهم، لكنهم يلطفون العبارة ويحسنون الكلام ، ولكن الجاهل نسبه للفظ والمعنى ، فنسب العالم الرباني ؛ أي : أن العالم الرباني نظره إلى ما يتضمنه اللفظ ، وأما الجاهل فنظره مقصور على اللفظ .

وقوله : نسبة . بفتح النون وإسكان السين ، وضم الباء ؛ أي : أن العالم ينسب الى المعاني ، وأما الجاهل فهو ينسب إلى الألفاظ ، فهو دائر معها .

ثم اعتذر الناظم عما لعله ينسبه من لا علم عنده الى الحيف عليهم فيما نسبه اليهم ، فقال :

يامن يظن بأننا حفنا عليهم كتبهم تنبيك عن ذا الشان

أي : ظلمناهم وجرنا عليهم. قال في « القاموس » الحيف : الجور ، والظلم.

فانظر ترى لكن نرى لك تركها حذراً عليك مصائد الشيطان
فشباكها والله لم يعلق بها من ذي جناح قاصر الطيران
ألا رأيت الطير في قفص الردى يبكي له نوح على الأغصان
ويظل يخبط طالباً لخلاصه فتضيق عنه فرجة العيدان
والذنب ذنب الطير خلى أطيب الثمرات في عال من الأفنان
وأتى الى تلك المزابل يبتغي الفـضلات كالحشرات والديدان
ياقوم والله العظيم نصيحة من مشفق وأخ لكم معوان
جربت هذا كله ووقعت في تلك الشباك وكنت ذا طيران

يقول الناظم رحمه الله : يامن يظن بأنا حفنا عليهم ؛ أي : على النفاة أي : جرنا عليهم وظلمناهم ، كتبهم تنبئك عما ذكرنا ، وقد أثقلت ظهر البسيطة ، فطالعها إن شئت ، لكن نرى لك تركها حذراً عليك أن تصيدك شبههم الشيطانية ، فكم وقع في تلك الشباك من قاصر الطيران ، فتراه عند وقوعه في تلك المصائد حائراً ندماناً يبكي لوقوعه في مهامه الحيرة والشكوك ، وكل هذا على طريق النصح من الناظم ، فجزاه الله تعالى خير الجزاء ، عملاً بقوله ﷺ « الدين النصيحة »(١) ثم بين أنه قد جرب ذلك ، وأنه وقع

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه .

في بعض تلك الشباك والمصائد حتى أتاح له المولى بفضله من أوضح له تلك الشبه ، وأزاح عنه تلك الشكوك ، وهو شيخ الاسلام ، وأشار الى ذلك بقوله :

حتى أتاح لي الإله بفضله　　من ليس تجزيه يدي ولساني
حبر أتى من أرض حران فيا　　أهلاً بمن قد جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله　　من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يداه يدي وسار فلم يرم　　حتى أراني مطلع الايمان
ورأيت أعلام المدينة حولها　　نزل الهدى وعساكر القرآن
ورأيت آثاراً عظيماً شأنها　　محجوبة عن زمرة العميان
ووردت رأس الماء أبيض صافياً　　حصباؤه كلالىء التيجان
ورأيت أكواباً هناك كثيرة　　مثل النجوم لوارد ظمآن
ورأيت حوض الكوثر الصافي الذي　　لازال يشخب فيه ميزابان
ميزاب سنته وقول إلهه　　وهما مدى الأيام لاينيان
والناس لايردونه إلا من الـ　　ـآلاف أفراداً ذوو ايمان
وردوا عذاب مناهل أكرم بها　　ووردتم أنتم عذاب هوان

قوله : حران . قال في « القاموس » : حران كشداد : موضع بالشام ، والنسبة حرناني ، ولا تقل : حراني وان كان قياساً .

قوله : حتى أتاح ليَ الإله بفضله الخ . قال في « القاموس » تاح له الشيء

يتيح : بتهيأ انتهى . وكم أنقذ الله بشيخ الاسلام ومصنفاته العظام من حيرة تلك الشبهات والأضاليل ، وكاد يخرج بها عن سواء السبيل .

قال الشيخ الامام أبو حفص عمر بن علي البزاز أحد تلامذة شيخ الاسلام في ترجمته : حدثني غير واحد من العلماء الفضلاء النبلاء الممعنين بالخوض في أقاويل المتكلمين لاصابة الصواب ، وتمييز القشر من اللباب : إن كلاً منهم لم يزل حـــائراً في تجاذب أقوال الأصوليين ، ومعقولاتهم ، وإنه لم يستقر في قلبـــه منها قول : ولم يبن له من مضمونها حق ، بل رآها كلها موقعة في الحيرة والتضليل ، وجلها مذعن بتكافيء الأدلة والتعطيل ، وإنه كان خائفاً على نفسه من الوقوع بسببها في التشكيك والتعطيل ، حتى من الله عليه بمطالعة مؤلفات هذا الامام أحمد بن تيمية شيخ الاســـلام ، بما أورده من النقليات والعقليات في هذا النظام . فما هو إلا أن وقف عليها وفهمها ، فرآها موافقة للعقل السليم ، وعلمها حتى انجلى ما كان قد غشيه من أقوال المتكلمين من الظلام ، وزال عنه ما خاف أن يقع فيه من الشك ، فظفر بالمرام . انتهى .

قوله : ورأيت أكواباً ، هي جمع كوب ، وهي أقداح بلا عرى

وقوله: وردوا عذاب الخ ... بكسر العين ، وعذاب هوان بالفتح ؛ أي : وردوا المناهل الحلوة العذبة من الكتاب والسنة ، ووردتم الشكوك والحيرة ، وهي العذاب بعينه ، بل ربما تفضي الى العذاب الأكبر ، نعوذ بالله من موجبات غضبه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فبحق من أعطاكم ذا العدل والـــإنصاف والتخصيص بالعرفان

من ذا على دين الخوارج بعدذا أنتم أم الحشوي مـــاتريان ؟

والله ما أنتم لدى الحشوي أهـــلاً أن يقـــدّمكم على عثمان
فضلاً عن الفاروق والصدّيق فضـلا عن رسول الله والقرآن
والله لو أبصرتم لرأيتم الـــحشوي حامل راية الإيمان
وكلام رب العالمين وعبده في قلبه أُعلى وأكبر شان
من أن يحرّف عن مواضعه وأن يقضى له بالعزل عن إيقان
ويرى الولاية لابن سينا أو أبي نصر أو المولود من صفوان
أو من يتابعهم على كفرانهم أو من يقلدهم من العميان
ياقومنا بالله قوموا وانظروا وتفكروا في السر والاعلان
نظراً وإن شئتم مناظرة فمن مثنى على هذا ومن وحدان
أي الطوائف بعد ذا أدنى إلى قول الرسول ومحكم القرآن
فإذا تبين ذا فإما تتبعوا أو تعذروا أو تؤذنوا بطعان

أقسم الناظم على النفاة بحق الله الذي أعطاهم العدل والانصاف ، وهذا على طريق التهكم ؛ أي : إذا سمعتم ما تقدم، فهل أنتم مثل الخوارج أو أعظم منهم مضرة على الدين ، أم المنبوذ عندكم بالحشو ؟ ثم أقسم قسماً آخر: انكم لستم بأهل أن يقدمكم على عثمان رضي الله عنه، فضلاً عن الفاروق والصديق، فضلاً عن رسول الله والقرآن ؟ وان كلام رب العالمين وعبده أعلى في قلبه من أن يحرفـــه عن مواضعه ، وأن يرميه بأنها نصوص لفظيـة لا تفيد اليقين ، ويرى الولاية لابن سينا أو أبي نصر ، هو الفارابي ، أو المولود من صفوان ، وهم الجهم .

فصل

في تلقيبهم أهل السنة بالحشوية وبيان من أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب من الطائفتين ، وذكر أول من لقب به أهل السنة من أهل البدعة :

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ⁂ بالوحي من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشواً في الوجـــود وفضلة في أمة الانسان
ويظن جاهلهم بأنهم حشوا ⁂ رب العباد بداخل الاكوان
إذ قولهم فوق العباد وفي السما ⁂ ء الرب ذو الملكوت والسلطان
ظن الحمير بأن في للظرف والـــرحمن محوي بظرف مكان
والله لم يسمع بذا من فرقة ⁂ قالته في زمن من الأزمان
لا تبهتوا أهل الحديث به فما ⁂ ذا قولهم تباً لذي البهتان
بل قولهم إن السموات العلى ⁂ في كف خالق هذه الأكوان
حقاً كخردلة ترى في كف ممـــسكها تعالى الله ذو السلطان
أترونه المحصور بعد أم السما ⁂ ياقومنا ارتدعوا عن العدوان

شرع الناظم رحمه الله في بيان عدوان النفاة ، وتلقيبهم أهـــل السنة والحديث بالالقاب الشنيعة لتنفير الطغـــام وأشباه الأنعام ، كما لقبوهم بالحشوية وغيرذلك من الألقاب الآتية . والحشوية : قال في « شرح مختصر

التحرير » سموا حشوية لأنهم كانوا يجلسون في حلقة الحسن البصري أمامه، فلما أنكر كلامهم، قال: ردوهم إلى حشو الحلقة، أي جانبها. وقال ابن الصلاح: فتح الشين غلط، وإنما هو بالإسكان، وكذلك قال البرماوي بالسكون، لأنه إما من الحشو، لأنهم يقولون بوجود الحشو في كلام المعصوم، أو نحو ذلك. ورأيت كلاماً لشيخ الاسلام في معنى الحشو فيه مخالفة لهذا.

وقد فسر الناظم معنى الحشوية بقوله: يعنون حشواً في الوجود وفضلة ... الخ أي: أن المعطلة يعنون بقولهم: حشوية، أن المثبتة حشو في الوجود وفضلة في الناس، وجهالهم يظنون أن معنى الحشو أنهم بقولهم: إن الله سبحانه في السماء وفوق خلقه، قد حشوا رب العباد بالأكوان، وهذا معنى قوله: ظن الحمير ... الخ.

قوله: ظن الحمير بأن في للظرف، أي: إذا ظنوا أنا إذا قلنا: الله في السماء، ففي للظرفية، تعالى الله عن ذلك، ولهذا قال: والله لم يسمع بذا من فرقة قالته في زمن من الأزمان. وقد صنف أبو اسحق ابراهيم بن عثمان ابن درباس الشافعي مصنفاً سماه « تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة ».

وقوله: بل قولهم: إن السموات العلى ... الخ أي: أن قول أهل السنة والحديث: إن السموات السبع في كف الرحمن جل وعلا كخردلة في كف ممسكها، كما في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « يقبض الله تعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض » وفي « الصحيحين » واللفظ لمسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله

ﷺ : « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون » ؟ أين المتكبرون ؟ وفي لفظ في « الصحيح » عن عبد الله بن مقسم : أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي ﷺ قال : « يأخذ الله (عز وجل) سمواته وأرضيه بيديه ويقول: أنا الله ، ويقبض أصابعه ويبسطها ، أنا الملك ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني أقول أساقط هو برسول الله ﷺ ؟ وفي لفظ قال : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول : « يأخذ الجبار (عز وجل) سمواته وأرضيه ، وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ويقول: أنا الرحمن ، أنا الملك ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً ، ، أنا الذي أعيدها ، أين الملوك ؟ أين الجبارون ؟ » وفي لفظ : « أين الجبارون؟ أين المتكبرون ؟ » ويتميل رسول الله ﷺ على يمينه وعلى شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني أقول : أساقط هو برسول الله ﷺ ؟ .

والحديث مروي في « الصحيح » و « المسانيد » وغيرها بألفاظ يصدق بعضها بعضاً ، وفي بعض ألفاظه : قال : « قرأ على المنبر (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) الزمر : ٦٧ الآية . قال : مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة » وفي لفظ : « يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده ، فيجعلها في كفه ، ثم يقول بهما هكذا كما يقول الصبيان بالكرة : أنا الله الواحد » وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة

في يد أحدكم. قال شيخ الإسلام في كتاب «العرش» وهذه الآثار معروفة.

قال الناظم.

كم ذا مشبهة وكم حشويـــة ... فالبهت لا يخفى على الرحمن

ياقوم إن كان الكتاب وسنة الـــمختار حشواً فاشهدوا ببيان

إنا بحمد إلهنـــا حشوية ... صرف بلا جحد ولا كتمان

تدرون من سمّت شيوخكمُ بهـــذا الاسم في الماضي من الأزمان

سمي به ابن عبيد عبد الله ذا ... ك بن الخليفة طارد الشيطان

فورثتم عَمْراً[1] كما ورثوا لعـــبد الله أُنى يستوي الارثان

تدرون من أُولى بهذا الاسم وهـــو مناسب أُحواله بوزان

من قد حشى الأوراق والأذهان من ... بدع تخالف موجب القرآن

هذا هو الحشوي لا أهل الحـــديث أئمة الاسلام والإيمان

وردوا عذاب مناهل السنن التي ... ليست زبالة هذه الاذهان

ووردتمُ القلوط مجرى كل ذي الـ ... أوساخ والاقذار والانتان

وكسلتم أن تصعدوا للورد من ... رأس الشريعة خيبة الكسلان

يقول الناظم: كم ذا تنبزون أهل الإثبات بهذا البهت والكذب الصريح، فإن كان الكتاب والسنة حشوا، فاشهدوا أنا حشوية بلا جحد ولا كتمان.

---

(١) هو عمرو بن عبيد.

ونحو من هذا قولــه رحمه الله :

فان كان تجسيماً ثبوت صفاته ... وتنزيهها عن كل تأويل مفتري
فاني بحمد الله ربي مجسم ... هلموا شهوداً واملؤوا كل محضر

قولــه : سمي به ابن عبيد عبد الله ، أي : أول من نطق بهذا الاسم هو عمرو بن عبيد المعتزلي . قال : كان عبد الله بن عمر حشوياً ، يعني عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وهذا معنى قول الناظم : ذاك ابن الخليفة طارد الشيطان . ومراده بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقولــه : طارد الشيطان ، يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر : « ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك »[١] .

قولــه : تدرون من أولى بهذا الاسم ... الخ أي : أن الأولى والأحق بهذا الاسم منه حشو الأوراق والأذهان من البدع المضلة ، والآراء المضمحلة المخالفة للقرآن والسنة ، فهذا هو الحشوي على الحقيقة ، لا أئمة الحديث وأئمة الإسلام والإيمان .

قولــه : موجب القرآن ، هو بفتح الجيم .

قولــه : وردوا عذاب مناهل السنن التي ليست زبالة هذه الأذهان ، أي : أن أهل الحديث والسنة وردوا مناهل السنن العذبة التي ليست زبالة الأذهان ، والزبالة : قال في « القاموس » : زبل زرعه يزبله : سمده . وككتاب : ما تحمله النحلة .

ووردتم القلوط ... الخ . سيأتي بيان القلوط في الفصل المعقود له .

---

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه بلفظ « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً غير فجك » .

فصل

في بيان عداوتهم في تلقيب أهل القرآن والحديث بالمجسمة وبيان أنهم أولى بكل لقب خبيث :

كم ذا مشبهة مجسمة نوا   بتة مشبّهة جاهل فتان
أسماء سميتم بها أهل الحديث وناصري القرآن والايمان
سميتموهم أنتمُ وشيوخكم   بهتاً بها من غير ما سلطان
وجعلتموها سبة لتنفروا   عنهم كفعل الساحر الشيطان
ما ذنبهم والله إلا أنهم   أُخذوا بوحي الله والفرقان
وأبوا بأن يتحيزوا لمقالة   غير الحديث ومقتضى القرآن
وأبوا يدينوا بالذي دنتم به   من هذه الآراء والهذيان
وصفوه بالأوصاف في النصين من   خبر صحيح ثم من قرآن
إن كان ذا التجسيم عندكمُ فيا   أهلا به مافيه من نكران
إنا مجسمة بحمد الله لم   نجحد صفات الخالق الرحمن
والله ما قال امرؤ منا بأن الله جسم يا أولي البهتان
والله يعلم أننا في وصفه   لم نعدُ ما قد قال في القرآن

أو قاله أيضاً رسول الله فهـــو الصادق المصدوق بالبرهان

أو قاله أصحابه من بعده فهمُ النجوم مطالع الإيمان

سموه تجسيما وتشبيهاً فلســـنا جاحديه لذلك الهذيان

أي : أن النفاة والمعطلة سموا أهل الإثبات بأسماء بشعة قصداً للتنفير عنهم ، فإنهم يسمونهم مشبهة ؛ أي : أنهم يشبهون الله بخلقه ، وسموهم مجسمة ، أي : يقولون بأن الله جسم ، تعالى الله عن ذلك ، وسموهم نوابت ، والنوابت هم كما قال في « القاموس » : الأغمار من الأحداث ، ونبتت لهم نابتة نشأ لهم نشأ صغار . وقد قال الإمام أبو حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الرازي ، علامة أهل البدع ، الوقيعة في أهل الأثر ، وعلامة الجهمية ، أن يسموا أهل السنة مشبهة ونابتة ، وعلامة القدرية ، أن يسموا أهل السنة مجبرة ، وعلامة الزنادقة ، أن يسموا أهل الأثر حشوية . انتهى . نقله عنـــه الذهبي في كتاب « العلو » .

قوله لتنفروا عنهم ... الخ ؛ أي : أنهم سموا أهل الحديث بهذه الأسماء ولقبوهم بهذه الألقاب للتنفير عنهم ، وإلا فهم لم يتعدوا ما قال الله ورسوله ، ولم يقل أحد منهم : إن الله تعالى جسم ، جل عن ذلك ، ومع ذلك فأهل الأثبات لما أثبتوا ما أثبته الله ورسوله لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ، وإن سمت المعطلة ذلك تشبيهاً وتجسيماً ، فأهل الإثبات لا يجحدونه لأجل تشنيعاتهم وهذيانهم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

بل بيننا فرق لطيف بل هو الـــفرق العظيم لمن له عينان

إن الحقيقة عندنا مقصودة بالنص وهو مراده التبيان
لكن لديكم فهي غير مرادة أنى يراد محقق البطلان
فكلامه فيما لديكم لاحقيقة تحته تبدو الى الأذهان
في ذكر آيات العلو وسائر الـ أوصاف وهي القلب للقرآن
بل قول رب الناس ليس حقيقة فيما لديكم ياأولي العرفان
وإذا جعلتم ذا مجازاً صح ان ينفى على الأطلاق والامكان
وحقائق الألفاظ بالعقل انتفت فيما زعمتم فاستوى النفيان
نفي الحقيقة وانتفاء اللفظ إن دلت عليه فحظكم نفيان
ونصيبنا اثبات ذاك جميعه لفظاً ومعنى ذاك اثباتان
فمن المعطل في الحقيقة غيركم لقب بلا كذب ولا عدوان
وإذا سببتم بالمحال فسبنا بأدلة وحجاج ذي برهان
تبدي فضائحكم وتهتك ستركم وتبين جهلكم مع العدوان
يا بعد ما بين السباب بذاكم وسبابكم بالكذب والطغيان
من سب بالبرهان ليس بظالم والظلم سب العبد بالبهتان
فحقيقة التجسيم ان يك عندكم وصف الإله الخالق الديان
بصفاته العليا التي شهدت بها آياته ورسوله العدلان

فتحملوا عنا الشهادة واشهدوا — في كل مجتمع وكل مكان
أنا مجسمة بفضل الله وليشهد بذلك معكم الثقلان
الله أكبر كشرت عن نابها الحرب العوان وصيح بالأقران
وتقابل الصفان وانقسم الورى — قسمين واتضحت لنا القسمان

معنى كلام الناظم أن الحقيقة عند المثبتة مقصودة بالنص والمراد به التبيان، وأما عندكم أيها النفاة فهي غير مرادة، لأن الحقيقة عندكم لم تدل إلا على التشبيه والتجسيم، فكلام الله ورسوله في آيات العلو والصفات، وكذا كلام رسوله ﷺ ليس بحقيقة بل هو مجاز. والمجاز هو ما يصح نفيه. وحقائق الألفاظ دل العقل بزعمكم على نفيها فاستوى؛ أي: تم عندكم نفيان: نفي الحقيقة، ونفي دلالة اللفظ عليها. وأما المثبتة فهم أثبتوا اللفظ والمعنى بغير تشبيه ولا تمثيل فلهم اثباتان، فأنتم المعطلة حقاً، وإذا سببتم بالكذب والمحال فسبنا بالأدلة والحجج، ويابعد ما بين السابين[1]، لأنكم تسبون بالكذب والطغيان ونحن نسب بالبرهان، فمن سب بالبرهان فليس بظالم وإنما الظلم هو السب بالبهتان.

وقوله: كشرت عن نابها الخ ... قال في «القاموس» كشر عن أسنانه يكشر كشراً: أبدى، يكون في الضحك وغيره.

قوله: العوان؛ هي الحرب بعد الحرب. قال في «مختار الصحاح» العوان النصف في سنها من كل شيء، والجمع عُون. والعوان من الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة كأنهم جعلوا الأولى بكراً.

---

[1] في الأصل: السباب.

فصل

في بيان مورد أهل التعطيل وانهم تعرضوا بالقلوط عن مورد السلسبيل

ياوارد القلّوط ويحك لو ترى ماذا على شفيتك والاسنان

أو ماترى آثارها في القلب والـــنيات والاعمال والاركان

لو طاب منك الورد طابت كلها أنى تطيب موارد الانتـــان

ياوارد القلوط طهر فاك من خبث به واغسله من انتان

ثم اشتم الحشوي حشو الدين والـــقرآن والآثار والايمـــان

أهلاً بهم حشو الهدى وسواهم حشو الضلال فما هما سيان

أهلاً بهم حشو اليقين وغيرهم حشو الشكوك فما هما صنوان

أهلاً بهم حشو المساجد والسوى حشو الكنيف فما هما عدلان

أهلا بهم حشو الجنان وغيرهم حشو الجحيم أيستوي الحشوان؟!

ياوارد القلوط ويحك لو ترى الـــحشوي وارد منهل القرآن

وتراه من رأس الشريعة شارباً من كف من قد جاء بالفرقان

وتراه يسقي الناس فضلة كأسه وختامها مســـك على ريحان

لعذرته إن بال في القلوط لم يشـــرب به مع جملة العميان

ياوارد القلوط لاتكسل فرا ... س الماء فاقصده قريب دان

هو منهل سهل قريب واسع ... كاف إذا نزلت به الثقلان

والله ليس بأصعب الوردين بل ... هو أسهل الوردين للظمآن

القلوط ، بفتح القاف وتشديد اللام وبالطاء المهملة ، هو نهر بدمشق الشام يحمل أقذار البلد وأوساخه وإنتانه ويسمى في هذا الوقت: قليطاً بالتصغير والله أعلم .

فصل

في بيان هدمهم لقواعد الإسلام والإيمان بعزلهم نصوص السنة والقرآن

ياقوم بالله انظروا وتفكروا ... في هـذه الأخبار والقرآن

مثل التدبر والتفكر للذي ... قد قاله ذو الرأي والحسبان

فأقل شيء أن يكونا عندكم ... حداً سواء ياأولي العدوان

والله ما استويا لدى زعمائكم ... في العلم والتحقيق والعرفان

عزلوهما بل صرحوا بالعزل عن ... نيل اليقين ورتبة البرهان

قالوا وتلك أدلة لفظيـة ... لسنا نحكمها على الايقان

ما أنزلت لينال منها العلم با ... لإثبات للأوصاف للرحمن

بل بالعقول ينال ذاك وهذه عنه بمعزل غير ذي سلطان

فبجهدنا تأويلها والدفع في أكنافها دفعاً لذي الصولان

أشار الناظم رحمه الله الى أنهم بما فعلوه وهو عزلهم النصوص عن إفادة اليقين هدموا قواعد الإسلام والإيمان، فقال : ياقوم بالله انظروا الخ ، أي : تفكروا وتدبروا في الكتاب والسنة كتدبركم وتفكركم في كلام المشايخ، فأقل شيء أن يكونا عندكم سواء، ثم أقسم أنهما ما استويا عند زعمائكم في العلم والتحقيق والعرفان ، بل يقولون : تلك أدلة لفظية وما وضعه مشايخنا قواطع عقلية ، وتلك الظواهر اللفظية لم تنزل لتعلم منها صفات الرب عز وجل ، وإنما يعلم ذلك بالعقل ؛ ومع ذلك فنجتهد في دفعها كدفع الصائل، فإن أمكن تأويلها فذاك ، وإلا فآخر الأمر التفويض .

قوله : في أكنافها ، الكنف : الجانب والظل والناحية، قاله في «القاموس» ثم ضرب الناظم لذلك مثلاً فقال :

ككبير قوم جاء يشهد عند ذي حكم يريد دفاعه بليان

فيقول قدرك فوق ذا وشهادة لسواك تصلح فاذهبن بأمان

وبوده لو كان شيء غير ذا لكن مخافة صاحب السلطان

أي : أن مثل نصوص الكتاب والسنة الدالة على إثبات العلو والصفات عندهم كرجل كبير ذي منصب ، جاء يشهد عند بعض الحكام وهو يريد أن لا يقبل شهادته ، ويريد دفعه بالأسهل فيقول : أنت جليل القدر ، عظيم المنصب ، وقدرك فوق هذا، والشهادة تصلح لسواك ، مع أن ذلك الحاكم يود أن

يرده بغير هذا الرد ، لكن لأجل مخافة صاحب السلطان يدفعه بهذا الدفع .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلقد أتانا عن كبير فيهمُ ... وهو الحقير مقالة الكفران

لو كان يمكنني وليس بممكن ... لحككت من ذا المصحف العثماني

ذكر استواء الرب فوق العرش لـ ... ـكن ذاك ممتنع على الانسان

يعني جهم بن صفوان ، وقد تقدمت قصته هـذه أول الشرح ، وقد رواها ابن أبي حاتم كما ذكره الذهبي في كتاب « العلو » .

قال أبي حاتم : ثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي ، ثنا يحيى بن أيوب ، ثنا أبو نعيم البلخي وكان قد أدرك جهماً قال : كان لجهم صاحب يكرمه ويقدمه على غيره ، فإذا هو قد صيح به ، وندر به ووقع فيه . فقلت له : قد كان يكرمك ! فقال : إنه قد جاء منه ما لا يحتمل ؛ بينا هو يقرأ (طه) والمصحف في حجره فلما أتى على هذه الآية (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ قال : لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت . فاحتملت هذه . ثم إنه بينا هو يقرأ آية إذ قال : ما أظرف محمداً إذ قالها ، ثم إنه بينا هو يقرأ (طسم القصص) والمصحف في حجره ، إذ مر بذكر موسى فرفع المصحف بيده ورجليه وقال : أي شيء هذا ذكره هنا ؟! فلم يتم ذكره . ثم قال الذهبي : أخرجها عبد الله بن أحمد عن الصنعاني عن يحيى بن أيوب . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والله لولا هيبة الاسلام والـــقرآن والأمراء والسلطان
لأتوا بكل مصيبة ولدكدكوا الــــإسلام فوق قواعد الاركان
فلقد رأيتم ماجرى لأئمة الــــإسلام من محن على الأزمان
لاسيما لما استمالوا جــاهلاً ذا قدرة في الناس مع سلطان
وسعوا إليه بكل إفك بيّن بل قاسموه بأغلظ الأيمان
أن النصيحة قصدهم كنصيحة الــــشيطان حين خلا به الأبوان

يشير الناظم بهذه الأبيات الى أنه لولا هيبة الإسلام والقرآن والأمراء لأتت المبتدعة بكل مصيبة ، ولدكدكوا الإسلام ، وشاهد هذا انهم لما استمالوا المأمون عبد الله بن الرشيد العباسي ، وقام بامتحان الناس بأن القرآن مخلوق ، وحصل للأئمة ما حصل من الكروب والمشاق ، ولكن أعجلته المنية فأوصى الى أخيه أبي اسحق المعتصم وحصل ما حصل من المحن ، وحبسوا الإمام أحمد وضربوه ، وبعد ذلك في خلافة الواثق قتل أحمد ابن نصر الخزاعي ، وامتحن الإمام محمد بن عبد الرحمن الأدرمي ، وكانوا لايولون قاضياً ولا غيره إلا إن كان ممن يقول بخلق القرآن ، وذلك مشهور في كتب التواريخ مع أن المأمون قبل ذلك لم يزل يداري العلماء في القول بهذه المسألة ثم صدع بذلك .

قال الذهبي في « تاريخ الاسلام » أخبرني جماعـــة إجازة أن الكندي أخبرهم ، انبأنا القزاز ، أنبأ الخطيب ، أنبأ أبوبكر الحيري ، ثنا الأصم ،

ثنا يحيى بن أبي طالب أخبرني الحسن بن شاذان الواسطي الحافظ ، حدثني ابن عرعرة ، حدثني يحيى بن أكثم قال : قال لنا المأمون : لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت: القرآن مخلوق فقيل : ومن يزيد حتى يتقى؟ فقال: ويحك إني لا أتقيه لأن له سلطنة ، ولكن أخاف إن أظهرته فيرد علي فيختلف الناس ويكون فتنة . وأما المأمون فهو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد بن المهدي بن عبد الله المنصور أبو العباس الهاشمي ولد سنة سبعين ومائة عندما استخلف أبوه الرشيد ، وقرأ العلم في صغره ، وسمع من هشيم وعباد بن العوام ويوسف بن عطية وأبي معاوية الضرير وطبقتهم وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها فجره ذلك الى القول بخلق القرآن . روى عنه ولده الفضل ويحيى بن أكثم والأمير عبد الله بن طاهر ودعبل الخزاعي وآخرون ، وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً وحلماً وعلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة وسؤدداً وسماحة ، وله محاسن وسيرة طويلة ، وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع عنها وصمم عليها في سنة ٢١٨ وامتحن العلماء فعوجل ولم يمهل . مات لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ . انتهى ملخصاً من « تاريخ الاسلام » للذهبي رحمه الله تعالى :

قوله : بل قاسموه بأعظم الأيمان أن النصيحة قصدهم ... الخ ؛ أي : يحلفون له بأعظم الايمان أن قصدهم النصيحة ، كما قاسم ابليس الأبوين كما في قوله تعالى : (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) الأعراف : ٢١

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فيرى عمائم ذات أذناب على ... تلك القشور طويلة الأردان
ويرى هيولى، لاتهول لمبصر ... وتهول أعمى في ثياب جبان
فإذا أصاخ بسمعه ملؤوه من ... كذب وتلبيس ومن بهتان
فيرى ويسمع فشرهم وفشارهم ... يامحنة العينين والآذان
فتحوا جراب الجهل مع كذب فخذ ... واحمل بلا كيل ولا ميزان
وأتوا الى قلب المطاع ففتشوا ... عما هناك ليدخلوا بأمان
فإذا بدا غرض لهم دخلوا به ... منه اليه كحيلة الشيطان
فاذا رأوه هش نحو حديثهم ... ظفروا وقالوا ويح آل فلان
هو في الطريق يعوق مولانا عن الـ ... ـمقصود وهو عدو هذا الشان
فإذا هم غرسوا العداوة واظبوا ... سقي الغراس كفعل ذي البستان
حتى إذا ما أثمرت ودنا لهم ... وقت الجذاذ وصار ذا إمكان
ركبوا على جرد لهم وحمية ... واستنجدوا بعساكر الشيطان
فهنالك ابتليت جنود الله من ... جند اللعين بسائر الألوان
ضرباً وحبساً ثم تكفيراً وتبـ ... ـديعاً وشتماً ظاهر البهتان

تقدم الكلام في تفسير الهيولى .

قوله : ظفروا وقالوا ويح آل فلان ، يحتمل أنه بالظاء المثالة من الظفر ، ويحتمل أنه بالطاء وهو الوثب في ارتفاع .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلقد رأينا من فريق منهم أمراً تهد له قوى الإيمان
من سبهم أهل الحديث ودينهم أخذ الحديث وترك قول فلان
يا أمة غضب الإله عليهم ألأجل هذا تشتموا بهوان ؟!
تباً لكم إذ تشتمون زوامل الـ إسلام حزب الله والقرآن
وسببتموهم ثم لستم كفأهم فرأوا مسبتكم من النقصان
هذا وهم قبلوا وصية ربهم في تركهم لمسبة الأوثان
حذر المقابلة القبيحة منهم بمسبة القرآن والرحمن
وكذاك أصحاب الحديث فإنهم ضربت لهم ولكم بذا مثلان
سبوكم جهالهم فسببتم سنن الرسول وعسكر الإيمان
وصددتم سفهاءكم عنهم وعن قول الرسول وذا من الطغيان
ودعوتموهم للذي قالته أشـ ياخ لكم بالخرص والحسبان
فأبوا إجابتكم ولم يتحيزوا إلا إلى الآثار والقرآن
وإلى أولي العرفان من أهل الحديـ ث خلاصة الانسان والأكوان

يشير إلى أن المعطلة يسبون أصحاب الحديث غاية السب ، ويثلبونهم أعظم الثلب ، وأن أهل الحديث قبلوا وصية ربهم في قوله تعالى : (ولا تسبوا "

الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) الأنعام : ١٠٨ فالله سبحانه قد نهى عن سب معبودات المشركين لئلا يسبوا الله سبحانه ، فكذلك أصحاب الحديث تركوا مسبة النفاة والمعطلة لئلا يسبوهم فيتعدى السب إلى الرحمن والقرآن والسنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

قوم أقامهمُ الإله لحفظ هـــذا الدين من ذي بدعة شيطان
وأقامهم حرساً من التبديل والـــتحريف والتتميم والنقصان
يزك على الاسلام بل حصن له   يأوي اليه عساكر الفرقان
فهم المحك فمن يرى متنقصا   لهمُ فزنديق خبيث جنان
إن تتهمه فقبلك السلف الألى   كانوا على الإيمان والإحسان
أيضاً قد اتهموا الخبيث على الهدى   والعلم والآثار والقرآن
وهو الحقيق بذاك إذ عادى رواة   ة الدين وهي عداوة الديان
فاذا ذكرت الناصحين لربهم   وكتابه ورسوله بلسان
فاغسله ويلك من دم التعطيل والتـــكذيب والكفران والبهتان
أتسبهم عدواً ولست بكفئهم   فالله يفدي حزبه بالجاني
قوم همُ بالله ثم رسوله   أولى وأقرب منك للايمان
شتان بين التاركين نصوصه   حقاً لأجل زبالة الأذهان
والتاركين لأجلها آراء من   آرائهم ضرب من الهذيان

لما فسا الشيطان في آذانهم ثقلت رؤوسهم عن القرآن
فلذاك ناموا عنه حتى أصبحوا يتلاعبون تلاعب الصبيان
والركب قد وصلوا العلى وتيمموا من أرض طيبة مطلع الايمان
وأتوا الى روضاتها وتيمموا من أرض مكة مطلع القرآن
قوم إذا ما ناجذ النص بدا طاروا له بالجمع والوحدان
وإذا بدا علم الهدى استبقوا له كتسابق الفرسان يوم رهان
وإذا هم سمعوا بمبتدع هذى صاحوا به طراً بكل مكان
ورثوا رسول الله لكن غيرهم قد راح بالنقصان والحرمان
وإذا استهاب سواهم بالنص لم يرفع به رأساً من الخسران
عضوا عليه بالنواجذ رغبة فيـه وليس لديهم بهوان
ليسوا كمن نبذ الكتاب حقيقة وتلاوة قصدا بترك فلان
عزلوه في المعنى وولوا غيره كأبي الربيع خليفة السلطان

أي : أن النفاة والمعطلة نزلوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ منزلة الخليفـة أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ، وقد بويع المذكور بالخلافة بعهد من أبيه في جمادى الاولى سنة إحدى وسبعمائة ، لأن الخليفة المذكور يدعى له على المنابر ، ويضرب اسمه فوق السكة . وليس له من الأمر شيء ، فحال كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ عندهم كحال أبي الربيع مع السلطان محمد بن قلاوون الألفي . قوله يزك على الإسلام . (قال في «القاموس» : زك يزك زكاً وزككاً وزكيكاً وزكزك : مر يقارب خطوه ضعفاً ، ومشي زكيك : مقرمط . والزكة بالكسر : السلاح ، وبالضم : الغيظ والغم ، وتزكزك : أخذ عدته)[1]

(١) «بياض» في الأصل ، استدركناه من « القاموس » .

قوله : فهم المحك . يشبه هذا ماأنشده ابن أعين في الامام أحمدبن حنبل رضي الله عنه .

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة ... وبحب أحمد يعرف المتنسك
وإذا رأيت لأحمد متنقصاً ... فاعلم بأن ستوره ستهتك

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ذكروه فوق منابر وبسكة ... رقموا اسمه في ظاهر الأثمان
والأمر والنهي المطاع لغيره ... ولمهتد ضربت بذا مثلان
يالل‍عقول أيستوي من قال بالـ ... ـقرآن والآثار والبرهان ؟!
ومخالف هذا وفطرة ربه ... الله أكبر كيف يستويان
بل فطرة الله التي فطروا على ... مضمونها والعقل مقبولان
والوحي جاء مصدقاً لهما فلا ... تلق العداوة ماهما حربان
سلمان عند موفق ومصدّق ... والله يشهد إنهما سلمان
فاذا تعارض نص لفظ وارد ... والعقل حتى ليس يلتقيان
فالعقل إما فاسد ويظنه الـ ... ـرائي صحيحاً وهو ذو بطلان
أو أن ذاك النص ليس بثابت ... ماقاله المعصوم بالبرهان
ونصوصه ليست تعارض بعضها ... بعضاً فسل عنها عليم زمان
وإذا ظننت تعارضاً فيها فذا ... من آفة الأفهام والأذهان

أو أن يكون البعض ليس بثابت ... ما قاله المبعوث بالقرآن

لكنَّ قول محمد والجهم في ... قلب الموحد ليس يجتمعان

إلا ويطرد كل قول ضده ... فإذا هما اجتمعا فمقتتلان

يقول الناظم: إذا تعارض النقل والعقل، فإما أن يكون العقل فاسداً، وإما أن يكون النص ليس بثابت، والنصوص لا تتعارض وما يظن فيها من التعارض فهو من آفة الأفهام والأذهان أو بعضها ليس بثابت، ما قاله الرسول ﷺ.

قوله: لِإنها سلمان. هو بكسر الهمزة وتسكين النون للوزن. وأصله إن المؤكدة. ثم قال الناظم: لكن قول محمد والجهم في قلب الموحد ليس يجتمعان الا ويطرد كل قول ضده.

والناس بعد على ثلاث حزبه ... أو حربه أو فارغ متوان

قوله: حزبه ... الخ الحزب: الورد والطائفة والسلاح وجماعة الناس.

قوله. أو حربه. الحــرب معروف وهو بفتح الحاء وبالراء الساكنة ويذكر، مفرد حروب، ودار الحرب: بلاد المشركين الذين لا صلح بيننا وبينهم.

فا[illegible] لنفسك أين تجعلها فلا ... والله لست برابع الأعيان

من قال بالتعطيل فهو مكذب ... بجميع رسل الله والفرقان

إن المعطل لا إله له سوى الـ ... ـمنحوت بالأفكار في الأذهان

وكذا إله المشركين نحيتة الـ ... أيدي هما في نحتهم سيان

قوله : نحيتة هي فعيلة بمعنى مفعولة ؛ أي : منحوتة . قال في «القاموس» نحته ، ينحته كيضربه وينصره ويعلمه : براه . انتهى .

لكن إله المرسلين هو الذي   فوق السماء مكون الأكوان
تالله قد نسب المعطل كل من   بالبينات أتى إلى الكتمان
والله مافي المرسلين معطل   نافي صفات الواحد الرحمن
كلا ولا في المرسلين مشبه   حاشا هم من إفك ذي بهتان
فخذ الهدى من عبده وكتابه   فهما إلى سبل الهدى سببان

فصل

في بيان بطلان قول الملحدين : إن الاستدلال بكلام الله ورسوله لايفيد العلم واليقين .

واحذر مقالات الذين تفرقوا   شيعاً وكانوا شيعة الشيطان
واسأل خبيراً عنهم ينبيك عن   أسرارهم بنصيحة وبيان
قالوا الهدى لايستفاد بسنة   كلا ولا أثر ولا قرآن
إذ كل ذاك أدلة لفظية   لم تبد عن علم ولا إيقان
فيها اشتراك ثم إجمال يرى   وتجوز بالزيد والنقصان
وكذلك الإضمار والتخصيص والـ   ـحذف الذي لم يبد عن تبيان

والنقل آحاد فموقوف على　　صدق الرواة وليس ذا برهان
إذ بعضهم في البعض يقدح دائماً　　والقدح فيهم فهو ذو إمكان
وتواتر وهو القليل ونادر　　جداً فأين القطع بالبرهان
هذا ويحتاج السلامة بعد من　　ذاك المعارض صاحب السلطان
وهو الذي بالعقل يعرف صدقه　　والنفي مظنون لدى الانسان
فلأجل هذا قد عزلناها وولـــينا العقول ومنطق اليونان
فانظر الى الإسلام كيف بقاؤه　　من بعد هذا القول ذي البطلان
وانظر إلى القرآن معزولاً لديـــهم عن نفوذ ولاية الايقان
وانظر الى قول الرسول كذاك معـــزولاً لديهم ليس ذا سلطان
والله ماعزلوه تعظيماً له　　أيظن ذلك قط ذو عرفان
ياليتهم إذ يحكمون بعزله　　لم يرفعوا رايات جنكسخان
ياويلهم ولوا نتائج فكرهم　　وقضوا بها قطعاً على القرآن
ورذالهم ولو إشارات ابن سيـــنا حين ولوا منطق اليونان
وانظر إلى نص الكتاب مجدلا　وسط العرين ممزق اللحمان
بالطعن بالاجمال والاضمار والـــتخصيص والتأويل بالبهتان
والاشتراك وبالمجاز وحذف ما　　شاؤوا بدعواهم بلا برهان

وانظر إليه ليس ينفذ حكمه   بين الخصوم وماله من شان
وانظر إليه ليس يقبل قوله   في العلم بالأوصاف للرحمن
لكنها المقبول حكم العقل لا   أحكامه لا يستوي الحكمان
يبكي عليه أهله وجنوده   بدمائهم ومدامع الأجفان
عهدوه قدماً ليس يحكم غيره   وسواه معزول عن السلطان
إن غاب ثابت عنه أقوال الرسو   ل هما لهم دون الورى حكمان
فأتاهم ما لم يكن في ظنهم   في حكم جنكسخان ذي الطغيان
بجنود تعطيل وكفران من الـ   ـمغول ثم اللاص والعلان
فعلوا بملته وسنته كما   فعلوا بأمته من العدوان
والله ما انقادوا الجنكسخان حـ   ـتى أعرضوا عن محكم القرآن
والله ما ولوه الا بعد عز   ل الوحى عن علم وعن إيقان
عزلوه عن سلطانه وهو اليقـ   ـين المستفاد لنا من السلطان
هذا ولم يكف الذي فعلوه حـ   ـتى تمموا الكفران بالبهتان
جعلوا القران عضين إذ عضوه أنـ   ـواعاً معددة من النقصان
منها انتفاء خروجه من ربنا   لم يبد من رب ولا رحمن

لكنه خلق من اللوح ابتدا ء وجبرئيل أو الرسول الثاني
ماقاله رب السموات العلى ليس الكلام بوصف ذي الغفران
تباً لهم سلبوه أكمل وصفه عضهوه عضه الريب والكفران
هل يستوي بالله نسبته الى بشر ونسبته الى الرحمن
من اين للمخلوق عز صفاته الله أكبر ليس يستويان
بين الصفات وبين مخلوق كما بين الإله وهذه الأكوان
هذا وقد عضهوه أن نصوصه معزولة عن أمرة الإيقان
لكن غايتها الظنون وليته ظناً يكون مطابقا ببيان
لكن ظواهر لايطابق ظنها ما في الحقيقة عندنا بوزان
إلا إذا ما أولت فمجازها بزيادة فيها أو النقصان
أو بالكناية واستعارات وتشـــبيه وأنواع المجاز الثاني
فالقطع ليس يفيده والظن منــــفي كذلك فانتفى الأمران
فلم الملامة اذ عزلناها وولــــينا العقول وفكرة الأذهان؟!
فالله يعظم في النصوص أجوركم ياأمة الآثار والقرآن
ماتت لدى الأقوام لايحيونها أبداً ولا تحييهم لهوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الرد على الملحدين القائلين بأن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يفيد اليقين ، وهو المراد عندهم بالأدلة اللفظية ، وذلك أنهم قالوا : الاستدلال بكلام الله ورسوله موقوف على مقدمات ظنية ، مثل نقل اللغة والنحو والتصريف ، ونفي المجاز والإضمار والتخصيص والاشتراك والنقل ، ومعارضة العقل للسمع ، وانتفاؤها مظنون ، والموقوف على المظنون مظنون .

قال شيخ الاسلام في اول كتاب «العقل والنقل» ذكر الرازي في اول كتابه «نهاية العقول» أن الاستدلال بالسمعيات في المسائل الأصولية لا يمكن بحال لان الاستدلال بها موقوف على مقدمات ظنية ، وعلى دفع المعارض العقلي ، وأن العلم بانتفاء المعارض لا يمكن ، اذ يجوز ان يكون في نفس الأمر دليل عقلي يناقض مادل عليه القرآن ولم يخطر ببال المستمع . وقد بسطنا الكلام على مازعمه هؤلاء من أن الاستدلال بالأدلة السمعية موقوف على مقدمات ظنية ، مثل نقل اللغة والنحو والتصريف ، ونفي المجاز والاضمار والتخصيص ، والاشتراك والنقل والمعارض العقلي بالسمعي . وقد كنا صنفنا في فساد هذا الكلام مصنفاً قديماً من نحو ثلاثين سنة ، وذكرنا طرفاً من بيان فساده في الكلام على المحصل وفي غير ذلك ، فذاك كلام في تقرير الأدلة السمعية وبيان أنها قد تفيد اليقين والقطع . انتهى كلامه .

قوله : جعلوا القرآن عضين ... الخ العضين : جمع عضه ، وأصلها عضوة فعلة من عضه الشاة إذا جعلها أعضاء وأجزاء ، فيكون المعنى على هذا الذي جعلوه أجزاء متفرقة بعضه شعر ، وبعضه سحر ، وبعضه كهانة ، ونحو ذلك ونذكر هنا ماذكره المفسرون في معنى قوله تعالى (الذين جعلوا القرآن

عضين) الحجر : ٩١ عن المشركين ثم نبين كيفية جعل الملحدين القرآن عضين . روى البخاري عن ابن عباس : جعلوا القرآن عضين قال : هم اهل الكتاب جزؤوه اجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، وروي أيضاً عن ابن عباس قال : (كما انزلنا على المقتسمين) الحجر : ٩٠ قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض، اليهود والنصارى . قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم نحو ذلك . وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس : (جعلوا القرآن عضين) قال : السحر . وقال عكرمة : العضة : السحر بلسان قريش . يقول السحرة : إنها الكهانة . وقال مجاهد : عضوه أعضاء، قالوا : سحر وقالوا : كهانة، وقالوا : أساطير الاولين . وقال عطاء : قال بعضهم : ساحر وقالوا : مجنون، وقالوا : كاهن فذلك العضين . وكذا روي عن الضحاك وغيره

ومعنى كلام الناظم : إن هؤلاء الملحدين جعلوا القرآن أجزاء ونقصوه أعظم النقصان ، منها أنهم قالوا : لم يبدأ من الله سبحانه وإنما بدأ من غيره ، إما أنه خلق من اللوح المحفوظ أو أنشأه جبريل أو الرسول الثاني وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، والقائلون بالكلام النفسي جعلوا بعضه كلام الله وهو المعنى، وبعضه كلام غيره وهو الألفاظ فسلبوه بذلك أكمل وصفه إذ قالوا : لم يتكلم الله به .

وعضهوه أيضاً أي نقصوه بأن قالوا : إن نصوصه لا تفيد اليقين ، وأي تنقص أعظم من هذا ؟ ! نعوذ بالله من موجبات غضبه .

قوله منها انتفاء خروجه من ربنا ... الخ قال النبي ﷺ « ماتقرب العباد

«الى الله بمثل ماخرج منه» يعني القرآن . وقال خباب بن الأرت : ياهنتاه تقرب الى الله بما استطعت ، فلن تقرب اليه بشيء أحب اليه مما خرج منه. وقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه لما قرىء عليه قرآن مسيلمة الكذاب فقال : إن هذا كلام لم يخرج من ال، يعني رب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وقولهم خلاف الحس والـــ ـمعقول والمنقول والبرهان
مع كونه أيضاً خلاف الفطرة الـــ أولى وسنّة ربنا الرحمن
والله قد فطر العباد على التفا هم بالخطاب لمقصد التبيان
كل يدل على الذي في نفسه بكلامه من أهل كل لسان
فترى المخاطب قاطع بمراده هذا مع التقصير في الانسان
اذ كل لفظ غير لفظ نبيـنا هو دونه في ذا بلا نكران

شرع الناظم في بيان بطلان قول النفاة ، وأنه خلاف الحس والعقل والنقل والفطرة ، وذلك أن الله سبحانه فطر العباد على التفاهم بالخطاب ، فكل يدل على الذي في نفسه بكلامه من جميع الألسنة .

قـــوله فترى المخاطب قاطع بمراده ؛ أي : ترى المخاطب بفتح الطاء قاطع بمراد المخاطب بكسر الطاء وذلك مع التقصير في الإنسان ، إذ كل لفظ غير لفظ الرسول ﷺ هو دونه بغير شك ، حاشا كلام الله تعالى فهو

الغاية القصوى في التبيان ولهذا قال الناظم :

حاشا كلام الله فهو الغاية الـــقصوى له أعلى ذرى التبيان

لم يفهم الثقلان من لفظ كما فهموا من الأخبار والقرآن

فهو الذي استولى على التبيان كاستيلائه حقاً على الإحسان

مابعد تبيان الرسول لناظر إلا العمى والعيب في العميان

ثم شرع الناظم في بيان أن بيان الرسول ﷺ فوق كل بيان فقال :

فانظر الى قول الرسول لسائل من صحبه عن رؤية الرحمن

حقاً ترون الهكم يوم اللقا رؤيا العيان كما يرى القمران

كالبدر ليل تمامه والشمس في نحر الظهيرة ماهما مثلان

بل قصده تحقيق رؤيتنا له فأتى بأظهر مايرى بعيان

ونفي السحاب وذاك أمر مانع من رؤية القمرين في ذا الآن

فإذا أتى بالمقتضي ونفى الموا نع خشية التقصير في التبيان

صلى عليه الله ماهـذا الذي يأتي به من بعد ذا التبيان

ماذا يقول القاصد التبيان يا أهل العمى من بعد ذا التبيان

فبأي لفظ جاءكم قلتم له ذا اللفظ معزول عن الايقان

وضربتم في وجهه بعساكر التـأويل دفعا منكم بليان

يعني الناظم بهذه الأبيات أن بيان الرسول ﷺ فوق كل بيان كما روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « أن اناساً قالوا يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا لايارسول ، قال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب ؟ قالوا : لا . قال فإنكم ترونه كذلك » . . . الحديث .

وفي « الصحيحين » وغيرهما أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، « أن ناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم فهل تضارون في روية الشمس بالظهيرة صحواً ليس دونها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله قال : ماتضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما... » الحديث . فهل بعد هذا البيان والإيضاح شيء .

قوله : فإذا أتى بالمقتضي هو بكسر الضاد اسم فاعل وهو أن ليس دون الرؤية سحاب والشمس في نحر الظهيرة ، فإذا تم المقتضي حصل المقتضى ولكن لاحيلة في أهل التحريف والتعطيل .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لو أنكم والله عاملتم بذا   أهل العلوم وكتبهم بوزان
فسدت تصانيف الوجود بأسرها   وغدت علوم الناس ذات هوان
هذا وليسوا في بيان علومهم   مثل الرسول ومنزل القرآن
والله لو صح الذي قد قلتم   قطعت سبيل العلم والايمان

فالعقل لايهدي إلى تفصيلها　　لكنْ ماجاءت به الوحيان
فإذا غدا التفصيل لفظياً ومعـــزولاً عن الايقان والرجحان
فهناك لاعلم أفادت لا ولا　　ظناً وهذا غاية الحرمان
لو صح ذاك القول لم يحصل لنا　　قطع بقول قط من إنسان
وغدا التخاطب فاسداً وفساده　　أصل الفساد لنوع ذا الانسان
ماكان يحصل علمنا بشهادة　　ووصية كلا ولا إيمـان
وكذلك الاقرار يصبح فاسداً　　إذ كان محتملاً لسبع معان
وكذا عقود العالمين بأسرها　　باللفظ إذ يتخاطب الرجلان
أيسوغ للشهدا شهادتهم بها　　من غير علم منهم ببيـان
إذ تلكم الألفاظ غير مفيدة　　للعلم بل للضر ذي الرجحان
بل لايسوغ لشاهد أبداً شها　　دته على مدلول نطق لسان
بل لايراق دم بلفظ الكفر من　　متكلم بالظن والحسبان
بل لايباح الفرج بالاذن الذي　　هو شرط صحته من النسوان
أيسوغ للشهداء جزمهم بأن　　رضيت بلفظ قابل لمعان
هذا وجملة مايقال بأنه　　في ذا فساد العقل والأديان

أي لو أنكم عاملتم اهل الكتاب وكتبهم بما عاملتم به الوحيين لفسدت تصانيف النـــاس ، وأيضاً لو صح هذا الذي قلتموه لانقطعت سبيل العلم

والإيمان لأن العقل لا يهدي الى تفصيلها ولا سبيل الى تفصيلها إلا بما جاء عن الله ورسوله ، فإذا صار التفصيل لفظياً وهو معزول عن اليقين فحينئذ لا تفيد علماً ولا ظناً . وأيضاً لو صح ماقلتموه فسد التخاطب ولم يصح لنا قطع بقول من إنسان فلا يصح لنا علم بشهادة ولا وصية ولا يمين ولا إقرار، بل لا يراق دم بلفظ كفر ، ولا يباح فرج بالإذن الذي هو شرط صحته من النساء ولا يسوغ للشهداء جزمهم بأنها رضيت إذ ذاك قابل للمعاني المذكورة بل تفسد بذلك العقول والأديان ، ونعوذ بالله من العمى والخذلان .

قال الناظم رحمه الله تعالى:

هذا ومن بهتانهم أن اللغا ت أتت بنقل الفرد والوحدان

فانظر إلى الألفاظ في جريانها في هذه الأخبار والقرآن

أتظنها تحتاج نقلاً مسنداً متواتراً أو نقل ذي وحدان

أم قد جرت مجرى الضروريات لا تحتاج نقلاً وهي ذات بيان

إلا الأقل فإنه يحتاج للنـ ـقل الصحيح وذاك ذو تبيان

حاصل معنى هذه الأبيات أن المعطلة يقولون : أن اللغات أتت بنقل الآحاد ، وهذا تدليس وتلبيس لأن الألفاظ من الأخبار والقرآن يفهم منها مراد المتكلم بمجرد سماعها من غير حاجة الى النقل ، اللهم إلا الأقل كما قال الناظم فإنه يحتاج للنقل الصحيح .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومن المصائب قول قائلهم بأن الله أظهر لفظه بلسان

وخلافهم فيه كثير ظاهر عربي وضع ذاك أم سرياني

وكذا اختلافهمُ أمشتقاً يرى أم جامداً قولان مشهوران
والأُصل ماذا فيه خلف ثابت عند النحاة وذاك ذو ألوان
هذا ولفظ الله أظهر لفظة نطق اللسان بها مدى الأزمان
فانظر بحق الله ماذا في الذي قالوه من لبس ومن بهتان
هل خالف العقلاء أن الله ر ب العالمين مدبر الأكوان
مافيه إجمال ولا هو موهم نقل المجاز ولا له وضعان
والخلف في أحوال ذاك اللفظ لا في وضعه لم يختلف رجلان
وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة فيه لهم قولان معروفان
أفبينهم خلف بأن مرادهم حرم الإله وقبلة البلدان
وإذا هم اختلفوا بلفظة أحمد فيه لهم قولان مذكوران
أفبينهم خلف بأن مرادهم منه رسول الله ذو البرهان
ونظير هذا ليس يحصر كثرة ياقوم فاستحيوا من الرحمن
أبمثل ذا الهذيان قد عزلت نصو ص الوحي عن علم وعن إيقان
فالحمد لله المعافي عبده مما بلاكم ياذوي العرفان
فلأجل ذا نبذوا الكتاب وراءهم ومضوا على آثار كل مهان

ولأجل ذاك غدوا على السنن الـــتي جاءت وأهليها ذوي أضغان
يرمونهم كذباً بكل عظيمة حاشاهم من إفك ذي بهتان

أي: ومن المصائب التي تلبس بها المعطلة إنهم قالوا بأن لفظة الله فيهـــا خلاف ، هل هو عربي أم سرياني ؟ وكذا فيه اختلاف ؛ هل هو مشتق أم هو جامد ؟ وأصله ماذا ؟ ومع هذا فلفظ الله أظهر لفظة نطق اللسان بها . فانظر أيها الناظر في هذا الكتاب ما في هذا الكلام من التلبيس والبهتان ، وذلك أنه لاخلاف بين العقلاء ان الله اسم لرب العـالمين ، خالق السموات والأرض الذي يحيي ويميت ، وهو رب كل شيء ومليكه ، فهم لايختلفون في أن هذا الاسم يراد به هذا المسمى وهو أشهر عندهم وأعرف من كل اسم وضع لكل مسمى ، وإن كان الناس متنازعين في اشتقاقه فليس ذلك بنزاع في معناه ، ولا يتطرق الى ذلك إجمال ولامجاز ، ومن غير نظر إلى أنه عربي أم سرياني ؟ وهل هو مشتق أم جامد ؟ فإن هذا خلاف في أحوال اللفظ لا في وضعه .

ثم ضرب الناظم لذلك مثلاً فقال : وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة ... الخ وفيه لهم قولان ، فليس بينهم خلاف بأن مرادهم حرم الله وقبلة المسلمين .

ونظير هذا إذا اختلفوا بلفظة أحمد ، ولهم في ذلك قولان فليس بينهم خلف بأن مرادهم منه رسول الله ﷺ ، ونظائر هذا لاتحصى . أفبمثل هـذا الهذيان تعزل نصوص الكتاب والسنه عن إفادة اليقين ؟ ثم حمد الله على المعافاة مما ابتلاهم به من المحنة ، وخلاف نصوص الكتاب والسنة .

فصل

في تنزيه أهل الحديث والشريعة عن الألقاب القبيحة الشنيعة :

فرموهم بغياً بما الرامي به أولى ليدفع عنه فعل الجاني
يرمي البريء بما جناه مباهتاً ولذاك عند الغر يشتبهان
سموهم حشوية ونوابتا ومجسمين وعابدي أوثان
وكذاك أعداء الرسول وصحبه وهم الروافض أخبث الحيوان
نصبوا العداوة للصحابة ثم سموا بالنواصب شيعة الرحمن
وكذا المعطل شبّه الرحمن بالمعدوم فاجتمعت له الوصفان
وكذاك شبّه قوله بكلامنا حتى نفاه وذان تشبيهان
وكذاك شبه وصفه بصفاتنا حتى نفاها عنه بالبهتان
وأتى إلى وصف الرسول لربه سماه تشبيهاً فيا اخوان
بالله من اولى بهذا الاسم من هذا الخبيث المخبث الشيطان
إن كان تشبيها ثبوت صفاته سبحانه فبأكمل ذي شان
لكنّ نفي صفاته تشبيهه بالجامدات وكل ذي نقصان
بل بالذي هو غير شيء وهو معدوم وإن يفرض ففي الأذهان
فمن المشبه بالحقيقة أنتم أم مثبت الاوصاف للرحمن

أي : إن المعطلة رموا أهل الحديث بألقاب قبيحة شنيعة ، ولقبوهم بما هم أولى به – أعني النفاة – فسموهم حشوية ونوابت ومجسمة وعباد أوثان وقد تقدم معنى ذلك وكذلك الروافض أعداء الرسول وصحبه نصبوا العداوة للصحابة رضي الله عنهم ، ثم سموا أهل السنة نواصب ، وكذلك المعطلة شبهوا الله تعالى بالمعدوم ولم يفهموا من صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله إلا التشبيه ، فنفوا ذلك ثم شبهوا الله تعالى بالمعدوم ، فجمعوا الوصفين ، شبهوا أولاً ثم عطلوا ثانياً ، وسموا أهل الحديث أيضاً مشبهة ، وهم قد شبهوا الله تعالى وتقدس بالجامدات وكل ذي نقص ، بل شبهوه بالمعدوم ، فيقول الناظم : فمن الذي أولى بهذا الاسم – يعني التشبيه – أنتم أم المثبتة؟ وحاشا المثبتة فهم أولى بالله ورسوله ، وقولهم هو الحق الذي دل عليها النقل الصريح .

فصل

في نكتة بديعة تبين ميراث الملقبين من المشركين والموحدين . والملقبين الأولى بفتح القاف ، والثانية بكسرها .

هذا وثم لطيفة عجب سأبـــديها لكم يامعشر الاخوان
فاسمع فذاك معطل ومشبه واعقل فذاك حقيقة الانسان
لابد أن يرث الرسول وضده في الناس طائفتان مختلفان

فالوارثون له على منهاجه ... والوارثون لضده فئتان

إحداهما حرب له ولحزبه ... ما عندهم في ذاك من كتمان

فرموه من ألقابهم بعظائم ... هم أهلها لا خيرة الرحمن

فأتى الألى ورثوهم فرموا بها ... ورّاثه بالبغي والعدوان

هذا يحقق إرث كل منهما ... فاسمع وعه يامن له أذنان

والآخرون أولو النفاق فأضمروا ... شيئاً وقالوا غيره بلسان

وكذا المعطل مضمر تعطيله ... قد أظهر التنزيه للرحمن

هذي مواريث العباد تقسمت ... بين الطوائف قسمة المنان

أي : من المعلوم أنه لابد أن يرث الرسول ﷺ وضده طائفتان : إحداهما : حرب له ، أي : محارب له ولدينه . والثانية : ورثته وأتباع سنته.

قوله : فرموه من ألقابهم بعظائم الخ ؛ أي : إن أعداء الرسول ﷺ الذين في وقته رموه بعظائم كقولهم : ساحر ومجنون ، كذاب ومفتر مذمم وكذا ورثة أعدائه رموا به وراثه بغياً وعدواناً ، وهذا يحقق إرث كل منهما .

قوله : فاسمع وعه ، فعل أمر من الوعي ، وأتى بهاء السكت لاستجلاب النطق بالساكن ، أي : إن المنافقين أضمروا النفاق ، وأظهروا غيره وكذا المعطل أظهر التنزيه وأضمر غيره والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثَمّ لطيفة أخرى بها ... سلوان من قد سب بالبهتان

تجد المعطل لاعناً لمجسم ... ومشبّه لله بالإنسان

والله يصرف ذاك عن أهل الهدى   كمحمد ومذمم اسمان
هم يشتمون مذمما ومحمد   عن شتمهم في معزل وصيان
صان الإله محمداً عن شتمهم   في اللفظ والمعنى هما صنوان
كصيانة الأتباع عن شتم المعـ   ـطل للمشبه هكذا الإرثان
والسب مرجعه عليهم إذ هم   أهل لكل مذمة وهوان
وكذا المعطل يلعن اسم مشبه   واسم الموحد في حمى الرحمن
هذي حسان عرائس زفت لكم   ولدى المعطل هن غير حسان
والعلم يدخل قلب كل موفق   من غير بواب ولا استئذان
ويرده المحروم من خذلانه   لا تشقنا اللهم بالحرمان
يا فرقة نفت الاله وقوله   وعلوه بالجحد والكفران
موتوا بغيظكم ، فربي عالم   بسرائر منكم وخبث جنان
فالله ناصر دينه وكتابه   ورسوله بالعلم والسلطان
والحق ركن لا يقوم لهده   أحد واو جمعت له الثقلان
توبوا إلى الرحمن من تعطيلكم   فالرب يقبل توبة الندمان
من تاب منكم فالجنان مصيره   أو مات جهمياً ففي النيران

مضمون هذه اللطيفة التي ابداها الناظم . رحمه الله تعالى أن المعطلة دائماً يلعنون المجسمة والمشبهة ، والله يصرف ذلك عن أهل الهدى والسنة المتبعين ،

لما أثبت الله ورسوله من صفات الله تعالى بغير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ، وكذلك كانت حال قريش مع رسول الله ﷺ يسمونه اسم مذمم ، يعنون بذلك رسول الله ﷺ لأنهم يسمونه مذمماً وهو ﷺ في معزل عن سبهم وصيانة من الله تعالى ، ففي هـذا تسلية للسلف فأتباعهم ، لأن السب يرجع إلى المعطلة لأنهم أهل كل مذمة وهوان وكذا المعطل يلعن اسم مشبه واسم الموحد في حمى الرحمن تبارك وتعالى .

قال ابن اسحق في « سيرته » : وكانت قريش إنما تسمي رسول الله ﷺ مذمما ثم يسبونه ، فكان رسول الله ﷺ يقول : « ألا تعجبون لما يصرف الله عني من قريش ، يسبون ويهجون مذمماً وأنا محمد »

فصل

في بيان اقتضاء التجهم والجبر والإرجاء للخروج عن جميع ديانات الانبياء

واسمع وعه سراً عجيباً كان مكـتوماً من الأقوام منذ زمان
فأذعته بعـد اللتيا والتي نصحاً وخوف معرة الكتمان
جيم وجيم ثم جيم معهما مقرونة مع أحرف بوزان
فيها لدى الأقوام طلسم متى تحلله تحلل ذروة العرفان
فإذا رأيت النور فيه تقارن الـجيمات بالتثليث شر قران

دلت على أن النحوس جميعها   سهم الذي قد فاز بالخذلان
جبروا رجاءٌ ثم جيم تجهم   فتأمل المجموع في الميزان

قوله : بعد اللتيا والتي . هما من اسماء الدواهي ، واللتيا أصغر من التي وهي في الأصل تصغيرها ، ثم هما من الاسماء الموصولة ، وحذفت صلتها وذلك في عظم الأمر وشدته ، كأنه قال : كفيته التي عظمت شدتها ، وتناهت بليتها ، وكأنه يريد باللتيا صغار المغارم ؛ أي : غرمها في ماله ، وبالتي عظامها كالدم يعقله عن القاتل ونحوه .

قولــه : جيم وجيم الخ ؛ أي : تلك الجيمات مقرونة مع أحرف ؛ أي : جبروا ارجاء وتجهم .

قوله : طلسم ، هو واحد الطلاسم وهي اسماء مخصوصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب في أجسام مخصوصة كالمعارف وغيرها مع قوة نفس صالحة لهذا العمل ، فتحدث عندها أحكام مخصوصة كما زعم أربابه .

قوله : فإذا رأيت الثور فيه تقارن الجيمات بالتثليث ... هذا شي عند المنجمين يسمى بالتثليث والتربيع ، ويسمونه النصبة ؛ أي إذا تقارنت الجيمات الثلاث في برج الثور وهو أحد البروج الاثني عشر المذكورة في قوله :

حمل الثور جوزة السرطان   ورعى الليث سنبل الميزان
ورمت عقرب بالقوس جديا   فملا الدلو بركة الحيتان

يقول الناظم : إذا حصل هـــذا القران في البرج المذكور فاحكم لمن حصل له هـــذا الطالع بخلاصه من ربقة الإيمان ، ثم شرع الناظم في بيان كيفية الخروج عن جميع ديانات الأنبياء لمن حصلت له هذه الجيمات ، فقال :

فاحكم بطالعها لمن حصلت له ‏ ‏ بخلاصه من ربقة الإيمان
فاحمل على الاقدار ذنبك كله ‏ ‏ حمل الجذوع على قوى الجدران
وافتح لنفسك باب عذرك إذ ترى الأ ‏ ‏ فعال فعل الخالق الديان
فالجبر يشهدك الذنوب جميعها ‏ ‏ مثل ارتعاش الشيخ ذي الرجفان
لا فاعل أبداً ولا هو قادر ‏ ‏ كالميت أدرج داخل الأكفان
والأمر والنهي اللذان توجها ‏ ‏ فهما كأمر العبد بالطيران
وكأمره الأعمى بنقط مصاحف ‏ ‏ أو شكلها حذراً من الالحان

وهذه جيم الجبر لأن عند الجبرية أن العباد مجبورون على أفعالهم ، وأنها مثل ارتعاش المرتعش أو كالميت يدرج في الأكفان ، وكأمر الأعمى بنقط المصاحف أو شكلها .

قـــوله :

واذا ارتفعت دريجة أخرى رأيـــــت الكل طاعات بلا عصيان
إن قيل قد خالفت أمر الشرع قل ‏ ‏ لكن أطعت إرادة الرحمن
ومطيع أمر الله مثل مطيع ما ‏ ‏ يقضي به و كلاهما عبدان
عبد الأوامر مثل عبد مشيئة ‏ ‏ عند المحقق ليس يفترقان
فانظر إلى ما قادت الجيم التي ‏ ‏ للجبر من كفر ومن بهتان

أي : اذا ارتفع الجبري درجة أخرى رأى الكل طاعات ، وفي هذه الحال يقول قائلهم :

أصبحت منفعلا لما تختاره ‏ ‏ مني ففعلي كله طاعات

ويقول : إن خالفت الشرع فقد أطعت القدر والإرادة ، ومطيع الأمر مثل مطيع القضاء ، وعبد الأمر مثل عبد المشيئة . ونحو ذلك. قوله عند المحقق ، أي : بزعمهم، فهذا ماقادته جيم الجبر من الكفر والبهتان .

قولــــه :

وكذلك الارجاء حين تقر بالـــمعبود تصبح كامل الايمان

فارم المصاحف في الحشوش وخرب البيت العتيق وجدّ في العصيان

واقتل إذا ما اسطعت كل موحد وتمسخن بالقس والصلبان

واشتم جميع المرسلين ومن أتوا من عنده جهراً بلا كتمان

وإذا رأيت حجارة فاسجد لها بل خر للأصنام والأُوثان

وأقر أن الله جل جـــلاله هو وحده البادي لذي الأكوان

وأقر أن رسوله حقاً أتى من عنده بالوحي والقرآن

فتكون حقاً مؤمناً وجميع ذا وزر عليك وليس بالكفران

هذا هو الإرجاء عند غلاتهم من كل جهمي أخي الشيطان

فأضف الى الجيمين جيم تجهم وانف الصفات والق بالأرسان

قل ليس فوق العرش رب عالم بسرائر منا ولا إعلان

بل ليس فوق العرش ذو سمع ولا بصر ولا عدل ولا إحسان

بل ليس فوق العرش معبود سوى الـــعدم الذي لاشيء في الأُعيان

بل ليس فوق العرش من متكلم ... بأوامر وزواجر وقران
كلا ولا كلم إليه صاعد ... أبداً ولا عمل لذي شكران
إني وحظ العرش منه كحظ ما ... تحت الثرى عند الحضيض الداني
بل نسبة الرحمن عند فريقهم ... للعرش نسبته الى البنيان
فعليهما استولى جميعاً قدرة ... وكلاهما من ذاته خلوان
هذا الذي أعطته جيم تجهم ... حشواً بلا كيل ولا ميزان
تالله مااستجمعن عند معطل ... جيماتها ولديه من إيمان

شرع الناظم في بيان ماتقتضيه جيم الإرجاء ، وهو أن عندهم إذا أقر الإنسان بأن الله وحده هو الخالق ، وأن رسوله حق أتى من عند الله فهذا هو الإيمان عندهم ، وإن فعل مافعل فهو ذنب ووزر وليس بكفر .

قوله : فارم المصاحف في الحشوش ، وخرب البيت العتيق ، واقتل إن استطعت الموحدين ، واشتم جميع المرسلين ، واسجد للأصنام ، ولا يضرك ذلك إذا أقررت بأن الله الخالق ، وأن رسوله ﷺ حق ، فهذا هو الإرجاء عند غلاة الجهمية .

قوله : فأضف الى الجيمين جيم تجهم ، وهذه الجيم تقتضي نفي الصفات ، وأن الله سبحانه ليس فوق العرش بل ليس فوق العرش معبود سوى العدم ، وليس فوق العرش رب متكلم ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا ينزل من عنده شيء ، بل نسبة الرحمن عندهم للعرش والحضيض التحتاني سواء ، وهو سبحانه

قد استولى عليها بالقدرة ، فهذا الذي أعطته جيم التجهم ، ثم أقسم الناظم أن من اجتمعت له هذه الجيمات الثلاث فقد خلص من ربقة الإيمان، ثم قال :

والجهم، أصّلها جميعاً فاغتدت مقسومة في الناس بالميزان
والوارثون له على التحقيق هم أصحابها لا شيعة الإيمان
لكن تقسمت الطوائف قوله ذو السهم والسهمين والسهمان
لكن نجا أهل الحديث المحض أتـ ـباع الرسول وتابعوا القرآن
عرفوا الذي قد قال مع علم بما قال الرسول فهم أولو العرفان
وسواهم في الجهل والدعوى مع الـ ـكبر العظيم وكثرة الهذيان
مدوا يداً نحو العلى بتكلف وتخلف وتكبر وتوان
أترى ينالوها وهذا شأنهم حاشا العلى من ذا الزبون الفاني

قوله : والجهم أصلها بفتح الهمزة وتشديد الصاد أي : أسسها ، ولكن تقاسمها الناس، فبعضهم أخذ سهماً، وبعضهم سهمين ، وبعضهم أخذ السهام الثلاثة ، نعوذ بالله من ذلك. والسهمان بضم السين جمع سهم. ولم ينج من هذه الجيمات إلا أهل الحديث المحض الذين تبعوا القرآن والرسول ، وعضوا على سنته بالنواجذ، والحمد لله على الإسلام والسنة .

فصل

في جواب الرب تبارك وتعالى يوم القيامة ، إذا سئل المعطل والمثبت عن قول كل واحد منهما :

وسل المعطل ماتقول إذا أتى   فئتان عند الله تختصمان
إحداهما حكمت على معبودها   بعقولها وبفكرة الأذهان
سمته معقولاً وقالت إنه   أولى من المنصوص بالبرهان
والنص قطعاً لا يفيد فنحن أو   لنا وفوضنا لنا قولان
قالت وقلنا فيك لست بداخل   فينا ولست بخارج الأكوان
والعرش أخليناه منك فلست فو   ق العرش لست بقابل لمكان
وكذاك لست بقائل القرآن بل   قد قاله بشر عظيم الشان
ونسبته حقاً إليك بنسبة التشـ   ـريف تعظيماً لذي القرآن
وكذاك قلنا لست تنزل في الدجى   إن النزول صفات ذي الجثمان
وكذاك قلت ألست ذا وجه ولا   سمع ولا بصر فكيف يدان
وكذاك قلنا لا ترى في هذه الـ   ـدنيا ولا يوم المعاد الثاني
وكذاك قلنا ما لفعلك حكمة   من أجلها خصصته بزمان

ماثم غير مشيئة قد رجحت   مثلاً على مثل بلا رجحان
لكن منا من يقول بحكمة   ليست بوصف قام بالرحمن
هذا وقلنا مااقتضته عقولنا   وعقول أشياخ ذوي عرفان
قالوا لنا لا تأخذوا بظواهر الـــ   ـوحيين تنسلخوا من الإيمان
بل فكروا بعقولكم إن شئتم   أو فاقبلوا آراء عقل فلان
فلأجل هذا لم نحكم لفظ آ   ثار ولا خبر ولا قرآن
إذ كل تلك أدلة لفظيـــة   معزولة عن مقتضى البرهان

فصل

والآخرون أتوا بما قد قاله   من غير تحريف ولا كتمان
قالوا تلقينا عقيدتنا عن الـــ   ـوحيين بالأخبار والقرآن
فالحكم ما حكما به لا رأي أهـــ   ـل الاختلاف وظن ذي الحسبان
آراؤهم أحداث هذا الدين نا   قضة لأصل طهارة الإيمان
آراؤهم ريح المقاعد أين تلـــ   ـك الريح من روح ومن ريحان
قالوا وأنت رقيبنا وشهيدنا   من فوق عرشك ياعظيم الشان
إنا أبينــا أن ندين ببدعة   وضلالة أو إفك ذي بهتان

لكن بما قد قلته أوقاله ... من قد أتانا عنك بالفرقان
وكذاك فارقناهم حين احتياج الناس للأنصار والأعوان
كيلا نصير مصيرهم في يومنا ... هذا ونطمع منك بالغفران
فمن الذي منا أحق بأمنه ... فاختر لنفسك ياأخا العرفان
لابد أن نلقاه نحن وأنتم ... في موقف العرض العظيم الشان
وهناك يسألنا جميعاً ربنا ... ولديه قطعاً نحن مختصمان
فنقول قلت كذا وقال نبينا ... أيضاً كذا فإمامنا الوحيان
فافعل بنا ماأنت أهل بعد ذا ... نحن العبيد وأنت ذو الإحسان
أفتقدرون على جواب مثل ذا ... أم تعدلون إلى جواب ثان
مافيه قال الله قال رسوله ... بل فيه قلنا مثل قول فلان
وهو الذي أدت اليه عقولنا ... لما وزنا الوحي بالميزان
إن كان ذلكم الجواب مخلصاً ... فامضوا عليه ياذوي العرفان
تالله ما بعد البيان لمنصف ... إلا العناد ومركب الخذلان

حاصل كلام الناظم في هذين الفصلين أنه يحكي جواب المعطل والمثبت عن قول كل واحد منهما إذا سألهما الرب تعالى يوم القيامة ، ومعنى ماذكره أن المعطل يقول لربه إذا سأله يوم القيامة : يارب اني حكمت عليك بالعقل والفكرة . وهذا أولى من المنصوص ، وقلت : إنك لست بداخل العالم ولا خارجه ، وإنك لست فوق العرش ، وانك لست بقائل القرآن ، بل هو

عبـــارة أو حكاية عبر بها رسولك البشري وهو محمد ﷺ عن المعنى النفسي ، وإن نسبته إليك نسبة تشريف كما يقال : بيت الله، وكذاك قلنا : لست تنزل في الدجى لأن النزول من صفات الأجسام ، وكذا قلنا: لا وجه لك ولا سمع ولا بصر ولا يدان ، وكذا قلنا : إنك لاترى في الآخرة ؛ وكذا قلنا : مالفعلك حكمة، وليس ثم غير مشيئة قد رجحت مثلاً على مثل، ومع ذلك فمنا من يقول: الحكمة ليست تقوم بالرحمن سبحانه ، لأن ذلك يستلزم قيام الحوادث به تعالى ، وقلنا مااقتضته عقولنا وعقول أشياخنا ، وهم قد قالوا : لاتأخذوا بظواهر الوحيين ، بل فكروا بعقولكم أو فاقبلوا رأي فلان وفلان ، قالوا : فلأجل هذا لم نحكم لفظ آثار ولا قرآن ، لأنها أدلة لفظية لاتفيد اليقين، وأما الآخرون وهم المثبتة فإنهم أتوا بما قد قاله الله ورسوله من غير تحريف ولا كتمان ، وقالوا : تلقينا عقيدتنا عن الوحيين ، والحكم عندنا ما حكما به، لارأي أهل الاختلاف والظنون الفاسدة . قالوا : لابد أن نلقاه نحن وأنتم في موقف العرض ، وهناك يسألنا جميعاً ربنا فنقول : قلت كذا وقال نبينا كذا ، فافعل بنا ماأنت أهل له ، فنحن عبيدك وأنت ذو الإحسان ، أفتقدرون أيها المعطلة على مثل هذا الجواب ؟ أم تجيبون بجواب ليس فيه قال الله قال رسوله ؟ بل تقولون : قولنا مثل قول فلان، وهذا هو الذي أدت إليه عقولنا ، فإن كان هذا الجواب مخلصاً لكم فامضوا عليه، والله الموفق .

فصل

في تحميل أهل الإثبات للمعطلين شهادة تؤدى عند رب العالمين .

يا أيها الباغي على أتباعه بالظلم والبهتان والعدوان
قد حمّلوك شهادة فاشهد بها إن كنت مقبولاً لدى الرحمن
واشهد عليهم إن سألت بأنهم قالوا إله العرش والأكوان
فوق السموات العلى حقاً على الـ ـعرش استوى سبحان ذي السلطان
والأمر ينزل منه ثم يسير في ا لأُقطار سبحان العظيم الشان
وإليه يصعد مايشاء بأمره من طيبات القول والشكران
واليه قد صعد الرسول وقبله عيسى بن مريم كاسر الصلبان
وكذلك الأملاك تصعد دائماً من ههنا حقاً إلى الديان
وكذاك روح العبد بعد مماتها ترقى إليه وهو ذو إيمان
واشهد عليهم أنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن
سمع الأُمين كلامه منه وأدا ه إلى المبعوث بالفرقان
هو قول رب العالمين حقيقة لفظاً ومعنى ليس يفترقان
واشهد عليهم أنه سبحانه قد كلم المولود من عمران

سمع ابن عمران الرسول كلامه منه إليه مسمع الآذان
واشهد عليهم أنهم قالوا بأن الله ناجاه بلا كتمان
واشهد عليهم أنهم قالوا بأن الله نادى قبله الأبوان
واشهد عليهم أنهم قالوا بأن الله يسمع صوته الثقلان
والله قال بنفسه لرسوله إني أنا الله العظيم الشان
والله قال بنفسه لرسوله إذهب الى فرعون ذي الطغيان
والله قال بنفسه حم مع طه ومع يس قول بيان
واشهد عليهم أنهم وصفوا الإله بكل ماقد جاء في القرآن
وبكل ماقال الرسول حقيقة من غير تحريف ولا عدوان
واشهد عليهم أن قول نبيهم وكلام رب العرش ذا التبيان
نص يفيد لديهم علم اليقين إفادة المعلوم بالبرهان
واشهد عليهم أنهم قد قابلوا التعطيل والتمثيل بالنكران
إن المعطل والممثل ما سما متيقنين عبادة الرحمن
ذا عابد المعدوم لا سبحانه أبداً وهذا عابد الأوثان
واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الأسماء والأوصاف للديان
وكذلك الأحكام أحكام الصفات وهذه الأركان للإيمان

قالوا عليم وهو ذو علم ويعـــلم غاية الإسرار والإعلان
وكذا بصير وهو ذو بصر ويبـــصر كل مرئي وذي الأكوان
وكذا سميع وهو ذو سمع ويســـمع كل مسموع من الأكوان
متكلم وله كلام وصفه ويكلم المخصوص بالرضوان
وهو القوي بقوة هي وصفه وعليك يقدر ياأخا السلطان
وهو المريد له الارادة هكذا أبداً يريد صنائع الاحسان

حاصل كلام الناظم في هذه الأبيات أن المثبتة قد حملوا المعطلة شهادة تؤدى عند ربهم سبحانه باثبات ماأثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، وذلك كعلو الله تعالى على خلقه، ونزول الأوامر منه سبحـــانه، وصعود الكلم الطيب اليه، ومعراج الرسول اليه، ورفع عيسى بن مريم عليه السلام الى الله، وكذا صعود الملائكة اليه دائماً، وكذا روح المصدق بعد الممات تصعد اليـه، وأنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن، وأن الأمين جبريل سمع كلامه، وأداه الى الرسول ﷺ وأنه قول رب العـــالمين حقيقة لفظه ومعناه. واشهد عليهم أيهـا المعطل أنه سبحـــانه كلم المولود من عمران، وهو موسى عليه السلام، وأن الله ناداه وناجاه وكذا اشهد عليهم أنهم قالوا: بأن الله نادى قبله الأبوين آدم وحواء، واشهد عليهم أنهم قالوا: بأن الله ينادي خلقه يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، واشهد عليهم أنهم قالوا: إن الله سبحانه قال: بنفسه (حم) و (طه) و (يس) وأنهم وصفوه سبحانه

بكل ما قد جاء في القرآن ، وبكل ما قال الرسول ، من غير تحريف ولا عدوان ، واشهد عليهم أن كلام الله ورسوله عندهم نص يفيد علم اليقين ، واشهد عليهم أنهم أنكروا التعطيل والتمثيل ، وأن المعطل والممثل غير متيقنين عبادة الرحمن عز وجل ، لأن المعطل يعبد عدماً ، والممثل يعبد صنماً ، تعالى الله وتقدس ، واشهد عليهم أيها المعطل أنهم قد أثبتوا أسماء الرب تعالى وصفاته المقدسة ، وكذا أثبتوا أحكام الصفات ، وأنه سبحانه عليم يعلم ويعلم السر وأخفى ، وكذا أثبتوا أنه سبحانه بصير وذو بصر ويبصر كل شيء ، وكذا أثبتوا أنه سبحانه سميع وذو سمع ويسمع كل مسموع ، وأنه سبحانه متكلم وله كلام ، ويكلم من شاء سبحانه ، وكذا أثبتوا له سبحانه القوة بقوة هي وصفه وهو على كل شيء قدير ، وأثبتوا أنه تعالى مريد وله الارادة ويريد سبحانه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والوصف معنى قائم بالذات والـــ أسماء إعلام لــه بوزان
أسماؤه دلت على أوصافه مشتقة منها اشتقاق معان
وصفاته دلت على أسمائــه والفعل مرتبط بـه الأمران
والحكم نسبتها إلى متعلقا ت تقتضي آثارها ببيـــان
ولربما يعني به الاخبار عن آثارهـا يعني بـه أمـران
والفعل إعطاء الارادة حكمها مع قدرة الفعال والإمكان
فاذا انتفت أوصافه سبحانه فجميـع هذا بيّن البطلان

أي إن صفاته سبحانه معان قائمة بذاته ، والأسماء أعلام، والأسماء تدل على الصفات ، وهي مشتقة منها ، وصفاته دلت على أسمائه . وتوضيح ذلك أنه لما اتصف سبحانه بالعلم اشتق له منه اسم العليم ، ولما اتصف سبحانه بالرحمة اشتق له منها اسم الرحمن ، وهكذا قوله : والحكم نسبتها الى متعلقات تقتضي آثارها ببيان ، يعني أن أحكام الصفات تنسب الى متعلقات تقتضي آثارها وذلك أن نقول: هو سبحانه عليم ويعلم كل شيء ، بصير ويبصر كل شيء ، سميع ويسمع كل شيء ، كما تقدم في الأبيات .

قوله : فإذا انتفت أوصافه سبحانه الخ ... ؛ أي : اذا انتفت صفاته سبحانه ، فجميع هذا باطل بغير شك ، وأهل الاثبات يثبتون جميع ذلك خلافاً للمعطلة القائلين بأنه سبحانه عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة ، بصير بلا بصر ، ونحو ذلك .

قـــال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم قالوا بهـــذا كله جهراً بلا كتمان

واشهد عليهم أنهم برآء من ... تأويل كل محرف شيطان

واشهد عليهم أنهم يتأولو ... ن حقيقة التأويل في القرآن

هم في الحقيقة أهل تأويل الذي ... يعنى به لا قائل الهذيان

واشهد عليهم أن تأويلاتهم ... صرف عن المرجوح للرجحان

أي : واشهد عليهم أيها المعطل أنهم يتأولون ، ولكن لا بالمعنى المصطلح عليه عند كثير من المتأخرين الذين تكلموا في الفقه وأصوله ، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترن به ، فهذا القسم

من التأويل باطل عند المثبتة ، والتأويل الذي يثبتونه هو بمعنى التفسير ، وهذا معنى قول الناظم : هم في الحقيقة أهل تأويل الذي يعني به الخ . وذلك كما يقول ابن جرير وأمثاله من المفسرين ، ومجاهد إمام المفسرين ، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي والبخاري وغيرهما : فاذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه ، فالمراد معرفة تفسيره ،

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم حملوا النصو ص على الحقيقة لا المجاز الثاني
الا اذا ما اضطرهم لمجازها الـــمضطر من حس ومن برهان
فهناك عصمتها اباحته بغيـــر تجانف للاثم والعدوان

حاصل ما نتكلم به في هذه الأبيات أن نذكر كلام العلماء في المجاز وثبوته أو نفيه ، ثم نتكلم على معنى الأبيات الثلاثة بما يسره الله تعالى[1] فنقول : قال الشيخ علاء الدين المرداوي في كتاب « التحرير » في اصول الفقهاء الأربعة وغيرهم: المجاز واقع ، وخالف الأستاذ والشيخ وغيرهما وردوه الى المتواطىء ، وعلى الأول ليس المجاز بأغلب في الأصح ، وهو في القرآن عند أحمد وأكثر أصحابه . والأكثر ، وعنه : لا ، اختاره ابن حامد والتميمي ، والخرزي وغيرهم . وقيل : ولا في الحديث أيضاً . انتهى كلامه . ومعنى كلامه أن الأئمة الأربعة وغيرهم ذهبوا الى وقوع المجاز ، وخالف في ذلك الاستاذ يعني الشيخ أبا اسحق الاسفراييني الشافعي ، والشيخ ، يعني به

(١) ذكر المصنف رحمه الله ما اراد ذكره من كلام العلماء ، ولكنه لم يتكلم على معنى الابيات الثلاثة . (ابن مانع)

شيخ الاسلام رحمهما الله تعالى ، وكلامه رحمه الله معروف في كتاب « الايمان » وهو أنه اختار نفي المجاز في الكتاب والسنة ولغة العرب . والناظم رحمه الله في هذا الموضع اختار في المسألة تفصيلا . وهو ان النصوص تحمل على الحقيقة إلا عند الاضطرار الى المجاز ، فتصرف اليه . وقد قال في كلام له : المجاز والتأويل لا يدخل في النصوص ، وانما يدخل في الظاهر المحتمل له ، وكون اللفظ نصاً يعرف بشيئين : احدهما : عدم احتماله لغير معناه وضعاً . والثاني : ما اطرد استعماله على طريقة واحدة في جميع موارده ، فانه نص في معنـــاه لا يقبل تأويلا ولا مجازاً وان قدر تطرق ذلك الى بعض أفراده ، وصار بمنزلة خبر التواتر لا يتطرق احتمال الكذب اليه وإن تطرق الى واحد بفرده .

وهذه قاعدة نافعة تدل على خطأ كثير من التأويلات للسمعيات التي اطرد استعمالها في ظاهرها ، وتأويلها والحالة هذه غلط ، فان التأويل انما يكون لظاهر قد ورد شاذاً مخالفاً لغيره من السمعيات ، فيحتاج الى تأويله ليوافقها ، وأما اذا اطردت كلها على وتيرة واحدة ، (فقد) صارت بمنزلة النص وأقوى وتأويلها ممتنع . انتهى كلامه .

وهذا الذي ذكره قد ذكره غيره من العلماء ، وهو أنهم قالوا : ان الأدلة إذا تكاثرت ودلت على معنى ، ثم ورد دليل واحد يخالف تلك الأدلة ، وجب الأخذ بتلك الأدلة ، وتأويل ذلك الدليل الواحد حتى يوافقها . وقد رأيت شيخ الاسلام أثبت المجاز في بعض كلامه ، قال في « الفتيا الدمشقية » واعلم ان من لم يحكم دلالات اللفظ ، ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ تارة يكون بالوضع اللغوي ، أو العرفي أو الشرعي ، إما في الألفاظ المفردة ، وإما في المركبة ، وتارة بما اقترن باللفظ المفرد من

التركيب الذي يتغير به دلالته في نفسه ، وتارة بما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعلها مجازاً ، وتارة بمايدل عليه حال المتكلم والمخاطب والمتكلم فيه ، وسياق الكلام الذي يعين أحد محتملات اللفظ ، أو يبين أن المراد به هو مجازه ... إلى غير ذلك من الأسباب التي تعطي اللفظ صفة الظهور ، وإلا فقد يتخبط في هذه المواضع . نعم اذا لم يقترن باللفظ قط شيء من القرائن المتصلة تبين مراد المتكلم ، بل علم مراده بدليل آخر لفظي منفصل ، فهنا أريد به خلاف الظاهر ، كالعموم المخصوص بدليل منفصل ... الى أن قال : إن الألفاظ نوعان : احدهما : مامعناه مفرد ، كلفظ الأسد ، والحمار ، والبحر ، والكلب ، فهذا اذا قيل : أسد الله وأسد رسوله ، أو قيل للبليد : حمار . أوقيل للعالم أو السخي أو الجواد : أمن الخيل بحراً ، أو قيل للأسد : كلب ، فهذا مجاز ، ثم اقترنت به قرينة تبين المراد . كقول النبي ﷺ لفرس أبي طلحة : « ان وجدناه لبحراً » وقوله : « إن خالداً سيف من سيوف الله سله الله على المشركين »[1] وقوله لعثمان : «ان الله مقمصك قميصاً» .

---

(١) أورده بهذا اللفظ الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » من رواية ابن عساكر عن عمر . ورمز له بالضعف . ولكن رواه احمد في « المسند » من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين» قال الهيثمي في «مجمع الزوائد » رواه احمد، والطبراني بنحوه ورجالها ثقات ، ورواه الترمذي من رواية زيد بن اسلم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ « نعم عبد الله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله » قال الترمذي : هذا حديث غريب ، ولا يعرف لزيد بن اسلم سماع من ابي هريرة ، وهو حديث مرسل عندي . ورواه الطبراني عن أنس بن مالك قال : نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مؤتة على المنبر قال : « ثم اخذ الراية سيف من سيوف الله » قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح . وعن عبد الله بن جعفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نعى اهل مؤتة قال : « ثم اخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد فتح الله عليه» قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن احمد بن حنبل وهو امام ثبت

وقول ابن عباس : الحجر الأسود يمين الله في الارض ، فمن استلمه وصافحه فكأنما بايع ربه ، [1] أو كما قال ، ونحو ذلك ، فهنا اللفظ فيه تجوز. إلى اخر كلامه . فهذا ظاهر في اثبات المجاز والله أعلم .

وأما الناظم رحمه الله تعالى فقد رأيت في كلامه في النظم ، وفي كلامه الذي نقلناه عنه . ولكنه قد بالغ في كتاب « الصواعق المرسلة » في ابطال المجاز ، واستدل لذلك بنحو خمسين وجهاً . ورد على ابن جني كلامه في المجاز من أوجه كثيرة والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى .

واشهد عليهم أنهم لا يكفرو ... نكم بما قلتم من الكفران
اذ أنتم أهل الجهالة عندهم ... لستم أولي كفر ولا ايمان
لا تعرفون حقيقة الكفران بل ... لا تعرفون حقيقة الايمان
الا اذا عاندتم ورددتم ... قول الرسول لأجل قول فلان
فهناك أنتم أكفر الثقلين من ... انس وجن ساكني النيران

يأتي الكلام في مسألة التكفير ان شاء الله تعالى في الفصل الذي أوله :
ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث وشيعة القرآن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الـــأقدار واردة من الرحمن
واشهد عليهم أن حجة ربهم ... قامت عليهم وهو ذو غفران

(١) هذا الحديث روي موقوفاً على ابن عباس ، وروي مرفوعاً بعدة روايات لا تخلو كلها من ضعف .

واشهد عليهم أنهم هم فاعلو ن حقيقة الطاعات والعصيان
والجبر عندهم محال هكذا نفي القضاء فبئست الرأيان
واشهد عليهم ان ايمان الورى قول وفعل ثم عقد جنان
ويزيد بالطاعات قطعاً هكذا بالضد يمسي وهو ذو نقصان
والله ما ايمان عاصينا كايـ ـمان الامين منزل القرآن
كلا ولا ايمان مؤمننا كايـ ـمان الرسول معلم الايمان
واشهد عليهم أنهم لم يخلدوا أهل الكبائر في حميم آن
بل يخرجون باذنه بشفاعة وبدونها لمساكن بجنان
واشهد عليهم أن ربهم يرى يوم المعاد كما يرى القمران
واشهد عليهم أن أصحاب الرسـ ـول خيار خلق الله من انسان
حاشا النبيين الكرام فانهم خير البرية خيرة الرحمن
وخيارهم خلفاؤه من بعده وخيارهم حقاً هما العمران
والسابقون الأولون أحق بالتـ ـقديم ممن بعدهم ببيان
كل بحسب السبق أفضل رتبة من لاحق والفضل للمنان

قد تكلمنا على أكثر مضمون هذه الأبيات في غضون هذا الشرح .

وأما مسألة خلق أفعال العباد ، ومسألة الإيمان ، وأنه قول وعمل ونية ،

يزيد وينقص ، فينبسط الكلام عليها بعض البسط ، لأنها من الأصول الكبار لأهل السنة والجماعة ، فنقول :

قوله: واشهد عليهم أنهم فاعلون حقيقة الطاعات الخ . . . أي : أن أهل الإثبات،أهل السنة والجماعة ، يؤمنون بالقدر خيره وشره . والإيمان بالقدر على درجتين : كل درجة تتضمن شيئين . فالدرجة الأولى الإيمان بأنه تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والآجال ، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق. فأول ما خلق الله القلم ، فقال : اكتب ، فقال: ما أكتب؟ فقال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة[1] ، فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه كما قال سبحانه : (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) المجادلة : ٧ وقال تعالى : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ، ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) الحديد : ٢٤ وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه ، يكون في مواضع جملة وتفصيلاً . فقد كتب في اللوح المحفوظ : فإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح ، بعث إليه ملك ، فيأمر بأربع كلمات ، فيقال : اكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ، [2] وأما الدرجة الثانية ،

---

(١) رواه احمد في « المسند » (٥/٣١٧) وسنده حسن ، ورواه أبو داود رقم (٤٧٠٠) ورواه الترمذي في القدر وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأخرجه في التفسير من هذا الوجه وقال : حديث غريب ، فالحديث بمجموع طرقه صحيح .

(٢) يشير بذلك الى ما في « الصحيحين » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، واجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد . . . » الحديث

فهو مشيئة الله تعالى النافذة ، وقدرته الشاملة ؛ وهو الإيمان بأن ماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه مافي السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله تعالى ، لايكون في ملكه ما لايريده سبحانه ، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات ، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء ، الا الله سبحانه خالقه ، ولا خالق غيره ، ولا رب سواه . وقد أمر العباد بطاعته ، وطاعة رسوله ، ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد ، والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن ، والكافر ، والبر ، والفاجر ، والمصلي . وللعباد قدرة على أعمالهم ، وإرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ، كما قال : (لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) التكوير : ٢٨، ٢٩ وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ « مجوس هذه الأمة » (١) ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى يسلبوا العبد قدرته واختيـــاره ، ويخرجونه عن أفعال الله وحكمها ومصالحها .

قوله : والجبر عندهم المحال الخ . . . اعلم أن أئمة السلف رحمة الله عليهم أنكروا الجبر . قال الخـــلال في كتاب « السنة » الرد على القدرية ،

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٦٩١) وفي سنده انقطاع ، ورواه أحمد في « المسند » وفيه ضعف . ورواه الآجري في كتاب « الشريعة » ص (١٩٠) وفيه ضعف أيضاً ولكن ربما كان بمجموع طرقه يصلح للاحتجاج .

وقولهم. إن الله أجبر العباد على المعاصي ، ثم روي عن عمر ، وابن عثمان عن بقية بن الوليد قال : سألت الزبيدي والأوزاعي عن الجبر ، فقال الزبيدي: أمر الله أعظم ، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، ولـــكن يقضي ، ويقدر ، ويخلق ، ويجبل عبده على ما أحب . وقال الأوزاعي : ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ، ولا السنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء ، والقدر ، والخلق ، والجبل ؛ فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ ، وإنما وضعت هذا مخافة أن يرتاب رجل من أهل الجماعة والتصديق .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : فهذان الجوابان اللذان ذكرهمـــا هذان الإمامان في عصر تابعي التابعين ، من أحسن الأجوبة .

أما الزبيدي محمد بن الوليد صاحب الزهري ، فإنه قال : أمر الله أعظم ، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، فنفى الجبر ، وذلك لأن الجبر المعروف في اللغة ؛ هو إلزام الإنسان بخلاف رضاه ، كما يقول الفقهاء في باب النكاح : هـــل تجبر المرأة على النكاح ، أو لا تجبر ؟ وإذا عضلها الولي ماذا تصنع ؟ فيعنون بجبرها ، إنكاحها بدون رضاها واختيارها ، ويعنون بعضلها ، منعها مما ترضاه وتختاره . فقال : الله أعظم من أن يجبر أو يعضل ، لأن الله سبحانه قادر على أن يجعل العبد مختاراً راضياً لما يفعله ؛ ومبغضاً وكارهاً لما يتركه ، كما هو الواقع ، فلا يكون العبد مجبوراً على ما يحبه ويرضاه ويريده ، وهي أفعاله الاختيارية ، ولا يكون معضولاً عما يتركه فيبغضه ويكرهه ، أو لا يريده ، وهي تروكه الاختيارية .

وأمـا الأوزاعي : فإنه منع من إطلاق هذا اللفظ ، وإن عنى به هذا المعنى ، حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة ، فيفضي إلى اطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل ، وذلك لا يسوغ .

فان قيل : إنه يراد به معنى صحيح . قال الخلال : أنا أبو بكر المروذي قال : سمعت بعض المشيخة يقول : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : أنكر سفيان الثوري الجبر وقال : الله جبل العباد . وقال المروذي : أظنه أراد قول النبي ﷺ لأشج عبد القيس يعني قوله الذي في « صحيح مسلم » « إن فيك لخلتين يحبها الله : الحلم ، والأناة » فقال : أخلقين تخلقت بهما ، أو خلقين جبلت عليهما ؟ فقال : بل خلقين جبلت عليهما »[1] فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبها الله . ولهذا احتج البخاري وغيره على خلق أفعال العباد بقوله تعالى : (إن الإنسان خلق هلوعاً . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعاً) المعارج : ١٩ - ٢١ فأخبر أنه خلق على هذه الصفة ، واحتج غيره بقول الخليل : (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) ابراهيم : ٤٠ وقوله : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) البقرة : ١٢٨ وجواب الأوزاعي أقوم من جواب الزبيدي ، لأن الزبيدي نفى الجبر ، والأوزاعي منع إطلاقه ، إذ هذا اللفظ قد يحتمل معنى صحيحاً ، فنفيه قد يقتضي نفي الحق والباطل ، كما ذكر الخلال ما ذكره عبد الله بن أحمد في كتاب « السنة » فقال : ثنا محمد بن بكار ، ثنا أبو معشر ، ثنا بن محمد بن كعب ، قال : إنما سمي الجبار ، لأنه يجبر الخلق على ما أراد ، فإذا امتنع من إطلاق اللفظ المجمل المشتبه ، زال المحذور ، وكان أحسن من نفيه ، وإن كان ظاهراً في المعنى الفاسد ، خشية أن يظن أنه ينفي المعنين جميعاً ، وهكذا يقال في نفي الطاقة عن المأمور ، فإن إثبات الجبر في المحظور نظير سلب الطاقة في المأمور ،

---

(١) رواه مسلم عن ابن عباس بلفظ «إن فيك خصلتين يحبها الله : الحلم والأناة» وفي رواية لمسلم أيضاً « ان فيك لخصلتين ». ورواه بالزيادة التي في الكتاب أبو يعلى في مسنده وغيره.

وهكذا كان يقول الامام أحمد وغيره من أئمة السنة . قـال الخلال : أنبأ الميموني قال : سمعت أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - يناظر خالد بن خراش، يعني في القدر، فذكروا رجلاً فقال عبد الله : إنما كره من هذا أن تقول: أجبر الله وقال : أنبأ المروذي ، قلت لأبي عبـد الله : رجل يقول : ان الله أجبر العباد . فقال : هكذا لا نقول ، وأنكر هذا . وقال : يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء . قال : أنبأ المروذي ، قال : كتب الى عبد الوهاب في أمر حسن بن خلف العكبري ، وقال : إنه تنزه عن ميراث أبيه . فقال : رجل قدري . قال : إن الله لم يجبر العباد على المعاصي ، فرد عليه أحمد بن رجـاء فقال : ان الله جـبر العباد على مـا أراد ، أراد بذلك إثبات القدر ، فوضع أحمد بن علي كتـاباً يحتج فيه ، فأدخلته على أبي عبد الله فأخبرته بالقصة ، فقال : ويضع كتاباً ؟! وأنكر عليهما جميعاً ، على ابن رجاء حين قال : جبر العباد ، وعلى القدري حين قال : يجبر ، وأنكر على أحمد ابن علي وضعه الكتاب ، واحتجاجه ، وأمر بهجرانه لوضعه الكتاب ، وقال لي : يجب على ابن رجاء أن يستغفر ربه لما قـال : جبر العباد ، فقلت لأبي عبد الله : فما الجواب في هذه المسألة ؟ قال : يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء. قـال المروذي في هذه المسألة: إنه سمع أبا عبد الله لما أنكر على الذي قال : لم يجبر ، وعلى من رد عليه جبر . فقال أبو عبد الله : كلما ابتدع رجل بدعة اتسع الناس في جوابها ، وقال: يستغفر ربه الذي رد عليهم بمحدثة ، وأنكر على من رد بشيء من جنس الكلام إذا لم يكن له فيها إمـام تقدم . قال المروذي : فما كان بأسرع من أن قدم أحمد بن علي من عكبر ، ومعه مشيخة وكتاب من أهل عكبر ، فأدخلت أحمد بن علي على أبي عبد الله فقـال :

يا أبا عبد الله هو ذا الكتاب ، ادفعه الى أبي بكر حتى يقطعه ، وأنا أقوم على منبر عكبر ، وأستغفر الله عز وجل . فقال أبو عبد الله لي : ينبغي أن يقبلوا منه ، فرجعوا اله . وقد بسطنا الكلام في هذا المقام في غير هذا الموضع . انتهى كلام شيخ الاسلام .

قوله : واشهد عليهم أن إيمان الورى قول وفعل الخ . . . هذه المسألة من مسائل الأصول الكبار ، ومذهب أهل السنة والجماعة ، أن الإيمان تصديق بالجنان ، وعمل بالأركان ، وقول باللسان ، وأنه يزيد وينقص . وذهب جهم ، والصالحي ، والأشعري في المشهور من قوليه ، إلى أن الإيمان هو تصديق القلب . وذهبت المرجئة ، إلى أن الإيمان هو قول اللسان وتصديق القلب . وذهبت الكرامية ، إلى أن الإيمان هو تصديق اللسان فقط . قال الامام الشافعي رحمه الله في « الأم » : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : إن الإيمان قول ، وعمل ، ونية ، لا تجزىء واحدة من الثلاثة الا بالأخرى .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ولهذا كان القول ! إن الايمان قول ، وعمل عند أهل السنة ، ومن شعائر السنة .

وروى أبو عمر الطلمنكي بإسناده المعروف عن موسى بن هارون الحمال قال : أملى علينا اسحاق بن راهويه ، أن الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، لا شك أن ذلك كما وصفنا ، وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة ، والآثار العامة المحكمة ، وأقوال أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين هلم جرا على ذلك ، وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد ، لا يختلفون فيه ؛

وكذلك في عهد الاوزاعي بالشام ، وسفيان الثوري بالعراق ، ومالك بن أنس بالحجاز ، ومعمر باليمن على مافسرنا وبينا أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص .

وقال اسحاق : من ترك الصلاة متعمداً حتى ذهب وقتها ، الظهر إلى المغرب ، والمغرب الى نصف الليل ، فانه كافر بالله العظيم ، يستاب ثلاثة أيام ، فإن لم يرجع وقال : تركها كفراً ، ضربت عنقه ، يعني تركها وقال ذلك ، وأما اذا صلى وقال ذلك ، فهذه مسألة اجتهاد . قال : واتبعهم على ماوصفنا من بعدهم من عصرنا هذا أهل العلم ، الا من باين الجماعة ، واتبع الأهواء المختلفة ، فأولئك لايعبأ الله بهم لما باينوا الجماعة .

قوله : ويزيد بالطاعات قطعاً الخ ؛ اي : أن أهل السنة والحديث ، على أن الايمان يتفاضل ، وجمهورهم يقول : يزيد وينقص ، ومنهم من يقول : يزيد ، ولا ينقص ، كما روي عن مالك في احدى الروايتين ، ومنهم من يقول : يتفاضل ، كعبد الله بن المبارك ، وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة ، ولم يعرف فيه مخالف منهم ، فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة عن حماد بن سلمة ، عن ابي جعفر ، عن جده عمير بن حبيب وهو من أصحاب رسول الله ﷺ قال : الايمان يزيد وينقص. قيل له : وما زيادته ونقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه ، فتلك زيادته ، واذا غفلنا ونسينا ، فتلك نقصانه .

وروى اسماعيل بن عياش عن جرير بن عثمان عن الحارث بن محمد ، عن أبي الدرداء ، قال : الايمان يزيد وينقص . وقال احمد بن حنبل : ثنا يزيد ، ثنا جرير بن عثمان قال : سمعت أشياخنا أو بعض أشياخنا أن أبا الدرداء ، قال : من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه ، وما ينقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد

إيمانه ، أم ينقص ؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه ؟

وروى أسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي ، عن أبي هريرة قال : الايمان يزيد وينقص . وقال أحمد بن حنبل : ثنا يزيد بن هارون ، ثنا محمد بن طلحة ، عن زبيد ، عن ذر قالا : كان عمر بن الخطاب يقول لاصحابه : هلموا نزدد إيمانا ، فيذكرون الله عز وجل . وقال أبو عبيد : في « الغريب » في حديث علي : إن الايمان يبدو لمظة في القلب، كلما ازداد الايمان ، ازدادت اللمظة . وروي ذلك عن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن هند الجملي عن علي قال . الأصمعي اللمظة مثل النكتة أو نحوها .

وقال أحمد بن حنبل : ثنا وكيع ، عن شريك ، عن هلال ، عن عبد الله ابن عكيم قال : سمعت ابن مسعود يقول في دعائه : اللهم زدنا إيمانا وايقانا وفقها .

وروى سفيان الثوري عن جامع بن شداد ، عن سواد بن هلال قال : كان معاذ بن جبل يقول للرجل : اجلس بنا نؤمن ساعة نذكر الله تعالى . وروى ابو اليمان : ثنا صفوان ، عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من اصحابه يقول : قم بنا نؤمن ساعة ، فنجلس في مجلس ذكر . وهذه الزيادة قد ذكرها الصحابة ، وأثبتوها بعد موت النبي ﷺ ونزول القرآن كله . وصح عن عمار بن ياسر أنه قال : ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان . الانصاف من نفسه ، والانفاق من الاقتار ، وبذل السلام للعالم . ذكره البخاري عنه في « صحيحه » وقال جندب بن عبد الله : وابن عمر وغيرهما : تعلمنا الإيمان ، تعلمنا القرآن ، فازددنا إيماناً . والآثار في هذا كثيرة ، رواها المصنفون في هـذا الباب عن

الصحابة والتابعين في كتب كثيرة معروفة . وقال الحافظ ابو عمر بن عبدالبر في «التمهيد» أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان . قول وعمل ، ولا عمل إلا بنيـــة ، والإيمان عندهم يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعصية ، الطاعات كلها عندهم ايمان ، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة و أصحابه ، فإنهم ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى إيماناً قالوا : انما الايمان التصديق والإقرار ، ومنهم من زاد المعرفة ، وذكر ما احتجوا به ... الى أن قال : وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز ، والعراق والشام ، ومصر ، منهم مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والاوزاعي ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وداود بن علي ، والطبري ، ومن سلك سبيلهم ، فقالوا : الايمان قول وعمل ، قول باللسان وهو الإقرار ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة ، قالوا : وكل ما يطاع الله عز وجل به من فريضة ونافلة ، فهو من الايمان ، والايمان يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم ، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر . ألا ترى قوله ﷺ «لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ...» الحديث [1] يريد مستكمل الايمان ، ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك ، بدليل الاجماع على توريث الزاني ، والسارق ، والشارب للخمر إذا صلوا الى القبلة ، وانتحلوا دعوة الإسلام ، من قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الأحوال ، واحتجوا على ذلك ... ثم قال : وأكثر أصحاب مالك قالوا : إن الايمان والاسلام شيء واحد ، قال:

---

(١) متفق عليه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .

وأما قول المعتزلة ، فالإيمان عندهم جماع الطاعات ، ومن قصر عن شيء منها فهو فاسق ، لا مؤمن ، ولا كافر ، وهؤلاء هم المحققون بالاعتزال أصحاب المنزلة بين المنزلتين ... الى أن قال : وعلى أن الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الأثر ، والفقهاء من أهل الفتيا في الامصار .

وروى ابن القاسم عن مالك أن الايمان يزيد ، وتوقف في نقصانه . وروى عنه عبد الرزاق ، ومعن بن عيسى ، وابن نافع أنه يزيد وينقص ، وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله . ثم ذكر حجج المرجئة ، ثم حجج أهل السنة ، ورد على الخوارج التكفير بالحدود المذكورة للعصاة في الزنا والسرقة ، ونحو ذلك ، وبالموارثة . وبحديث عبادة بن الصامت من أصاب ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له . وقال : الايمان مراتب ، بعضها فوق بعض ، فليس ناقص الايمان كـكامل الايمان . قال الله تعالى : (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الى قوله : (أولئك هم المؤمنون حقاً) الأنفال : ٢-٤ وكذلك قوله ﷺ « المؤمن من أمنه الناس ، من المسلم سلم الناس من لسانه ويده »[١] اي حقاً ، ومن هذا قوله « اكمل المؤمنين إيماناً »[٢] ومعلوم أن هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص . وقوله :

---

(١) رواه احمد والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان بلفظ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من امنه الناس على دمائهم واموالهم ». وروى البخاري ومسلم الفقرة الأولى من هذا الحديث ،

(٢) ورد هذا الحديث بلفظ « اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً » رواه احمد وابو داود ، والترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة .

« أوثق عرى الايمان : الحب في الله ، والبغض في الله » [١] وقوله : «لا ايمان لمن لا امانة له » [٢] يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض ، وذكر الحديث الذي رواه الترمذي وغيره « من أحب لله وأبغض لله . . » [٣] الحديث. وكذلك ذكر أبو عمر الطلمنكي إجماع أهل السنة على أن الايمان قول ، وعمل ، ونية ، واصابة السنة. ومن حجج الجهمية على ان الأعمال ليست من الايمان أنهم قالوا: ان القرآن نفى الايمان عن غير هؤلاء كقوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...) الأنفال : ٢ — ٤ الايات. ولم يقل :ان هذه الاعمال من الايمان قالوا : فنحن نقول : من لم يعمل هـذه الأعمال لم يكن مؤمناً ، لأن انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قلبه.

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : أنهم سلموا أن هذه الأعمال لازمة لايمان القلب ، فإذا انتفت لم يبق في القلب ايمان ، وهذا هو المطلوب ، وبعد هذا فكونها لازمة أو جزء، نزاع لفظي :

الثاني : أن نصوصاً صرحت بأنها جزء كقوله : «الايمان بضع وسبعون شعبة ، أو ست وسبعون شعبة» . [٤]

---

(١) رواه احمد في « المسند » عن البراء بن عازب . والطبراني في « الكبير » عن ابن عباس وفي « الصغير » عن ابن مسعود ، وهو حديث حسن.

(٢) رواه احمد في « المسند » وابن حبان ، والطبراني في«الأوسط » و«الصغير» وهو حديث حسن .

(٣) رواه ابو داود في « سننه » وسنده حسن . وتمامه « واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان .

(٤) اخرجه الشيخان ، ولفظ :ست وسبعون شعبة،من رواية ابي عوانة في صحيحه .

الثالث : أنكم إن قلتم بأن من انتفى عنه هذه الأمور فهو كافر خال من كل ايمان ، كان قولكم قول الخوارج ، وأنتم في طرف ، والخوارج في طرف ، فكيف توافقونهم في هذه الأمور ؟! ومن هذه الأمور إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج ، والجهاد ، والإجابة الى حكم الله ورسوله وغير ذلك مما لا تكفرون تاركه ، وان كفرتموه كان قولكم قول الخوارج .

الرابع : ان قول القائل إن انتفاء بعض هذه الاعمال يستلزم أن لا يكون في قلب الانسان شيء من التصديق بأن الرب حق ، قول يعلم فساده بالاضطرار .

الخامس : أن هذا إذا ثبت في سائر الواجبات ، فيرتفع النزاع المعنوي . ومن حججهم العقلية أيضاً أن الشيء المركب إذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله ، ولهذا لما صنف الفخر الرازي « مناقب الامام الشافعي » ذكر قوله في الايمان ، وقول الشافعي قول الصحابة والتابعين ، وقد ذكر الشافعي أنه إجماع الصحابة والتابعين ، فاستشكل الرازي قول الشافعي جداً ، لأنه كان قد انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج ، والمعتزلة ، والجهمية ، والكرامية ، وسائر المرجئة ، وهو أن الشيء المركب إذا زال بعض اجزائه لزم زواله كله ، لكن هو لم يذكر الا ظاهر شبهتهم .

قال شيخ الاسلام رحمه الله : والجواب عما ذكره هو سهل ، فانه يسلم له أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت ، لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء . والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون : إن الذنب يقدح في كمال الايمان ، ولهذا نفى الشارع الايمان عن هؤلاء ، فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعاً مع

الذنوب ، لكن يقولون بقي بعضه ، إما أصله وأكثره ، وإما غير ذلك ، فيعود الكلام إلى أنه يذهب بعضه ، ويبقى بعضه . ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفرتها من لفظ الزيادة ، لأنه إذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ، إن كان متعدداً متبعضاً عند من يقول بذلك ، وهم الخوارج ، والمعتزلة . وأما الجهمية فهو واحد عندهم ، لايقبل التعدد ، فيثبتون واحداً لاحقيقة له ، كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب ، ووحدانية صفاته عند من أثبتها منهم . ومن العجب أن الاصل الذي أوقعهم في هذا الاعتقاد ، اعتقادهم أنه لايجتمع في الانسان بعض الايمان ، وبعض الكفر ، او ما هو ايمان ، وما هو كفر ، واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين ، كما ذكر ذلك ابو الحسن وغيره ، فلأجل اعتقادهم هذا الاجماع وقعوا فيما هو مخالف للاجماع الحقيقي ، اجماع السلف الذي ذكر غير واحد من الأئمة ، بل وصرح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم في الايمان . انتهى المقصود من كلامه . وقد بسط رحمه الله الكلام في الايمان ، وكلام الناس فيه ، ومالهم وعليهم في كتاب «الايمان» الكبير ، فمن أراد ذلك فليراجعه ، والله أعلم .

قولـــه : العمران ، يعني أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وهذا من باب التغليب ، كما قالوا : سيرة العمرين .

فصل

في عهود المثبين مع رب العالمين

يا ناصر الاسلام والسنن التي جاءت عن المبعوث بالفرقان
يا من هو الحق المبين وقوله ولقاؤه ورسوله ببيان
اشرح لدينك صدر كل موحد شرحاً ينال به ذرى الايمان
واجعله مؤتماً بوحيك لا بما قد قاله ذو الافك والبهتان
وانصر به حزب الهدى واكبت به حزب الضلال وشيعة الشيطان
وانعش به من قصده إحياؤه واعصمه من كيد امرىء فتان
واضرب بحقك عنق أهل الزيغ والتبديل والتكذيب والطغيان
فوحق نعمتك التي أوليتني وجعلت قلبي واعي القرآن
وكتبت في قلبي متابعة الهدى فقرأت فيه أسطر الايمان
ونشلتني من حب أصحاب الهوى بحبائل من محكم الفرقان
وجعلت شربي المنهل العذب الذي هو رأس ماء الوارد الظمآن
وعصمتني من شرب سفل الماء تحت نجاسة الآراء والأذهان

وحفظتني مما ابتليت به الألى   حكموا عليك بشرعة البهتان
نبذوا كتابك من وراء ظهورهم   وتمسكوا بزخارف الهذيان
وأريتني البدع المضلة كيف يلـ   ـقيها مزخرفة الى الانسان
شيطانه فيظل ينقشها له   نقش المشبه صورة بدهان
فيظنها المغرور حقاً وهي في التـ   ـحقيق مثل الآل في القيعان
لأجاهدن عداك ماأبقيتني   ولأجعلن قتالهم ديداني
ولأفضحنهم على روس الملا   ولأفرين أديمهم بلسان
ولأكشفن سرائراً خفيت على   ضعفاء خلقك منهم ببيان
ولأتبعنهم الى حيث انتهوا   حتى يقال أبعد عبّادان

عبّادان بفتح العين وتشديد الباء الموحدة ، وفيه المثل المعروف : ليس وراء عبادان قرية . في « القاموس » عبادان جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين في بحر فارس . انتهى .

ولأرجمنهم بأعلام الهدى   رجم المريد بثاقب الشهبان
ولأقعدن لهم مراصد كيدهم   ولأحصرنهم بكل مكان
ولأجعلن لحومهم ودماءهم   في يوم نصرك أعظم القربان
ولأحملن عليهم بعساكر   ليست تفر إذا التقى الزحفان
بعساكر الوحيين والفطرات والـ   ـمعقول والمنقول بالاحسان

حتى يبين لمن له عقل من الـــأولى بحكم العقل والبرهان
ولأنصحنّ الله ثم رسوله وكتابه وشرائع الإيمان
إن شاء ربي ذا يكون بحوله أو لم يشأ فالأمر للرحمن

قوله : نقش المشبه صورة بدهان . المشبه : المصور ، أي : كما ينقش المصور الصور المنقوشة في الحيطان بالدهـنات من أحمر ، وأخضر ، وأصفر ونحو ذلك .

قال في « القاموس » النقش : تلوين الشيء بلونين أو ألوان ، كالتنقيش . انتهى . قوله : الآل هو السراب .

قوله : القيعان . قال في « القاموس » القـاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، جمع قيع ، وقيعة ، وقيعان بكسرهن ، وأقواع ، وأقوع . انتهى .

قوله : ولأفرين . قال في « القـــاموس » : فراه يفريه شقه فاسداً أو صـالحاً ، كفراه وأفراه . انتهى . يقال : فلان يفري الفرى ، أي : يعمل العمل البالغ .

قوله : المريد ، مرد كنصر ، وكرم ، مروداً ، ومرادة ، فهو مارد ، ومريد ، ومتمرد : « قاموس » .

فصل

في شهادة أهل الاثبات على أهل التعطيل انه ليس في السماء إله يعبد ولا لله بيننا كلام ولا في القبر رسول الله

إنا تحمّلنا الشهادة بالذي قلتم نؤديها لدى الرحمن
ماعندكم في الأرض قرآن كلا م الله حقاً يا أولي العدوان
كلا ولا فوق السموات العلى رب يطاع بواجب الشكران
كلا ولا في القبر أيضاً عندكم من مرسل والله عند لسان
هاتيك عورات ثلاث قد بدت منكم فغطوها بلا روغان
فالروح عندكم من الأعراض قا ئمة بجسم الحي كالألوان
وكذا صفات الحي قائمة به مشروطة بحياة ذي الجثمان
فاذا انتفت تلك الحياة فينتفي مشروطها بالعقل والبرهان
ورسالة المبعوث مشروط بها كصفاته بالعلم والإيمان
فاذا انتفت تلك الحياة فكل مشـ ـروط بها عدم لدى الاذهان

أقول: رأيت في كتاب « القول المفيد في مدح النظر وذم التقليد » لبعض الشافعية ، ونقلته من خط مصنفه .

قال : قال ابن حزم في كتاب « الملل والنحل » عن الشيخ أبي الحسن الأشعري : إنه يعتقد اذا حاضت الجارية ، أو بلغ الغلام ونبت شعر عانته ولم يعرف الله بالدليل والبرهان ، فكل منهما كافر حلال الدم .

هذا قوله عنه في هذا الكتاب ، وهذا القول في غاية البشاعة ، وما رأيت هذا في كلام أبي الحسن الأشعري . وقد يكون أبو محمد اطلع على مالم أطلع أنا عليه ، فانه لايشك أحد في فضيلته و كثرة علمه ، وانما كان فيه حط على العلماء خصوصاً الأشعري ، فانه ذكر عنه أنه كان يعتقد أن الروح عرض ، وأن الانسان اذا مات لم يبق له وجود ، وسفه ابن حزم هذا الرأي ، وقال: انه يلزم منه خطأ كثير ، وان سائر الأكابر من الخلق ، من الأنبيـــاء ، والأولياء إذا قال أحد : صلى الله عليهم ، أو رحمهم الله ، كان الكلام فاسداً لاطائل فيه ، لأنهم ليسوا موجودين ، فيكون كل الخلق مجمعين على الباطل ، وهذا الكلام مخـــالف للكتاب والسنة ، واستشهد على تزييف هذا القول بآيات من الكتاب العزيز ، وأحاديث صحيحة من السنة . وأما آيات الكتاب ، فقوله تعـالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله) آل عمران : ١٦٩ — ١٧٠ ولا شك أن أبدانهم موتى مشاهدة بالحس ، فالكلام عن أرواحهم . قال تعالى عن آل فرعون : (النار يعرضون عليهـا غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) غافر : ٤٦ ولا شك أن أجسادهم غرقى موات ، وأكل أكثرهم السمك ، وفنوا ، فهو عن ارواحهم . ومتى قال قائل: إن الموات الجماد أو الفاني يدرك أو يحس ، كان هذا الكلام سفسطة ، ويؤيد ذلك ماورد في السنة الشريفة من قوله ﷺ لما وقف على قليب بدر وفيه جثث المشركين « ياأبا جهل بن هشام ، ياعتبة وربيعه ابني شيبة ، يافلان ، يافلان ، قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم مـاوعدكم حقا ؟ » قالوا : يارسول الله ، أتخاطب الجمادات ؟ قال : « إنهم لأسمع منكم ، ولكـن

لا يستطيعون الكلام »[١] وليس ذلك إلا لأرواحهم . وقوله ﷺ في بعض خطبه « حتى إذا حمل الميت على نعشه ، رفرف روحه فوق النعش يقول : ياأهلي ، وياولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال من حله ومن غير حله فالمهنأة لغيري ، والتبعة علي ، فاحذروا ماحل بي » فهذا قول الروح والجسد ميت فوق النعش ، فلو كانت الروح عرضاً لعدمت عند عدم الجسم ، فان العرض يبطل ببطلان الحامل له وهو الجسم ، فمتى كان يرفرف ويتكلم بذلك الكلام والجسم ميت ؟! قال صاحب « القول المفيد » أقول: ومما يشد كلام ابن حزم أنه ﷺ صلى بالأنبياء ليلة الاسراء ، فلا يخلو إما أن يكون صلى بأرواحهم ، أو بأبدانهم ، لاجائز أن يكون بأبدانهم ، فإن الأبدان موتى مدفونين بالأرض ، فبقي أن يكون بأرواحهم . وان كان يقول : ان الله أحياهم على طريق المعجزة للنبي ﷺ وعليهم أجمعين .

فنقول : إما أن يكون استمروا أحياء ، أو عادوا (ماتوا) لا يجوز القول بموتهم ، لقوله تعالى عن أهل السعادة (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) الدخان : ٥٦ فكيف يمكن أن يموت من وصل بهم أهل السعادة الى مرتبة السعادة مرتين ، وغيرهم مرة واحدة ؟! هذا فاسد ، ولا يصح استمرارهم أحياء لقوله ﷺ : « أنا أول من تنشق عنه الأرض »[٢] وقوله عليه السلام : « أنا أول الناس بعثاً يوم القيامة »[٣] فما بقي الا أن يكون صلى بأرواحهم ، والأشعري

---

(١) رواه أحمد والشيخان ، والطبراني وغيرهم بألفاظ متقاربة . وهو حديث صحيح .

(٢) رواه الترمذي بهذا اللفظ ، ورواه مسلم بلفظ « أنا أول من ينشق عنه القبر »

(٣) اورده الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » بلفظ « انا اول الناس خروجاً إذا بعثوا » وقال : رواه الترمذي ورمز له بالضعف .

لايقول بالأرواح على ماذكره عنه ابن حزم ، وأنها عرض ، والعرض يفنى عند فساد الأجسام ، فان العرض وجوده بوجود الجسم ، فاذا فسد الحامل فسد المحمول . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « الجيوش الاسلامية » وهذا القول في النبوة بنـــاء على أصل الجهمية وأفراخهم أن الروح عرض من أعراض البدن ، كالحيـاة ، وصفات الحي مشروطة بها ، فاذا زالت بالموت تبعتها صفاته فزالت بزوالها ، ونجا متأخروهم من هذا الالزام ، وفروا الى القول بحياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم ، فجعلوا لهم معاداً يختص بهم قبل المعـــاد الأكبر ، إذ لم يمكنهم التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت ، وقد أشبعنا الكلام على هذه المسألة واستيفـاء الحجج لهم ، وبيان مافي ذلك في كتاب « الكافية الشافية » انتهى .

ونقل الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب في « طبقات الحنـابلة » ترجمة الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي أنه قال يوماً على المنبر : أهل البدع تقول : ما في السماء أحد ، ولا في المصحف قرآن ، ولا في القبر نبي ، ثلاث عورات لكم . ونقل الحافظ ابن رجب في ترجمة الامام شيخ الاسلام عبدالله ابن محمد الأنصاري الحنبلي عن محمد بن طاهر قال : سمعت أحمد بن أميرجه القلانسي خادم الأنصاري يقول : حضرت مع الشيخ للسلام على الوزير الطوسي وكان أصحابه كلفوه الخروج اليه ؛ وذلك بعد المحنة ورجوعه من بلخ ، فلما دخل عليه أكرمه وأجله ، وكان في العسكر أئمة من الفريقين في ذلك اليوم وقد علموا أنه يحضر ، فاتفقوا جميعاً على أن يسألوه عن مسألة

بين يدي الوزير ، فان أجاب بما يجيب به بـ(هراة) سقط من عين الوزير ، وإن لم يجب سقط من عيون أصحابه وأهل مذهبه ، فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من أصحاب الشافعي ، يعرف بالعلوي الدبوسي ، فقال : يأذن الشيخ الامام أن أسأل مسألة ؟ فقال : سل . فقال : لم تلعن فلاناً ؟ فسكت ، وأطرق الوزير لما علم من جوابه ، فلما كان بعد ساعة قال له الوزير : أجبه . فقال : لا أعرف فلانا ، وانما ألعن من لم يعتقد أن الله عز وجل في السماء وأن القرآن في المصحف ، وان النبي اليوم نبي ، ثم قام وانصرف ، فلم يمكن أحداً أن يتكلم بكلمة من هيبته وصلابته وصولته ، فقال الوزير للسائل ومن معه : هذا أردتم ؟ كنا نسمع أنه يذكر هذا بـ(هراة) ، فاجتهدتم حتى سمعناه بآذاننا ، وما عسى أن أفعل به ، ثم بعث خلفه خلعة وصلة ، فلم يقبلها ، وخرج من فوره الى هراة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه ياكثرة الخلقان
قال الرسول بقبره حي كما قد كان فوق الأرض والرجمان
من فوقه أطباق ذاك الترب واللـ ـبنات قد عرضت على الجدران
لو كان حياً في الضريح حياته قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الأرض بل من فوقها والله هذي سنة الرحمن

أتراه تحت الأرض حياً ثم لا   يفتيهم بشرائع الإيمان
ويريح أمته من الآراء والـــخلف العظيم وسائر البهتان
أم كان حياً عاجزاً عن نطقه   وعن الجواب لسائل لهفان
وعن الحراك فما الحياة اللات قد   أثبتموها أوضحوا ببيان؟

لما ذكر الناظم قول القائلين بأن الروح عرض، والعرض لا يقوم بنفسه، بل لا يقوم إلا بغيره، كالألوان، أي: كما أن الألوان التي هي الأعراض كالحمرة، والصفرة، والخضرة، ونحوها لا تقوم الا بجسم، فاذا كانت الروح عرضاً لا تقوم بغيرها، وفارقت الجسم، بطلت صفات الجسم، والرسالة صفة للرسول ﷺ، فيلزمهم أن الرسول ﷺ لما مات انتفت صفة الرسالة، فلما رأوا شناعة هذا اللازم، فروا الى القول بأن الرسول ﷺ حي في قبره كحياته على وجه الأرض، وهذا معنى قول الناظم: ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه الخ. فاحتج الناظم عليهم بأن الرسول ﷺ لو كان حياً في الضريح كحياته قبل الموات، فأي حاجة إلى دفنه؟ بل يكون فوق الأرض، وهذه سنة الله في الأحياء، وكيف يكون حياً تحت الأرض كحياته على وجهها، ثم لا يفتي أصحابه بالشرائع، ولا يريح أمته من الآراء والاختلافات العظيمة التي حدثت بعده؟! فان كان عاجزاً عن النطق، والجواب، والحركة فما الحياة التي أثبتموها؟

قوله: الرجمان هو جمع رجم بالتحريك وهو القبر.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

هذا ولم لا جاءه أصحابه   يشكون بأس الفاجر الفتان
إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم   حي يشاهدهم شهود عيان

هل جاءكم أثر بأن صحابه سألوه فتياً وهو في الأكون
فأجابهم بجواب حي ناطق فأتوا إذاً بالحق والبرهان
هلا أجابهمُ جواباً شافياً إن كان حياً ناطقاً بلسان
هذا وما شدت ركائبه عن الـ ـحجرات للقاصي من البلدان
مع شدة الحرص العظيم له على إرشادهم بطرائق التبيان
أتراه يشهد رأيهم وخلافهم ويكون للتبيان ذا كتمان

أي : اذا كان حيـاً في قبره كحياته على وجه الأرض ، فلم لم يشك أصحابه إليه بأس الفاجر الفتـان ، يشير الى وقعة الحرة لما قاتلهم مسلم بن عقبة المري ، وقتل من أهـل المدينة من شاء الله ، واستباح المدينة المنورة ثلاثة أيام ، وذلك بأمر الفاجر الفتان يزيد بن معاوية قوله : إذا كان ذاك دأبهم ونبيهم حي يشاهدهم الخ . . أي : أن هذا دأبهم في حياته ﷺ ، انهم كانوا يشكون اليه كما كانوا يشكون اليه إذا نزل بهم القحط ، وغير ذلك .

قوله : هل جاءكم أثر بأن صحابه الخ . . أي : هل جاءكم أثر بان أصحابه استفتوه بعد موته ﷺ فأجابهم بجواب حي ناطق وهو عندهم ﷺ ، هـذا مع شدة حرصه ﷺ على إرشادهم ، كما نعته الله عز وجل بقوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الآية .التوبة : ١٢٨ فهل يجوز أن يقـال بأنه يشاهد اختلافهم ، ويكتم التبيان ، حاشاه من ذلك .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

إن قلتمُ سبق البيان صدقتمُ قد كان بالتكرار ذا إحسان
هذا وكم من أمرٍ اشكل بعده أعني على علماء كل زمان
أو ماترى الفاروق ودّ بأنه قد كان منه العهد ذا تبيان ؟

بالجد في ميراثه وكلالة ... وببعض أبواب الربى الفتان

قد قصر الفاروق عند فريقكم ... إذ لم يسله وهو في الأكفان

أتراهمُ يأتون حول ضريحه ... لسؤال أمهمُ أعز حصان

ونبيهم حي يشاهدهم ويسـ ... ـمعهم ولا يأتي لهم ببيان

أفكان يعجز أن يجيب بقوله ... إن كان حياً داخل البنيان؟

ياقومنا استحيوا من العقلاء والـ ... ـمبعوث بالقرآن والرحمن

والله لاقدر الرسول عرفتمُ ... كلا ولا للنفس والانسان

من كان هذا القدر مبلغ علمه ... فليستتر بالصمت والكتمان

ولقد أبان الله أن رسوله ... ميت كما قد جاء في القرآن

أفجاء أن الله باعثه لنـا ... في القبر قبل قيامة الأبدان؟

أثلاث موتات تكون لرسله ... ولغيرهم من خلقه موتان؟!

إذ عند نفخ الصور لا يبقى امرؤ ... في الأرض حياً قط بالبرهان

أفهل يموت الرسل أم يبقوا إذا ... مات الورى أم هل لكم قولان؟!

فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجيـ ... ـؤوا بالدليل فنحن ذو أذهان

أو لم يقل من قبلكم للرافعي الـ ... أصوات حول القبر بالنكران؟

لا ترفعوا الأصوات حرمة عبده ... ميتاً كحرمته لدى الحيوان

قد كان يمكنهم يقولوا إنه ... حي فغضوا الصوت بالإحسان

لكنهم بالله أعلم منكمُ ورسوله وحقائق الإيمان
ولقد أتوا يوماً الى العباس يستسقون من قحط وجدب زمان
هذا وبينهم وبين نبيهم عرض الجدار وحجرة النسوان
فنبيهم حي ويستسقون غير نبيهم حاشا أولي الإيمان

يقول الناظم : ان قلتم : سبق البيان من الرسول ﷺ ، قلنا ، صدقتم ، لكن يحسن تكرار البيان ، لاسيما لما وقعت تلك الحوادث المهمة والبدع المدلهمة ، فيرشدهم ﷺ الى الصواب ، ويريحهم من تلك الفتن الشديدة الالتهاب ، ﷺ وكم أشكل بعده من الأمور . وفي « الصحيحين » عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : ثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن : الجد ، والكلالة ، وأبواب من الربا » فعلى هذا قد قصر الفاروق رضي الله عنه عندكم ، فلسان حالكم يقول : قصرت ياعمر هلا سألت رسول الله ﷺ ، إذ هو عندك حي ، فهو يجيبك .

قوله : أتراهم يأتون حول ضريحه لسؤال أمهم الخ . . أتراهم بضم التاء أي : أتظنهم يأتون الى أمهم عائشة رضي الله عنها يسألونها ونبيهم حي يشاهدهم ويسمعهم ، ثم لا يسألونه ولا يبين لهم ما أشكل عليهم ؟! هذا محال من أعظم المحالات ، ولهذا قال : ياقومنا استحيوا من العقلاء ، فانكم لم تعرفوا قدر الرسول ، ولا قدر النفس ، ومن كان هذا مبلغ علمه فالصمت أستر له ، والكتمان أولى به .

قوله : ولقد أبان الله أن رسوله الخ . . أي : أن الله سبحانه قال في القرآن (إنك ميت وإنهم ميتون) الزمر : ٣٠ فاذا صح وثبت أن الرسول ﷺ قد مات ، فهل جاء عنه أن الله باعثه في القبر قبل القيامة ؟! فاذا قلتم

بذلك ، فهل يكون للرسل ثلاث موتات ولغيرهم موتتين ؟! وذلك أنه عند النفخ في الصور لا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات ، فاذا كانت الرسل أحياء عند النفخ في الصور ، فهل يموتون ؛ أم يبقون إذا مات الناس ؟ فتكلموا بالعلم لا بالدعوى .

قوله : أعز حصان . بفتح الحاء ؛ أي : عفيفة ، ومنه : أحصنت فرجها ، وأحصنت المرأة ، أي : تزوجت ، وتأتي بمعنى العفة ، والحرية ، والاسلام .

قوله : أو لم يقل من قبلكم الرافعي الأصوات حول القبر بالنكران الى آخر الأبيات .

قوله : من قبلكم بفتح القاف . يشير الى ما رواه القاضي عياض في « الشفاء » من رواية : محمد بن حميد ، قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فان الله تعالى أدب قوماً فقال : (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية الحجرات : ٣ ومدح قوماً فقال : (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية الحجرات : ٣ وذم قوماً فقال : (إن الذي ينادونك) الآية الحجرات : ٤ وان حرمته ميتاً كحرمته حياً ، فاستكان لها أبو جعفر . الى آخر الحكاية .

تنبيه : إنما ذكر الناظم هذه الحكاية في معرض الاحتجاج والالزام ، والا فمحمد بن حميد ضعيف .

وقد أطال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي في « الصارم المنكي » الكلام على هذه الحكاية ، وبيان حال محمد بن حميد . . . الى أن قال : فانظر هذه الحكاية ، وضعفها ، وانقطاعها ، ونكارتها ، وجهالة بعض رواتها ، ومخالفتها لما ثبت عن مالك وغيره من العلماء . انتهى .

قوله : ولقد أتوا يوماً الى العباس يستسقون الخ . . يشير الى مارواه البخاري عن أنس أن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال : اللهم إنا كنـــا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبيك فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون. أفتراهم يعتقدون حياة نبيهم ﷺ كحياته على وجه الأرض؛ ويستسقون بغيره ؟! حاشاهم من ذلك .

فصل

فيما احتجوا على حياة الرسل في القبور

فان احتججتم بالشهيد بأنه — حي كما قد جاء في القرآن
والرسل أكمل حالة منه بلا — شك وهذا ظاهر التبيان
فلذاك كانوا بالحياة أحق من — شهدائنا بالعقل والبرهان
وبأن عقد نكاحه لم ينفسخ — فنساؤه في عصمة وصيان
ولأجل هذا لم يحل لغيره — منهن واحدة مدى الأزمان
أفليس في هذا دليل أنه — حي لمن كانت له أذنان
أو لم ير المختار موسى قائماً — في قبره لصلاة ذي القربان
أفميت يأتي الصلاة وأن ذا — عين المحال وواضح البطلان؟!
أو لم يقل إني أرد على الذي — يأتي بتسليم مع الإحسان؟

أيرد ميتٌ السلام على الذي يأتي به هذا من البهتان
هذا وقد جاء الحديث بأنهم أحياء في الأجداث ذا تبيان
وبأن أعمال العباد عليه تعـــرض دائماً في جمعة يومان
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي قد خص بالفضل العظيم الشان

معنى هذه الأبيات أن القائلين بحياة الرسل في القبور ، احتجوا بأشياء. منها الشهداء ، فانهم أحياء بنص القرآن . كما قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ والرسل أكمل من الشهداء بغير شك ، فهم أحق بالحيـــاة من الشهداء. واحتجوا أيضاً بأن عقد نكاحه ﷺ لم ينفسخ من أزواجه ، وأنهن في عصمته ، ولهذا لم يحل نكاحهن لغيره . واحتجوا أنه ﷺ رأى موسى ليلة المعراج يصلي في قبره[1] وبأنه ﷺ يرد السلام على المسلمين عليه ، كما في قوله ﷺ : « ما من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »[2] واحتجوا أيضاً بالحديث الذي جاء بأنهم أحيـاء في قبورهم . واحتجوا أيضاً

---

(١) يشير بذلك الى الحديث الذي رواه مسلم والنسائي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتيت ليلة أسري بي على موسى قائماً يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر » .

(٢) رواه ابو داود عن ابي هـــريرة رضي الله عنه ، وصححه النووي في « رياض الصالحين » و « الاذكار » .

بأن أعمال العباد تعرض عليه في يوم الخميس ، ويوم الاثنين[١] .

ثم شرع الناظم في الجواب عن حججهم فقال :

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذاك حـــجتنا عليكم وهي ذات بيان
إن الشهيد حياته منصوصة لا بالقياس القائم الأركان
هذا مع النهي المؤكد أننا ندعوه ميتاً ذاك في القرآن
ونساؤه حل لنا من بعده والمال مقسوم على السهمان

---

(١) لقد اشتبه على الشارح حديثان في حديث ، فحديث عرض الأعمال على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر يوم الخميس ويوم الاثنين . ونصه « حياتي خير لكم ، تحدثون ويحدث لكم فاذا انا مت كانت وفاتي خيراً لكم ، تعرض علي اعمالكم ، فان رأيت خيراً حمدت الله ، وإن رايت شراً استغفرت الله لكم » رواه ابن سعد في « الطبقات » عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً ، واورده الحافظ عبد الغني المقدسي في كتاب « فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً من طريقين . ورواه البزار موصولاً ، عن عبد الله بن مسعود . وقال الحافظ الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، فهو حديث ثابت ، وهو مراد الشارح . وحديث عرض الاعمال على الله تعالى الذي فيه ذكر يوم الاثنين ويوم الخميس ، رواه مسلم في « صحيحه » والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه بلفظ « تعرض الاعمال في كل يوم خميس واثنين ، فيغفر الله لكل عبد لايشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين اخيه شحناء ، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا » . وفي رواية « تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس . . . » الحديث .

هذا وإن الأرض تأكل لحمه ... وسباعها مع أمة الديدان
لكنه مع ذاك حي فارح ... مستبشر بكرامة الرحمن
فالرسل أولى بالحياة لديه مع ... موت الجسوم وهذه الأبدان
وهي الطرية في التراب وأكلها ... فهو الحرام عليه بالبرهان
ولبعض أتباع الرسول يكون ذا ... أيضاً وقد وجدوه رأي عيان
فانظر إلى قلب الدليل عليهم ... حرفاً بحرف ظاهر التبيان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى أن دليل القائلين بحياة الأنبياء في قبورهم، هو حجتنا عليهم . ولهذا قال: فيقال: أصل دليلكم في ذاك هو حجتنا عليكم، وهو أن الشهيد ثبتت حياته بالنص، وهو قوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء) آل عمران : ١٦٩

قولـــه : مع النهي المؤكد اننا ندعوه ميتاً . يعني قوله تعـــالى : (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ولكن لا تشعرون) البقرة : ١٥٤ فمع ثبوت حياة الشهيد بالنص لا بالقياس، فنساؤه حل لنا من بعده بالنكاح، وماله مقسوم بالميراث مع هذه الحيـاة، ومع النهي المؤكد عن أن ندعوه ميتاً، والأرض والسباع والديدان تأكل لحمه، ولكنه مع ذلك حي فارح مستبشر بكرامة الله، كما في قوله تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) آل عمران : ١٧٠ فالرسل أولى بالحيـاة مع موت جسومهم وهي طرية في التراب . وقد حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبيـاء، كما في قوله ﷺ : « أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلتها، فان صلاتكم معروضة علي، قـــالوا :

وبين من سواه ، فاخترن الرسول ﷺ ، لصحة إيمانهن ، فشكر الله لهن ذلك ، وقصر رسوله عليهن بقوله : (لا يحل لك النساء من بعد) الأحزاب : ٥٢ رحمة منه بهن وشكراً لهن . وكذلك أيضاً قصرهن عليه ، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة. ولذلك حرم على من سواه بعده ، ولكن مع ذلك لما توفي ﷺ أتين بعدة شرعية والله أعلم .

قـــوله :

هذا ورؤيته الكليم مصلياً ... في قبره أثر عظيم الشان

في القلب منه حسيكة هل قاله ... فالحق ما قد قاله البرهان

ولذاك أعرض في الصحيح محمد[1] ... عنه على عمد بلا نسيان

والدارقطني الإمــام أعله ... براوية معلومة التبيـــان

أنس يقول رأى الكليم مصلياً ... في قبره فاعجب لذا الفرقان

فرواه موقوفاً عليه وليس بالمـــ ... ـــرفوع واشوقاً إلى العرفان

بين السياق إلى السياق تفاوت ... لا تطرحنه فما هما سيان

لكن تقلد مسلماً وسواه مـــ ... ـــن صح هذا عنده ببيان

فرواته الأثبات أعلام الهدى ... حفاظ هذا الدين في الأزمان

لكن هذا ليس مختصاً به ... والله ذو فضل وذو إحسان

فروى ابن حبان الصدوق وغيره ... خبراً صحيحاً عنده ذا شان

---

(١) اي محمد بن اسماعيل البخاري صاحب « الصحيح »

كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي : بليت . فقال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »[١]

قولـــه : ولبعض أتباع الرسول يكون ذا . أي : أن بعض أتباع الرسول يكون كذلك . أي : أن الأرض لا تأكل لحمه ، وقد شوهد ذلك رأي عيان ، أي : رؤي ذلك بعين المشاهدة ، فانظر كيف قلبنا الدليل عليهم حرفاً بحرف ، وهذا ظاهر بحمد الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكن رسول الله خص نساؤه بخصيصة عن سائر النسوان
خيرن بين رسوله وسواه فاخـــترن الرسول لصحة الإيمان
شكر الإله لهن ذاك وربنا سبحانه للعبد ذو شكران
قصر الرسول على أولئك رحمة منه بهن وشكر ذي الإحسان
وكذاك أيضاً قصرهن عليه معــلوم بلا شك ولا حسبان
زوجاته في هذه الدنيا وفي الـــأخرى يقيناً واضح البرهان
فلذا حرمن على سواه بعده إذ ذاك صون عن فراش ثان
لكن أتين بعدة شرعية فيها الحداد وملزم الأوطان

يشير الناظم الى الجواب عن قولهم : إن نساءه ﷺ لم ينفسخ نكاحهن ، وإنهن حرمن على غيره . ووجه ذلك أن الله سبحانه خيرهن بين رسوله ،

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والحاكم وصححه ، ورواه احمد في «المسند» وهو حديث صحيح

فيه صلاة العصر في قبر الذي قد مات وهو محقق الإيمان
فتمثل الشمس التي قد كان ير عاها لأجل صلاة ذي القربان
عند الغروب يخاف فوت صلاته فيقول للملكين هل تدعان
حتى أصلي العصر قبل فواتها قالا ستفعل ذاك بعد الآن
هذا مع الموت المحقق لا الذي حكيت لنا بثبوته القولان

قوله : هذا ورؤيته الكليم مصلياً الخ . . أي : وأما احتجاجهم برؤيته ﷺ موسى عليه السلام يصلي في قبره ، ففيه نظر ، وذلك أن الامام الدارقطني أعله بأنه روي موقوفاً على أنس ، ولذلك أعرض عنه البخاري فلم يروه في «صحيحه» وأما مسلم فرواه موقوفاً وتفرد به عن البخاري ، وعلى تقدير رفعه فليس مختصاً بموسى عليه السلام ، فقد روى ابن حبان وغيره عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « ان الميت اذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه قال : فان كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عن يمينه ، والزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان عند رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه ، فتقول الصلاة : ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام : ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة : ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة ، والصلة ، والمعروف ، والاحسان ، ماقبلي مدخل ، فيقول له : اجلس ، فيجلس وقد مثلت له الشمس وقد دنت للغروب فيقول له : هذا الرجل الذي كان فيكم ماتقول فيه ؟ وما تشهد به عليه ؟ فيقول : دعوني حتى أصلي ، فيقولون : إنك ستصلي ، أخبرنا عما نسألك عنه . . . » الحديث . وقد رواه الامام أحمد في « المسند »[1]

---

(١) ورواه الطبراني في « الاوسط »

وقوله : هذا مع الموت المحقق الخ . أي : أن هذا المذكور في هذا الحديث حقق الموت ، وقد طلب الصلاة وهي في القبر ، والصلاة في القبر ليست مختصة بموسى عليه السلام .

وقوله : لا الذي حكيت بهالقولان . أي : أن صلاة موسى عليه السلام في قبره ليلة المعراج قد روي فيها الحديث ، وتقدم أن الدارقطني أعله بأنه روي موقوفاً على أنس ، ولهذا لم يروه البخاري في « صحيحه » وأما مسلم فرواه مرفوعاً ، فهذا معنى قول الناظم : لا الذي حكيت به القولان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثابت البناني قد دعى الـــرحمن دعوة صادق الايقان

أن لايزال مصلياً في قبره إن كان أعطى ذاك من إنسان

أي : أن ثابت البناني رحمه الله قد دعى الله أن يرزقه الصلاة في قبره كما قال ابن سعد في « الطبقات » وابن أبي شيبة في « المصنف » والإمام أحمد في الزهد معاً ، أخبرنا عفان بن مسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني قال : اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره ، فأعطني الصلاة في قبري . وروى أبو نعيم عن يوسف بن عطية قال : سمعت ثابتاً يقول لحميد الطويل : هل بلغك أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء ؟ قال : لا . قال ثابت : اللهم إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لثابت أن يصلي في قبره . وروي أيضاً عن جبير قال : أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتاً البناني لحده ، ومعي حميد الطويل ، فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة ، فاذا أنا به يصلي في قبره ، وكان يقول في دعائه : اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها ، فما كان الله ليرد دعاءه .

من زار قبر أخ له فأتى بتسليم عليه وهو ذو ايمان
رد الإله عليه حقا روحه حتى يرد عليه رد بيان

يشير إلى ما رواه أبو داود باسناد حسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »(١) ويجاب عنه بأن ذلك ليس خاصاً به ﷺ . فقد روى أبو عمر ابن عبد البر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ « ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام » .

تنبيه : اعلم أن القائلين بحياة الأنبياء في القبور أشكل عليهم قوله ﷺ « إلا رد الله علي روحي » وأجابوا عنه بجوابين : أحدهما : ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي أن المعنى : إلا وقد رد الله علي روحي ، يعني أن النبي ﷺ بعد ما مات ودفن رد الله عليه روحه لأجل سلام من يسلم عليه ، واستمرت في جسده ﷺ .

الجواب الثاني : أنه يحتمل أن يكون رداً معنوياً ، وأن تكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملأ الأعلى عن هذا العالم ، فاذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم لتدرك سلام من يسلم عليه وترد عليه .

والجواب أن في كل واحد من الجوابين نظر ، أما الأول وهو الذي ذكره البيهقي في الجزء الذي جمعه في حياة الأنبياء عليهم السلام بعد وفاتهم ، فمضمونه رد روحه ﷺ بعد موته الى جسده ، واستمرارها فيه قبل سلام من يسلم عليه ، وليس هذا المعنى مذكوراً في الحديث ، ولا هو ظاهره ، بل هو مخالف لظاهره ، فإن قوله : « الا رد الله علي روحي » بعد قوله :

---

(١) قال الامام النووي في « رياض الصالحين » : رواه ابو داود باسناد صحيح .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكنّ رؤيته لموسى ليلة المـــعراج فوق جميع ذي الأكوان
يرويه أصحاب الصحاح جميعهم والقطع موجبه بلا نكران
ولذاك ظن معارضاً لصلاته في قبره إذ ليس يجتمعان
وأجيب عنه بأنه أسري به ليراه ثم مشاهداً بعيـــان
فرآه ثم وفي الضريح وليس ذا بتناقض إذ أمكن الوقتان

أي : أن رؤيته موسى عليه السلام ليلة المعراج في السماء يرويه أصحاب الصحاح جميعهم ، وهو مقطوع بصحته ، ولذلك ظن معارضاً لصلاته في قبره ، ولكن أجيب عنه كما قال الناظم بأنه أسري به ﷺ ليراه هناك ، ورآه أيضاً في الضريح ، وهذا ليس بتناقض ، لأن ذلك ممكن . أي : أن رؤيته في السماء وفي القبر ممكنة ، والله أعلم . وقد قال الناظم في كتاب « الروح » وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى موسى قائماً يصلي في قبره ليلة الاسراء ، ورآه في السماء السادسة أو السابعة ، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه ، وتعلق به بحيث يصلي في قبره ، ويرد سلام من يسلم عليه ، وهي في الرفيق الأعلى ، ولا تنافي بين الأمرين ، فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان ، وهذا جمع حسن ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هـذا ورد نبينـا لسـلام من يأتي بتسليم مع الاحســـان
ماذاك مختصاً بـه أيضـا كما قـد قاله المبعوث بالقـرآن

« ما من أحد يسلم علي » يقتضي رد الروح بعد السلام، ولا يقتضي استمرارها في الجسد . وليعلم أن رد الروح في البدن وعودها الى الجسد بعد الموت لا يقتضي استمرارها فيه ، ولا يستلزم حياة أخرى قبل يوم النشور ، نظير الحياة المعهودة ، بل إعادة الروح الى الجسد في البرزخ إعادة برزخية لا تزيل عن الميت اسم الموت ، وقد ثبت في حديث البراء بن عازب الطويل المشهور في عذاب القبر ونعيمه[١] ، وفي بيان الميت وحاله ، أن روحه تعاد الى جسده مع العلم بأنها غير مستمرة فيه ، وأن هذه الاعادة ليست مستلزمة لإثبات حياة مزيلة لاسم الميت ، بل هي نوع حياة برزخية ، والحياة جنس تحتها أنواع ، وكذلك الموت ، فإثبات بعض أنواع الموت لا ينافي الحياة ، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان إذا استيقظ من النوم قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور »[٢] وتعلق الروح بالبدن واتصالها به يتنوع أنواعاً :

أحدها : تعلقها به في هذا العالم يقظة ومناماً .

الثاني : تعلقها به في البرزخ ، والأموات متفاوتون في ذلك ، فالذي للرسل والأنبياء أكمل مما للشهداء ، ولهذا لا تبلى أجسادهم ، والذي للشهداء أكمل مما لغيرهم من المؤمنين الذين ليسوا بشهداء . والثالث : تعلقها به يوم البعث والنشور في اليوم الآخر . ورد الروح الى البدن في البرزخ ، لا يستلزم الحياة المعهودة ، ومن زعم استلزامه لها لزمه ارتكاب أمور باطلة مخالفة

---

(١) رواه احمد ، وابو داود .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » عن حذيفة وابي ذر ، ومسلم عن ابي البراء ، واصحاب السنن عن حذيفة ولفظ الترمذي « الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد ما أماتها واليه النشور » وقال حديث حسن صحيح .

للحس ، والشرع ، والعقل . وهذا المعنى المذكور في حديث أبي هريرة من رده ﷺ السلام على من يسلم عليه[1] قد ورد نحوه في الرجل يمر بقبر أخيه كما تقدم ، والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وحديث ذكر حياتهم بقبورهم ... لما يصح وظاهر النكران

فانظر الى الاسناد تعرف حاله ... ان كنت ذا علم بهذا الشان

أما حديث حياة الأنبياء في قبورهم ، وهو مارواه أبو يعلى ، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه ، انه ﷺ قال : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » وقد أجاب الناظم عنه بأنه غير صحيح ، ولكن على تقدير صحته ، فلاشك أنه لا يراد بهذه الحياة الحقيقة ، ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها ، من أعمال ، وتكليف ، وعبادة . ونطق ، وغير ذلك ، وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها ، وبحصول الانتقال من هذه الحياة الدنيوية الحقيقية الى تلك الحياة البرزخية ، وهذا معنى قول الناظم :

هذا ونحن نقول هم أحياء لـ ... ـكن عندنا كحياة ذي الأبدان

والترب تحتهم وفوق رؤوسهم ... وعن الشمائل ثم عن أيمان

مثل الذي قد قلتموه معاذنا ... بالله من إفك ومن بهتان

بل عند ربهم تعالى مثلما ... قد قال في الشهداء في القرآن

لكن حياتهم أجل وحالهم ... أعلى وأكمل عند ذي الاحسان

---

(١) هو حديث ابي داود عن ابي هريرة « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » .

عطلتم الأبدان من أرواحها والعرش عطلتم من الرحمن

قوله : هذا وقولي إنها مخلوقة الخ . هـــذه المسألة ذكرها الناظم في كتاب « الروح » وحاصل كلامه أنه قال : أجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أن روح الانسان محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة ، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث ، وأن معاد الأبدان واقع ، وأن الله تعالى وحده الخالق ،و كل ماسواه له ، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهم القرون المفضلة ، وهم على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها ، وأنها مخلوقة ، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة ، فزعم أنها قديمة غير مخلوقة ، واحتج لذلك أنها من أمر الله ، وأمر الله غير مخلوق ، وبأن الله أضافها اليه ، كما أضاف اليه علمه ، وكتابه ، وقدرته ، وسمعه ، وبصره ، ويده . وتوقف آخرون فقالوا : لانقول : مخلوقة ، ولا غير مخلوقة ، وقد سئل عن ذلك حافظ أصبهان أبو عبد الله بن منده فقال : أما بعد فان سائلا سأل عن الروح التي جعلها الله سبحانه قوام أنفس الخلق وأبدانهم ، وذكر أن أقواماً تكلموا في الروح ، وزعموا أنها غير مخلوقة ، وخص بعضهم منها أرواح القدس ، وأنها من ذات الله . قال : وأنا أذكر أقاويل متقدميهم ، وأبين مايخالف أقاويلهم من الكتاب والأثر ، وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم ، وأوضح خطأ المتكلم في الروح بغير علم ، وأن كلامهم يوافق قول جهم بن صفوان وأصحابه ، فذكر أن الناس اختلفوا في معرفة الأرواح ومحلها من النفس . فقال بعضهم : الأرواح كلها مخلوقة . قال : وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر ، واحتجت بقول النبي ﷺ «الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف » رواه الامام أحمد، ومسلم

قوله : لكن عندنا كحياة ذي الأبدان ، هذا موصوف صفة ؛ أي : مثل الذي قد قلتموه . : لانقول بذلك ، معاذالله من ذلك ؛ أي : لانقول كما قلتم : إن حياتهم عندنا كحياتهم على وجه الأرض . نعوذ بالله من إفك ومن بهتان ، بل هم أحياء عند الله كما قال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ لكن حياة أجل وأعلى من حياة الشهداء ، والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وأما عرض أعمال العبا　　د عليه فهو الحقّ ذو إمكان
وأتى به أثر فان صح الحديـــث به فحق ليس ذا نكران
لكنّ هذا ليس مختصاً به　　أيضاً بآثار روين حسان
فعلى أبي الانسان يعرض سعيه　　وعلى أقاربه مع الإخوان
إن كان سعياً صالحاً فرحوا به　　واستبشروا يالذة الفرحان
أو كان سعياً سيئاً حزنوا وقا　　لوا رب راجعه إلى الاحسان
ولذا استعاذ من الصحابة من روى　　هذا الحديث عقيبه بلسان
يارب إني عائذ من خزية　　أخزى بها عند القريب الداني
ذاك الشهيد المرتضى ابن روا　　- المحبوّ بالغفران والرضوان
لكن هذا ذو اختصاص والذي　　للمصطفى ما يعمل الثقلان

يريد ما رواه ابن حبان وغيره، من حديث أوس رضي الله عنه مرفوعاً « أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه

توجه ، أو استشفاع ، أو غير ذلك ، فجميع ذلك من وظائف الألوهية ، فلا يليق جعله لمن يتصف بالعبودية ، ولا ملازمة بين مسألة الحياة ، وبين مسألة الاستغاثة. ومما يقطع به أن أحداً في زمانه ﷺ أو ممن بعده في القرون الثلاثة المشهود لأهلها بالنجاة والصدق – وهم أعلم منا بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب – ما استغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على إزالتها إلا الله سبحانه ، بل كانوا يقصرون الاستغاثة على مالك الأمور ، ولم يعبدوا إلا إياه . ولقد جرت عليهم أمور مهمة ، وشدائد مدلهمة في حياته ﷺ وبعد وفاته ، فهل سمعت عن أحد منهم أنه استغاث بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، أو قالوا : إنا مستغيثون بك يا رسول الله ، أم بلغك أنهم لاذوا بقبره الشريف وهو سيد القبور حين ضاقت منهم الصدور ، كلا لا يمكن لهم ذلك ، بل الأمر بعكس ما هنالك ، فلقد أثنى الله عليهم ورضي عنهم فقال عز من قائل (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الأنفال : ٩ مبيناً سبحانه أن هذه الاستغاثة هي أخص الدعاء وأجل أحوال الالتجاء ، ففي استغاثة المضطرين بغيره تعالى عند كربته تعطيل لتوحيد معاملته الخاصة به .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذي نهايات لأقدام الورى ... في ذا المقام الضنك صعب الشان

والحق فيه ليس تحمله عقو ... ل بني الزمان لغلظة الأذهان

ولجهلهم بالروح مع أحكامها ... وصفاتها للالف بالأبدان

فارض الذي رضي الاله لهم به ... أتريد تنقض حكمة الديان

هل في عقولهم بأن الروح في أعلى الرفيق مقيمة بجنان
وترد أوقات السلام عليه من أتباعه في سائر الأزمان
وكذاك إذ زرت القبور مسلماً ردت لهم أرواحهم للآن
فهم يردون السلام عليك لـكن لست تسمعه بذي الأذنان
هذا وأجواف الطيور الخضر مسكنها لدى الجنات والرضوان
من ليس يحمل عقله هذا فلا تظلمه واعذره على النكران
للروح شأن غير ذي الأجسام لا تهمله شأن الروح أعجب شان
وهو الذي حار الورى فيه فلم يعرفه غير الفرد في الأزمان
هذا وأمر فوق ذا لو قلته بادرت بالانكار والعدوان
فلذاك أمسكت العنان ولو أرى ذاك الرفيق جريت في الميدان

قال الناظم في كتاب « الروح » له مانصه : واما السلام على أهل القبور وخطابهم ، فلا يدل على أن ارواحهم ليست في الجنة ، وأنها على أفنية القبور ، فهذا سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام الذي روحه في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى يسلم عليه عند قبره ، ويرد سلام المسلم عليه ، وقد وافق أبو عمر رحمه الله تعالى على أن أرواح الشهداء في الجنة ، ويسلم عليهم عند قبورهم ، كما يسلم على غيرهم ، كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسلم عليهم ، و كما كان الصحابة يسلمون على شهداء أحد ، وقد ثبت أن أرواحهم في الجنة تسرح حيث شاءت ، كما تقدم ،ولا يضيق عطنك عن كون الروح

الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي » قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (اي بليت) فقال عليه الصلاة والسلام : « ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »[1] وقد أجاب عنه الناظم بأن هذا ليس من خصائصه ﷺ كما روى أحمد ، وابن مندة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات ، فان كان خيراً استبشروا ، وان كان غير ذلك قالوا : اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك » وروى الحكيم الترمذي ، وابن ابي الدنيا في كتاب المنامات ، والبيهقي في « شعب الايمان » عن النعمان بن بشير ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اتقوا الله في إخوانكم من أهل القبور ، فان أعمالكم تعرض عليهم » وروى ابن ابي الدنيا ، والاصبهاني في « الترغيب » عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لاتفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم ، فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور »

قوله : ولذا استعاذ من الصحابة من روى الخ روى ابن المبارك ، والاصبهاني ، عن ابي الدرداء قال : إن أعمالكم تعرض على موتاكم ، فيسرون ويساؤون ، ويقول : اللهم اني أعوذ بك أن أعمل عملا تخزي به عبد الله ابن رواحة ، ولكن يجاب عن ذلك أيضاً بأنه مع ذلك لايجوز ان يطلب منهم شيء ، ولا يسألون شيئاً بعد وفاتهم ، سواء كان بلفظ استغاثة ، أو

---

(١) ورواه ابو داود رقم (١٠٤٧) وسنده صحيح ، ورواه النسائي وابن ماجه ، والدرامي .

في الملأ الأعلى تسرح في الجنة حيث شاءت ، وتسمع سلام المسلم عليها عند قبرها وتدنو حتى ترد عليه السلام ، وللروح شأن آخر غير شأن البدن ، وهذا جبريل صلوات الله وسلامه عليه ، رآه النبي صلى الله عليه وسلم له ستمائة جناح منها جناحان قد سد بهما مابين المشرق والمغرب ، وكان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم يضع ركبتيه ويديه على فخذيه ، وما أظنك يتسع بطانك أنه كان حينئذ في الملأ الأعلى فوق السموات حيث هو مستقره . وقد دنا من النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدنو ، فإن التصديق بهذا له قلوب خلقت له ، وأهلت لمعرفته ، ومن لم يتسع بطانه لهذا فهو أضيق أن يتسع للايمان بالتنزل الإلهي الى سماء الدنيا كل ليلة ، وهو فوق سمواته على عرشه ، لا يكون فوقه شيء البتة ، بل هو العالي على كل شيء ، وعلوه من لوازم ذاته ، وكذلك دنوه عشية عرفة من اهل الموقف ، وكذلك مجيئه يوم القيامة لمحاسبة خلقه ، وإشراق الأرض بنوره ، وكذلك مجيئه الى الأرض حين دحاها وسواها ومدها وبسطها وهيأها لما يراد منها ، وكذلك مجيئه إليها قبل يوم القيامة حين يقبض من عليها ولا يبقى أحد ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « فأصبح ربك يطوف في الأرض » وقد خلت عنه البلاد ، هذا وهو فوق سمواته على عرشه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هـذا وقولي إنهـا مخلوقـة ... وحدوثهـا المعلوم بالبرهـان
هذا وقـولي إنها ليسـت كما ... قد قال أهل الافك والبهتان
لاداخل فينا ولاهي خـارج ... عنـا كما قالوه في الديان
والله لا الرحمن أثبتم ولا ... أرواحكم يامدعي العرفان

وأبو داود ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه البخاري من حديث سلمان الفارسي ، وعبد الله بن عباس ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عنبسة رضي الله عنهم . والجنود المجندة لاتكون إلا مخلوقة وقال بعضهم : الأرواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتجت بقول الله تعالى (قل الروح من أمر ربي) الأسراء : ٨٥

وقال بعضهم : الأرواح نور من نور الله تعالى ، وحياة من حياته ، واحتجوا بقول النبي ﷺ « ان الله خلق خلقه من ظلمة ، ثم القى عليهم من نوره » وتمام الحديث : « فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ، ومن أخطأه ضل » رواه الامام أحمد ، والحاكم ، والترمذي ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه . وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه : تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح ابن آدم ماتأولته النصارى في روح عيسى ، وماتأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله تعالى ، وتقدست أسماؤه ، فصار في المؤمن ، فعبد صنف من النصارى عيسى و مريم جميعاً ، لأن عيسى عندهم روح من الله فصار في مريم ، فهو غير مخلوق عندهم . وقال صنف من الزنادقة ، وصنف من الروافض : ان روح آدم عليه السلام مثل ذلك إنه غير مخلوق ، وتأولوا قوله : (ونفخت فيه من روحي) الحجر : ٢٩ وقوله : (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) السجدة : ٩ فزعموا أن روح ابن آدم ليس بمخلوق ، كما تأول من قال : ان النور من الرب غير مخلوق ، قالوا : ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ، ثم هو في كل نبي ووصي ، الى أن صار في علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، ثم في ابنية الحسن ، والحسين ، رضي الله عنهما ، ثم في كل وصي وإمام فيه يعلم الامام كل شيء ، لايحتاج أن يتعلم من أحد .

قال : ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح في آدم وبنيه ، وعيسى ومن سواه من بني آدم ، كلها مخلوقة، اللهخلقها وأنشأها وكونها ، وأخبر عنها ، ثم أضافها إلى نفسه ، كما أضاف اليه سائر خلقه . قال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) الجاثية : ١٣

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها ، وسائر أهل السنة . وقد حكى إجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين ، مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالاجماع والاختلاف ، وكذلك أبو محمد ابن قتيبة .

قال الناظم في كتاب « الروح » قد تكلم في هذه المسألة طوائف من اكابر العلماء والمشايخ ، وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة ، وصنف الحافظ أبو عبد الله بن منده في ذلك كتاباً كبيراً ، وقبله الامام محمد بن نصر المروزي وغيره ، والشيخ أبو سعيد الخراز ، وأبو يعقوب النهرجوري ، والقاضي أبو يعلى . وقد نص على ذلك الأئمة الكبار ، واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم عليه السلام ، فكيف بروح غيره كما ذكره الامام أحمد رضي الله عنه ، فيما كتبه في محبسه في الرد على الزنادقة والجهمية . انتهى .

قوله: هذا وقولي إنها ليست كما قد قال أهل الافك والبهتان الخ

قال الناظم في كتاب « الروح » في المسألة التاسعة عشرة: لما سئل عن حقيقة الروح ، وهل هي النفس أو غيرها ؟ وذكر مذاهب الناس في ذلك ، قال : وقالت طائفة ليست النفس جسماً ولا عرضاً ، وليست في مكان

ولا لها طول ، ولا عرض ، ولا عمق ، ولا لون ، ولا بعض ، ولاهي في العالم ، ولا خارج العالم ، ولا مجانبة له ، ولا مباينة . وهذا قول المشائين ، وهو الذي حكاه الأشعري عن أرسطاطاليس ، وزعموا أن تعلقها بالبدن لا بالحلول فيه ، ولا بالمجاورة ، ولا بالمساكنة ، ولا بالاتصال ، ولا بالمقابلة ، وانما هو التدبير فقط ، واختار هذا المذهب البوشنجي ، ومحمد بن النعمان الملقب بالمفيد ، والغزالي ، وهو قول ابن سينا وأتباعه ، وهو أردأ المذاهب وأبطلها ، وأبعدها من الصواب ، ثم ذكر على ابطال هذا المذهب نحو مائة وستة عشر دليلاً ، ثم اجاب عن أدلة المنازعين بما ليس هذا موضع ذكره ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقل الاسلام وحصونه جيلا بعد جيل .

لا يفزعنك قراقع وفراقع ... وجماجع عريت عن البرهان
ماعندهم شيء يهولك غير ذا ... ك المنجنيق مقطع الاركان
وهو الذي يدعونه التركيب منـ ... ـصوبا على الاثبات منذ زمان
أرأيت هذا المنجنيق فانهم ... نصبوه تحت معاقل الايمان
بلغت حجارته الحصون فهدت الشـ ... ـرفات واستولت على الجدران

لله كم حصن عليه استولت الـــكفار من ذا المنجنيق الجاني

والله مانصبوه حتى عبروا قصداً على الحصن العظيم الشان

ومن البلية أن قوماً بين أهـــل الحصن واطوهم على العدوان

ورموا به معهم وكان مصاب أهـــل الحصن منهم فوق ذي الكفران

فتركبت من كفرهم ووفاق من في الحصن أنواع من الطغيان

وجرت على الاسلام أعظم محنة من ذين تقديراً من الرحمن

والله لولا أن تدارك دينه الـــرحمن كان كسائر الأديان

لكن أقام له الاله بفضله يزكاً من الأنصار والأعوان

فرموا على ذا المنجنيق صواعقاً وحجارة هدته للأركـــان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الجواب عن شبهتهم العظمى التي بها يصولون وعمدتهم الكبرى التي بها يهولون ، وهي حجة التركيب. قوله : لايفزعنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التأكيد الخفيفة .

قوله : المنجنيق . (آلة ترمى بها الحجارة ، كالمنجنوق معربة ، جمع منجنيقات ، ومجانق ومجانيق ، وقد جنقوا يجنقون ، وجنقوا تجنيقاً)

قوله : معاقل الاسلام (جمع معقل ، وهو الحصن والملجأ ، أي حصون الاسلام)

فاسألهم ماذا الذي يعنون بالـــتركيب فالتركيب ست معان

إحدى معانيه هو التركيب من متباين كتركب الحيوان

من هذه الأعضا كذا أعضاؤه قد ركبت من أربع الأركان

أفلازم ذا للصفات لربنا ... وعلوه من فوق كل مكان
ولعل جاهلكم يقول مباهتاً ... ذا لازم الاثبات بالبرهان
فالبهت عندكم رخيص سعره ... حثواً بلا كيل ولا ميزان

هذا هو المعنى الأول من معاني التركيب ، فان الناظم ذكر أن التركيب ست معان ، وهذا التركيب كما قال الناظم كتركب الحيوان من هذه الأعضاء ، وكذلك تركب الأعضاء من الأركان الأربعة ، وهي الماء والهواء والتراب ، والنار . والرب تعالى موصوف بصفاته العلى ، ولا يلزم هذا التركيب .

وقوله : أفلازم ذا للصفات لربنا ؟ . وهذا استفهام انكار ؛ أي : ليس بلازم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثانيها فتركيب الجوا ... ر وذاك بين اثنين يفترقان
كالجسر والباب الذي تركيبه ... بجواره لمحله من بان
والأول المدعو تركيب امتزا ... ج واختلاط وهو ذو تبيان
أفلازم ذا من ثبوت صفاته ... أيضاً تعالى الله ذو السلطان ؟

هذا هو المعنى الثاني من معاني التركيب ، وهو تركيب الجوار كتركيب الباب على الجسر ، والأول يسمى تركيب امتزاج

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والثالث التركيب من متماثل ... يدعى الجواهر فردة الأركان

هذا هو المعنى الثالث من معاني التركيب ، وهو التركيب من الجواهر المنفردة ، وإثبات ذلك هو قول بعض المتكلمين ، وإنكار ذلك هو قول ابن كلاب وأتباعه ، وهو قول الهشامية ، والنجارية والضرارية ، وبعض الكرامية وستأتي الاشارة الى بطلانه من كلام الناظم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والرابع الجسم المركب من هيو ... لاه وصورته لذي اليونان
فالجسم فهو مركب من ذين عنـــد الفيلسوف وذاك ذو بطلان
ومن الجواهر عند أرباب الكلا ... م وذاك ايضاً واضح البطلان

هذا هو المعنى الرابع من معاني التركيب وهو التركيب من الهيولى والصورة عند الفلاسفة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فالمثبتون الجوهر الفرد الذي ... زعموه أصل الدين والايمان
قالوا بأن الجسم منه مركب ... ولهم خلاف وهو ذو ألوان
هل يمكن التركيب من جزئين أو ... من أربع أو ستة وثمان
أو ست عشرة قد حكاه الأشعريّ لذي مقالات على التبيان
أفلازم ذا من ثبوت صفاته ... وعلوه سبحان ذي السبحان ؟
والحق أن الجسم ليس مركباً ... من ذا ولا هذا هما عدمان
والجوهر الفرد الذي قد أثبتو ... ه ليس ذا أبداً وذا إمكان
لو كان ذلك ثابتاً لزم المحا ... ل لواضح البطلان والبهتان

من أوجه شتى ويعسر نظمها   جداً لأجل صعوبة الأوزان
أتكون خردلة تساوي الطود في الأجزاء في شيء من الأذهان
إذ كان كل منهما أجزاؤه   لاتنتهي بالعد والحسبان
وإذا وضعت الجوهرين وثالثاً   في الوسط وهو الحاجز الوسطان
فلأجله افترقا فلا يتلاقيا   حتى يزول اذاً فيلتقيان
ما مسه إحداهما منه هو الـ   ـممسوس للثاني بلا فرقان
هذا محال أو تقولوا غيره   فهو انقسام واضح التبيان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في إبطال القول بالجوهر الفرد ، مع أن القائلين به من المتكلمين يزعمون أن اثباته هو أصل الدين والإيمان .

قال أبو المعالي الجويني رحمه الله تعالى وغيره : اتفق المسلمون على أن الأجسام تتناهى في تجزئها وانقسامها حتى تصير أفراداً ، ومع هذا فقد شك هو فيه ، وكذلك شك فيه أبو الحسن البصري ، وأبو عبد الله الرازي .

قال شيخ الاسلام : ومعلوم أن هذا القول لم يقله أحد من أئمة المسلمين ، ولا من الصحابة ، ولا التابعين لهم باحسان ، ولا أحد من أئمة العلم المشهورين بين المسلمين . وأول من قال ذلك في الاسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة ، وهذا من الكلام الذي ذمه السلف وعابوه ، ولكن حاكي هذا الاجماع ، لما لم يعرف أصول الدين إلا ما في كتب الكلام ، ولم يجد إلا من يقول بذلك ، اعتقد هذا إجماع المسلمين . والقول بالجوهر الفرد باطل ، والقول بالهيولى والصورة باطل . انتهى كلامه .

قوله : هل يمكن التركيب من جزئين الخ . أي : أن القائلين بالجوهر

الفرد اختلفوا ، هل يمكن تركيب الجسم من جزئين ، أو أربعة ، أو ستة ، أو ثمانية ، أو ستة عشر ، على خلاف بينهم ، حكاه الأشعري في المقالات .

وفي « العقل والنقل » لشيخ الاسلام : من يثبت الجوهر الفرد ويقول بتماثل الاجسام ، وأن ما يحدثه الله تعالى من الحوادث ، انما هو تحويل الجواهر التي هي أجسام من صفة إلى صفة مع بقاء أعيانها ، وينكرون الاستحالة ، وجمهور العقلاء وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم متفقون على بطلان قولهم ، وأن الله تعالى يحدث الأعيان ويبدعها ، وان كان يحيل الجسم الأول الى جرم آخر ، فلا يقولون : ان جرم النطفة باق في بدن الانسان ، ولا جرم النواة باق في النخلة انتهى كلامه .

وقول الناظم : أتكون خردلة تساوي الطود الخ .. أي : أتكون الخردلة التي في غاية الصغر والحقارة تساوي الجبل العظيم ، بجامع أن أجزاء كل منهما لا تنتهي بالحد والحسبان ، هذا في غاية الاحالة . ثم ذكر الناظم دليلاً آخر على بطلان هذا المذهب ، فقال : واذا وضعت الجوهرين وثالثاً الخ .. أي : اذا فرضنا جزءاً بين جزئين ، فاما أن يكون الوسط حاجباً للطرفين عن التماس ، أو لا ، فعلى الأول يكون للوسط طرفان ، بأحدهما يماس أحد الجزئين ، وبالآخر يماس الآخر ، فلا محالة يكون بين جهتيه امتداد قابل للقسمة ولو وهماً ، وكذا يكون للجزئين الطرفين جهتان ، باحداهما يماس كل من ذينك الجزئين الوسط ، وبالآخر يكون فارغاً من لقائه ، فيكونان منقسمين ، وعلى الثاني ، فاما أن يكون الوسط متداخلاً في أحد الطرفين ، أو في كليهما ، فلا يحصل منها حجم ، فلا يتألف منها جسم ، أو لا يكون بين تلك الأجزاء ترتيب ، فلا يتصور منها تركيب ، وللقائلين بإبطال الجوهر الفرد أدلة أخرى على بطلانه ، تركناها اختصاراً ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والخامس التركيب من ذات مع الـ ـأوصاف هذا باصطلاح ثان
سموه تركيباً وذلك وضعهم ما ذاك في عرف ولاقرآن
لسنا نقر بلفظة موضوعة بالاصطلاح لشيعة اليونان
أو من تلقى عنهم من فرقة جهمية ليست بذي عرفان
من وصفه سبحانه بصفاته الـ ـعليا ويترك مقتضى القرآن
والعقل والفطرات أيضاً كلها قبل الفساد ومقتضى البرهان
سموه ما شئتم فليس الشأن في الـ ـأسماء بالألقاب ذات الشان
هل من دليل يقتضي إبطال ذا التـ ـركيب من عقل ومن فرقان
والله لو نشرت شيوخكم لما قدروا عليه لو أتى الثقلان

هذا هو القسم الخامس من أقسام التركيب عندهم ، وهو التركيب من ذات وصفات ، وهذا على اصطلاح اليونان ومن وافقهم من الجهمية ، وهو من أظهر الأمور بطلاناً ، وسيأتي إبطاله في كلام الناظم وقول الناظم : لسنا نقر بلفظة موضوعة الخ .. كذا في جميع ما رأينا من النسخ (نقر) بالقاف من الإقرار ، وصواب اللفظة (نفر) بالفاء أي : ليس نفر بسبب هذا الاصطلاح الذي اصطلحتموه ، من وصفه سبحانه بصفاته العليا ، والجار والمجرور وهو قوله : من وصفه ، متعلق بـ (نفر) والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والسادس التركيب من ماهية ووجودها ما هاهنا شيئان

الا اذا اختلف اعتبارهما فذا   في الذهن والثاني ففي الأعيان
فهناك يعقل كون ذا غيرٌ لذا   فعلى اعتبارهما هما غيران
أما اذا اتحدا اعتباراً كان نفـــس وجودها هو ذاتها لاثان
من قال شيئاً غير ذا كان الذي   قد قاله ضرب من الفعلان
هذا وكم خبط هنا قد زال بالـــتفصيل وهو الأصل في العرفان

هذا هو القسم السادس من أقسام التركيب ، وهو التركيب من الوجود والماهية ، وحاصل كلام الناظم هنا أن الوجود والماهية اذا اختلف اعتبارهما فأخذ أحدهما ذهنياً ، والآخر خارجياً ، فالوجود غير الماهية ، وان أخذا ذهنين ، فالوجود هو الماهية ، وكذا إن أخذا خارجيين ، فالوجود هو الماهية.

قوله : من الفعلان . هو بضم الفاء وإسكان العين ، يعني كلمة في وزن الفعلان ، كالبهتان ، والبطلان ، ونحوهما ، وهذا كما في قول المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة ابن حمدان ، واسمها خولة

كأن فعلة لم تملأ مواكبها   ديار بكر ولم تخلع ولم تهب

وذلك أن المتنبي لم يصرح باسمها استعظاماً لكونها ملكة ، بل كنى عن اسمها بفعلة ، فلفظ (فعلة) حكمها حكم موزونها ، ممتنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، فكذا فعلة ممتنع . قـــال ابن جني : كنى بفعلة عن اسمها ، واسمها خولة

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وابن الخطيب وحزبه من بعده   لم يهتدوا لمواقع الفرقان
بل خبطوا نقلاً وبحثاً أوجبا   شكاً لكل ملدد حيران

هل ذات رب العالمين وجوده　　أم غيره فهما إذاً شيئان
فيكون تركيباً محالاً ذاك إن　　قلنا به فيصير ذا إمكان
وإذا نفينا ذاك صار وجوده　　كالمطلق الموجود في الأذهان
وحكوا أقاويلاً ثلاثاً ذينك الـ　　أعلى وبين وجود ذي الإمكان
وسطوا عليها كلها بالنقض والـ　　إبطال والتشكيك للانسان

قوله : ابن الخطيب : يعني الفخر الرازي ، هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي ، العلامة سلطان المتكلمين ، صاحب التصانيف أبو عبد الله القرشي ، البكري ، التميمي ، الطبرستاني الأصل ، ثم الرازي ، ابن خطيبها المفسر ، امام وقته في العلوم العقلية ، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى : الفخر ابن الخطيب صاحب التصانيف ، رأس في الذكاء ، والعقليات ، ولكنه عري من الآثار ، وله تشكيكات على مسائل من أصول الدين تورث حيرة . وقال الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » مثل ما ذكرنا عن الذهبي في شأنه ، وزاد أنه كان يقول مع تبحره في الأصول : من التزم دين العجائز فهو الفائز ، وكان يعاب ايراد الشبه الشديدة ، ويقصر في حلها ، حتى قال بعض المغاربة : يورد الشبهة نقداً ، ويحلها نسيئة ، وقد ذكره ابن دحية ، فمدح وذم ، وذكره ابو شامة ، فحكى عنه أشياء رديئة ، وذكر النجم الطوفي في « الاكسير في علم التفسير » ما ملخصه : ما رأيت في التفاسير أجمع لغالب علم التفسير من القرطبي ، ومن تفسير الامام فخر الدين ، إلا أنه كثير العيوب ، فحدثني شرف الدين النصيبي عن شيخه سراج الدين السرمساجي المغربي ، أنه صنف كتاب « المأخذ » في مجلدين ، بين فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف والبهرج ،

وكان ينقم عليه كثيراً . ويقول : يورد شبه المخالفين في المذهب والدين ، على غاية مايكون من التحقيق ، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهن . قال الطوفي : ولعمري إن هذا دأبه في كتبه الكلامية ، حتى اتهمه بعض الناس ، ولكنه خلاف ظاهر حاله ، لأنه لو كان اختار قولاً أو مذهباً ، ما كان عنده من يخاف منه حتى يستتر عنه ، ولعل سببه أنه كان يستفرغ قواه في تقرير دليل الخصم ، فاذا انتهى الى تقرير دليل نفسه ؛ لا يبقى عنده شيء من القوى ، ولا شك أن القوى النفسانية تابعة للقوى البدنية ، وقد صرح في مقدمة « نهاية العقول » أنه يقرر مذهب خصمه تقريراً لو أراد خصمه أن يقرره لم يقدر على الزيادة على ذلك . وذكر ابن خليل السكوني في كتاب « الرد على الكشاف » أن الامام الرازي ابن الخطيب قال في كتبه في الأصول . إن مذهب الجبر هو المذهب الصحيح . وقال في تفسير قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) الأنفال : ٢٤ كلاماً يدل على أن مذهب الجبر هو الحق . حيث قال : وقد دللنا بالبراهين العقلية على صحة أن الأمر كذلك ، أي : العبد مجبور . نعوذ بالله من أمثال ذلك . وقال بصحة بقاء الأعراض ، وبنفي صفات الله الحقيقية ، وزعم أنها مجرد نسب وإضافات ، كقول الفلاسفة ، وسلك طريق أرسطو في دليل التمانع ، ونقل عن تلميذه التاج الأرموي أنه نظر في كلامه فهجره الى مصر ، وهموا به ، فاستتر . ونقل عنه أنه قال : عندي كذا وكذا مائة شبهة على القول بحدوث العالم ، ومنها ماقاله شيخه ابن الخطيب في آخر الأربعين ، والمتكلم يستدل على القدم بوجوب تأخر الفعل ، والفيلسوف يدل على قدمه باستحالة تعطل الفاعل عن أفعاله ، ثم أسند عن ابن الطباخ أن الفخر كان شيعياً يقدم محبة أهل البيت كمحبة الشيعة ، حتى قال في بعض تصانيفه : وكان علي

شجاعاً ، بخلاف غيره ، وعاب عليه تسميته لتفسيره «مفاتيح الغيب» ، ومختصره في المنطق : «الآيات البينات» ، وتقريره لتلامذته في وصفه بأنه الامام المجتبى أستاذ الدنيا ، أفضل العالم ، فخر بني آدم ، حجة الله على الخلق ، صدر صدور العرب والعجم ، هذا آخر كلامه ، وقد مات الفخر سنة ست وستمائة بمدينة (هراة) وأوصى بوصية تدل على أنه حسن اعتقاده . انتهى عبارة «اللسان» .
ومما قال فيه : إن له كتاب « السر المكتوم في مخاطبة النجوم » سحر صريح فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى .

قلت : ولد في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة . وقيل : سنة ثلاث ، واشتغل أولاً على والده ضياء الدين عمر ، وهو من تلامذة البغوي ، على الكمال السمناني ، والمجد الجيلي صاحب محمد بن يحيى ، وأتقن علوماً كثيرة ، وبرز فيها وساد ، وقصده الطلبة من سائر البلاد ، وصنف في فنون كثيرة ، وكان له مجلس كبير في الوعظ ، يحضره الخاص والعام ، ويلحق فيه حال ووجد ، وجرت بينه وبين جماعة من الكرامية مخاصمات وفتن ، وأوذي بسببهم ، وكان ينال منهم في مجلسه ، وينالون منه . وكان إذا ركب مشى حوله نحو ثلاثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم . وقيل : كان يحفظ « الشامل » لإمام الحرمين في الكلام ، وندم على دخوله في الكلام . وروي عنه أنه قال : لقد اختبرت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فلم أجدها تروي غليلا ، ولا تشفي عليلا ، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في التنزيه (والله الغني وأنتم الفقراء) محمد : ٣٨ وقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) الشورى : ١١ و (قل هو الله أحد) واقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥٠ (إليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ واقرأ في أن الكل من عند الله (قل كل من عند الله) النساء : ٧٨ ثم قال :

وأقول من صميم القلب ، ومن داخل الروح : إني مقر بأن كل ماهو الأفضل الأعظم الأجل ، فهو لك ، وكل ماهو عيب أو نقص ، فأنت منزه عنه » وكانت وفاته بـ (هراة) يوم عيد الفطر ، سنة ست وستمائة . قال أبو شامة : وبلغني أنه خلف من الذهب ثمانين ألف دينار سوى الدواب والعقار وغير ذلك .

ومن تصانيفه التفسير الكبير لم يتمه في اثني عشر مجلداً كباراً ، أسماه « مفاتيح الغيب » وكتاب « المحصول » و « المنتخب » وكتاب « الاربعين » و « نهاية العقول » و « التبيـــان » و « البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان » « المباحث العمادية في المطالب المعادية » « تأسيس التقديس في تأويل الصفات » « إرشاد النظار الى لطائف الاسرار » « المعالم في أصول الدين » « المعالم في أصول الفقه » « شرح أسماء الله الحسنى » « شرح الاشارات » « الملخص في الفلسفة » ويقال : إنه شرح نصف « الوجيز » للغزالي ، وشرح « سقط الزند » للمعري . وله طريقة في الخلاف ، وشرح « كليات القـــانون » وصنف في « مناقب الشافعي » رضي الله عنه ، الى غير ذلك ، ورزق السعادة في مصنفاته حتى انتشرت في الآفاق ، وأقبل الناس على الاشتغال بها .

وذلك أن الفخر الرازي وأتباعه حكوا للناس في وجود الرب تعالى ثلاثة أقوال : أحدها : أن الوجود مقول بالاشتراك اللفظي فقط . والثاني : أن وجود الواجب زائد على ماهيته . والثالث : أنه وجود مطلق ليس له حقيقة غير الوجود المشروط بسلب كل ماهية ثبوتية .

قال شيخ الاسلام : فيقال لهم : الأقوال الثلاثة باطلة ، والقول الحق ليس واحداً من الثلاثة ، وانما أصل الغلط هو توهمهم أنا اذا قلنا : إن الوجود ينقسم الى واجب ، وممكن ، لزم أن يكون في الخارج وجود هو نفسه في الواجب ، وهو نفسه في الممكن ، وهذا غلط ، فليس في الخارج بين الموجودين

شيء هو نفسه فيها ، ولكن لفظ الوجود ومعناه الذي في الذهن ، والخط الذي يدل على اللفظ يتناول الموجودين ، ويعمها ، وهما يشتركان فيه ، فشمول معنى الوجود الذي في الذهن لها ، كشمول لفظ الوجود . والخط الذي يكتب به هذا اللفظ لها ، فهما مشتركان في هذا ، فأما نفس مايوجد في الخارج ، فانما يشتبهان فيه من بعض الوجوه ، فاما أن تكون نفس هذا وصفته فيها شيء من ذات هذا وصفته ، فهذا مما يعلم فساده كل من تصوره ، ومن توقف فيه فلعدم تصوره له . وحينئذ فالقول في اسم الوجود كالقول في اسم الذات ، والعين ، والماهية ، والنفس ، والحقيقة ، وكما أن الحقيقة تنقسم الى حقيقة واجبة ، وحقيقة ممكنة ، وكذلك لفظ الماهية ، ولفظ الذات ، ونحو ذلك ، ، فكذلك لفظ الوجود . فاذا قلنا : إن الحقيقة ، أو الماهية ، تنقسم الى واجبة ، وممكنة ، لم يلزم أن تكون ماهية الواجب فيها شيء من ماهية الممكن ، فكذلك اذا قيل : الوجود ينقسم الى واجب ، وممكن ، لم يلزم أن يكون الوجود الواجب فيه شيء من وجود غيره ، بل ليس فيه وجود مطلق ، ولا ماهية مطلقة ، بل ماهيته هي حقيقته وهي وجوده . واذا كان المخلوق المعين وجوده الذي في الخارج هو نفس ذاته وحقيقته ، وماهيته التي في الخارج ليس فيه من الخارج شيئان ، فالخالق تعالى أولى أن تكون حقيقته هي وجوده الثابت الذي لايشركه فيه أحد ، وهو نفس ماهيته التي هي حقيقته الثابتة في نفس الأمر . ولو قدر أن الوجود المشترك بين الواجب والممكن موجود فيهما في الخارج ، وأن الحيوانية المشتركة هي بعينها في الناطق والأعجم ، كان يميز أحدهما عن الآخر بوجود خاص ، كما يتميز الانسان بحيوانية تخصه ، وكما أن السواد والبياض اذا اشتركا في مسمى اللون تميز أحدهما بلونه الخاص عن الآخر وهؤلاء ،

الضالون يجعلون الواحد اثنين ، والاثنين واحداً ، فيجعلون هذه الصفة هي هذه الصفة ، ويجعلون الصفة هي الموصوف ، فيجعلون الاثنين واحداً ، كما قالوا : إن العلم هو القدرة ، وهو الارادة ، والعلم هو العالم ، ويجعلون الواحد اثنين ، كما يجعلون الشيء المعين الذي هو هذا الانسان هو عدة جواهر : انسان ، وحيوان ، وناطق ، وحساس ، ومتحرك بالارادة ، ويجعلون كلاً من هذه الجواهر غير الآخر . ومعلوم أنه جوهر واحد ، له صفات متعددة ، وكما يفرقون بين المادة ، والصورة ، ويجعلونها جوهرين عقليين قائمين بأنفسهما ، وانما المعقول هو قيام الصفات بالموصوفات ، والأعراض بالجواهر ، كالصورة الصناعية ، مثل صورة الخاتم ، والدرهم ، والسرير ، والثوب ، فانه عرض قائم بجوهر ، هو الفضة ، والخشب ، والغزل . وكذلك الاتصال ، والانفصال ، قائمان بمحل هو الجسم ، وهكذا يجعلون الصورة الذهنية ثابتة في الخارج ، كقولهم في المجردات المفارقات للمادة ، وليس معهم مايثبت أنه مفارق ، إلا النفس النـاطقة اذا فارقت البدن بالموت ، والمجردات هي الكليات التي تجردها النفس من الأعيان المشخصة ، فيرجع الأمر الى النفس وما يقوم بها ، ويجعلون الموجود في الخـــارج هو الموجود في الذهن ، كما يجعلون الوجود الواجب هو الوجود المطلق ، فهذه الأمور من أصول ضلالهم ، حيث جعلوا مافي الخارج في الذهن ، ولزم من ذلك أن يجعلوا الثابت منتفياً ، والمنتفي ثابتاً ، فهذه الأمور من أجنـاس ضلالهم ، وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

حتى أتى من أرض أمدا آخراً ثور كبير بل حقير الشان

قال الصواب الوقف في ذا كله   والشك فيه ظاهر التبيان
هذا قصاري بحثه وعلومه   إن شك في الله العظيم الشان

الآمدي : هو أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن سالم الثعلبي ، سيف الدين ولد بآمد سنة ٥٥١ قرأ على مشايخ بلده القراآت ، وحفظ كتاباً على مذهب أحمد بن حنبل ، وبقي على ذلك مدة ، فكان في أول اشتغاله حنبلي المذهب ، انتقل الى مذهب الشافعي ، ثم رحل الى العراق ، وأقام في الطلب مدة ببغداد ، وحصل علم الجدل ، والخلاف ، والمناظرة ، ثم انتقل الى الشام ، واشتغل بفنون المعقول ، وحفظ منه الكثير ، وتمهر فيه ، ولم يكن في زمانه أحفظ منه لهذه العلوم ، وصنف في أصول الدين ، والمنطق ، والحكمة ، والخلاف . وكل تصانيفه مفيدة ، وكان قد أخذ علوم الأوائل من نصارى الكرخ ، ويهودها ، فاتهم لذلك في عقيدته ، ففر الى مصر خوفاً من الفقهاء سنة ٥٩٣ وناظر بها وحاضر ، وأظهر تصانيف في علوم الأوائل ، تعصبوا عليه فخرج من القاهرة مستخفياً ، ثم استوطن حماة أو دمشق ، وتولى بها التدريس ومات فيها سنة ٦٣١ . ومن مصنفاته « الماهر في علوم الأوائل والأواخر » خمس مجلدات ، وكتاب « أبكار الأفكار في أصول الدين » أربع مجلدات ، وكتاب « دقائق الحقائق » في الفلسفة ، وقد دفن في سفح قاسيون ، وكانت ولادته سنة ٥٥١ والآمدي نسبة الى آمد ، وهي مدينة كبيرة في ديار بكر ، مجاورة لبلاد الروم .

قوله : آخراً . هو بكسر الخاء ، أي : آخر الأمر . أي أن الآمدي توقف في هذه المسألة ، ولم أطلع أنا على كلامه في هذه المسألة ، والله أعلم .

قـــال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في أحكام هذه التراكيب الستة

فالأولان حقيقة التركيب لا　　تعدوهما في اللفظ والأذهان
وكذلك الاعيان أيضاً إنما الـــتركيب فيها ذانك النوعان

أي : الأولان اللذان هما تركيب الامتزاج والاختلاط ، وتركيب الجواد أي : التركيب حقيقة في هذين النوعين .

قال الناظم رحمه الله تعالى .

والأوسطان هما اللذان تنازع الـــعقلاء في تركيب ذي الجثمان
ولهم أقاويل ثلاث قد حكيـــناها وبينا أتم بيـان

ولهم أقاويل ثلاث قد حكيناها وبيناها أتم بيان ؛ أي : التركيب من الجواهر المنفردة ، ومن المادة والصورة

والآخران هما اللذان عليهما　　دارت رحى الحرب التي تريان
أنتم جعلتم وصفه سبحانه　　بعلوه من فوق ذي الأكوان
وصفاته العليا التي ثبتت له　　بالنقل والمعقول ذي البرهان
من جملة التركيب ثم نفيتمُ　　مضمونها من غير ما برهـان

فجعلتم المرقاة للتعطيل هـذا الاصطلاح وذا من العدوان
لكن إذا قيل اصطلاح حادث لاحجر في هذا على إنسان
فنقول نفيكم بهذا الاصطلاح صفاته هو أبطل البطلان
وكذاك نفيكم به لعلوه فوق السماء وفوق كل مكان
وكذاك نفيكم به لكلامه بالوحي كالتوراة والقرآن
وكذاك نفيكم لرؤيتنا له يوم المعاد كما يرى القمران
وكذاك نفيكم لسائر ماأتى في النقل من وصف بغير معان
كالوجه واليد والاصابع والذي أبداً يسوؤكم بلا كتمان
وبودكم لو لم يقله ربنا ورسوله المبعوث بالبرهان
وبودكم والله لما قاله أن ليس يدخل مسمع الانسان
قام الدليل على استناد الكون أجمعه الى خلاقه الرحمن
ماقام قط على انتفاء صفاته وعلوه من فوق ذي الأكوان
هو واحد في وصفه وعلوه ماللورى رب سواه ثان
فلأي معنى يجحدون علوه وصفاته بالفشر والهذيان
هذا وما المحذور الا إن يقال مع الإله لنا إله ثان
أو أن يعطل عن صفات كماله هذان محذوران محظوران
أما إذا ماقيل رب واحد أوصافه أربت على الحسبان

وهو القديم فلم يزل بصفاته   متوحداً بل دائم الإحسان

أي : لا محذور في إثبات صفات الكمال لله سبحانه ، وإنه واحد لم يزل بصفاته إلهاً واحداً ، وانما المحذور أن يجعل مع الله إله آخر وتعطل صفات كماله ، فهذان كما قال الناظم : محذوران محظوران .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فبأي برهان نفيتم ذا وقلـــتم ليس هذا قط في الامكان

فلئن زعمتم أنه نقص فذا   بهت فما في ذاك من نقصان

النقص في أمرين سلب كماله   أو شركه بالواحد الرحمن

أتكون أوصاف الكمال نقيصة   في أي عقل ذاك أم قرآن !؟

إن الكمال بكثرة الأوصاف لا   في سلبها ذا واضح البرهان

ما النقص غير السلب حسب وكل نقـص أصله سلب ، هذا واضح التبيان

فالجهل سلب العلم وهو نقيصة   والظلم سلب العدل والاحسان

متنقص الرحمن سالب وصفه   حقاً تعالى الله عن نقصان

وكذا الثناء عليه ذكر صفاته   والحمد والتمجيد كل أوان

ولذاك أعلم خلقه أدراهم   بصفاته من جاء بالقرآن

وله صفات ليس يحصيها سوا   ه من ملائكة ولا انســان

ولذاك يثني في القيامة ساجدا   لما يراه المصطفى بعيــان

بثناء حمد لم يكن في هذه الـــدنيا ليحصيه مدى الازمان

وثناؤه بصفاته لا بالسـلو ب كما يقول العادم العرفان

حاصل هذه الأبيات أنكم أيها المعطلة ، لماذا نفيتم الصفات ؟ فان زعمتم أنها نقص ، فهذا كذب وبهت ، وانما النقص في أمرين : اما سلب الكمال ، أو إثبات شريك لله تعالى ، وأما أوصاف الكمال ، فحاشا أن تكون نقصاً ، والكمال بكثرة الأوصاف لا في سلبها ، اذ السلب المحض لا كمال فيه ، الا إذا تضمن تنزيهاً عن نقص ، كما في سلب النوم ، والسنة ، واللغوب[1] والطعم عنه تعالى وتقدس .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والعقل دل على انتهاء الكون أجـــمعه الى رب عظيم الشـــان

وثبوت أوصاف الكمال لذاته لا يقتضي إبطال ذا البرهـان

والكون يشهد أن خالقه تعا لى ذو الكمال ودائم السلطان

وكذاك يشهد أنه سبحانه فوق الوجود وفوق كل مكان

وكذاك يشهد أنه سبحانه الـــمعبود لا شيء من الاكوان

وكذاك يشهد أنه سبحانه ذو حكمة في غاية الاتقان

وكذاك يشهد أنه ذو قدرة حي عليم دائم الاحسان

وكذاك يشهد أنه الفعال حـــقاً كل يوم ربنا في شان

وكذاك يشهد أنه المختار في أَفعاله حقاً بلا نكران

(١) اللغوب : التعب والأعياء .

وكذاك يشهد أنه الحي الذي ما للممات عليه من سلطان
وكذاك يشهد أنه القيوم قا م بنفسه ومقيم ذي الاكوان
وكذاك يشهد أنه ذو رحمة وإرادة ومحبة وحنان
وكذاك يشهد أنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن
وكذاك يشهد أنه سبحانه الـخلاق باعث هذه الأبدان
لاتجعلوه شاهداً بالزور والـتعطيل تلك شهادة البطلان
واذا تأملت الوجود رأيته إن لم تكن من زمرة العميان
بشهادة الاثبات حقاً قائم لله لابشهادة النكران
وكذاك رسل الله شاهدة به أيضاً فسل عنهم عليم زمان
وكذاك كتب الله شاهدة به أيضاً فهذا محكم القرآن
وكذلك الفطر التي ماغيرت عن أصل خلقتها بأمر ثان
وكذا العقول المستنيرات التي فيها مصابيح الهدى الرباني
أترون أناتاركو ذا كله لشهادة الجهمي واليونان
هذي الشهود فان طلبتم شاهداً من غيرها سيقوم بعد زمان
إذ ينجلي هذا الغبار فيظهر الـحق المبين مشاهداً بعيان

هذه الأبيات واضحة بحمد الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاذا نفيتم ذا وقلتم إنه ملزوم تركيب فمن يلحاني
إن قلت لاعقل ولا سمع لكم وصرخت فيما بينكم بأذان
هل يجعل الملزوم عين اللازم الـ ـمنفي هذا بيّن البطلان
فالشيء ليس لنفسه ينفي لدى عقل سليم ياذوو العرفان
قلتم نفينا وصفه وعلوه من خشية التركيب والامكان
لو كان موصوفاً لكان مركباً فالوصف والتركيب متحدان
أو كان فوق العرش كان مركباً فالفوق والتركيب متفقان
فنفيتم التركيب بالتركيب مع تغيير إحدى اللفظتين بثان
بل صورة البرهان أصبح شكلها شكلاً عقيماً ليس ذا برهان
لو كان موصوفاً لكان كذاك مو صوفاً وهذا حاصل البرهان
فاذا جعلتم لفظة التركيب بالـ ـمعنى الصحيح امارة البطلان
جئنا الى المعنى فخلصناه منـ ـها واطّرحناها اطّراح مهان
هي لفظة مقبوحة بدعية مذمومة منا بكل لسان
واللفظ بالتوحيد نجعله مكا ن اللفظ بالتركيب في التبيان
واللفظ بالتوحيد اولى بالصفا ت وبالعلو لمن له أذنان

هذا هو التوحيد عند الرسل لا أصحاب جهم شيعة الكفران

أي . أن الفلاسفة والجهمية يقولون : إن اثبات الصفات يلزم منه التركيب .

قال الناظم : فاذا نفيتم الصفات ، وقلتم إنه ملزوم التركيب ، فكيف تجعلون الملزوم الذي هو إثبات الصفات عين اللازم الذي هو إثبات الصفات ، فصار المعنى إثبات الصفات ، يستلزم إثبات الصفات ، فيجب نفسه ، فهم على هذا نفوا التركيب بالتركيب ، فاذا نفوا التركيب بكونه تركيباً ، ففيه إبطال الشيء بنفسه ، وهو محال ، فان الشيء لا ينفيه عينه ،

قال الناظم : بل صورة البرهان أصبح شكلها شكلاً عقيماً ليس ذا برهان

وحاصل ما أبطلوا به إثبات الصفات ، بأن المعنى لو كان موصوفاً ، لكان موصوفاً ، فتأمل قوله : فاذا جعلتم لفظة التركيب الخ . أي : إذا جعلتم لفظة التركيب إمارة البطلان خلصنا المعنى الصحيح منها ، واطرحنا تلك اللفظة ، وهي لفظة التركيب ، لأنها لفظة مقبوحة بدعية مذمومة ، وأبدلنا ، وكأنها التوحيد ، لأنه أولى بالصفات وبالعلو ، وهذا هو التوحيد عند الرسل وأتباعهم ، لا أصحاب جهم شيعة الكفران ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة المعطلين

فاسمع إذاً أنواعه هي خمسة قد حصلت أقسامها ببيان

توحيد أتباع ابن سينا وهو منسوب لآرسطو من اليونان
ما للاله لديهم ماهية غير الوجود المطلق الواجدان
مسلوب أوصاف الكمال جميعها لكن وجود حسب ليس بفان
ما إن له ذات سوى نفس الوجو د المطلق المسلوب كل معان
فلذاك لا سمع ولا بصر ولا علم ولا قول من الرحمن
ولذاك قالوا ليس ثم مشيئة وإرادة لوجود ذي الأكوان
بل تلك لازمة له بالذات لم تنفك عنه قط في الأزمان
ما اختار شيئاً قط يفعله ولا هذا له أبداً بذي إمكان
وبنوا على هذا استحالة خرق ذا الـ أفلاك يوم قيامة الأبدان
ولذاك قالوا ليس يعلم قط شيئاً ما من الموجود في الأعيان
لا يعلم الأفلاك كم أعدادها وكذا النجوم وذانك القمران
بل ليس يسمع صوت كل مصوت كلا وليس يراه رأي عيان
بل ليس يعلم حالة الانسان تفـ ـصيلا من الطاعات والعصيان
كلا ولا علم له بتساقط الـ أوراق أو بمنابت الأغصان
علماً على التفصيل هذا عندهم عين المحال ولازم الامكان
بل نفس آدم عندهم عين المحا ل ولم يكن في سالف الأزمان

مازال نوع الناس موجوداً ولا يفنى كذاك الدهر والملوان
هذا هو التوحيد عند فريقهم مثل ابن سينا والنصير الثاني
قالوا وألجأنا الى ذا خشية الـ تركيب والتجسيم ذي البطلان
ولذاك قلنا ماله سمع ولا بصر ولا علم فكيف يدان ؟
وكذاك قلنا ليس فوق العرش إلا المستحيل وليس ذا إمكان
جسم على جسم كلا الجسمين محـ دود يكون كلاهما صنوان
فبذاك حقاً صرحوا في كتبهم وهم الفحول أئمة الكفران
ليسوا مخانيث الوجود فلا إلى الـ كفران ينحازوا ولا الايمان
والشرك عندهم ثبوت الذات والـ أوصاف إذ يبقى هناك اثنان
غير الوجود فصار ثم ثلاثة فلذا نفينا اثنين بالبرهان
نفي الوجود فلا يضاف اليه شي ء غيره فيصير ذا امكان

قال الناظم : في « الصواعق »(١) في بيان توحيد الفلاسفة : هو انكار ماهية الرب الزائد على وجوده ، وانكار صفات كماله ، وأنه لاسمع له ، ولا بصر ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا ارادة ، ولا كلام ، ولا وجه ، ولا يدين ، وليس فيه معنيان يتميز أحدهما عن الآخر البتة ، قالوا : لأنه لو كان كذلك لكان مركباً ، وكان جسماً مؤلفاً ، ولم يكن واحداً من كل وجه ، فجعلوه من جنس الجوهر الفرد الذي لا يحس ولا يرى ،

(١) هو « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة »

ولا يتميز منه جانب عن جانب ، بل الجوهر الفرد يمكن وجوده ، وهذا الواحدالذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده ، وقالوا : لو كان له صفة ، أو كلام ، أو مشيئة ، أو علم ، أو حياة ، أو قدرة ، أو سمع ، أو بصر ، لم يكن واحداً ، وكان مركباً مؤلفاً ، فسموا أعظم التعطيل بأحسن الأسماء ، وهو التوحيد ، وسموا أصح الأشياء ، وأحقها بالثبوت وهو صفات الرب بأقبح الأسماء ، وهو التركيب والتأليف ، فتولد من بين هـذه التسمية الصحيحة للمعنى الباطل جحد حقائق أسماء الرب وصفاته ، بل وجحد ماهيته وذاته ، وتكذيب رسله ، ونشأ من نشأ على اصطلاحهم ، مع إعراضه عن استفادة الهدى والحق من الوحي ، فلم يعرف سوى الباطل الذي اصطلحوا عليه ، فجعلوه أصلاً لدينه ، فلما رأى ماجاءت به الرسل يعارضه ، قال : إذا تعارض العقل والنقل ، قدم العقل . انتهى كلامه

قوله : بل نفس آدم عندهم عين المحال ؛ أي : أن نوع الانسان لم يزل ولا يزال ، فلا بداية له ، ولا نهاية ، فلم يوجد آدم فضلاً عن أن يكون النوع الانساني نسلاً له .

قـــوله : والشرك عندهم ثبوت الذات والأوصاف الخ ؛ أي : أنهم يقولون : إذا أثبتنا ذاتاً وصفات ، ووجوداً ، لزم التركيب ، فلهذا نفينا اثنين بالبرهان ، فيبقى الوجود فقط ، فوجود الرب عندهم وجود مطلق ، كما تقدم ذلك في كلام الناظم ، والله أعلم .

فصل

في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الالحاد

هذا وثانيها فتوحيد ابن سبـــــعين وشيعته أولي البهتان
كل اتحادي خبيث عنده معبوده موطوؤه الحقان
توحيدهم إن الاله هو الوجو د المطلق المثبوت في الأعيان
هو عينها لاغيرها ماهاهنا رب وعبد كيف يفترقان
لكن وهم العبد ثم خياله في ذي المظاهر دائماً يلجان
فلذاك حكمها عليه نافذ فابن الطبيعة ظاهر النقصان
فاذا تجرد علمه عن حسه وخياله بل ثم تجريدان
تجريده عن عقله أيضاً فان العقل لايدنيه من ذا الشان
بل يخرق الحجب الكثيفة كلها وهما وحساً ثم عقل وان
فالوهم منه وحسه وخياله والعلم والمعقول في الأذهان
حجب على ذا الشان فاخرقها والا كنت محجوباً عن العرفان
هذا وأكثفها حجاب الحس والـــــمعقول ذانك صاحب الفرقان
فهناك صرت موحداً حقاً ترى هذا الوجود حقيقة الديان

والشرك عندهم فتنويع الوجو ... د وقولنا إن الوجود اثنان
واحتج يوماً بالكتاب عليهم ... شخص فقالوا الشرك في القرآن
لكنما التوحيد عند القائلـ ... ـين بالاتحاد فهم أولو العرفان
رب وعبد كيف ذاك وانما الـ ... ـموجود فرد ماله من ثان

هذا هو النوع الثاني من انواع التوحيد للملحدين، وهو توحيد الوجودية القائلين بوحدة الوجود ، لعنهم الله تعالى، وقد بينا مذاهبهم عند ذكر ركبهم في أول هذا النظم ، ونشير الى ذلك هنا بعض الاشارة ، فالتوحيد عندهم كما قال الناظم :[1] إن الاله هو الوجود المطلق الثبوت في الأعيان ، وإنه عينها لا غيرها ، وإنه ليس ثم عبد ورب ، بل الرب هو العبد ، والعبد هو الرب ، كما قال صاحب « الفتوحات المكية » في أولها :

الرب حق والعبد حق ... ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت ... أو قلت رب أنى يكلف ؟

قالوا : ولكن الوهم والخيال يلجآن دائماً في المظاهر ، فاذا تجرد الانسان عن العلم ، والعقل ، والحس ، والوهم ، والخيال ، حصل له هذا العرفان ، وأكثفها حجاب الحس والمعقول ، فاذا خرق هذه الحجب ، صار موحداً حقاً يرى هذا الوجود حقيقة الديان ، تعالى الله عن إفك الزائغين والملحدين علواً كبيراً ،

قوله : واحتج يوماً بالكتاب عليهم الخ . . الذي قال هذا الكلام ، هو

(١) أي : حاكياً مقالتهم .

العفيف التلمساني ، لعنه الله تعالى . فقد ذكر شيخ الاسلام ، والذهبي وغيرهما عنه أنه لما قرأ عليه « الفصوص » قيل له : القرآن يخالف فصوصكم . فقال: القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد في كلامنا . فقيل له : فما بال نكاح البنت والأخت والأم حرام ? فقال . هو عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام ، فقلنا: حرام عليكم ، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه . والشرك عند هؤلاء ، هو تنويع الوجود ، وأن يقال : الوجود اثنان .

فصل

في النوع الثالث من أنواع التوحيد لأهل الاتحاد

هذا وثالثها هو التوحيد عند الجهم تعطيل بلا إيمان
نفي الصفات مع العلو كذاك نفي كلامه بالوحي والقرآن
فالعرش ليس عليه شيء بتة لكنه خلو من الرحمن
ما فوقه رب يطاع ولا عليه للورى من خالق رحمن
بل حظ عرش الرب عند فريقهم منه كحظ الأسفل التحتاني
فهو المعطل عن نعوت كماله وعن الكلام وعن جميع معان
وانظر الى ما قد حكينا عنه في مبدا القصيد حكاية التبيان

هذا هو التوحيد عندفريقهم   تلو الفحول مقدمي البهتان
والشرك عندهم فاثبات الصفا   ت لربنا ونهاية الكفران
إن كان شركاً ذا وكل الرسل قد   جاؤوا به ياخيبة الانسان

هذا وثالثها هو التوحيد عند الجهم تعطيل بلا إيمان

وقد تقدم شرح مذهبهم وأتباعه في الصفات والعلو والقرآن بما أغنى عن إعادته في اول هذا النظم .

فصل

في النوع الرابع من أنواعه

هذا ورابعها فتوحيد لدى   جبريّهم هو غاية العرفان
العبد ميت ماله فعل ولـ   ـكن ماترى هو فعل ذي السلطان
والله فاعل فعلنا من طاعة   ومن الفسوق وسائر العصيان
هي فعل رب العالمين حقيقة   ليست بفعل قط للانسان
فالعبد ميت وهو مجبور على   أفعاله كالميت في الأكفان
وهو الملوم على فعال إلهه   فيه وداخل جاحم النيران
ياويحة المسكين مظلوم يرى   في صورة العبد الظلوم الجاني
لكن نقول بأنه هو ظالم   في نفسه أدباً مع الرحمن

هذا هو التوحيد عند فريقهم　　من كل جبري خبيث جنان
والكل عند غلاتهم طاعاتنا　　ما ثم في التحقيق من عصيان
والشرك عندهم اعتقادك فاعلاً　　غير الإله المالك الديان
فانظر إلى التوحيد عند القوم ما　　فيه من الإشراك والكفران
ما عندهم والله شيء غيره　　هاتيك كتبهم بكل مكان
أترى أبا جهل وشيعته رؤوا　　من خالق ثان لذي الأكوان
أم كلهم جمعا أقروا أنه　　هو وحده الخلاق للانسان
فاذا ادعيتم أن هذا غاية التـــوحيد صار الشرك ذا بطلان
فالناس كلهم أقروا أنه　　هو وحده الخلاق ليس اثنان
إلا المجوس فانهم قالوا بأن الشرك خالقه　　إله ثان

وقد تقدم الكلام في ذلك أول هذا الشرح بما أغنى عن الاعادة

فصل

في توحيد الانبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطلين

فاسمع إذاً توحيد رسل الله ثــــم اجعله داخل كفة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر أيها　　أولى لدى الميزان بالرجحان

توحيدهم نوعان قولي وفعـــلي كلا نوعيه ذو برهان
فالأول القولي ذو نوعين أيـــضاً في كتاب الله موجودان
إحداهما سلب ذا نوعان أيـــضاً في كتاب الله مذكوران
سلب النقائص والعيوب جميعها عنه هما نوعان معقولان
سلب لمتصل ومنفصل هما نوعان معروفان أما الثاني

شرع الناظم رحمه الله في بيان توحيد الأنبياء والمرسلين ، وذكر أنه نوعان ، قولي ، وفعلي . ثم ذكر أن القولي نوعان أيضاً في القرآن أحدهما : سلب وهو نوعان أيضاً : سلب النقـــائص والعيوب ، وهو نوعان أيضاً أحدهما : سلب النقائص والعيوب المتصلة ، والثاني : سلب النقائص والعيوب المنفصلة . وأشار بقوله : أما الثاني الى سلب النقائص والعيوب المنفصلة ، فقال .

سلب الشريك مع الظهير مع الـــشفيع بدون إذن المالك الديان

وهذا كما في قوله تعالى (قل ادعوا الذي زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) سبأ : ٢٢ ، ٢٣ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك سلب الزوج والولد الذي نسبوا اليه عابدو الصلبان
وكذاك نفي الكفء أيضاً والولي لنا سوى الرحمن ذي الغفران

اي : ومن العيوب المنفصلة سلب الزوج عنه تعالى ، والولد . أما نفي الزوج والولد ، ففي قوله تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) الأنعام : ١٠١ ونفي الولد ، كما في قوله تعالى :

(وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) الآية التوبة : ٣٠
وقال تعالى : (ولم يكن له كفواً أحد) الاخلاص : ١ وأما نفي الولي ففي قوله تعالى :
(أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي . . .) الشورى : ٩ .

ثم أشار الناظم الى سلب النقائص والعيوب المتصلة بقوله :

والأول التنزيه للرحمن عن وصف العيوب وكل ذي نقصان
كالموت والإعياء والتعب الذي ينفي اقتدار الخالق المنان
والنوم والسنة التي هي أصله وعزوب شيء عنه في الأكوان
وكذلك العبث الذى تنفيه حكـمته وحمد الله ذي الاتقان
وكذاك ترك الخلق إهمالاً سدى لا يبعثون الى معاد ثان
كلا ولا أمر ولا نهي عليـهم من إله قادر ديان
وكذاك ظلم عباده وهو الغني فماله والظلم للانسان
وكذاك غفلته تعالى وهو علاّم الغيوب فظاهر البطلان
وكذلك النسيان جل إلهنا لا يعتريه قط من نسيان
وكذاك حاجته الى طعم ورزق وهو رزاق بلا حسبان

وذلك ظاهر في كتاب الله تعالى . أما سلب الموت ففي قوله تعالى :
(وتوكل على الحي الذي لا يموت ...) الفرقان : ٥٨ الآية . وأما الإعياء
والتعب ، ففي قوله (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام
وما مسنا من لغوب) فاطر : ٣٥ وهو التعب والاعياء . وأما النوم والسنة
ففي قوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة : ٢٥٥ والعبث كما في قوله

تعالى: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينالاترجعون) المؤمنون : ١١٥ واما ترك الخلق هملا ففي قوله تعالى : (أيحسب الانسان أن يترك سدى) القيامة : ٣٦ وأما نفي الظلم ففي قوله تعالى : (إن الله لايظلم الناس شيئاً) يونس : ١١٥ الآية وفي قوله تعالى: (ان الله لايظلم مثقال ذرة) النساء : ٤٠ وأما نفي النسيان والغفلة ففي قوله تعالى: (وما كان ربك نسياً) مريم : ٦٤ وأما نفي الطعم ففي قوله تعالى : (قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم) الأنعام : ١٤ وفي قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الذاريات : ٥٦ - ٥٨ .

ثم أشار الناظم الى النوع الثاني من نوعي السلب فقال :

هذا وثاني نوعي السلب الذي   هو أول الأنواع في الأوزان

أي : في قوله في اول الفصل إحداهما : سلب وذا نوعان . فذكر الأول ، وهو سلب النقائص والعيوب ، ثم ذكر الثاني بقوله : هذا وثاني نوعي السلب الخ . . .

تنزيه أوصاف الكمال له عن التـ   ـشبيه والتمثيل والنكران

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا   ان المشبه عابد الأوثان

كلا ولا نخليه من أوصافه   إن المعطل عابد البهتان

من مثّل الله العظيم بخلقه   فهو النسيب لمشرك نصراني

أو عطل الرحمن من أوصافه   فهو الكفور وليس ذا إيمان

هذا هو الثاني من نوعي السلب ، وهو تنزيه صفات الرب تعالى التي

وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله عن التشبيه والتمثيل ، وعن التحريف والتعطيل ، بل ثبتت إثباتاً بلا تشبيه ، وينزه تنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال نعيم ابن حماد الخزاعي : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ماوصف الله به نفسه ، ولا ماوصفه رسوله به تشبيهاً .

قوله: فهو النسيب الخ . قال في « القاموس » النسب ، والنسبة بالكسر: القرابة ، والمناسبة : المشاكلة . انتهى. والمراد هنا المشاكلة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في النوع الثاني من النوع الأول ، وهو الثبوت

أي : من نوعي التوحيد القولي الذي ذكره أول الفصل

هذا ومن توحيدهم إثبات أو   صاف الكمال لربنا الرحمن
كعلوه سبحانه فوق السموات العلى بل فوق كل مكان
فهو العليّ بذاته سبحانه   إذ يستحيل خلاف ذا ببيان
وهو الذي حقاً على العرش استوى   قد قام بالتدبير للأكوان
حي مريد قادر متكلم   ذو رحمة وإرادة وحنان
هو أول هو آخر هو ظاهر   هو باطن هي أربع بوزان

ماقبله شيء كذا مابعده شيء تعالى الله ذو السلطان
مافوقه شيء كذا مادونه شيء وذا تفسير ذي البرهان
فانظر إلى تفسيره بتدبر وتبصر وتعقل لمعان
وانظر إلى مافيه من أنواع معـــرفة لخالقنا العظيم الشان
وهو العلي فكل أنواع العلـــوّ له فثابتة له بلا نكران

تقدم الكلام على معاني هذه الأبيات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو العظيم بكل معنى يوجب التـــعظيم لايحصيه من إنسان
وهو الجليل فكل أوصاف الجلا ل له محققة بلا بطلان
وهو الجميل على الحقيقة كيف لا وجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل فربها أولى وأجدر عند ذي العرفان
فجماله بالذات والأوصاف والأفعال والأسماء بالبرهان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذه الفصول كثيراً من أسماء الرب سبحانه ، وقد أفرد العلماء للكلام على معانيها مصنفات معروفة ، ككتاب «الكلام على أسماء الله الحسنى» للناظم و « الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى » للشيخ أبي عبد الله القرطبي ، والإمام أبي حامد الغزالي ، و « شرح الأسماء الحسنى » للحليمي ، و « شرح أسماء الله الحسنى » لأبي حكيم ابن برجان ، و « شرح أسماء الله الحسنى » للحافظ أبي بكر البيهقي ، وغيرهم .

لا شيء يشبه ذاته وصفاته سبحانه عن إفك ذي البهتان
وهو المجيد صفاته أوصاف تعظيم فشأن الوصف أعظم شان
وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والداني
وهو البصير يرى دبيب النملة الـ سوداء تحت الصخر والصوان
ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عروق بياضها بعيان
ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان
وهو العليم أحاط علماً بالذي في الكون من سر ومن اعلان
وبكل شيء علمه سبحانه فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غداً وما قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان كيـ ف يكون ذاك الأمر ذا إمكان

فصل

وهو الحميد فكل حمد واقع أو كان مفروضاً مدى الأزمان
ملأ الوجود جميعه ونظيره من غير ما عدّ ولا حسبان
هو أهله سبحانه وبحمده كل المحامد وصف ذي الاحسان

قال الناظم رحمه الله في « بدائع الفوائد » تنبيهات : الاول : مايجري صفة أو خبراً على الرب تبارك وتعالى أقسام : أحدها : مايرجع الى نفس الذات ؛ كقولك : ذات ، ووجود ، وشيء . الثاني : مايرجع الى صفات معنوية ، كالعليم ، والقدير ، والسميع ، والبصير . الثالث : مايرجع الى أفعاله نحو الخالق ، والرازق . الرابع : مايرجع الى التنزيه المحض ، ولا بد من تضمنه ثبوتاً ، اذ لا كمال في العدم المحض ، كالقدوس ، السلام . الخامس : مادل على جملة أوصاف عديدة لاتختص بصفة معينة ، بل هو دال على معان ، نحو المجيد ، العظيم ، الصمد ، فان المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ، ولفظه يدل على هذا ، فانه موضوع للسعة ، والكثرة ، والزيادة . ومنه قولهم : في كل شجرة نار ، واستمجد المرخ ، والعفار ، وأمجد الناقة علفاً . ومنه : رب العرش المجيد ، لسعة العرش ، وعظمته . والعظيم : من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال ، وكذلك الصمد . السادس : صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قدر زائد على مفرديهما ، نحو الغني ، العفو ، القدير ، الحميد ، المجيد ، ونحو ذلك ، فان الغني من صفات الكمال ، والحمد كذلك ، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غناه ، وثناء من حمده ، وثناء من اجتماعهما ، وكذلك نظائرها . وأما صفات السلب المحض ، فلا تدخل في أوصافه تعالى ، الا أن تكون متضمنة لثبوت ، كالأحد المتضمن لسلامته من كل نقص ، وبراءته من كل مايضاد كماله ، وكذلك الاخبار عنه بالسلوب ، إنما هو لتضمنها ثبوتاً ، كقوله تعالى : (لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة : ٢٥٥ فانه متضمن لكمال حياته وقيوميته ، وكذلك قوله (وما مسنا من لغوب) فاطر : ٣٥ متضمن لكمال قدرته ، وكذلك قوله (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في

الأرض ولا في السماء) يونس : ٦١ متضمن لكمال علمه ، ونظائر ذلك . الثاني : يجب أن يعلم مايدخل في باب الاخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته ، كالشيء ، والموجود ، والقائم بنفسه ، فان هذا يخبر به عنه ، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العلى. الثالث : أسماؤه الحسنى أعلام وأوصاف ، فالوصف فيها لا ينافي العلمية ، وهذا بخلاف أوصاف العباد، ثم إن الاسم من أسمائه له دلالات : دلالة على الذات ، والصفة بالمطابقة ، ودلالة على احداهما بالتضمن ، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم ، ولأسمائه الحسنى اعتباران : أحدهما : من حيث الذات . والثاني : من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة ، وبالاعتبار الثاني متباينة . انتهى كلامه . وهو كلام نفيس جداً ، آثرت نقله لنفاسته .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وهو المكلم عبده موسى بتكـــليم الخطاب وقبله الأبوان

كلماته جلّت عن الاحصاء والتـــعداد بل عن حصر ذي الحسبان

لو أن أشجار البلاد جميعها الـــأقلام تكتبها بكل بنان

والبحر تلقى فيه سبعة أبحر لكتابة الكلمات كل زمان

نفدت ولم تنفد بها كلماته ليس الكلام من الاله بفان

وهو القدير وليس يعجزه اذا ... مارام شيئاً قط ذو سلطان

وهو القوي له القوي جمعاً تعـــالى رب ذي الأكوان والأزمان

وهو الغني بذاته فغناه ذا ... تي له كالجود والاحسان

وهو العزيز فلن يرام جنابه ... أنى يرام جناب ذي السلطان؟!

وهو العزيز القاهر الغلاب لم ... يغلبه شيء هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وصفه ... فالعز حينئذ ثلاث معان

وهي التي كملت له سبحانه ... من كل وجه عادم النقصان

قد شرح الناظم رحمه الله جميع هذه الأبيات في نفس النظم بما هو واضح.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو الحكيم وذاك من أوصافه ... نوعان أيضاً ما هما عدمان

حكم وأحكام فكل منهما ... نوعان أيضاً ثابتا البرهان

والحكم شرعي وكوني ولا ... يتلازمان وما هما سيان

بل ذاك يوجد دون هذا مفرداً ... والعكس أيضاً ثم يجتمعان

لن يخلو المربوب من إحداهما ... أو منهما بل ليس ينتفيان

لكنما الشرعي محبوب له ... أبداً ولن يخلو من الأكوان

هو أمره الديني جاءت رسله ... بقيامه في سائر الأزمان

لكنما الكوني فهو قضاؤه ... في خلقه بالعدل والإحسان

هو كله حق وعدل ذو رضى   والشأن في المقضي كل الشان

فلذاك نرضى بالقضاء ونسخط الـ   ـمقضي حين يكون بالعصيان

فالله يرضى بالقضاء ويسخط الـ   ـمقضي ما الأمران متحدان

فقضاؤه صفة به قامت وما الـ   ـمقضي الا صنعة الإنسان

والكون محبوب ومبغوض له   وكلاهما بمشيئة الرحمن

هذا البيان يزيل لبساً طالما   هلكت عليه الناس كل زمان

ويحل ما قد عقّدوا بأصولهم   وبحوثهم فافهمه فهم بيان

من وافق الكوني وافق سخطه   أفلم يوافق طاعة الديان !؟

فلذاك لا يعدوه ذم أو فوا   ت الحمد مع أجر ومع رضوان

وموافق الديني لا يعدوه أجـ   ـر بل له عند الصواب اثنان

حاصل ما ذكره الناظم في هذه الأبيات أن الحكيم من أوصافه سبحانه، وأن ذاك نوعان: أحدهما: حكم. والثاني: أحكام. ثم ذكر أن الحكم شرعي، وكوني، وأنهما لا يتلازمان، وهذا لا يتمشى على أصول من يجعل محبة الرب ورضاه ومشيئته واحدة، فان من قال: كل ما شاءه الله تعالى وقضاه فقد أحبه ورضيه، لا يحسن منه ولا عنده هـذا التفصيل، كما لا يخفى. وأيضاً هذا إنما يصح عند من جعل القضاء غير المقضي، والفعل غير المفعول، وهو مذهب السلف. وأما من لم يفرق بينهما، فكيف يصح هذا عنده ؟!

قال الناظم في « شرح منازل السائرين »[1] إنما نشأ الاشكال من جعلهم

---

(١) وهو المعروف بـ « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ».

المشيئة نفس المحبة ، ثم زادوه بجعلهم الفعل نفس المفعول ، والقضاء عين المقضي ، فنشأ من ذلك إلزامهم بكونه تعالى راضياً محباً لذلك ، والتزم رضاهم به ، والذي يكشف هذه الغمة ، وينجي من هذه الورطة ، التفريق بين ما فرق الله بينه ، وهو المشيئة والمحبة ، فليسا واحداً ، ولا هما متلازمان ، بل قد يشاء ما لا يحبه ، ويحب ما لا يشاء كونه ، فالأول كمشيئته وجود إبليس وجنوده ، ومشيئته العامة لجميع ما في الكون ، مع بغضه لبعضه . والثاني : كمحبة إيمان الكفار ، وطاعات الفجار ، وعدل الظالمين ، وتوبة الفاسقين ، ولو شاء ذلك لوجد كله ، فانه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

فاذا تقرر هذا الأصل أن الفعل غير المفعول ، والقضاء غير المقضي ، وأن الله جل شأنه لم يأمر عباده بالرضى بكل ما خلقه وشاءه ، وقد زالت الشبهات ، وانحلت الاشكالات . إذا عرف هذا ، فالرضى بالقضاء الديني الشرعي واجب ، وهو أساس الاسلام ، وقاعدة الايمان ، فيجب على العبد أن يكون راضياً به بلا حرج ، ولا منازعة ، ولا معارضة ، ولا اعتراض . قال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء : ٦٥ فأقسم تعالى أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ، ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه ، ويسلموا لحكمه ، وهذا حقيقة الرضى بحكمه ، فالتحكيم في مقام الاسلام ، وانتفاء الحرج في مقام الايمان ، والتسليم في مقام الإحسان . ومتى خالطت القلب بشاشة الايمان ، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين ، وحيي بروح الوحي ، وتمهدت طبيعته ، وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة ، وتلقى الاسلام بصدر منشرح ، فقد رضي كل الرضى بهذا القضاء المحبوب لله ورسوله . انتهى

وقد أحببت أن أذكر هنا الأبيات التي أظهرها بعض الزنادقة على لسان بعض أهل الذمة ، وبعض جواب شيخ الاسلام عنها ، وقد ذكرها الحافظ محمد ابن عبد الهادي في « مناقب الشيخ » وذكرها ابن السبكي فى « طبقاته »

قال ابن السبكي في ترجمة الشيخ علاء الدين الباجي : ولما ظهر السؤال الذي أظهره بعض المعتزلة ، وكتم اسمه ، وجعله على لسان بعض أهل الذمة ، وهو:

أيا علماء الدين ذمّيُ دينكم تحيّر دلّوه بأوضح حجة
إذا ماقضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضهُ مني فما وجه حيلتي
دعاني وسد الباب عني فهل إلى دخولي سبيل بينوا لي قضيتي؟
قضا بضلالي ثم قال ارض بالقضا فما أنا راض بالذي فيه شقوتي
فإن كنت بالمقضي ياقوم راضياً فربي لا يرضى بشؤم شكيتي
وهل لي رضى ماليس يرضاه سيدي؟ فقد حرت دلوني على كشف حيرتي
إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة فهل أنا عاص في اتباع المشيئة
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين علتي

قال : أجاب الشيخ علاء الدين الباجي الشافعي فقال :

أيا عالماً أبدى دلائل حيرة يروم اهتداء من أهيْل فضيلة
لقد سرني أن كنت للحق طالباً عسى نفحة للحق من سحب رحمة
فبالحق نيل الحق فالجأ ببابه كأهل النهى واترك حبائل حيلة
قضى الله قدماً بالضلالة والهدى بقدرة فعال بأحكم حكمة

إذا العقل بل تحسينه بعض خلقه　　وليس على الخلاق حكم الخليقة
وأفعالنا من خلقه كذواتنا　　وما فيها خلق لنا بالحقيقة
ولكنه أجرى على الخلق خلقه　　دليل على تلك الأمور القديمه
عرفنا به أهل السعادة والشقا　　كما شاءه فينا بمحض المشيئة
لباس أثواب جعلن أمارة　　على حالتي حب وسخط لرؤية
تصاريفه فينا تصاريف مالك　　سما عن سؤال الكيف والسببية
أمات وأحيى ثم صار معافيا　　وقبح تحسين العقول الضعيفة
فكن راضياً نفس القضاء ولاتكن　　بمقضي كفر راضياً ذا خطيئة
وتكليفنا بالأمر والنهي قاطع　　بأعذارنا في يوم بعث البرية
فعبر بسد أو بفتح وعد عن　　ضلالة تشكيك بأوضح حجة
وقد بان وجه الأمر والنهي واضحاً　　ولاشك فيه بل ولا وهم شبهة

قلت : هذا الجواب مبني على إنكار التحسين والتقبيح العقليين ، كما هو مذهب الأشاعرة ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، وأهل الحديث ، وغيرهم .

وأجاب شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فقال :

سؤالك يا هذا سؤال معاند　　تخاصم رب العرش باري البرية
وهذا سؤال خاصم الملأ العلى　　قديماً به إبليس أصل البلية

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة ... هو الخوض في فعل الاله بعلة
فان جميع الكون أوجب فعله ... مشيئة رب العرش باري الخليقة
وذات إله الخلق واجبة بما ... لها من صفات واجبات قديمة
فقولك لمْ قد شاء مثل سؤال من ... يقول فلمْ قد كان في الأزلية؟
وذاك سؤال يبطل العقل وجهه ... وتحريمه قد جاء في كل شرعة
وفي الكون تخصيص كثير يدل من ... له نوع عقل أنه بارادة
وإصداره عن واحد بعد واحد ... أو القول بالتجويز رمية حيرة
ولا ريب في تعليق كل مسبب ... بما قبله من علة موجبية
بل الشأن في الاسباب أسباب ما ترى ... وإصدارها عن حكم محض المشيئة
وقولك لمْ شاء الاله هو الذي ... أزلّ عقول الخلق في قعر حفرة
فان المجوس القائلين بخالق ... لنفع ورب مبدع للمضرة
سؤالهمُ عن علة الشر أوقعت ... رؤوسهم(١) في شبهة المثنوية
وإن ملاحيد الفلاسفة الألى ... يقولون بالفعل القديم بعلة
بغوا علة للكون بعد انعدامه ... فلم يجدوا ذا كم فضلوا بضلة
وإن مبادي الشر في كل أمة ... ذوي ملة ميمونة نبــــوية
بخوضهمُ في ذا كمُ صار شركهم ... وجاء دروس البينات لفترة
ويكفيك نقضاً أن ما قد سألته ... من العذر مردود لدى كل فطرة

---

(١) في الأصل: أوائلهم.

وهبك كففت اللوم عن كل كافر وكل غوي خارج عن محجة
فيلزمك الإعراض عن كل ظالم من الناس في نفس ومال وحرمة
فلا تغضبنْ يوماً على سافك دماً ولا سارق مالاً لصاحب فاقة
ولا شاتم عرضاً مصوناً وان علا ولا ناكح فرجاً على وجه غية
ولا قاطع للناس نهج سبيلهم ولا مفسد في الأرض من كل وجهة
ولا شاهد بالزور إفكاً وفرية ولا قاذف للمحصنات بريبة
ولا مهلك للحرث والنسل عامداً ولا حاكم للعالمين برشوة
وكف لسان اللوم عن كل مفسد ولا تأخذنْ ذا جرمة بعقوبة
وسهل سبيل الكاذبين تعمداً على ربهم من كل جاء بفرية
وهل في عقول الناس أو في طباعهم قبول لقول النذل ما وجه حيلتي
كآكل سم أوجب الموت أكله وكل بتقدير لرب البرية
فكفرك ياهذا كسم أكلته وتعذيب نار مثل جرعة غصة
ألست ترى في هذه الدار من جنى يعاقب إما بالقضا أو بشرعة؟!
ولا عذر للجاني بتقدير خالق كذلك في الأخرى بلا مثنوية
فان كنت ترجو أن تجاب بما عسى ينجيك من نار الاله العظيمة
فدونك رب العرش فاقصده ضارعا مريداً لان يهديك نحو الحقيقة
وذلل قياد النفس للحق واسمعنْ ولا تعرضنْ عن فكرة مستقيمة

وما بان حق فلا تتركنّه ⁂ ولا تعص من يدعو لأقوم ريعة

وأما رضانا بالقضاء فانمـــا ⁂ أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة

كسقم وفقر ثم ذل وغـربة ⁂ وما كان من سوء بدون جريمة

وأما الأفاعيل التي كرهت لنا ⁂ فلا ترتضى مسخوطة لمشيئة

وقد قال قوم من أولي العلم لارضى ⁂ بفعل المعاصي والذنوب الكريهة

وقال فريق نرتضي بقضائه ⁂ ولا نرتضي المقضي لأقبح خلة

وقال فريق نرتضي باضافة ⁂ اليه وما فينا فنلقي بسخطة

فنرضى من الوجه الذي هو خلقه ⁂ ونسخط من وجه اكتساب بحيلة

وأطال رحمه الله تعالى ، وهو جواب في غاية النفاسة ، والوفاء بالمقصود ، تركنا نقل جميعه اختصاراً .

قول الناظم : هذا البيان يزيل لبساً طالما هلكت عليه الناس الخ . أي : إن هذا الذي ذكره في هذه المسألة يزيل جميع الاشكالات فيها قوله .

أي : من وافق الحكم القدري الكوني ، ووافق سخطة الله ، إذ لم يوافق الحكم الديني الشرعي ، فلا يعدوه أجر إن خطأ ، أو أجران إن أصاب ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

والحكمة العليا على نوعين أيـــضاً حصلا بقواطع البرهان

إحداهما في خلقه سبحانه نوعان أيضاً ليس يفترقان
أحكام هذا الخلق إذ إيجاده في غاية الإحكام والاتقان
وصدوره من أجل غايات له وله عليها حمد كل لسان
والحكمة الأخرى فحكمة شرعه أيضاً وفيها ذلك الوصفان
غاياتها اللاتي حمدن وكونها في غاية الإتقان والإحسان

قال شيخ الاسلام رحمه الله لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان ، والأكثرون على التعليل والحكمة ، وهل هي منفصلة عن الرب لاتقوم به ، أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل؟ لهم فيه أيضاً قولان ، وهل يتسلسل الحكم ، أو لايتسلسل؟ أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي؟ فيه أقوال . قال : احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل) المائدة ـ ٣٢ وقوله (كي لا يكون دولة) الحشر:٦ وقوله : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم) البقرة : ١٤٠ ونظائرها ، لأنه تعالى حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة ، لقوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء : ١٠٦ والاجماع واقع على اشتمال الأفعال على الحكم والمصالح ، جوازاً عند أهل السنة ، ووجوباً عند المعتزلة ، فيفعل مايريد بحكمته ، والنافون للحكمة والعلة احتجوا أنه يلزم من قدم العلة قدم المعلول ، وهو محال ، ومن حدوثها افتقارها الى علة اخرى ، وأنه يلزم التسلسل . وقد أجلب الناظم وأطنب في كتابه « شرح منازل السائرين »[1] و « مفتاح السعادة » وغيرهما ، فمما احتج به في « مفتاح دار السعادة » قوله

(١) هو « مدارج السالكين شرح منازل السائرين »

تعـــالى(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحـــات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) فدل على أن هـذا الحكم بشيء قبيح ، يتنزه الله عنه ، فأنكره من جهة قبحه في نفسه ، لا من جهة كونه أنه لا يكون . ومن هذا إنكاره سبحانه على من جوز أن يترك عباده سدى ، لا يأمرهم ولا ينهاهم ، ولا يثيبهم ولا يعـــاقبهم ، وأن هذا الحساب باطل ، والله يتعالى عنه لمنافاته لحكمته . فقال تعالى (أيحسب الانسان أن يترك سدى) القيامة : ٣٥ فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى ، إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه ، وأنه لا يليق أن ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين . ومثله قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش الكريم) المؤمنون: ١١٥ فنزه نفسه سبحانه ، وباعدها عن هذا الحسبان ، وأنه متعال عنه ، فلا يليق به لقبحه ومنافاته الحكمة ، ثم إنه رحمه الله بسط القول في ذلك بسطاً كثيراً لا يحتمله هذا الموضع ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فصل

وهو الحيي فليس يفضح عبده عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقي عليه ستره فهو الستير وصاحب الغفران
وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان
وهو العفو فعفوه وسع الورى لولاه غار الأرض بالسكان

وهو الصبور على أذى أعدائه   شتموه بل نسبوه للبهتان

قالوا له ولد وليس يعيدنا   شتماً وتكذيباً من الإنسان

هذا وذاك بسمعه وبعلمه   لو شاء عاجلهم بكل هوان

لكن يعافيهم ويرزقهم وهم   يؤذونه بالشرك والكفران

فصل

وهو الرقيب على الخواطر واللوا   حظ كيف بالافعال بالاركان

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيـــــل بحفظهم من كل أمر عان

وهو اللطيف بعبده ولعبده   واللطف في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأُمور بخبرة   واللفظ عند مواقع الاحسان

فيريك عزته ويبدي لفظه   والعبد في الغفلات عن ذا الشان

قوله : وهو اللطيف الخ . فسر الناظم اللطف في اوصافه سبحانه بنوعين من اللطف : أحدهما : إدراك أسرار الأمور بخبرة . والثاني : اللطف عند مواقع الاحسان ، وهذا معنى قول من فسر اللطف بأنه هو الذي يوصل اليك أربك في رفق . وقيل : هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية .

فصل

وهو الرفيق يحب أهل الرفق بل   يعطيهم بالرفق فوق أمان

وهو القريب وقربه المختص بالـــداعي وعابده على الايمان

وهو المجيب يقول من يدعو أجـــبه أنا المجيب لكل من ناداني

وهو المجيب لدعوة المضطر اذ   يدعوه في سر وفي اعلان

وهو الجواد فجوده عم الوجـــود جميعه بالفضل والاحسان

وهو الجواد فلا يخيب سائلا   ولو انه من أمة الكفران

وهو المغيث لكل مخلوقاته   وكذا يجيب اغاثة اللهفان

قولـــه : وهو القريب وقربه المختص بالداعي وعابده على الايمان

يعني : أن القرب المذكور في قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) البقرة : ١٨٦ إن هذا القرب مختص بالداعي ، فهو سبحانه قريب ممن دعاه كما في « الصحيحين » عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر ، فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير . فقال : « يأيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فانكم لاتدعون أصم ولا غائباً ، إنما تدعون سميعاً قريباً ، إن الذي تدعونه أقرب الى احدكم من عنق راحلته » . وكذلك قول صالح عليه السلام : (وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب) فقوله قريب مجيب مقرون بالتوبة والاستغفار ، أراد قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين اليه ، كما أنه رحيم ودود . وقد قرن القريب

بالمجيب . ومعلوم أنه لايقال : انه مجيب لكل موجود ، وانما الاجابة لمن سأله ودعاه

فصل

وهو الودود يحبهم ويحبه   أحبابه والفضل للمنان
وهو الذي جعل المحبة في قلو   بهم وجازاهم بحب ثان
هذا هو الاحسان حقا لامعا   وضة ولا لتوقع الشكران
لكن يحب شكورهم وشكورهم   لا لاحتياج منه للشكران
وهو الشكور فلن يضيع سعيهم   لكن يضاعفه بلا حسبان
ما للعباد عليه حق واجب   هو أوجب الاجر العظيم الشان
كلا ولا عمل لديه ضائع   إن كان بالاخلاص والاحسان
ان عُذبوا فبعدله او نعموا   فبفضله والحمد للمنان

قوله : وهو الودود . قال تعالى (وهو الغفور الودود) والبروج : ١٤ ؛ أي : بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين ، لايفضحهم بها ، بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه. قال مجاهد : الواد لأوليائه ، فهو فعول بمعنى فاعل . وقال ابن زيد : معنى الودود الرحيم . وقيل : الودود بمعنى المودود ؛ أي : يوده عباده الصالحون ويحبونه ، كذا قال الأزهري . قال : ويجوز أن يكون فعولا بمعنى فاعل ؛ أي : يكون محباً لهم . قـــال : وكلتا الصفتين مدح ، لأنه جل ذكره ان أحب عباده المطيعين ، فهو فضل منه ، وان أحبه عباده

العارفون ، فلما تقرر عندهم من كريم احسانه ، قال ابن عباس : الودود الحبيب .

قوله : يحب شكورهم الخ الأول بفتح الشين اسم فاعل من شكر يشكر شكراً فهو شكور ، والثاني بضم الشين . مصدر

فصل

وهو الغفور فلو أتى بقرابها   من غير شرك بل من العصيان
لأتاه بالغفران ملء قرابها   سبحانه هو واسع الغفران
وكذلك التواب من أوصافه   والتوب في أوصافه نوعان
إذن بتوبة عبده وقبولها   بعد المتاب بمنة المنان

يشير الى الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، ياابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»

فصل

وهو الاله السيد الصمد الذي   صمدت اليه الخلق بالاذعان

الكامل الاوصاف من كل الوجو ه كماله مافيه من نقصان

قال شيخ الاسلام في مسألة حسن إرادة الله تعالى . روينا من طريق غير واحد ، كعثمان بن سعيد الدرامي ، وأبي جعفر الطبري ، والبيهقي ، وغيرهم في تفسير علي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله عنها في قوله تعالى . (الصمد) قال : السيد الذي كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، والعالم الذي قد كمل في علمه ، والحليم الذي قد كمل في حلمه . وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله عز وجل هذه صفته ، لاتنبغي إلا له ، ليس له كفء وليس كمثله شيء ، سبحان الله الواحد القهار .

وكذلك القهار من أوصافه فالخلق مقهورون بالسلطان
لو لم يكن حياً عزيزاً قادراً ماكان من قهر ولا سلطان
وكذلك الجبار من أوصافه والجبر في أوصافه قسمان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ذا كسرة فالجبر منه دان
والثاني جبر القهر بالعز الذي لاينبغي لسواه من انسان
وله مسمى ثالث وهو العلو فليس يدنو منه من انسان
من قولهم جبارة للنخلة العليا التي فاتت لكل بنان

قوله : والجبر في أوصافه قسمان . ذكر للجبر معنين في أوصاف الرب سبحانه : أحدهما : جبر الضعيف ، وكل قلب قد غدا الخ . ومنه

الحديث « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » والثاني جبر القهر بالعز الذي لاينبغي لسواه سبحانه .

قوله : وله مسمى ثالث وهو العلو. والمعنى : أنه لايدنو منه انسان ومنه قولهم : جبارة ، للنخلة العليا المرتفعة ، والله أعلم .

فصل

وهو الحسيب كفاية وحماية ... والحسب كافي العبد كل أوان
وهو الرشيد فقوله وفعاله ... رشد وربك مرشد الحيران
وكلاهما حق فهذا وصفه ... والفعل للارشاد ذاك الثاني
والعدل من أوصافه في فعله ... ومقاله والحكم بالميزان
فعلى الصراط المستقيم إلهنا ... قولا وفعلا ذاك في القرآن

تقدم الكلام على قوله تعالى (ان ربي على صراط مستقيم) في أوائل هذا النظم .

فصل

هذا ومن أوصافه القدوس ذو الـ ... ـتنزيه بالتعظيم للرحمن
وهو السلام على الحقيقة سالم ... من كل تمثيل ومن نقصان

والبر في أوصافه سبحانه هو كثرة الخيرات والاحسان
صدرت عن البر الذي هو وصفه فالبر حينئذ له نوعان
وصف وفعل فهو بر محسن مولى الجميل ودائم الاحسان
وكذلك الوهاب من أسمائه فانظر مواهبه مدى الازمان
اهل السموات العلى والارض عن تلك المواهب ليس ينفكان
وكذلك الفتاح من أسمائه والفتح في اوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع إلهنا والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتاح بذين كليهما عدلا واحسانا من الرحمن
وكذلك الرزاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان
رزق على يد عبده ورسوله نوعان ايضا ذان معروفان
رزق القلوب العلم والايمان والـــرزق المعد لهذه الابدان
هذا هو الرزق الحلال وربنا رزاقه والفضل للمنان
والثاني سوق القوت للأعضاء في تلك المجاري سوقه بوزان
هذا يكون من الحلال كما يكـــون من الحرام كلاهما رزقان
والله رازقه بهذا الاعتبا ر وليس بالاطلاق دون بيان

ذكر الناظم رحمه الله في هـــذه الأبيات أن الرزق نوعان : رزق القلوب ، العلم والايمان على يد عبده ورسوله محمد ﷺ ، والنوع الثاني :

الرزق المعد للأبدان ، والله تعالى هو رازقه ، لكنه يساق الى الأعضاء ، ويكون من الحلال والحرام ، والله رازقه بهذا الاعتبار ، وهذه المسألة قد اختلف فيها . فقيل : إن الحرام رزق ، و كل يستوفي رزقه حلالاً كان أو حراماً ، لحصول التغذي بهما جميعاً ، غير أن العبد يستحق الذم والعقاب على أكل الحرام ، خلافاً للمعتزلة ، فانهم قالوا : الحرام ليس برزق ، وفسروه تارة بمملوك يأكله المالك ، وتارة بما لايمنع عن الانتفاع به ، وذلك لايكون الا حلالاً ، فيلزمهم على التفسير الأول أن مايأكله الدواب ليس برزق ، مع ظاهر قوله تعالى (وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها) هود: ٦ فيكون مصادماً للقرآن ، لأنه يقتضي أن تكون كل دابة مرزوقة ، ولا ينفعهم زعمهم أن تسمية مايأكله الدواب رزقاً مبني على تشبيهه بما هو مملوك الانسان فيأكله ، فيكون لفظ الرزق مجازاً عما تأكله الدواب ، فلا يلزم أن تكون كل دابة مرزوقة حقيقة ، لأنا نقول : هذا التأويل مخالف لظاهر القرآن ، وهو خلاف المتعارف في اللغة ؛ فلا يصح ارتكابه من غير ضرورة. ثم إن تفسيرهم الرزق بذلك ليس بمطرد ولا منعكس ، لدخول ملك الله تعالى ، وخروج رزق الدواب والعبيد والإماء يلزمهم أيضاً على الوجهين أن من أكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلاً ، وهو خلاف الاجماع الحاصل من الأمة قبل ظهور المعتزلة ، أن لا رازق الا الله ، وإن استحق العبد اللوم والذم على اكل الحرام ، والاضافة الى الله تعالى معتبرة في مفهوم الرزق ، و كل أحد مستوف رزق نفسه ، حلالاً كان أو حراماً ، ولا يتصور أن يأكل الانسان رزقه ، أو يأكل غير رزقه ، لأن ماقدر الله تعالى غذاء لشخص يجب أن يأكله ، ويمتنع أن يأكله غيره ، والله أعلم .

فصل

هذا ومن اوصافه القيوم والـــقيوم في أوصافه أمـــران
احداهما القيوم قام بنفسه والكون قام به هما الامران
فالاول استغناؤه عن غيره والفقر من كل اليه الثاني
والوصف بالقيوم ذو شان عظــــيم هكذا موصوفه أيضاً عظيم الشان
والحي يتلوه فأوصاف الكما ل هما لأفق سمائها قطبان
فالحي والقيوم لن تتخلف الـــ اوصاف أصلا عنهما ببيان
هو قابض هو باسط هو خافض هو رافع بالعدل والميزان
وهو المعز لأهل طاعته وذا عز حقيقي بلا بطلان
وهو المذل لمن يشاء بذلة الـــــدارين ذل شقاً وذل هوان
هو مانع معط فهذا فضله والمنع عين العدل للمنان
يعطي برحمته ويمنع من يشا ء بحكمة والله ذو سلطان

قـــوله : والقيوم في أوصافه أمران الخ ، أي : إن القيوم هو الذي قام بنفسه ، وقام به الكون ، فالأول : هو استغناؤه عن غيره ، والثاني : افتقار كل شيء اليه . قـــال المفسرون : (القيوم) القائم على كل نفس بما كسبت . وقيل : القائم بذاته المقيم لغيره . وقيل : القائم بتدبير خلقه وحفظه . وقيل : هو الذي لاينام . وقيل : الذي لابديل له . وقرأ جماعة

(القيام) بالألف . وروي ذلك عن عمر رضي الله عنه و (الحي) يتلوه (القيوم) فيها كما قال الناظم لأفق سمائها ؛أي : الصفات قطبان ، فالصفات لاتتخلف عنها كما مثل به من قوله : هو قابض هو باسط هو خافض الخ .

فصل

والنور من أسمائه ايضاً ومن ... اوصافه سبحان ذي البرهان
قال ابن مسعود كلاماً قد حكا ... ه الدارمي عنه بلا نكران
ماعنده ليل يكون ولا نها ... ر قلت تحت الفلك يوجد ذان
نور السموات العلى من نوره ... والارض كيف النجم والقمران
من نور وجه الرب جل جلاله ... وكذا حكاه الحافظ الطبراني
فيه استنار العرش والكرسي مع ... سبع الطباق وسائر الاكوان

قال عبد الله بن مسعود : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات من نور وجهه .

وكتابه نور كذلك شرعه ... نور كذا المبعوث بالفرقان
وكذلك الايمان في قلب الفتى ... نور على نور مع القرآن
وحجابه نور فلو كشف الحجا ... ب لأحرق السبحات للاكوان

تقدم حديث ابي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله لاينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل النهار قبل الليل ، وعمل الليل قبل النهار ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » رواه مسلم .

وإذا أتى للفصل يشرق نوره   في الارض يوم قيامة الابدان

قال تعالى (واشرقت الأرض بنور ربها) الزمر: ٦٩ فاخبر أن الأرض يوم القيامة تشرق بنوره ، وهو نوره الذي نوره ، فانه سبحانه يأتي لفصل القضاء بين عباده ، وينصب كرسيه بالأرض ، فإذا جاء الله تعالى أشرقت الأرض ، وحق لها أن تشرق بنوره ، وعند المعطلة لايأتي ولا يجيء ، ولا له نور تشرق له الارض . كذا أفاده الناظم في كتاب « الصواعق »

وكذاك دار الرب جنات العلى   نور تلألأ ليس ذا بطلان

والنور ذو نوعين مخلوق ووصـــف ماهما والله متحدان

وكذلك المخلوق ذو نوعين محـــسوس ومعقول هما شيئان

احذر تزل فتحت رجلك هوة   كم قد هوي فيها على الازمان

من عابد بالجهل زلت رجله   فهي الى قعر الحضيض الداني

لاحت له أنوار آثار العبا   دة ظنها الانوار للرحمـــن

فأتى بكل مصيبة وبلية   ماشئت من شطح ومن هذيان

وكذا الحلولي الذي هو خدنه   من هاهنا حقاً هما أخوانّ

ويقابل الرجلين ذو التعطيل والـــحجب الكثيفة ماهما سيان

ذاقي كثافة طبعه وظلامه ... وبظلمة التعطيل هذا الثاني

والنور محجوب فلا هذا ولا ... هذا له من ظلمة يريان

قولــــه : احذر تزل فتحت رجلك هوة الخ

قال الناظم رحمه الله تعالى : في « شرح منازل السائرين » في شرح الدرجة الثالثة من منزلة العطش على قول صاحب « المنازل » ولا يعرج دونها على انتظار بعد كلام سبق : ولا سبيل لأحد قط في الدنيا الى مشاهدة الحق، وانما وصوله الى شواهد الحق ، ومن زعم غير هذا فلغلبة الوهم عليه ، وحسن ظنه بترهات القوم وخيالاتهم . ولله در الشبلي حيث سئل عن المشاهدة فقــــال : من أين لنا مشاهدة الحق ؟ لنا شاهد الحق هذا ، وهو صاحب الشطحات المعروفة ، وهذا من أحسن كلامه وأبينه . وأراد بشاهد الحق مايغلب على القلوب الصادقة العارفة الصافية ، من ذكره ، ومحبته ، واجلاله وتعظيمه ، ووقاره بحيث يكون ذلك حاضراً فيها ، مشهوداً لها ، غير غائب عنها . ومن أشار الى غير ذلك فمغرور مخدوع ، وغايته أن يكون في حقارة صدقه ، وضعف تمييزه وعلمه . ولا ريب أن القلوب تشاهد أنواراً بحسب استعدادها، تقوى تارة ، وتضعف أخرى ، ولكن تلك أنوار الاعمال ، والايمان ، ، والمعارف ، وصفاء البواطن والأسرار ، لا أنها نور الذات المقدسة ، فان الجبل لم يثبت للسير من ذلك النور حتى تدكدك ، وخر الـكليم صعقاً مع عدم تجليه له ، فما الظن بغيره ؟ ! فإياك ثم إياك وترهات القوم ، وخيالاتهم وأوهامهم ، فإنها عند العارفين أعظم من حجاب النفس وأحـكامها ، فان المحجوب بنفسه معترف بأنه في ذلك الحجاب ، وصاحب هذه الخيالات والأوهام يرى أن الحقيقة قد تجلت له أنوارها ،

ولم يحصل ذلك لموسى بن عمران كليم الرحمن ، فحجاب هؤلاء أغلظ بلا شك من حجاب أولئك ، ولا يقرلنا بهذا إلا عارف قد أشرق في باطنه نور المحمدية ، فرأى ما الناس فيه ، وما أعز ذلك في الدنيا ، وما أغربه بين الخلق ، وبالله المستعان . انتهى كلامه .

وقـــوله : هوة . قال في « القاموس » الهوة كقوة : ما انهبط من الأرض أو الوهدة الغامضة منها ، كالهوانة ، كرمانة : انتهى :

قولـــه : والنور ذو نوعين الخ

قال الناظم في « الصواعق المرسلة » قد ورد النص . بتسمية الرب نوراً وبأن له نوراً مضافاً اليه ، وبأنه نور السموات والأرض ، وبأن حجابه نور ، فهذه أربعة انواع .

فالاول : يقال عليه سبحانه بالاطلاق ، فانه النور الهادي .

والثاني : يضاف اليه ، كما يضاف اليه حياته ، وسمعه ، وبصره ، وعزته وقدرته ، وعلمه . وتارة يضاف الى وجهه ، وتارة يضاف الى ذاته ، فالأول كقوله «أعوذ بنور وجهك» وقوله : « نور السموات والأرض من وجهه » والثاني كقوله تعالى : (وأشرقت الأرض بنور ربها .) الزمر : ٦٩ وقول ابن عباس : ذاك نوره الذي اذا تجلى به .

وقـــوله ﷺ في حديث عبد الله بن عمر « وإن الله خلق خلقه في ظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره ... الحديث . والثالث : وهو اضافة نوره الى السموات والأرض ، كقوله تعالى (الله نور السموات والارض) النور : ٣٥ الرابع : كقوله : حجابه النور ، فهذا النور المضاف اليه يجيء على أحد الوجوه الاربعة . والنور الذي احتجب به سمي نوراً ونارا ، كما وقع التردد في لفظه في الحديث الصحيح ، حديث أبي موسى الاشعري ، وهو قـــوله

« حجابة النور والنار ، فان هذه النار هي نور ، وهي التي كلم الله كليمه موسى منها ، وهي نار صافية ، لها إشراق بلا احراق ، فالاقسام ثلاثة: إشراق بلا احراق ، كنور القمر ، وإحراق بلا إشراق ، وهي نار جهنم فانها سوداء محرقة لا تضيء ، وإشراق باحراق وهي هذه النار المضيئة ، وكذلك نور الشمس له الاشراق والاحراق ، فهذا في الأنوار المشهودة المخلوقة ،وحجاب الرب تبارك وتعالى نور ، وهو نار ، وهذه الأنواع كلها حقيقة بحسب مراتبها ، فنور وجهه حقيقة لامجاز ، واذا كان نور مخلوقاته كالشمس والقمر والنار حقيقة ، فكيف يكون نوره الذي نسبة الأنوار المخلوقة اليه أقل من نسبة سراج ضعيف ألى قرص الشمس ؟ ! فكيف لا يكون هذا النور حقيقة . انتهى كلامه .

فصل

وهو المقدم والمؤخر ذانك الـــصفان للأفعال تابعان
وهما صفات الذات أيضاً إذهما بالذات لا بالغير قائمتان
ولذاك قد غلط المقسم حين ظـــن صفاته نوعين مختلفان
إن لم يرد هذا ولكن قد أرا د قيامها بالفعل ذي الامكان
والفعل والمفعول شيء واحد عند المقسم ماهما شيئان
فلذاك وصف الفعل ليس لديه إ لا نسبة عدمية ببيـــان
فجميع اسماء الفعال لديه ليـــست قط ثابتة ذوات معان
موجودة لكن امور كلها نسب ترى عدمية الوجدان

هذا هو التعطيل للأفعال كالتـــعطيل للأوصاف بالميزان
فالحق أن الوصف ليس بمورد التـــقسيم هذا مقتضى الـــبرهان
بل مورد التقسيم ماقد قام بالـــذات التي للواحد الرحمن
فهما اذاً نوعـان أوصاف وأفـــعال فهذي قسمة التبيان
فالوصف بالافعال يستدعي قيا م الفعل بالموصوف بالبرهان
فالوصف بالمعنى سوى الافعال ما إن بين ذينك قط من فرقان
ومن العجائب أنهم ردوا على من أثبت الأسماء دون معان
قامت بمن هي وصفه هذا محا ل غير معقول لذي الأذهان
وأتوا الى الاوصاف باسم الفعل قا لوا لم تقم بالواحد الديـان
فانظر اليهم أبطلوا الأصل الذي ردوا به أقوالهم بوزان
ان كان هذا ممكناً فكذاك قو ل خصومكم أيضاً فذو إمكان
والوصف بالتقديم والتأخير كو ني وديني وهما نوعـان
وكلاهما أمر حقيقي ونســـبي ولا يخفى المثال على أولي الأذهان
والله قدر ذاك أجمعه بإحـــكام واتقان من الرحمن

قولـــه ولذلك قد غلط المقسم ؛ أي : ان الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والاشعرية قالوا: إن الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم ، ولنزد ذلك ايضاحاً فنقول : قـــال النسفي

رحمه الله في « عقائده المشهورة » والتكوين صفة لله أزلية ، وهو تكوينه للعالم ، وكل جزء من أجزائه ، وهو غير المكون عندنا . قال شارحها المحقق سعد الدين التفتازاني : التكوين : هو معنى المعبر عنه بالفعل ، والخلق والتخليق ، والايجاد ، والاحداث ، والاختراع ، ونحو ذلك ، ويفسر باخراج المعدوم من العدم الى الوجود، صفة لله تعالى ،لإطباق العقل والنقل على أنه خالق للعالم ، مكون له ، وامتناع اطلاق اسم المشتق على الشيء ، من غير أن يكون مأخذ الاشتقاق وصفا قائماً به أزلية لوجوه :

الأول : أن يمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى .

الثاني : أنه وصف ذاته في كلامه الأزلي بأنه الخالق ، فلو لم يكن في الأزل خالقا للزم الكذب ، أو العدول الى المجاز ؛ أي : الخالق فيما يستقبل أو القادر على الخلق من غير تعذر الحقيقة ، على أنه لو جاز إطلاق الخالق عليه بمعنى القادر ، لجاز إطلاق كل مايقدر عليه من الاعراض

الثالث : أنه لو كان حادثا ، فاما بتكوين آخر ، فيلزم التسلسل وهو محال ، ويلزم منه استحالة تكون ، مع أنه مشاهد ، وإما بدونه ، فيستغني الحادث عن المحدث والاحداث ، وفيه تعطيل الصانع .

الرابع : أنه لو حدث ، لحدث إما في ذاته تعالى ، فيصير محلاللحوادث ، أو في غيره كما ذهب اليه أبو الهذيل من أن تكوين كل جسم قائم به ، فيكون كل جسم خالقا ومكونا لنفسه ، ولا خفاء في استحالته . ومبنى هذه الادلة أن التكوين صفة حقيقة، كالعلم ، والقدرة . قال : والمحققون من المتكلمين على أنه من الاضافات والاعتبارات العقلية ، مثل كون الصانع تعالى وتقدس قبل كل شيء ومعه وبعده ، ومذكوراً بألسنتنا ، ومعبوداً لنا، ومميتاً ، ومحيياً ، ونحو ذلك قال : والحاصل في الأزل هو مبدأ التخليق ، والترزيق ، والإماتة والإحياء

وغير ذلك ، ولا دليل على كونه صفة أخرى سوى القدرة ، والارادة وان كانت نسبتها الى وجود المكون وعدمه على السواء ،لكن مع انضمام الارادة بتخصيص أحد الجانبين . قـــال : ولما استدل القائلون بحدوث التكوين بأنه لايتصور بدون المكون ، كالضرب بدون المضروب ، فلو كان قديماً لزم قدم المكونات ، وهو محال،أشار النسفي الى الجواب بقوله: وهو أي التكوين تكوينه للعالم ، ولكل من أجزائه ، لافي الأزل ، بل لوقت وجوده على حسب علمه وارادته ، فالتكوين باق أزلاً وأبداً ، والمكون حادث بحدوث التعلق ، كما في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التي لايلزم من قدمها قدم متعلقاتها ، لكون تعلقاتها حادثة ، وهذا تحقيق مايقال: إن وجود العالم ان لم يتعلق بذات الله تعالى أو صفة من صفاته، لزم تعطيل الصانع ، واستغناء الحوادث عن الموجد،وهو محال ، وإن تعلق، فإما أن يستلزم ذلك قدم مايتعلق وجوده به، فيلزم قدم العالم ، وهو باطل أولاً ، فليكن التكوين أيضاً قديماً مع حدوث المكون المتعلق به . وما يقال بأن القول بتعلق وجود المكون بالتكوين قول بحدوثه ، إذ القديم مالا يتعلق وجوده بالغير ، والحادث مايتعلق به ، فمنظور فيه ، لأن هذا معنى القديم والحادث بالذات على مايقول به الفلاسفة . وأما عند المتكلمين ، فالحادث مالوجوده بداية ؛ أي يكون مسبوقاً بالعدم ، والقديم بخلافه ، ومجرد تعلق وجوده بالغير لايستلزم حدوثه بهذا المعنى ، لجواز أن يكون محتاجاً الى الغير صادراً عنه دائماً بدوامه ، كما ذهب اليه الفلاسفة فيما ادعوا قدمه من الممكنات ، كالهيولي مثلاً . نعم إذا أثبتنا صدور العالم عن الصانع بالاختيار دون الايجاب بدليل لايتوقف على حدوث العالم ، كان القول بتعلق وجوده بتكوين الله تعالى قولاً بحدوثه . ومن هنا يقال : ان التنصيص

على كل جزء من أجزاء العالم إشارة الى الرد على من زعم قدم بعض الأجزاء كالهيولى ، وإلا فهم انما يقولون بقدمها بمعنى عدم المسبوقية بالعدم ، لا بمعنى عدم تكونه بالغير .

والحاصل أنا لا نسلم أنه لا يتصور التكوين بدون المكون ، وأن وازنه معه وزان الضرب مع المضروب ، فان الضرب صفة إضافية لا يتصور بدون المضافين . أعني : الضارب والمضروب . وقد بينا أن التكوين صفة حقيقة ، هي مبدأ الاضافة التي هي إخراج المعدوم من العدم الى الوجود ، لا عينها ، حتى لو كانت عينها على ماوقع في عبارة بعض المشايخ لكان القول بتحققها بدون المكون مكابرة وانكاراً للضرورة ، فلا يندفع بما يقال من أن الضرب مستحيل البقاء ، فلا بد لتعلقه بالمفعول ، ووصول الألم اليه من وجود المفعول معه ، إذ لو تأخر لانعدم ، كذا قيل ، وهذا بالنسبة لفعل المخلوق ، وهو بخلاف فعل الباري ، فانه أزلي الدوام ، يبقى الى وقت وجود المفعول ، فالتكوين غير المكون عندنا ، لأن الفعل يغاير المفعول بالضرورة ، كالضرب مع المضروب ، والأكل مع المأكول ، ولأنه لو كان نفس المكون ، لزم أن يكون المكون مكوناً مخلوقاً بنفسه ، ضرورة أنه مكون بالتكوين الذي هو عينه ، فيكون قديماً مستغنياً عن الصانع ، وهو محال وأن لا يكون للخالق تعلق بالعالم سوى أنه أقدم منه ، وقادر عليه من غير صنع وتأثير فيه ، ضرورة تكونه بنفسه ، وهذا لا يوجب كونه خالقاً للعالم ، والعالم مخلوقاً ، فلا يصح القول بأنه خالق العالم وصانعه ، وهذا خلق ، وأن لا يكون الله مكوناً للاشياء ، ضرورة أنه لا معني للمكون إلا من قام به التكوين ، والتكوين اذا كان عين المكون ، لا يكون قائماً بذات الله تعالى ، وإن يصح القول بأنه خالق سواد هذا الحجر أسود ، وهذا الحجر خالق السواد ،

إذ لا معنى للخالق والأسود إلا من قام به الخلق والسواد ، وهما واحد ، فمحلهما واحد ، هذا كله تنبيه على كون الحكم بتغاير الفعل والمفعول ضرورياً.
ثم قال السعد التفتازاني : وهذا يعني إبطال القول بأن الفعل هو المفعول ، لا يتم إلا باثبات أن تكون الأشياء ، وصدورها عن الباري تعالى يتوقف على صفة حقيقية قائمة بالذات ، مغايرة للقدرة والارادة . قال : والتحقيق أن تعلق القدرة على وفق الارادة بوجود المقدور لوقت وجوده ، إذا نسب للقدرة يسمى ايجابا له ، واذا نسب الى القادر يسمي الخلق والتكوين ، ونحو ذلك ، فحقيقة كون الذات بحيث تعلقت قدرته بوجود المقدور لوقته ، ثم يتحقق بحسب خصوصيات المقدورات خصوصيات الأفعال ، كالترزيق ، والتصوير ، والاحياء ، والإماتة ، وغير ذلك ، الى مالانهاية له . قال : وأما كون كل من ذلك صفة حقيقية أزلية ، فمما تفرد به علماء ما وراء النهر ، وفيه تكثير للقدماء جداً وإن لم تكن متغايرة. قال : والأقرب ماذهب اليه المحققون منهم ، وهو أن مرجع الكل الى التكوين ، فانه ان تعلق بالحياة سمي احياء ، وبالموت سمي اماتة ، وبالصورة تصويراً ، وبالرزق ترزيقاً ، الى غير ذلك ، فالكل تكوين ، وانما الخصوص بخصوص التعلقات . انتهى .

قلت : مراده بقوله : مما تفرد به بعض علماء ماوراء النهر ، علماء الكلام ، والا فهو مذهب السلف ، كما تقدمت الاشارة اليه ، وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة ، ولهذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في « شرح العقائد الاصفهانية » الصواب أن الخلق غير المخلوق . قال : والذين يقولون : الخلق هو المخلوق ، قولهم فاسد ، وبين وجه فساده ، وما ذكر من الآيات القرآنية ، والأخبار النبوية الدالة على هذا الأصل شيئاً

كثيراً ، مثل (كل يوم هو في شأن) الرحمن :٢٩ (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهو رضوانه فأحبط أعمالهم) محمد :٢٨ وقوله : (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم) الزمر :٧ فأخبر أن طاعته سبب لمحبته ورضاه ، ومعصيته سبب لسخطه وغضبه. وقال تعالى (فاذكروني اذكركم) البقرة: ١٥٢ وجواب الشرط كالمسبب مع السبب . وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، ومن تقرب الي شبراً تقربت اليه ذراعاً ، ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» وفي «الصحيحين» وغيرهما «لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن ممن أضل راحلته بأرض دوية مهلكة ، عليها طعامه وشرابه ، فنام تحت شجرة ينتظر الموت ، فلما استيقظ اذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه ، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته» وفي «الصحيح» «يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة» وفي «الصحاح» و «والسنن» و «المساند» من هذا شيء كثير ، يتعذر أو يتعسر إحصاؤه . وقد ذكر من ذلك شيئاً كثيراً ، ثم قال : وبهذا الاصل العظيم الذي دلت عليه الكتب المنزلة من الله تعالى ، القرآن والتوراة والانجيل ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف حتى من الفلاسفة ، يظهر بطلان مذهب القائلين بالقدماء الخمسة . انتهى .

قـــول الناظم : فلذاك وصف الفعل ليس الا نسبة عدمية الخ . يعني: ان القائلين بأن الفعل هو المفعول عندهم أن صفة الفعل نسبة ، والنسب أمور عدمية ، فجميع أسماء الفعال عندهم نسب ، والنسب أمر عدمي ،

فهذا منهم تعطيل للأفعال ، كما عطلوا الصفات .

قــوله : والحق أن الوصف ليس بمورد التقسيم ؛ أي : بل مورد التقسيم ما قام بالذات ، وهي أوصاف وأفعال ، فالوصف بالأفعال يستدعي قيام الفعل بالموصوف بالبراهين القاطعة عقلًا ونقلًا .

قــوله : ومن العجائب أنهم ردوا على من أثبت الأسماء دون معان . أي : ومن العجائب أن الأشاعرة ردوا على المعتزلة في اثباتهم الاسماء دون معانيها . كقولهم : قدير بلا قدرة ، سميع بلا سمع ، بصير بلابصر ، مريد بلا ارادة ، ونحو ذلك . ثم أتوا الى الأوصاف باسم الفعل فقالوا : لم يقم بالله تعالى ، فأبطلوا الأصل الذي ردوا به على المعتزلة ، والله أعلم

فصل

هذا ومن أسمائه ماليس يفـــرد بل يقال إذا أتى بقران
وهي التي تدعى بمزدواجتها أفرادها خطر على الإنسان
إذ ذاك موهم نوع نقص جل رب العرش عن عيب وعن نقصان
كالمانع المعطي وكالضار الذي هو نافع وكماله الأمران
ونظير هذا القابض المقرون باســـم البـاسط اللفظان مقترنان
وكذا المعز مع المذل وخافض مع رافع لفظان مزدوجـــان
وحديث افراد اسم منتقم فمو قوف كما قد قال ذو العرفان

ماجاء في القرآن غير مقيد بالمجرمين وجاءمنه نوعان

قال النـــاظم في « بدائع الفوائد » بعد كلام سبق : السادس : صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قــدر زائد على مفرديها ، نحو الغني ، الغفور ، القدير ، الحميد ، المجيد ، وهكذا عامـة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن ، فان الغناء صفة كمال ، والحمد كذلك ، واجتماع الغناء مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غناه ، وثناء من حمده ، وثناء من اجتماعهما ، وكذلك الغفور القدير ، والحميد المجيد ، والعزيز الحكيم ؛ فتأمله فانه من أشرف المعارف . وقال في موضع آخر : ومنهـا ما لا يطلق عليه بمفرده ، بل مقروناً بمقابله ، كالمانع ، والضار ، والمنتقم ، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله ، فانه مقرون بالمعطي ، والنافع ، والعفو ، فهو المعطي ، المانع ، الضار ، النافع ، العفو ، المنتقم ، المعز ، المذل ، لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بمقابله ، لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق ، والتصرف فيهم ، عطاء ، ومنعاً ، ونفعاً ، وضراً ، وعفواً ، وانتقاماً . وأما أن يثني عليه بمجرد المنع والانتقام والاضرار ، فلا يسوغ ، فهذه الأسماء المزدوجة يجري الاسمان مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض ، فهي وإن تعددت جـارية مجرى الاسم الوحد ، ولذلك لم تجيء مفردة ، ولم تطلق عليه الا مقترنة ، فاعلمه ، فلو قلت : يامذل ، ياضار ، يامانع . أو أخبرت بذلك ، لم تكن مثنياً عليه ، ولا حامداً حتى تذكر مقابله . وأما الحديث الذي فيه إفراد اسم المنتقم ، فهو موقوف ، كما قال الناظم ، والله أعلم .

فصل

ودلالة الاسماء أنواع ثلا ث كلها معلومة ببيـــان
دلت مطابقة كـــذاك تضمناً وكذا التزاماً واضح البرهان
أما مطابقة الدلالة فهي ان الاسم يفهم منه مفهومان
ذات الإله وذلك الوصف الذي يشتق منه الاسم بالميزان
لكن دلالته على إحداهما بتضمن فافهمه فهم بيان
وكذا دلالته على الصفة التي ما اشتق منها فالتزام دان
وإذا أردت لذا مثالاً بيناً فمثال ذلك لفظة الرحمن
ذات الإله ورحمة مدلولها فهما لهذا اللفظ مدلولان
إحداهما بعض لذا الموضوع فهـــي تضمّن ذا واضح التبيان
لكن وصف الحي لازم ذلك المـــعنى لزوم العـــلم للرحمن
فلذا دلالته عليه بالتزا م بيّن والحق ذو تبيان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان أنواع الدلالات الثلاثة ، وهي المطابقة ، والتضمن ، والالتزام ، وذلك مثل ما مثل به الناظم ، وهو لفظة الرحمن ، فإنها دلت على الصفة المشتق منها ، وعلى ذات الرب سبحانه ، لكن دلالته على إحداهما بالتضمن . وأما دلالتها على الصفة التي لم يشتق منها اللفظ كالحيـاة ، والعلم ، فهي بالالتزام ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « شرح المنازل » الاسم من أسمائه تبارك وتعالى ، كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة ، فانه يدل دلالتان آخرتان بالتضمن واللزوم ، فيدل على الصفة بفردها بالتضمن ، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة ؛ ويدل على الصفة الأخرى باللزوم ، فان اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة ، وعلى الذات وحدها ، والسمع وحده بالتضمن ، ويدل على اسم الحي وصفة الحياة بالالتزام . انتهى .

وهذا واضح في بيان كلام الناظم رحمه الله تعالى .

فصل

في بيان حقيقة الالحاد في أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحدين

أسماؤه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حملت لمعان

إياك والإلحاد فيها إنه كفر معاذ الله من كفران

وحقيقة الالحاد فيها الميل بالـ اشراك والتعطيل والنكران

فالملحدون اذاً ثلاث طوائف فعليهم غضب من الرحمن

المشركون لأنهم سموا بها أوثانهم قالوا إله ثان

هم شبهوا المخلوق بالخلاق عكـ س مشبه الخلاق بالانسان

وكذاك أهل الاتحاد فانهم اخوانهم من أقرب الإخوان

أعطوا الوجود جميعه أسماءه إذ كان عين الله ذي السلطان
والمشركون أقل شركاً منهم هم خصصوا ذا الاسم بالأوثان
ولذاك كانوا أهل شرك عندهم لو عمموا ما كان من كفران

ذكر الناظم رحمه الله في أول الأبيات ، أن أسماءه سبحانه أوصاف مدح ، فهي أعلام ، وأوصاف ، والوصف فيها لا ينافي العلمية ، بخلاف أوصاف العباد ، فانها تنافي علميتهم ، لأن أوصافهم مشتركة ، ففاتتها العلمية المختصة ، بخلاف أوصافه تعالى .

قولـــه : مشتقة الخ . أي : إذا أطلق الاسم عليه تعالى ، جاز أن يشتق منه المصدر والفعل ، فيخبر عنه فعلاً أو مصدراً ، نحـــو السميع ، البصير ، القدير ، يطلق عليــه منه اسم السمع والبصر والقدرة ، ويخبر عنه بالأفعـال من ذلك ، نحو (قد سمع الله) المجادلة : ١ وقد رأى الله (فنعم القادرون) المرسلات : ٢٣ هذا إذا كان الفعل متعدياً فإن كان لازماً ، لم يخبر عنه به ، نحو الحي ، بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل ، فلا يقال : حيي . كذا أفاده الناظم في « بدائع الفوائد » وينبغي أن يعلم أن الاسماء الحسنى لها اعتباران : اعتبار من حيث الاسماء ، واعتبار من حيث الصفات ، فهي بالاعتبار الأول مترادفة ، وبالاعتبار الثاني متباينة ، والله أعلم .

قوله : إياك والالحاد فيها الخ . اعلم أن الالحاد في أسمـائه سبحانه ، هو العدول بها وبجهاتها ومعانيها عن الحق الثابت لها ، وهو مأخوذ من الميل ، كما يدل عليه مادة (لحد) ومنه اللحد ، وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط ، ومنه الملحد في الدين : المائل عن الحق الى الباطل . قال ابن السكيت : الملحد : المائل عن الحق : المدخل فيه ما ليس منه ، ومنه الملتحد ، وهو مفتعل ، ومن ذلك قوله تعالى (ولن تجد من دونه ملتحداً) الجن : ٢٢

أي: من تعدل اليه ، وتهرب اليه ، وتلتجىء إليه ، وتبتهل اليه غيره. تقول العرب: التحد فلان الى فلان ، اذا عدل اليه .

إذا عرف هذا ، فالالحاد في أسمائه تعالى أنواع : أحدها : أن تسمى الأصنام بها ، كتسميتهم اللات من الإله ، والعزى من العزيز ، وتسميتهم الصنم إلهاً ، وهذا إلحاد حقيقة ، فانهم عدلوا بأسمائه الى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

قوله : وكذاك أهل الاتحاد الخ . أي : أن أهل الاتحاد القائلين بوحدة الوجود ، أعطوا الوجود أسماءه تعالى ، والمشركون أقل منهم شركاً ، لأن المشركين خصصوا العبادة بالأوثان ، وهؤلاء عمموا كل شيء بالعبادة ، قالوا: وانما كانوا مشركين ، لأنهم خصصوا العبادة ببعض المظاهر ، ولو عمموا كل شيء لما كانوا مشركين . تعالى الله عن قولهم ، كما قال في « الفصوص » في قوم نوح عليه السلام : إنهم لو تركوا عبادتهم لود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، لجهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء ، ثم قال : فإن للحق في كل معبود وجهاً ، يعرفه من عرفه ، ويجهله من جهله ، فالعالم يعلم من عبد ، وفي أي صورة ظهر حتى عبد .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والملحد الثاني فذو التعطيل إذ ينفي حقائقها بلا برهان
ما ثم غير الاسم أوله بما ينفي الحقيقة نفي ذي بطلان
فالقصد دفع النص عن معنى الحـــقيقة فاجتهد فيه بلفظ بيان
عطل وحرّف ثم أول وانفها واقذف بتجسيم وبالكفران
للمثبتين حقائق الاسماء والـــأوصاف بالأخبار والقرآن
فاذاهم احتجوا عليك فقل لهم هذا مجاز وهو وضع ثان

فإذا غلبت عن المجاز فقل لهم لا يستفاد حقيقة الايقان
أني وتلك أدلة لفظيـــة عزلت عن الايقان منذ زمان
فاذا تضافرت الأدلة كثرة وغلبتَ عن تقرير ذا ببيان
فعليك حينئذ بقانون وضعـــناه لدفع أدلة القرآن
ولكل نص ليس يقبل أن يؤو ل بالمجاز ولا بمعنى ثان
قل عارض المنقول معقول وما الـــأمران عند العقل يتفقان
ماثم إلا واحد من أربع متقـــابلات كلها بوزان
اعمال ذين وعكسه أو تلغي الـــمعقول ماهذا بذي إمكان
العقل أصل النقل وهو أبوه ان تبطله يبطل فرعه التحتاني
فتعين الاعمال للمعقول والــــإلغاء للمنقول ذي البرهان
إعماله يفضي إلى إلغـائه فاهجره هجر الترك والنسيان
والله لم نكذب عليهم اننا وهمُ لدى الرحمن مختصمان
وهناك يجزى الملحدون ومن نفى الـــإلحـــاد يجزى ثم بالغفران
فاصبر قليلاً انما هي ساعة يامثبت الأوصاف للرحمن
فلسوف تجني أجر صبرك حين يجـــني الغير وزر الاثم والعدوان
فالله سائلنا وسائلهم عن الـــإثبات والتعطيل بعد زمان
فأعدّ حينئذ جواباً كافياً عند السؤال يكون ذا تبيان

قوله ، والملحد الثاني فذو التعطيل الخ . هذا الحاد الطائفة الثانية من الملحدين ، وهو إلحاد أهل التعطيل الذين عطلوا الاسماء الحسنى من معانيها ، وجحدوا حقائقها ، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم : إنهـــا ألفاظ مجردة لاتتضمن صفات ، ولا معان ، فيطلقون عليه اسم السميع ، والبصير ، والحي ، والرحيم ، والمتكلم ، والمريد . ويقولون : لاحياة له ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا كلام ، ولا إرادة تقوم به ، وهذا من أعظم الالحـاد فيها عقلاً ، وشرعاً ، ولغة ، وفطرة ، وهو مقابل لإلحاد المشركين ، فان أولئك أعطوا أسماءه وصفاته ، لآلهتهم ، وهؤلاء سلبوه صفات كماله ، وجحدوهـا وعطلوها ، فكلاهما ملحد في أسمائه ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد ، فيهم العالي ، والمتوسط ، والمتلون ، وكل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك ، فليستقل أو ليستكثر .

قوله : فالقصد دفع النص عن معنى الحقيقة ، أي : أن هذا القسم من الملحدين قصدهم دفع النص عن معنى الحقيقة بالتحريف ، والتعطيل ، والنفي ، وقذف المثبتة ، ونبزهم بالتجسيم ، ورميهم بالكفر ، ويقولون : إذا احتجت المثبتة عليك بالنصوص القرآنية والأحـاديث النبوية ، فادفعها بضروب من الدفع ، مثل دعوى أنها مجاز ، فاذا غلبت على المجاز ، فقل : هي أدلة لفظية لاتفيد العـــلم واليقين ، فاذا تكاثرت الأدلة وتضافرت ، فعليك بالقوانين الموضوعة لدفع أدلة القرآن ، ولكل نص لايقبل التأويل ، وقل عـارض المنقول معقول . واذا تعارض العقل والنقل ، فما ثم إلا واحد من أربـع : إما أن نعملهما ، وإما أن نهملهما ، وإما أن نعمل النقل ونلغي العقل ، وهو غير ممكن ، لأن العقل أصل النقل ، والنقل فرعه ، فان أبطلناه أبطلنا النقل ، لأنا صدقنا النقل به ، فأعماله يفضي الى الغائه ، فتعين الإعمال للمعقول وإلغاء

المنقول بالقانون ذي البرهان". وقد بسط شيخ الاسلام رحمه الله الكلام على هذا أتم بسط في أول كتاب « درء تعارض العقل والنقل » فارجع اليه إن شئت ، وكذلك العلامة الناظم ، فانه بسط ذلك ، وأطنب في كتابه « الصواعق المرسلة » .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثالثهم فنافيها ونا   في ما تدل عليه بالبهتان
ذا جاحد الرحمن رأساً لم يقـر   بخالق أبدا ولا رحمن
هذا هو الإلحاد فاحذره لعـل   الله أن ينجيك من نيران
وتفوز بالزلفى لديه وجنة المـأوى   مع الغفران والرضوان
لاتوحشنك غربة بين الورى   فالناس كالأموات في الحيان
أو ماعلمت بأن أهل السنة الـغرباء   حقاً عند كل زمان
قل لي متى سلم الرسول وصحبه   والتابعون لهم على الاحسان
من جاهل ومعاند ومنافق   ومحارب بالبغي والعدوان
وتظن أنك وارث لهم وما   ذقت الأذى في نصرة الرحمن
كلا ولا جاهدت حق جهاده   في الله لا بيد ولا بلسان
منتك والله المحال النفس فاسـتحدث سوى ذا الرأي والحسبان
لو كنت وارثه لآذتك الألى   ورثوا عداه بسائر الألوان

ذكر في هذا الفصل إلحاد الطائفة الثالثة من أهل الإلحاد ، وهو إلحاد النفاة

الجاحدين لله ، ولكتبه ، ورسله ، وهذا هو الإلحاد حقاً كما قال الناظم . نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه . شرع الناظم في تعزية أهل السنة، وأنهم هم الغرباء في كل زمان . ولقد أحسن القائل :

قد عرف المنكر واستنـ ـكر الـجهل في رتبـة
فقلت للأبرار أهل التقى والدين لما اشتدت الكربة
لاتنكروا أحوالكم قد أتت نوبتكم في زمن الغربة

وللحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب كتاب « كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة » .

فصل

في النوع الثـاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين .

هذا وثاني نوعي التوحيد تو حيد العبادة منك للرحمن
أن لاتكون لغيره عبداً ولا تعبد بغير شريعة الإيمان
فتقوم بالاسلام والإيمان والـ إحسان في سر وفي إعلان
والصدق والاخلاص ركنا ذلك التـوحيد كالركنين للبنيان
وحقيقة الاخلاص توحيد المـراد فلا يزاحمه مراد ثان
لكن مراد العبد يبقى واحداً مافيه تفريق لدى الانسان

إن كان ربك واحداً سبحانه فاخصصه بالتوحيد مع إحسان
إن كان ربك واحداً أنشاك لم يشركه اذ أنشاك رب ثان
فكذاك أيضاً وحده فاعبده لا تعبد سواه ياأخا العرفان
والصدق توحيد الارادة وهو بذ ل الجهد لا كسلاً ولا متوان
والسنّة المثلى لسالكها فتو حيد الطريق الأعظم السلطان
فلواحد كن واحداً في واحد أعني سبيل الحق والإيمان
هذي ثلاث مسعدات للذي قد نالها والفضل للمنان
فاذا هي اجتمعت لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان
لله قلب شام هاتيك البرو ق من الخيام فهمّ بالطيران
لولا التعلل بالرجاء تصدعت أعشاره كتصدع البنيان
وتراه يبسطه الرجاء فينثني متمايلاً كتمايل النشوان
ويعود يقبضه الاياس لكونه متخلفاً عن رفقة الإحسان
فتراه بين القبض والبسط اللذا ن هما لأفق سمائه قطبان
وبدا له سعد السعود فصار مســـراه عليه لاعلى الدبران
لله ذياك الفريق فانهم خصوا بخالصة من الرحمن
شدت ركائبهم الى معبودهم ورسوله ياخيبة الكسلان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في النوع الثاني من توحيد الأنبياء والمرسلين، وهو توحيد العبادة . والعبادة في اللغة : الذل . يقال : بعير معبد ، أي . مذلل . وطريق معبد : إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام .

وأما العبادة في اصطلاح العلماء، فقد عرفها طائفة بقولهم : العبادة ماأمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ، ولا اقتضاء عقلي . وعرفها طائفة بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع .

وقال شيخ الاسلام : هي اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والاحسان إلى الجار ، واليتيم ، والمسكين ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء ، والذكر ، والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله ، والانابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضى بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ، فالدين كله داخل في العبادة . انتهى[1] و كل هذه التعريفات للعبادة معناها واحد .

وإذا عرفت معنى العبادة ، فاعلم أن التوحيد نوعان : توحيد في المعرفة والاثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، وهو توحيد الالهية والعبادة .

قال الناظم رحمه الله تعالى : وأما التوحيد الذي دعت اليه الرسل ،

---

(١) قال ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في أول كتابه « العبودية » وقد قام المكتب بطبعه طباعة متقنة وتخريج بعض أحاديثه ، وقدم له مقدمة مطولة الاستاذ الفاضل عبد الرحمن الباني مفتش التربية الاسلامية في وزارة التربية والتعليم في الشام .

ونزلت به الكتب ، فهو نوعان : توحيد في المعرفة والاثبات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، فالأول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعـــالى ، وصفاته ، وأفعاله ، وأسمائه ، وتكلمه بكتبه ، وتكليمه من شاء من عباده ، واثبات عموم قضائه ، وقدره ، وحكمته . وقد أفصح القرآن عن هـذا النوع حد الافصاح ، كما في أول (الحديد) وسورة (طـه) وآخر (الحشر) وأول (تنزيل السجدة) وسورة (الاخلاص) بكمالها ، وغير ذلك .

النوع الثاني: ماتضمنته سورة (قل ياأيها الكافرون) وقوله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ..) آل عمران : ٦٤ الآية وأول سورة (تنزيل الكتاب) وآخرها ، وأول سورة (المؤمن) ووسطها وآخرها ، وأول سورة (الأعراف) وآخرها ، وجملة سورة (الأنعام) وغالب سور القرآن ، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيـــد ، شاهدة به ، داعية إليه ، فان القرآن إما خبر عن الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وأقواله ، فهو التوحيد العلمي الخبري ، وإما دعوة الى عبادته وحده لاشريك له ، وخلع مايعبد من دونه ، فهو التوحيد الارادي الطلبي ، وإما أمر ونهي ، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه ، فهو حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن إكرام أهـل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ويكرمهم به في الآخرة ، فهو جزاء أهل توحيده ، وإمـا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، ومـا يحل بهم في العقبى من العذاب ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم . انتهى .

قال شيخ الاسلام : التوحيد الذي جاء به الرسول إنما يتضمن إثبـات الإلهية لله وحده ، بأن يشهد أن لا إله الا الله ، فلا يعبد إلا إياه ، ولا يتوكل

إلا عليه ، ولا يوالي الا له ، ولا يعادي إلا فيه ، ولا يعمل الا لأجله ، وذلك يتضمن اثبات ماأثبته لنفسه من الأسماء والصفات . قال تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم) البقرة : ١٦٣ وقال تعالى (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون) النحل : ٥١ وقال تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) المؤمنون : ١١٧ وقال تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) الزخرف : ٤٥ وأخبر عن كل نبي من الانبياء أنهم دعوا الناس الى عبادة الله وحده لا شريك له . وقال (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) الممتحنة : ٤ وقال عن المشركين : (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) الصافات : ٣٥ ، ٣٦ وهذا في القرآن كثير ، وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية ، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم ، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف . ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل ، فقد أثبتوا غايه التوحيد ، وأنهم إذا أشهدوا هذا وفنوا فيه ، فقد فنوا في غاية التوحيد ، فان الرجل لو أقر بما يستحق الرب تعالى من الصفات ، ونزهه عن كل مايتنزه عنه ، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء ، لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله الا الله وحده ، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له . والإله : هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة ، وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع ، فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع ، واعتقد أن

هذا المعنى هو أخص وصف الإله ، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية ، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه ، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ ، فان مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق شيء ، وكانوا مع هذا مشركين. قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) يوسف: ١٠٦ قال طائفة من السلف تسألهم : من خلق السموات والارض؟ فيقولون : الله ، وهم مع هذا يعبدون غيره . قال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون) الى قوله (فأنى تسحرون) المؤمنون: ٨٤-٨٩ فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ماسواه ، داعياً له دون ما سواه ، راجياً له خائفاً منه دون ما سواه، يوالي فيه ، ويعادي فيه ، ويطيع رسوله ، ويأمر بما أمر به ، وينهى عما نهى عنه ، وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء ، وابتغوا الشفعاء الذين يشركونهم به ، وجعلوا له أنداداً . قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض) الزمر : ٤٣ ، ٤٤ وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الى قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) يونس: ١٨ وقال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) الأنعام : ٩٤ وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) البقرة : ١٦٥ ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ، ويدعوها ، ويصوم ، وينسك لها ، ويتقرب اليها .

ثم يقول : إن هذا ليس بشرك ، انما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي ، فاذا جعلتها سبباً وواسطة ، لم أكن مشركاً . ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ، أن هذا شرك . انتهى كلامه .

قوله : والصدق والاخلاص ركنا ذلك التوحيد . جعل الاخلاص أحد ركني توحيد العبادة ، والصدق ركنه الآخر ، وفسر الصدق ، بما ذكر . وقال الناظم في بعض كلامه : ومقام الصدق جامع للاخلاص والعزم ، فباجتماعهما يصح له مقام الصدق ، فظهر من كلامه أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص .

قوله : فلواحد . يريد به الاخلاص لله الواحد ، وهذا هو توحيد المراد.

قوله : كن واحداً . يريد به الصدق ، وهو توحيد الارادة .

قوله : في واحد . يريد به توحيد الطريق ، وهو اتباع الكتاب والسنة ، وذلك معني قوله : والسنة المثلى لسالكها ، فتوحيد الطريق الخ . .

قوله : شام ، هو فعل ماض . يقال : شام يشيم شيماً ، إذا نظر من بعد .

فصل

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران

وهو اتخاذ الند للرحمن أياً كان من حجر ومن انسان

يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديان

والله ماساووهمُ بالله في خلق ولا رزق ولا إحسان
فالله عندهم هو الخلاق والرزاق مولى الفضل والإحسان
لكنهم ساووهم بالله في حب وتعظيم وفي ايمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما جعلوا المحبة قط للرحمن
لو كان حبهمُ لأجل الله ما عادوا أحبته على الإيمان
ولما أحبوا سخطه وتجنبوا محبوبه ومواقع الرضوان
شرط المحبة أن توافق من تحـــب على محبته بلا عصيان
فاذا ادعيت له المحبة مع خلا فك مايحب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدَّعي حباً له ماذاك في إمكان
وكذا تعادي جاهداً أحبابه إن المحبة ياأخا الشيطان
ليس العبادة غير توحيد المحـــبة مع خضوع القلب والأركان
والحب نفس وفاقه فيما يحـــب وبغض مالا يرتضى بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه الله ذي الإحسان
هذا هو الإحسان شرط في قبو ل السعي فافهمه من القرآن
والاتباع بدون شرع رسوله عين المحال وأبطل البطلان
فاذا نبذت كتابه ورسوله وتبعت أمر النفس والشيطان
وتخذت أنداداً تحبهم كحـــب الله كنت مجانب الإيمان

ولقد رأينا من فريق يدّعي الـــإسلام شركاً ظاهر التبيان
جعلوا له شركاء والوهم وسووهم به في الحب لا السلطان
والله ماساووهمُ بالله بل زادوهم حباً بلا كتمان
والله ماغضبوا إذا انتهكت محا رم ربهم في السر والإعلان
حتى إذا ماقيل في الوثن الذي يدعونه مافيه من نقصان
فأجارك الرحمن من غضب ومن حرب ومن شتم ومن وعدوان
وأجارك الرحمن من ضرب وتعـــزير ومن سب ومن سجّان
والله لو عطلت كل صفاته ماقابلوك ببعض ذا العدوان
والله لو خالفت نص رسوله نصاً صريحاً واضح التبيان
وتبعت قول شيوخهم أو غيرهم كنت المحقق صاحب العرفان
حتى إذا خالفت آراء الرجا ل لسنة المبعوث بالقرآن
نادوا عليك ببدعة وضلالة قالوا وفي تكفيره قولان
قالوا تنقصت الكبار وسائر الـــعلماء بل جاهرت بالبهتان
هذا ولم نسلبهمُ حقاً لهم ليكون ذا كذب وذا عدوان
وإذا سلبت صفاته وعلوه وكلامه جهراً بلا كتمان
لم يغضبوا بل كان ذلك عندهم عين الصواب ومقتضى الإحسان
والأمر والله العظيم يزيد فو ق الوصف لا يخفى على العميان

وإذا ذكرت الله توحيداً رأيـــت وجوههم مكسوفة الألوان
بل ينظرون اليك شزراً مثل ما ... نظر التيوس إلى عصا الجوبان
وإذا ذكرت بمدحة شركاءهم ... يستبشرون تباشر الفرحـان
والله ماشموا روائح دينه ... يازكمة أعيت طبيب زمان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى هذه في الأبيات الشرك ، وذكر أن الله لايغفره ، كما قال تعالى (إن الله لايغفر ان يشرك به) النساء: ٤٨-١١٦

وقوله : وهو اتخاذ الند للرحمن الخ ؛ أي : إن الشرك هو اتخاذ ند من دون الله يدعوه كما يدعو الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويحبه كما يحب الله ، ونحو ذلك ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي أرسل الله الرسل وأنزل الكتب للنهي عنه ، وتكفير أهله ، واستباحة دمائهم وأموالهم .

قـــوله : والله ماساووهم بالله في خلق الخ ؛ أي : إن المشركين ما ساووا معبوديهم بالله في الخلق ، والرزق ، والاحسان ، وانما ساووهم بالله في المحبة ، والخوف ، والرجاء ، والدعاء ، ونحو ذلك ، كما قال تعالى عن المشركين : انهم يقولون لآلهتهم (تالله ان كنا لفي ضلال مبين . اذ نسويكم برب العالمين) الشعراء : ٩٧ ، ٩٨ ومعلوم أنهم ماساووهم بالله في الخلق والرزق ، وانما ساووهم به في المحبة والتعظيم ، والا فهم يعتقدون أنهم مخلوقون مربوبون ، كما قال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) ... الايات المؤمنون : ٨٤ ، ٨٩ وقال تعالى عنهم (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) الزمر: ٣ وكان المشركون يقولون في تلبيتهم : لبيك لا

شريك لك هو لك تملكه وما ملك . وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) الاية سبأ : ٢٢

قال الناظم رحمه الله تعالى في « شرح المنازل » في الكلام على هذه الآيات : وقد قطع الله الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمله وعرفه ، أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شفيعاً ، فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت . فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومالهم فيها من شرك وماله منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) سبأ ٢٢ ، ٢٣ فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع ، والنفع لايكون الا ممن فيه خصلة من هذه الأربع ، اما مالكاً لما يريد عابده منه ، فان لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ، فان لم يكن شريكاً له كان معيناً وظهيراً ، فان لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده . فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مرتباً منتقلا من الأعلى الى الأدنى ، فنفى الملك ، والشركة ، والمظاهرة ، والشفاعة التي يطلبها المشرك ، أثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة باذنه ، فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك وموادهلمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، ويظنه في نوع ، وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك . ثم قال : ومن أنواعه ؛ أي الشرك ، طلب الحوائج

من الموتى ، والاستغاثة بهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً لمن استغاث به وسأله أن يشفع له الى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، كأنه لا يقدر أن يشفع عند الله الا باذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لاذنه ، وانما السبب كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن ، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها ، وهذه حالة كل مشرك ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود ، وتغيير دينه ، ومعادات أهل التوحيد ، ونسبة أهله الى التنقيص بالأموات ، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص ، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم أمروهم به ، وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم ، وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم الى الله ، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده ، فجرد حبه لله ، وخوفه لله ، ورجاءه لله ، وتوكله على الله ، واستعانته بالله ، والتجاءه الى الله ، واستغاثته بالله ، وقصده لله ، متبعاً لأمره ، متطلباً لمرضاته ، اذا سأل سأل الله ، واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل لله ، فهو لله ، وبالله ، ومع الله . انتهى كلامه ،

قولــــه : ولقد رأينا من فريق يدعي الاسلام الخ . قد ذكر الناظم في « شرح المنازل » كلاماً كالشرح لكلامه هذا . قـــال رحمه الله تعالى : وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فالاكبر لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، ولهذا قـــالوا لآلهتهم في النار

(تالله ان كنا لفي ضلال مبين. اذ نسويكم برب العالمين) الشعراء ٩٧ ، ٩٨ مع اقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ، ومليكه ، وأن آلهتهم لاتخلق ، ولا ترزق ، ولاتميت ولا تحيي ، وانما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة ، كما هو حال مشركي العالم ، بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ، ويوالونها من دون الله ، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر اللـه وحده ، ويغضبون لتنقص معبوديهم و آلهتهم من المشايخ أَعظم مما يغضبون إذ انتقص أحد رب العالمين ، واذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوديهم ، غضبوا غضب الليث ، واذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها ، بل اذا قام المنتهك لها باطعامهم شيئاً أعرضوا عنه ولم تتنكر له قلوبهم ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر آلهه ومعبوده من دون اللـه على لسانه ، ان قام ، وان قعد ، وان عثر ، وان استوحى ، فذكر الهه ومعبوده من دون اللـه هو الغالب على قلبه ولسانه ، وهو لاينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته الى الله ، وشفيعه عنده ، ووسيلته اليه ، وهكذا كان عباد الأصنام سواء وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ، فأولئك كانت من الحجر ، وغيرهم اتخذها من البشر . قال تعالى حاكياً عن أسلاف هؤلاء المشركين (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى إن اللـه يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) الزمر : ٣ ثم شهد عليهم بالكذب والكفر ، وأخبر أنه لا يهديهم ، فقال (ان اللـه لا يهدي من هو كاذب كفار) الزمر : ٣ فهذه حال من اتخذ من دون اللـه ولياً يزعم أنه يقرب الى اللـه ، وما أعز من تخلص من هذا ، بل

ما أعز من لا يعادي من أنكره، والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك. وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه، وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه، ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، فإنه يأذن سبحانه لمن يشاء في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوا شفعاء من دونه، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن له صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعاً من دون الله.

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله، الشفاعة الصادرة عن اذنه لمن وحده، والشفاعة التي نفاها الله الشفاعة الشركية في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم، ويفوز بها الموحدون، فتأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة وقد سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله؟ قال: « أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله الا الله » كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين، أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء، وعبادتهم، وموالاتهم من دون الله، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع. ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذ ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له وينفعه عند الله، كما يكون خواص الملوك والولاة، تنفع من والاهم، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد في الشفاعة الا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة الا لمن رضي قوله وعمله، كما قال تعالى في الفصل الأول: (من الذي يشفع عنده إلا بإذنه) البقرة: ٢٥٥ وفي الفصل الثاني (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) الأنبياء: ٢٨ وبقي فصل ثالث وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد، واتباع الرسول، وعن هاتين الكلمتين يسأل الأولون والآخرون، كما قال أبو العالية: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فهذه

ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها ، لاشفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول الا توحيده واتباع رسوله ، فان الله تعالى لايغفر شرك العادلين به غيره في العبادة ، والموالاة والمحبة ، كما في الآية الأخرى (تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين) الشعراء : ٩٧، ٩٨ وكما في آية البقرة (يحبونهم كحب الله) البقرة : ١٦٥ وترى المشرك يكذب حاله وعمله قوله ، فانه يقول : لانحبهم كحب الله ، ولا نسويهم بالله ، ثم يغضب لهم ولحرماتهم إذا انتهكت أعظم مما يغضبه لله ، ويستبشر بذكرهم ، سيما إذا ذكر عنهم ما ليس فيهم ، من إغاثة اللهفات ، وتفريج الكربات ، وقضاء الحاجات ، وأنهم باب بين الله وعباده ، فترى المشرك يفرح ويسر ، ويحن قلبه ، ويهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم ، والموالاة . وإذا ذكرت الله وحده وجردت توحيده لحقته وحشة ، وضيق ، وحرج ، ورماك بتنقص الآلهة التي له ، وربما عاداك . رأينا هذا والله منهم عياناً ، ورمونا بعداوتهم ، وبغوا لنا الغوائل ، والله مخزيهم في الدنيا والآخرة ، ولم يكن حجتهم إلا أن قالوا كما قال إخوانهم : عاب آلهتنا ، فقال : هؤلاء تنقصتم مشايخنا ، وأبواب حوائجنا الى الله ؛ وهكذا قال النصارى للنبي ﷺ لما قال لهم : ان المسيح عبد. تنقصت المسيح ،وعبته ، . وهكذا أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أوثاناً تعبد ، ومساجد ، وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن الله فيه ورسوله ، قالوا : تنقصت أصحابها ، فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم ،حتى كأنهم قد تواصوا به ، ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً . انتهى كلامه .

قوله: حرب، يحتمل أنه يكون بسكون الراء، وهو معروف، جمعه حروب، ويحتمل أنه بفتح الراء مصدر حرب. قال في «القاموس»: حرب كفرح كلب، واشتد غضبه فهو حرب.

قوله: مكسوفة الألوان، هو بالسين المهملة. قال في «القاموس»: ورجل كاسف البال، سيء الحال، وكاسف الوجه: عابسه.

قوله: شزر الخ. قال في «القاموس»: شزره، واليه يشزره، نظر منه في أحد شقيه، وهو نظر فيه إعراض، أو نظر الغضبان بمؤخر العين، أو النظر يميناً وشمالاً.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فصل

في صف العسكرين وتقـــابل الصفين واستدارة رحى الحرب العوان وتصاول الأقران.

العوان: بفتح العين أي: حرب بعد حرب

يامن يشب الحرب جهلاً مالكم ... بقتال حزب الله قط يدان
أنى يقاوم جندكم لجنودهم ... وهم الهداة وعسكر القرآن
وجنودكم مابين كذاب ودجا ... ل ومحتال وذي بهتان
من كل أرعن يدعي المعقول وهـــو مجانب للعقل والإيمان

قال في « القاموس » الأرعن : الأهوج في منطقه ، الأحمق المسترخي ، وقد رعن مثلثه رعونة ورعناً محركة ، وما أرعنه انتهى .

أو كل مبتدع وجهمي غدا في قلبه حرج من القرآن
أو كل من قد دان دين شيوخ أهـ ـل الاعتزال البيّن البطلان
أو قائل بالاتحاد وأنه عين الاله وما هما شيآن
أو من غدا في دينه متحيراً أتباع كل ملدد حيران
وجنودهم جبريل مع ميكال مع باقي الملائك ناصري القرآن
وجميع رسل الله من نوح إلى خير الورى المبعوث من عدنان
فالقلب خمستهم أولو العزم الألى في سورة الشورى أتوا ببيان
في أول الأحزاب أيضاً ذكرهم هم خير خلق الله من إنسان

قوله : في سورة الشورى الخ . في قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى . .) الآية. وفي الأحزاب :١٣ (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم . . .) الأحزاب : ٧ الآية .

ولواؤهم بيد الرسول محمد والكل تحت لواء ذي الفرقان
وجميع أصحاب الرسول عصابة الاسلام أهل العلم والإيمان
والتابعون لهم بإحسان على طبقاتهم في سائر الأزمان
أهل الحديث جميعهم وأئمة الـ ـفتوى وأصل حقائق العرفان

العارفون بربهم ونبيهم ومراتب الأعمال في الرجحان
صوفية سنية نبوية ليسوا أولي شطح ولا هذيان
هذا كلامهمُ لدينا حاضر من غير ما كذب ولا كتمان
فاقبل حوالة من أحال عليهم هم أملياؤهمُ أولو إمكان

أي : إن كلام المذكورين لدينا حاضر ، وقد أحلناكم عليه ، فاقبل أيها المحال الحوالة ، كما قال ﷺ «من أحيل على مليء فليتبع »

فاذا بعثنا غارة من أخريا ت العسكر المنصور بالقرآن
طحنتكم طحن الرحى للحب حتى صرتم كالبعر في القيعان
أنى يقاوم ذا العساكر طمطم أو تنكلوشا أو أخو اليونان

طمطم وتنكلوشا من فلاسفة الهند

أعني أرسطو عابد الأوثان أو ذاك الكفور معلم الألحان
ذاك المعلم أولاً للحرف والثاني لصوت بئست العلمان
هذا أساس الفسق والحرف الذي وضعوا أساس الكفر والهذيان

يعني أن أرسطو هو معلم الحرف ، والمراد به المنطق ، لأنه أول من وضع التعاليم المنطقة ، والمعلم الثاني هو الفارابي ، وهو محمد بن محمد أبو نصر الفارابي التركي الفيلسوف ، وكان من أعلم الناس بالموسيقى ، بحيث كان يتوصل بصناعته الى التأثير في الحاضرين من مستمعيه إن شاء حرك مايبكي ، أو مايضحك ، أو ماينوم . وكان حاذقاً في الفلسة ، ومن كتبه تفقه ابن سينا ، وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني ، وتخصيص المعاد للأرواح العالمة

لا الجاهلة . وله مذاهب في ذلك تخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ، فعليه ان مات على ذلك لعنة رب العالمين . وقد كانت وفاته بدمشق فيما قاله ابن الأثير في « كامله » في سنة ٣٣٩ .

أو ذلك المخدوع حامل راية الـ ـحاد ذاك خليفة الشيطان
أَعني ابن سينا ذلك المحلول من أديان أهل الأرض ذا الكفران
وكذا نصير الشرك في أتباعه أَعداء رسل الله والإيمان
نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم وغزوا جيوش الدين والقرآن
فجرى على الاسلام أعظم محنة لم تجر قط بسالف الأزمان
أو جعد أو جهم وأتباع لهم هم أمة التعطيل والبهتان
أو حفص أو بشر أو النظّام ذا ك مقدم الفساق والمجان
والجعفران كذاك شيطان ويد عى الطاق لا حييت من شيطان
وكذلك الشحام والعلاف والـ ـنجار أهل الجهل بالقرآن
والله ما في القوم شخص رافع بالوحي رأساً بل برأي فلان
وخيار عسكركم فذاك الأشعري القرم ذاك مقدم الفرسان
لكنكم والله ما أنتم على إثباته والحق ذو برهان
هو قال إن الله فوق العرش واسـ ـتولى مقالة كل ذي بهتان
في كتبه طراً وقرر قول ذي الـ ـإثبات تقريراً عظيم الشان

لكنكم أكفرتموه وقلتمُ   من قال هذا فهو ذو كفران
فخيار عسكركم فأنتم منهم   برآء إذ قربوا من الإيمان

تقدمت ترجمة ابن سينا ، والنصير الطوسي ، والجعفران : هما جعفر بن مبشر ، وجعفر بن حرب ، وحفص : هو حفص الفرد الذي كان يناظر الشافعي ، وهو من تلاميذ حسين النجار ، وبشر هو ابن غياث المريسي ، والنظام هو ابراهيم بن سيار النظام ، وشيطان الطاق هو أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان الكوفي المعتزلي الشيعي الصيرفي المعروف بشيطان الطاق من أجل أنه كان صيرفياً بطاق المحامل من بغداد ، فاختلف هو وصيرفي في نقد درهم فغلبه ، فقال متبجحاً أنا شيطان الطاق ، فغلب عليه هذا الاسم ، والرافضة تنتحله وتسميه ميمون الطاق ، وله قضية مع أبي حنيفة رحمه الله ، وله شعر جيد . قال بشار بن برد : شيطان الطاق أشعر مني ، ومذهبه أن الامامة لم تزل الى موسى بن جعفر الصادق ، فلما مات موسى قطع الامامة ، ووافق هشام ابن الحكم في قوله : ان الله تعالى يعلم الاشياء بعد وقوعها ، ولا يعلم أنها ستقع ، وزعم أن الله تعالى على صورة الانسان ، لقوله عليه السلام : «إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن»[1] ليس بجسم . وله كتب عديدة ، منها

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن ابي عاصم في السنه ، والطبراني من حديث ابن عمر ، وأعله بعضهم. وقال بعضهم : المراد بالصورة الصفة ، والمعنى إن الله خلق آدم على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك

والذي في الصحيحين عن ابي هريرة : « إن الله خلق آدم على صورته » اي على صورة آدم التي كان عليها من مبدإ فطرته الى موته ، لم تتفاوت قامته ، ولم تتغير هيئته ، بخلاف بنيه ، فان كلاً منهم يكون نطفة ثم علقة ثم عظاماً . . . الخ

والحديث مخرج مخرج الزجر والتهويل ، لوروده عقب قوله: « لا تقولوا قبح الله وجهك ، فان الله خلق آدم على صورته » اي على صورة هذا الوجه المقبح .

كتاب « افعل لما فعلت » و كتاب « افعل لا تفعل » وعنده أن كبار الفرق أربعة : القدرية ، والخوارج ، والعامة ، والشيعة ، فالناجي في الآخرة من الفرق الشيعة . ومن رأيه ورأي هشام الامساك عن الكلام في الله تعالى ، بقوله تعالى . (وأن الى ربك المنتهى) النجم : ٤٢ أي اذا بلغ الكلام الى الله تعالى فأمسكوا . قالا : ولذلك أمسكنا عن القول في الله ، والتفكير فيه . وقيل له : ويحك أما استحيت ؟ أما اتقيت الله تعالى أن تقول في كتاب الامامة : إن الله لم يقل قط في القرآن (ثاني اثنين اذ هما في الغار) التوبة : ٤٠ فضحك طويلاً . وكانت وفاته في حدود الثمانين ومائة . ومن شعره

ولا تكن في حب الأخلاء مفرطاً وإن أنت أبغضت البغيض فأجمل
فإنك لا تدري متى أنت مبغض صديقك أو تعذر عدوك فاعقل

وأبو الهذيل محمد بن الهذيل العـــلاف . والنجار هو الحسين بن محمد النجار .

قوله : القرم : السيد. أصله فحل الابل، قال الخطابي : معناه المقدم في المعرفة بالأمور والرأي

وقوله : لكنكم كفرتموه الخ . هذا تكفير باللزوم . أي لأنهم كفروا من قال بهذا القول .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذي العساكر قد تلاقت جهرة ودنا القتال وصيح بالأقران
صفوا الجيوش وعبئوها وابرزوا للحرب واقتربوا من الفرسان

فهمُ الى لقياكم بالشوق كي يوفوا بنذرهم من القربان
ولهم اليكم شوق ذي قرم فما يشفيه غير موائد اللحمان

قال في « القاموس » : القرم محركة شده شهوة اللحم ، كثر حتى قيل في الشوق الى الحبيب .

تباً لكم لو تعقلون لكنتمُ خلف الخدور كأضعف النسوان
من أين أنتم والحديث وأهله والوحي والمعقول بالبرهان
ماعندكم الا الدعاوي والشكا وي أو شهادات على البهتان
هذا الذي والله نلنا منكمُ في الحرب إذ يتقابل الصفان
والله مـاجئتم بقال الله أو قال الرسول ونحن في الميدان
إلا بجعجعة وفرقعة وغمغمة وقعقعة بكل شنان
ويحق ذاك لكم وأنتم أهله أنتم بحاصلكم أولو عرفان
وبحقكم تحموا مناصبكم وان تحموا مآكلكم بكل سنان
وبحقنا نحمي الهدى ونذب عن سنن الرسول ومقتضى القرآن
قبح الإله مناصباً ومآكلاً قامت على العدوان والطغيان
والله لو جئتم بقال الله أو قال الرسول كفعل ذي الإيمان
كنا لكم شاويش تعظيم وإجـــلال كشاويش لذي سلطان
لكن هجرتم ذا وجئتم بدعة وأردتم التعظيم بالبهتـان

فصل

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فلان
كلا ولا جحد الصفات لربنا ... في قالب التنزيه والسبحان
كلا ولا نفي العلو لفاطر الـ ... ـأكوان فوق جميع ذي الأكوان
كلا ولا عزل النصوص وانها ... ليست تفيد حقائق الإيمان
إذ لاتفيدكمُ يقيناً لا ولا ... علماً فقد عزلت عن الإيقان
والعلم عندكم ينال بغيرها ... بزبالة الأفكار والأذهان

قال في « القاموس » : الزبل بالكسر، وكأمير : السرقين ، والزبلة بضم الباء : ملقـاه وموضعه . وزبل زرعه يزبله : سمده ، وككتاب : ماتحمله النخلة

سميتموه قواطعاً عقلية ... وهي الظواهر حاملات معان

أي إنكم سميتم ما وضعتموه من الفعليات قواطع عقلية بزعمكم ، وأما الكتاب والسنة فهي أدلة لفظية محتملة لمعـان ، وهي الاحتمالات التسعة أو العشرة ، وقد تقدمت ، فلذلك لاتفيد اليقين

كلا ولا إحصاء آراء الرجا ... ل وضبطها بالحصر والحسبان

كلا ولا التأويل والتبديل والـــتحريف للوحيين بالبهتان
كلا ولا الاشكال والتشكيك والـــوقف الذي مافيه من عرفان
هذي علومكم التي من أجلها عاديتمونا يا أولي العرفان

هذه الأبيات التي صدر بها الناظم هذا الفصل تشابه ما أنشده الحافظ مؤرخ الاسلام أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي رحمه الله تعالى .

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي سفيه
كلا ولا نصب الخلاف جهالة بين النصوص وبين رأي فقيه
كلا ولا رد النصوص تعمداً حذراً من التجسيم والتشبيه
حاشا النصوص من الذي رميت به من فرقة التعطيل والتمويه

قال الناظم :

فصل

في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المعطلة وأهل الالحاد حزب جنكسخان .

قال في « القاموس » : الهدنة بالضم : المصالحة ، كالمهادنة

ياقوم صالحتم نفاة الذات والـــأوصاف صلحاً موجباً لأمان
وأغرتم وهنا عليهم غارة فقعقعتم فيها لهم بشنان
ماكان فيها من قتيل منهم كلا ولا فيها أسير عان
ولطفتم في القول أوصانعتم وأتيتم في بحثكم بدهان
وجلستم معهم مجالسكم مع الـــأستاذ بالآداب والميزان

وضرعتمُ للقول كل ضراعة حتى أعاروكم سلاح الجاني
فغزوتم بسلاحهم لعساكر الـــإثبات والآثار والقرآن
ولأجل ذا صانعتموهم عند حر بكمُ لهم باللطف والإذعان
ولأجل ذا كنتم مخانيثاً لهم لم تنفتح منكم لهم عينان
حذراً من استرجاعهم لسلاحهم فترون بعد السلب كالنسوان

يعني الناظم رحمه الله تعالى أن المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم لما ابتدعوا دليـل الاكوان المعروف ، وقصدوا بذلك الرد على الفلاسفة . قال شيخ الاسلام ، وقالوا : ان دين الاسلام انما يقوم على هذا الأصل وانه لايعرف أن محمداً رسول الله الا بهذا الأصل ، فان معرفة الرسول متوقفة على معرفة المرسل ، فلا بد من إثبـات العلم بالصانع أولاً ، ومعرفة مايجوز عليه ومـــا لايجوز عليه ، قالوا : وهذا لايمكن معرفته الا بهذا الطريق . ويقول كثير منهم : إن هذه طريقة ابراهيم الخليل المذكورة في قوله (لاأحب الآفلين) الأنعام : ٧٦ قالوا : فان ابراهيم استدل بالأفول ، وهو الحركة والانتقال ، على أن المتحرك لايكون إلهاً . قالوا : ولهذا يجب تأويل ماورد عن الرسول مخالفاً لذلك عن وصف الرب بالاتيان ، والمجيء ، والنزول ، وغير ذلك ، فان كونه نبياً لم يعرف الا بهذا الدليـل العقلي ، فلو قدح في ذلك ، لزم القدح في دليل نبوته ، فلم يعرف أنه رسول الله ، وهذا ونحوه هو الدليل العقلي الذي نقول : إنه عارض السمع ، ونقول : اذا تعـــارض السمع والعقل امتنـــع تصديقهما وتكذيبهما ، وتصديق السمع دون العقل ، لأن العقل هو أصل السمع ، فلو جرح أصل الشرع كان جرحاً له ، ولأجل

هذا الطريق نفت الجهمية والمعتزلة الصفات والرؤية ، وقالوا : القرآن مخلوق ، ولأجلها قالت الجهمية بفناء الجنة والنار ، ولأجلها قال العلاف بفناء حركاتها ، والتزم قوم لأجلها أن كل جسم له طعم ولون وريح . فقال لهم الناس : أما قولكم : إن هذه الطريقة هو الأصل في معرفة الاسلام ، ونبوة الرسل ، فهذا مايعلم فساده بالاضطرار من دين الاسلام ، فانه من المعلوم لكل من عرف حال الرسول وأصحابه ، وما جاء به من الإيمان والقرآن أنه لم يدع الناس بهذه الطريقة ابداً ، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ، فكيف تكون هي أصل الايمان ؟ ! والذي جاء بالإيمان وأفضل الناس إيماناً لم يتكلموا بها البتة ، ولا سلكها منهم أحد ، والذين علموا أن هذه طريقة مبتدعة حزبان : حزب ظنوا أنها صحيحة في نفسها لكن أعرض السلف عنها لطول مقدماتها وغموضها ، وما يخاف على سالكها من الشك والتطويل ، وهذا قول جماعة ، كالأشعري في رسالته الى الثغر ، والخطابي ، والحليمي ، والقاضي أبي يعلى ، وابن عقيل ، وأبي بكر البيهقي ، وغير هؤلاء . والثاني : قول من يقول : بل هذه طريقة باطلة في نفسها . ولهذا ذمها السلف وعدلوا عنها ، وهذا قول أئمة السلف ، كابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وأبي يوسف ، ومالك ابن أنس ، وعبد العزيز بن الماجشون ، وغير هؤلاء من السلف . وحفص الفرد لما ناظر الشافعي في مسألة القرآن ، وقال : القرآن مخلوق ، وكفره الشافعي ، كان قد ناظره بهذه الطريقة ، وكذلك أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث كان من المناظرين الامام أحمد في مسألة القرآن بهذه الطريقة ، وقال لهم الناس : إن هذا الاصل الذي ادعيتم إثبات الصانع به ، وأنه لايعرف إثبات خالق للمخلوقات إلا به ، هو بعكس ماقلتم ، بل هذا الأصل يناقض كون الرب خالقاً للعالم ، ولا يمكن مع القول به القول بحدوث العالم ، ولا الرد على

الفلاسفة ، فالمتكلمون الذين ابتدعوه ، وزعموا أنهم به نصروا الاسلام ، وردوا به على أعدائه ، كالفلاسفة، لا الاسلام نصروا ، ولا لعدوه كسروا ، بل كان ما ابتدعوه مما أفسدوا به حقيقة الاسلام على من اتبعهم ، فأفسدوا عقله ودينه ، واعتدوا به على من نازعهم من المسلمين، وفتحوا لعدو الاسلام باباً الى مقصوده ، فان حقيقة قولهم : ان الرب لم يكن قادراً ، ولا كان الكلام والفعل ممكنا له ، ولم يزل كذلك دائماً مدة أو تقدير مدة لا نهاية لها ، ثم انه تكلم وفعل من غير سبب اقتضى ذلك ، وجعلوا مفعوله هو فعله ، وجعلوا فعله وارادته بعلة قديمة أزلية ، والمفعول متأخراً ، وجعلوا القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح ، وكل هذا خلاف المعقول الصريح ، وخلاف الكتاب والسنة . وأنكروا صفاته ورؤيته وقالوا : كلامه مخلوق ، وهو خلاف دين الاسلام ، والذين اتبعوهم وأثبتوا الصفات قالوا : يريد جميع المرادات بارادة واحدة ، وكل كلام تكلم به ، أو يتكلم به ، انما هو شيء واحد ، لا يتعدد ولا يتبعض ، واذا رؤي رؤي لا بمواجهة ولا معاينة وانه لم يسمع ، ولم يرى الأشياء حتى وجدت ، لم يقم به أنه موجود ، بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك . . الى أمثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح ، والمنقول الصحيح . ثم لما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء ، وان هذا هو الاسلام الذي عليه هؤلاء ، علموا فساد هذا ، أظهروا قولهم بقدم العالم ، واحتجوا بأن تجدد الفعل بعد أن لم يكن ممتنع ، بل لابد لكل متجدد من سبب حادث ، فيكون الفعل دائماً ، ثم ادعوا دعوى كاذبة لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها ، وهو أنه اذا كان الفعل دائماً لزم قدم الأفلاك والعناصر ، ثم لما أرادوا تقرير النبوة جعلوها فيضاً يفيض على نفس النبي من العقل الفعال أو غيره من غير أن يكون رب العالمين يعلم

له رسولاً، معيناً ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولا يعلم الجزئيات ، ولا نزل من عنده ملك ، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ، وهو العقل الفعال . وأنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر ، وغير ذلك مما أخبر به الرسول ﷺ ، وزعموا أن ماجاء به الرسول ﷺ إنما أراد به خطاب الجمهور بما يخيل اليهم بما ينتفعون اليه من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك ، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق وعلمت الناس ما الأمر عليه . ثم منهم من يفضل الفيلسوف على النبي . وحقيقة قولهم : أن الأنبياء كذبوا للمصلحة لما ادعوه من نفع الناس ، وهل كانوا جهلاء؟ على قولين لهم . إلى غير ذلك من انواع الالحاد والكفر الصريح ، والكذب على النبي ﷺ ، وعلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى . وقول شيخ الاسلام : انهم ، يعني المتكلمين : لا للاسلام نصروا ، ولا لعدوه كسروا ، هو معنى قول الناظم : وأغرتم وهناً عليهم غارة الخ .

قوله : ولطفتم في القول أو صانعتم . يعني أنكم لضعف دليلكم صانعتم الفلاسفة وتلطفتم بالرد عليهم ، لأن بعض المتكلمين يصرحون بتكافيء الأدلة ، كما قال الامام شيخ الاسلام أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الانصاري في كتاب « ذم الكلام » قال : وقد سمعت محمد بن زيد العمري النسابة ، أخبرنا المعافى ، سمعت أبا الفضل الحارثي القاضي بسرخس يقول : سمعت زاهر بن أحمد يقول : أشهد لمات فلان متحيراً لسبب مسألة تكافيء الأدلة ، وذكر إماماً من أئمة المتكلمين ، ونقل شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب « العقل والنقل » قال : وقد بلغني باسناد متصل عن بعض رؤوسهم ، وهو عند كثير منهم غاية في هذا الفن أنه قال عند الموت . أموت وما علمت شيئاً ، الا أن الممكن يفتقر الى الواجب

ثم قال : الافتقار وصف عدمي أموت وما علمت شيئاً ، وكذلك الاصبهاني اجتمع بالشيخ ابراهيم الجعبري يوماً فقال له : بت البارحة أفكر إلى الصباح في دليل على التوحيد سالم عن المعارض ، فما وجدته ، وكذلك حدثني من قرأ على ابن واصل الحموي أنه قال ، أبيت بالليل وأستلقي على ظهري ، وأضع الملحفة على وجهي ، وأبيت أقابل أدلة هؤلاء بأدلة هؤلاء ، وبالعكس ، وأصبح وماترجح عندي شيء ، كأنه يعني أدلة المتكلمين من الفلاسفة . انتهى كلام الشيخ .

قوله : قعقعة فيها لهم بشنان ، القعقعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره . الشنان : جمع شن ، وهو القربة البالية ، وهم يحركونها اذا أرادوا حث الإبل على السير لتفزع فتسرع .

قال النابغة :

كأنك من جمال بني أقيش يقعقع خلف رجليه بشن

مثل يضرب لمن لايتضعضع لما ينزل به من حوادث الدهر ، ولايروعه ما لا حقيقة له.

ومعنى كلام الناظم رحمه في هذا الفصل : إنكم أيها النفاة صانعتم الفلاسفة ، وناظرتموهم مناظرة ضعيفة ، لم تزدهم الاشراً وإغراء .

قوله : ولأجل ذا صرتم مخانيثاً لهم الخ . هذا كما يقال المعتزلة مخانيث الفلاسفة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وبحثتمُ مع صاحب الاثبات بالتكفير والتضليل والعدوان

وقلبتم ظهر المجن له وأجلبتم عليه بعسكر الشيطان

والله هذي رتبة لايختفي مضمونها إلا على الثيران

هـذا وبينهما أشد تفاوت فئتان في الرحمن مختصمان
هذا نفى ذات الاله ووصفه نفياً صريحاً ليس بالكتمان
لكنّ ذا وصف الاله بكل أو صاف الكمال المطلق الرباني
ونفى النقائص والعيوب كنفيه الـ ـتشبيه للرحمن بالانسان
فلأي شيء كان حربكمُ له بالجد دون معطل الرحمن

قوله : وبحثتم مع صاحب الاثبات الخ ؛ أي أنكم خرجتم عن الحد في بحثكم مع صاحب الاثبات ، وكفرتموه وضللتموه واعتديتم عليه .

قوله : وقلبتم ظهر المجن. قال في « القاموس » المجن ، والمجنة ، بكسرهما والجنان بالضم : الترس ، وقلب مجنه أسقط الحياء ، وفعل ماشاء ، أو ملكه أمره ، أو اشتد به .

قوله : هذا نفى ذات الاله ووصفه الخ . أي : إن المعطل نفى ذات الرب سبحانه وصفاته ، وهذا من الناظم في نفي ذات الرب سبحانه على سبيل الالزام ، والمثبت أثبت صفات الكمال لربه سبحانه ونفى عنه النقائص والعيوب ، فلاي شيء كان حربكم للمثبت بالحد ؛ أي : (حاربتموهم أشد الحرب)[1] وأما المعطلة فصانعتموهم وداهنتموهم في البحث ، وتأدبتم معهم وانما ذلك لخوف استرجاعهم سلاحهم الذي تسلحتم على نفي صفات الرب سبحانه قال الناظم :

قلنا نعم هذا المجسم كافر أفكان ذلك كامل الايمان ؟!
لاتنطفي نيران غيظكم على هذا المجسم ياأولي النيران

(١) بياض في الأصل .

فالله يوقدها ويصلي حرها　　يوم الحساب محرف القرآن
ياقومنا لقد ارتكبتم خطة　　لم يرتكبها قط ذو عرفان
وأعنتمُ أعداءكم بوفاقكم　　لهمُ على شيىء من البطلان

أي: لما قلنا للمتكلمين: لأي شيء كان حربكم للمثبتة أشد الحرب ، دون المعطلة . قالوا لنا في الجواب : إن المثبت كافر. فيقال لهم ، فهل المعطل كامل الايمان ؟

قــوله : وأعنتم أعداءكم بوفاقكم الخ ؛ أي إنكم معاشر المتكلمين أعنتم أعداءكم المعطلة على شيء من الباطل ، كنفي صفات الرب سبحانه أو بعضها ، وقولكم بخلق القرآن ، وإنكار رؤية الله سبحانه في الآخرة ، وغير ذلك

قــال الناظم :

أخذوا نواصيكم بها ولحاكمُ　　فغدت تجر بذلة وهوان
قلتم بقولهم ورمتم كسرهم　　أنى وقد غلقوا لكم برهان
وكسرتم الباب الذي من خلفه　　أعداء رسل الله والايمان
فأنى عدو مالكم بقتالهم　　وبحربهم أبد الزمان يدان

أي : إن المتكلمين لما قالوا ببعض أقوال المعطلة صعب الرد عليهم منهم ؛ لأنهم قد غلقوا لهم برهان ، فلهذا عجزوا عن الرد عليهم .

قــال الناظم :

فغدوتم أسرى لهم بحبالهم　　أيديكم شدت الى الأذقان

حملوا عليك كالسباع استقبلت حمراً مقفرة ذوي أرسان
صالوا عليكم بالذي صلتم به أنتم علينا صولة الفرسان
لولا تحيزكم الينا كنتم وسط العرين ممزقي اللحمان
لكن بنا استنصرتم وبقولنا صلتم عليهم صولة الشجعان
وليتم الاثبات اذ صلتم به وعزلتم التعطيل عزل مهان
وأتيتم تغزوننا بسرية من عسكر التعطيل والكفران
من ذا بحق الله أجهل منكم وأحقنا بالجهل والعدوان
تالله مايدري الفتى بمصابه والقلب تحت الختم والخذلان

قوله: لولا تحيزكم الينا الخ . يعني إن المتكلمين في بعض الأحوال، يتحيزون الى المثبتة وأهل الحديث ، كما صنف الامام أبو الحسن الأشعري المصنفات الكثيرة بعد رجوعه عن مذاهب المعتزلة في نصرة أهل السنة وأصحاب الحديث. كـ«الابانة في أصول الديانة » و«مقالات الاسلاميين » و « رسائل الثغر » وغير ذلك ، و كما قال الفخر الرازي في آخر مصنفاته ، وهو كتاب « أقسام اللذات » لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ؛ ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ و (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ واقرأ في النفي (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى : ١٠ (ولا يحيطون به علما) طه : ١١٠ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .

قــال الناظم :

فصل

في مصارع النفاة والمعطلين بأسنة أمراء الاثبات الموحدين .

الأسنة : جمع سنان بكسر السين ، وهو : الرمح .

وإذا أردت ترى مصارع من خلا من أمة التعطيل والكفران
وتراهم أسرى حقيراً شأنهم أيديهم غلت الى الأذقان
وتراهم تحت الرماح دريئة مافيهم من فارس طعان

تقدم معنى الدريئة .

وتراهم تحت السيوف تنوشهم من عن شمائلهم وعن أيمان
وتراهم انسلخوا من الوحيين والـعقل الصريح ومقتضى القرآن
وتراهم والله ضحكة ساخر ولطالما سخروا من الايمان
قد أوحشت منهم ربوع زادها الـجبار إيحاشا مدى الأزمان

قال في « القاموس » الربع : الدار بعينها حيث كانت ، جمع رباع ، وربوع ، وأربع ، وأرباع ، والمحلة ، والمنزل ، والنفس ، وجماعة الناس ، والموضع يرتبعون فيه في الربيع ، كالمربع ، كمقعد . انتهى .

وخلت ديارهم وشتت شملهم مافيهم رجلان مجتمعان

قد عطل الرحمن أفئدة لهم من كل معرفة ومن ايمان
إذ عطلوا الرحمن من أوصافه والعرش أخلوه من الرحمن
بل عطلوه عن الكلام وعن صفا ت كماله بالجهل والبهتان
فاقرأ تصانيف الامام حقيقة شيخ الوجود العالم الرباني
أعني أبا العباس أحمد ذلك الـــبحر المحيط بسائر الخلجان

الخليج من البحر : شرم منه ، وهو أيضاً النهر ، وقيل جانباه : خليجاه والجمع خلج بضمتين . قاله في « مختار الصحاح »

واقرأ كتاب العقل والنقل الذي مافي الوجود له نظير ثان
وكذاك منهاج له في رده قول الروافض شيعة الشيطان
وكذاك أهل الاعتزال فانه أرادهم في حفرة الجبــان
وكذلك التأسيس أصبح نقضه أعجوبــة للعالم الـــرباني

التأسيس المذكور : هو « تأسيس التقديس » للفخر الرازي في تأويل الصفات الخبرية ، صنفه للملك العادل ؛ أي : بكر بن أيوب ، وقد نقض شيخ الاسلام بكتاب « تخليص التلبيس من تأسيس التقديس » ويسمى أيضاً « بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، وهو كتاب عظيم نفيس. قـــال تلميذه الحافظ محمد بن عبد الهادي في ترجمته المبسوطة : لو سافر رجل الى الصين في تحصيله لما كان كثيراً ، وهو كما قال :

وكذاك أجوبة له مصرية في ست أسفار كتبن سمان

وكذا جواب للنصارى فيه ما   يشفي الصدور وأنه سفران

وهو المسمى بـ «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» .

وكذاك شرح عقيدة للاصبها   ني شارح المحصول شرح بيان

فيها النبوات التي إثباتها   في غاية التقرير والتبيان

والله ما لأولي الكلام نظيره   أبداً وكتبهم بكل مكان

وكذا حدوث العالم العلوي والـ   ـسفلي فيه في أتم بيان

وكذا قواعد الاستقامة أنها   سفران فيما بيننا ضخمان

وقرأت أكثرها عليه فزادني   والله في علم وفي ايمان

هذا ولو حدثت نفسي أنه   قبلي يموت لكان غير الشان

وكذاك توحيد الفلاسفة الألى   توحيدهم هو غاية الكفران

سفر لطيف فيه نقض أصولهم   بحقيقة المعقول والبرهان

وكذاك تسعينية فيها لـه   رد على من قال بالنفساني

تسعون وجهاً بينت بطلانه   أعني كلام النفس ذا الوحدان

أي : إنه رحمه الله صنف الكتاب المسمى بـ « التسعينية » وهو رد على القائلين بالكلام النفسي ، وان كلام الله تعالى معنى واحد قائم بالنفس على ما هو معروف . وقوله : ذا الوحدان بالحاء المهملة ؛ أي : انه معنى واحد .

وكذا قواعده الكبار وانها أوفى من المائتين في الحسبان
لم يتسع نظمي لها فأسوقها فأشرت بعض إشارة لبيان
وكذا رسائله الى البلدان والـــ أطراف والاصحاب والاخوان
هي في الورى مبثوثة معلومة تبتاع بالغالي من الأثمان
وكذا فتاواه فأخبرني الذي أضحى عليها دائم الطوفان
بلغ الذي ألقاه منها عدة الأيام من شهر بلا نقصان
سفر يقابل كل يوم والذي قد فاتني منها بلا حسبان

أي : إن فتاوله بلغت ثلاثين سفراً

هذا وليس يقصر التفسير عن عشر كبار ليس ذا نقصان
وكذا المفاريد التي في كل مســـألة فسفر واضح التبيان
ما بين عشر أو تزيد بضعفها هي كالنجوم لسالك حيران
وله المقامات الشهيرة في الورى قد قامها لله غير جبان
نصر الاله ودينه وكتابه ورسوله بالسيف والبرهان
أبدى فضائحهم وبين جهلهم وأرى تناقضهم بكل مكان
وأصارهم والله تحت نعال أهـــل الحق بعد ملابس التيجان
وأصارهم تحت الحضيض وطالما كانوا هم الاعلام للبلدان
ومن العجائب أنه بسلاحهم أرداهم تحت الحضيض الداني

كانت نواصينا بأيديهم فما مّنالهم إلا أسيرعان
فغدت نواصيهم بأيدينا فلا يلقوننا الا بحبل أمان
وغدت ملوكهم مماليكا لأنـصار الرسول بمنة الرحمن
وأتت جنودهم التي صالوا بها منقادة لعساكر الايمان
يدري بهذا من له خبر بما قد قاله في ربه الفئتان
والقدم يوحشنا وليس هناكم فحضوره ومغيبه سيان

حاصل كلامه في هذا الفصل ذكر بعض مؤلفات شيخه شيخ الاسلام وذكر بعض مناقبه، وهي بحر لاساحل له. وقد أفردت المصنفات الكثيرة في مناقبه كـ «العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية» لتلميذه الحافظ محمد بن عبد الهادي في مجلد، وعدد أسماء تصانيفه في نحو كراس، ومناقبه لتلميذه، أي حفص البزاز في كراسين، وترجمته المفردة للحافظ ابي عبدالله الذهبي، وهي غير تراجمه التي ذكرها في «تواريخه» وقد ذكره الشيخ أبو حفص عمر بن الوردي في «تاريخه» وأطنب في ترجمته، وكذا ذكره الامام أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري في تاريخه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» وأسهب وأطنب، والحافظ عماد الدين بن كثير في كتاب «البداية والنهاية» والحافظ أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب في «طبقات الحنابلة» والشيخ محمد بن شاكر في «ذيله على تاريخ ابن خلكان» والحافظ ابن حجر العسقلاني، والامام ابن العماد في «شذرات الذهب» وغيرهم، ومن أراد معرفة تصانيفه وعلومه العظيمة، فليرجع الى هذه المصنفات ير فيها مايثلج صدره، والله تعالى يغفر له ويرحمه ويجزيه عن الاسلام خيراً.

تنبيـــه : قد نبغ في آخر القرن الثامن رجل يقال له : علاء الدين محمد بن محمد البخاري ، تكلم في شيخ الاسلام بما هو من كلام الطغام (١) وأشباه الأنعام ، وزعم أن من سماه شيخ الاسلام فهو كافر ، وقد تصدي للرد عليه في هذه الضلالة ، وقبيح هذه المقالة: الشيخ الامام العلامة ، والمحدث الفهامة الحافظ أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الشافعي رحمه الله تعالى بكتاب سماه « الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام كافر» وقد أجاد فيه وأفاد ، وبلغ في إفحام الخصم الغاية والمراد ، وهو في مجلد لطيف ، وقد مدح هذا التأليف مشايخ الاسلام ، وقرظوه بما يشفي الأوام ، كشيخ الاسلام أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب « فتح الباري » وقاضي القضاة ، شيخ الاسلام صالح بن عمر البلقيني الشافعي ، والامام قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني الحنفي ، و العلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي ، والعلامة الحافظ قاضي القضاة نور الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي ، والامام الهمام العلامة الفهامة أحمد ابن نصر الله البغدادي الحنبلي ، والشيخ الامام العالم الهمام ابراهيم بن محمد الحلبي ، والشيخ الامام العلامة مفيد القاهرة رضوان بن محمد أبو النعيم .

قـــوله : والفدم . قال في « القاموس » الفدم: العيي عن الكلام في ثقل ورخاوة ، وقلة فهم ، والغليظ الاحمق الجافي ، جمع فدام ، وهي بهاء فدم ككرم ،فدامة ، وفدومة. انتهى .

---

(١) الطغام ، كسحاب : أوغاد الناس ، والأحمق :

فصل

في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء التي ماأنزل الله بها من سلطان

ياقوم أصل بلائكم أسماء لم ينزل بها الرحمن من سلطان
هي عكّستكم غاية التعكيس واقــتلعت دياركم من الاركان
فتهدمت تلك القصور وأوحشــت منكم ربوع العلم والايمان
والذنب ذنبكم قبلتم لفظها من غير تفصيل ولا فرقان
وهي التي اشتملت على أمرين من حق وأمر واضح البطلان
سميتمُ عرش المهيمن حيزاً والاستواء تحيزاً بمكان
وجعلتم فوق السموات العلى جهة وسقتم نفي ذا بوزان

يعني أن المصيبة والبلاء الذي حل بأهل التعطيل والكفران من جهة الاسماء التي ماأنزل الله بها من سلطان ، وذلك أنهم سموا عرش المهيمن سبحانه ، حيزاً ، وسموا الاستواء تحيزاً وجهة . قال

وجعلتم الاثبات تشبيهاً وتجســيما وهذا غاية البهتان
وجعلتم الموصوف جسماً قابل الـ اعراض والأكوان والألوان

وجعلتم أوصافه عرضاً وهــــذا كله جسر الى النكران

أي أنكم أيها المعطلة سميتم الاثبات تشبيهاً وتجسيماً ، وقلتم : إذا وصفتم الله بصفاته التي وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله ، فقد قلتم بأن الله جسم قابل للأعراض ، وهي الألوان ونحوها ، والاكوان الأربعة ، ، وهي الاجتماع ، والافتراق ، والحركة ، والسكون . تعالى الله عن ذلك .

قـــال :

وكذاك سميتم حلول حوادث أفعاله تلقيب ذي عدوان
اذ تنفر الاسماع من ذا اللفظ نفـــرتها من التشبيه والنقصان
فكسوتم أفعاله لفظ الحوا دث ثم قلتم قول ذي بطلان
ليست تقوم به الحوادث والمرا د النفي للأفعال للديان
فاذا انتفت أفعاله وصفاته وكلامه وعلو ذي سلطان
فبأي شيء كان رباً عندكم يافرقة التحقيق والعـــرفان
والقصد نفي فعاله عنه بذا التــــلقيب فعل الشاعر الفتان
وكذاك حكمة ربنا سميتم عللا وأغراضاً وذان اسمان
لايشعران بمدحه بل ضدها فيهون حينئذ على الاذهان
نفي الصفات وحكمة الخلاق والـــ أفعاله إنكاراً لهذا الشان
وكذا استواء الرب فوق العرش قلـــتم إنه التركيب ذو بطلان
وكذاك وجه الرب جل جلاله وكذاك لفظ يد ولفظ يدان

سميتمُ ذا كله الاعضاء بل   سميتموه جوارح الانسان

وسطوتم بالنفي حينئذ عليـــه كنفينا للعيب مع نقصان

قلتم ننزهه عن الاعراض والـــأغراض والابعاض والجثمان

وعن الحوادث أن تحل بذاته   سبحانه من طارق الحدثان

والقصد نفي صفاته وفعاله   والاستواء وحكمة الرحمن

يعني الناظم رحمه الله تعالى أن المعطلة سموا صفات الرب سبحانه وتعالى أعراضاً ، وسموا حكمته أغراضاً وعللاً ، وسموا إثبات وجهه ويده أو يديه سبحانه أبعاضاً ، وقالوا : سبحانه وتعالى منزه عن الأعراض والأغراض والابعاض ، وكذا سموا قيام أفعاله به سبحانه حلول الحوادث ، وذلك كله لأجل التشنيع على من تبع مذهب السلف الذي دل عليه صحيح المنقول وصريح المعقول . ولهذا قال الناظم ، فاذا انتفت أفعاله وكلامه وصفاته وعلوه على عرشه ، فبأي شيء كان رباً عندكم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس أكثرهم بسجن اللفظ محـــبوسون خوف معرة السجان

والكل إلا الفرد يقبل مذهباً   في قالب ويرده في ثان

والقصد أن الذات والاوصاف والـــأفعال لا تنفى بذا الهذيان

سموه ما شئتم فليس الشأن في الـــأسماء بل في مقصد ومعان

كم ذا توسلتم بلفظ الجسم والتـــجسيم للتعطيل والكفران

وجعلتموه الترس ان قلنا لكم   الله فوق العرش والاكوان

قلتم لنا جسم على جسم تعا　　لى الله عن جسم وعن جثمان

وكذاك إن قلنا القران كلامه　　منه بدا لم يبد من انسان

كلا ولا ملك ولا لوح ولا　　كن قاله الرحمن قول بيان

تقدم معنى أن الكلام بدا منه تعالى، ومعنى بدايته

قلتم لنا إن الكلام قيامه　　بالجسم أيضاً وهو ذو حدثان

عرض يقوم بغير جسم لم يكن　　هذا بمعقول لدى الأذهان

أي : قالت النفاة إذا قلتم :إن كلام الله تعالى بدا منه ، لم يبد من انسان ولا ملك ، ولا من اللوح المحفوظ. «فتقول النفاة : الكلام عرض ، والعرض لا يقوم بغير جسم، فكلامكم أيها المثبتة غير معقول

وكذاك حين نقول ينزل ربنا　　في ثلث ليل آخر أو ثاني

قلتم لنا إن النزول لغير أجـ　　ـسام محال ليس ذا إمكان

وكذاك ان قلنا يرى سبحانه　　قلتم أجسم كي يرى بعيان

أي إذا قلنا : انه سبحانه يرى في الآخرة ، قالت المعطلة : يلزم أنه جسم ، وأن له جهة

أم كان ذا جهة تعالى ربنا　　عن ذا فليس يراه من انسان

أما اذا قلنا له وجه كما　　في النص أو قلنا كذاك يدان

وكذاك ان قلنا كما في النص إن القلبَ بين أصابع الرحمن

وكذاك إن قلنا الاصابع فوقها　　كل العوالم وهي ذو رجفان

وكذاك ان قلنا يداه لأرضه ... وسمائه في الحشر قابضتان

وكذاك ان قلنا سيكشف ساقه ... فيخر ذاك الجمع للاذقان

وكذاك ان قلنا يجيىء لفصله ... بين العباد بعدل ذي سلطان

قامت قيامتكم كذاك قيامة الـ ... آتي بهذا القول في الرحمن

أي : إذا قلنا : إن له تعالى وجهاً كما ورد به النص كما يليق بجلاله ، أو قلنا : إن له سبحانه يدين ، أو قلنا كما في النص : «ان القلب بين أصابع الرحمن » أو أن الاصابع فوقها العوالم ، وانه يقبض أرضه وسماءه في الحشر ، وأنه سيكشف عن ساق ، وأنه سبحانه يجيء لفصل القضاء وغير ذلك مما في كتاب الله ، أو في صحيح السنة ، وحسنها ، من غير تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ؛ قامت قيامتكم ، ورميتمونا بكل حجر ومدر .

ولنبسط الكلام في الوجه واليدين ، فنقول : وجه الرب سبحانه حيث ورد في الكتاب والسنة ، فليس بمجاز ، بل على حقيقته . واختلف المعطلة في جهة التجوز في هذا . فقالت طائفة : لفظ الوجه زائد ، والتقدير : (ويبقى ربك) (إلا ابتغاء ربه الأعلى) ويريدون ربهم . وقالت فرقة : الوجه بمعنى الذات ، وهذا قول أولئك وان اختلفوا في التعبير عنه . وقالت فرقة : ثوابه وجزاؤه ، فجعله هؤلاء مخلوقاً منفصلاً ، قالوا : لأن الذي يراد هو الثواب . قال عثمان بن سعيد الدرامي : وقد حكى قول المريسي انه قال في قول النبي ﷺ « اذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه » يحتمل أن يقبل الله عليه بنعمته وإحسانه وأفعاله ، وما أوجب للمصلي من الثواب . فقوله : (ويبقى وجه ربك) الرحمن: ٢٦ أي : ماتوجه به ربك من الأعمال الصالحة .

وقوله: (فأينما تولوافثم وجه الله) البقرة: ١١٥ أي: قبلة الله. قال الدارمي: لما فرغ المريسي من إنكار اليدين ونفيهما عن الله، أقبل قبل وجه الله ذي الجلال والإكرام لينفيه عنه، كما نفى عنه اليدين، فلم يدع غاية في إنكار وجه الله ذي الجـــلال والإكرام والجحود به، حتى ادعى أن وجه الله الذي وصفه بأنه ذو الجلال والإكرام مخلوق، لأنه ادعى انه أعمال مخلوق، يتوجه بها إليه، وثواب وإنعام مخلوق يثيب به العامل، وزعم أنه قبلة الله، وقبلة الله لاشك مخلوقة، ثم ساق الكلام في الرد عليه. وذكر الخطابي والبيهقي وغيرهما قالوا: لما أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت الى الوجه فقال: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الرحمن: ٢٧ دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة، وأن قوله (ذو الجلال والإكرام) صفة للوجه، وأن الوجه صفة للذات.

قال الناظم في «الصواعق»: فتأمل رفع قول (ذو الجلال والإكرام) عند ذكر الوجه، وجره في قول (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) الرحمن: ٧٨ فذو الوجه المضاف بالجلال والإكرام، لما كان القصد الاخبار عنه، وذي الوجه المضاف اليه بالجلال والإكرام في آخر الســورة، لما كان المقصود عين المسمى دون الاسم، فتأمله.

ثم استدل رحمه الله تعالى على إبطال هذه التـأويلات بأوجه، منها أنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه، وغاية ماشبه به المعطل وجه الرب أن قال: هو كقول القائل وجه الحائط، ووجه الثوب، ووجه النهار، فيقال للمعطل المشبه به: ليس الوجه في ذلك بمعنى الذات، بل هذا مبطل لقولك: فان وجه الحائط أحد جـانبيه، فهو مقابل لدبره، ومثل هذا وجه الكعبة ودبرها، فهو وجه حقيقة، ولكنه بحسب المضاف

اليه ، فلما كان المضاف اليه بناء ، كان وجهه من جنسه ، وكذلك وجه الثوب أحد جانبيه ، وهو من جنسه ، وكذلك وجه النهار أوله ، ولا يقال لجميع النهار . وقال ابن عباس : وجه النهار أوله ، ومنه قولهم : صدر النهار . قال ابن الاعرابي :أتيته بوجه نهار ،وصدر نهار ، وأنشد للربيع بن زياد

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

ومنها أن حمله على الثواب المنفصل من أبطل الباطل. فان اللغة لاتحتمل ذلك، ولايعرف أن الجزاء يسمى وجهاً للمجاز . وأيضاً فالثواب مخلوق ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه استعاذ بوجه الله فقال « أعوذ بوجهك الكريم أن تضلني ، لا إله الا أنت الحي الذي لايموت ، والجن والانس يموتون » رواه أبو داود وغيره . ومن دعائه يوم الطائف « أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة » ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعيذ بمخلوق .

ومنها أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه : « أسألك لذة النظر الى وجهك ، والشوق الى لقائك » ولم يكن ليسأل لذة النظر الى ثواب المخلوق ، ولا يعرف تسمية ذلك وجهاً لغة ، ولا شرعاً ، ولا عرفاً .

ومنها أن النبي ﷺ قال : « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بوجه الله فأعطوه» وفي « السنن » من حديث جابر عن النبي ﷺ قال « لاينبغي لأحد أن يسأل بوجه الله الا الجنة » فكان طاوس يكره أن يسأل الانسان بوجه الله .

وروى مسلم في « صحيحه » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :«إن الله لاينام ، ولا ينبغي له أن ينام ،

يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه » .

ومنها قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات والأرض من نور وجهه . فهل يصح أن يحمل الوجه في هذا على مخلوق ؟ أو يكون صلة لا معنى له ؟ أو يكون بمعنى القبلة والجهة ؟ وهذا مطابق لقوله عليه السلام « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات » فأضاف النور الى الوجه ، والوجه الى الذات ، واستعاذ بنور الوجه الكريم ، فعلم أن نوره صفة له ، كما أن الوجه صفة ذاتية ، وهو الذي قاله ابن مسعود ، وهو تفسير قوله (الله نور السموات والأرض) النور : ٣٥ فلا تشتغل بأقوال المتأخرين الذين غشت بصائرهم عن معرفة ذلك ، فخذ العلم عن أهله ، فهذا تفسير الصحابة رضي الله عنهم .

ومنها أن الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين ، وجميع أهل السنة ، والحديث ، والأئمة الأربعة ، وأهل الاستقامة من أتباعهم ، متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة ، وهي الزيادة التي فسر بها النبي ﷺ والصحابة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . يونس : ٢٦

فروى مسلم في « صحيحه » عن النبي ﷺ في قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس : ٢٦ قال : النظر الى وجه الله تعالى ، فمن أنكر حقيقة الوجه ، لم يكن للنظر عنده حقيقة ، ولا سيما اذا أنكر الوجه والعلو ، فيعود النظر عنده الى خيال مجرد ، وان أحسن العبارة قال : هو معنى يقوم بالقلب ، نسبته اليه كنسبة النظر الى العين ، وليس في الحقيقة عنده نظر ، ولا وجه ، ولا لذة تحصل للناظر .

ومنها أن تفسير وجه الله بقبلة الله، وان قاله بعض السلف، كمجاهد وتبعه الشافعي، فانما قالوه في موضع واحد لاغير، وهو قوله تعالى (والله للمشرق وللمغرب فأينما تولوا فثم وجـــه الله) البقرة: ١١٥ فهب أن هذا كذلك في هذا الموضع، فهل يصح أن يقال ذلك في غيره من المواضع التي ذكر الله تعالى فيها الوجه؟ فما يفيدكم هذا في قوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن: ٣٧ وقوله (الا ابتغاء وجه ربه الأعلى) الليل: ٢١ وقوله (إنما نطعمكم لوجه اللـه) الدهر: ١٠ على أن الصحيح في قوله (فثم وجه الله) البقرة: ١١٥ انه كقوله في سائر الآيات التي فيهـا ذكر الوجه، فانه قد اطرد مجيئه في القرآن والسنة مضافاً الى الرب تعالى على طريقة واحدة، ومعنى واحد، فليس فيه معنيان مختلفان في جميع المواضع، غير الموضع الذي ذكره في سورة البقرة، وهو قوله (فثم وجه الله) وهذا لايتعين حمله على القبلة أو الجهة، ولا يمنع أن يراد به وجه الرب حقيقة، فحمله على موارده ونظائره كلها أولى،

ومنهـا أنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة، ولا شرعاً، ولا عرفاً، بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه، فلا يدخل أحدهمـا على الآخر، ولا يستعار اسمه له. نعم القبلة تسمى وجهة، كما قال تعـالى (ولكل وجهة هو موليهـا فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا) البقرة: ١٤٨ وقد تسمي جهة، وأصلها وجهة، لكن أعلت بحذف فائها، كزنة، وعدة، وإنما سميت قبلة، ووجهة، لأن الرجل يقابلها ويواجهها بوجهه. وأما تسميتها وجهاً فلا عهد به، فكيف إذا أضيف الى الله تعالى؟ مع أنه لا يعرف تسمية القبلة وجهة الله في شيء من الكلام، مع أنها تسمى وجهة، فكيف يطلق عليهـا وجه الله؟ ولا يعرف تسميتها وجهاً. وايضاً فمن المعلوم أن قبلة الله

التي نصبها لعباده هي قبلة واحدة ، وهي القبلة التي أمر الله عباده أن يتوجهوا اليها حيث كانوا لا كل جهة يولي وجهه اليها ، فانه يولي وجهه الى المشرق والمغرب والشمال وما بين ذلك ، وليست تلك الجهات قبلة الله ، فكيف يقال: أي وجهة وجهتموها واستقبلتموها فهي قبلة الله . فان قيل : هذا عند اشتباه القبلة على المصلي ، وعند صلاته النافلة في السفر . قيل : اللفظ لا شعار له بذلك البتة بل هو عام مطلق في الحضر والسفر ، وحال العلم والاشتباه ، والقدرة والعجز . يوضحه أن إخراج الاستقبال المفروض ، والاستقبال في الحضر وعند العلم ، والقدرة وهو أكثر أحوال المستقبل ، وحمل الآية على استقبال المسافر في التنقل على الراحلة وحال الغيم ونحوه بعيد جداً عن ظاهر الآية وإطلاقها وعمومها ، وما قصد بها ، فان (أين) من أدوات العموم ، وقد أكد عمومها بما أراده لتحقيق العموم ، كقوله (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) البقرة : ١٥٠ والآية صريحة في أنه أينما ولى العبد فثم وجه الله من حضر، أو سفر في صلاة وغيرها ، وذلك أن الآية لا تعرض فيها للقبلة ، ولا لحكم الاستقبال ، بل سياقها لمعنى آخر ، وهو بيان عظمة الرب تعالى وسعته ، وأنه أكبر من كل شيء ، وأعظم منه ، وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي ، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله (ولله المشرق والمغرب) البقرة ١١٥ منبهاً بذلك على ملكه لما بينهما ، ثم ذكر عظمته سبحانه ، وأنه أكبر وأعظم من كل شيء ، فأينما ولى العبد وجهه ، فثم وجه الله ، ثم ختم باسمين دالين على السعة والاحاطة ، فقال (ان الله واسع عليه) فذكر اسمه الواسع عقيب قول (فأينما تولوا فثم وجه الله) كالتفسير والبيان والتقرير له ، فتأمله ، فهذا السياق لم يقصد به الاستقبال في الصلاة بخصوصه وإن دخل في عموم الخطاب حضراً وسفراً بالنسبة الى الفرض والنفل ، والقدرة والعجز ،

وعلى هذا فالآية باقية على عمومهـــا ، وأحكامها ليست منسوخة ، ولا مخصوصة ، بل لا يصح دخول النسخ فيها ، لأنهـا خبر عن ملكه للمشرق والمغرب ، وأنه أينما ولى الرجل وجهه فثم وجـه الله ، وعن سعته وعلمه ، فكيف يمكن دخول النسخ والتخصيص في ذلك ؟! وأيضاً هذه الآية ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الرب والرد على من جعل له عدلاً من خلقه الشركة معه في العبادة ؛ ولهذا ذكرها بعد الرد على من جعل له ولداً فقال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض) الى قوله (كن فيكون) البقرة : ١١٦-١١٧ فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة ، ولا سيق الكلام لأجلها ، وإنما سيق لذكر عظمة الرب وبيان سعة علمه وحلمه ، والواسع من أسمائه ، فكيف تجعلون له شريكاً بسببه وتمنعون بيوته ومساجده أن يذكر فيها اسمه ، تسعون في خرابها ؟ ! فهذا للمشركين ، ثم ذكر ما نسبه اليه النصارى ، من اتخاذ الولد ، ووسط بين كفر هؤلاء وقوله تعالى (ولله المشرق والمغرب) البقرة : ١١٥ فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والايمان ، والرد على المشركين ، لا بيان فرع معين جزئي .

ومنها أنه لو أريد بالوجه في الآية الجهة والقبلة ، لكان وجه الكلام ان يقال : فأينما تولوا فهو وجه الله ، لأنه إذا كان المراد بالوجه الجهة ، فهي التى تولي نفسها ، وانما يقال : ثم كذا اذا كان أمران ، كقوله تعالى (واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكاً كبيراً) الدهر : ٢٠ فالنعيم والملك ، ثم لأنه نفس الظرف ، والوجه لو كان المراد به الجهة نفسها ، لم يكن ظرفاً لنفسها ، فان الشيء لا يكون ظرفاً لنفسه ، فتأمله . ألا ترى أنك إذا أشرت الى جهة الشرق والغرب لا يصح أن تقول : ثم جهة الشرق ، ثم جهة الغرب ، بل تقول : هذه جهة الشرق ، وهذه جهة الغرب . ولو قلت :

هناك جهة الشرق والغرب ، لكان ذكر الظرف لغواً ، وذلك لأن (ثم) إشارة الى المكان البعيد ، فلا يشار بها الى قريب ، والجهة والوجهة مما يحاذيك الى آخرها ، فجهة الشرق ، والغرب ، ووجهة القبلة ، مما يتصل الى حيث ينتهي ، فكيف يقال فيها ثم اشارة الى البعيد ؟ ! بخلاف الاشارة الى وجه الرب تبارك وتعالى ، فإنه يشار الى ذاته ، ولهذا قال غير واحد من السلف : فثم الله تحقيقاً ، لأن المراد وجهه الذي هو من صفات ذاته ، والاشارة اليه بأنه ثم كاشارة اليه بأنه فوق سمواته ، وعلى العرش ، وفوق العالم .

ومنها أن تفسير القرآن بالقرآن هو أولى التفاسير ماوجد إليه السبيل ، ولهذا كان يعتمده الصحابة والتابعون والأئمة بعدهم ، والله تعالى ذكر في القرآن القبلة باسم القبلة والوجوه ، وذكر وجهه الكريم باسم الوجه المضاف اليه ، فتفسيره في هذه الآية بنظائره هو المتعين .

ومنها أنك إذا تأملت الأحاديث الصحيحة ، وجدتها مفسرة للآية ، مشتقة منها ، كقوله ﷺ : « اذا قام أحدكم الى الصلاة فانما يستقبل ربه » وقوله : « فان الله يقبل اليه بوجهه عنه » وقوله « اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يبصقن قبل وجهه » وقوله : « فان الله بينه وبين القبلة » وقوله : « ان الله يأمركم بالصلاة ، فاذا صليتم فلا تلتفتوا ، فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته مالم يلتفت » رواه ابن حبان في « صحيحه » والترمذي وقال : « ان العبد إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قام الى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه ، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف ، أو يحدث حدث سوء » وقال جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « إذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه ، فاذا التفت أعرض الله عنه » وقال : « يابن آدم أنا خير من تلتفت

اليه ، فاذا أقبل على صلاته أقبل الله عليه ، فاذا التفت أعرض الله عنه »
انتهى كلام الناظم باختصار .

قوله : وكذلك لفظ يد ولفظ يدان . قال تعالى (بل يداه مبسوطتان) المائدة : ٦٤ قالت الجهمية ومن تبعهم : هذا مجاز في النعمة أو القدرة ، وهذا في الأصل قول الجهمية ، وتبعهم المعتزلة وبعض المتأخرين ممن ينتسب الى الأشعري ، والأشعري وقدماء أصحابه يردون على هؤلاء ، ويبدعونهم ، ويثبتون اليد حقيقة . قال عبد العزيز بن يحيى الكناني المالكي جليس الشافعي والخصيص به وقد مات قبل الامام أحمد ـ في كتاب الرد على الجهمية والزنادقة ـ قال : يقال للجهمي : أتقول : إن لله وجهاً ، وله نفس ، وله يد ، فيقول : نعم ، ولكن معنى وجه الله هو الله ، ومعنى نفسه عينه ، ومعنى يده نعمته . قال : والجواب أن يقال له ، فذكر كلاماً يتعلق بالوجه والنفس ، ثم قال : وأما قوله في اليد : انها يد النعمة كما تقول العرب : لك عندي يد ، فقد قال الله تعالى (بيدك الخير) آل عمران : ٢٦ وقال : (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) يس : ٨٣ وقال : (تبارك الذي بيده الملك) الملك : ١ وقال : (يد الله فوق أيديهم) الفتح : ١٠ وقال : (بل يداه مبسوطتان) المائدة : ٦٤ قال : فزعم الجهمي أن يد الله نعمته ، فبدل قولا غير الذي قيل له ، فأراد الجهمي أن يبدل كلام الله ، إذ أخبر الله أن له يداً بها ملكوت كل شيء ، فبدل مكان اليد نعمة ، وقال : العرب تسمي اليد نعمة . قلنا : له العرب تسمي النعمة يداً ، وتسمي يد الانسان يداً ، فاذا أرادت يد الذات ، جعلت على قولها علماً ودليلا يعقل به السامع أنها أرادت يد الذات ، واذا أرادت يد النعمة ،

جعلت على قولها علماً ودليلاً يعقل السامع كلامها أنها تريد يد النعمة ، ولا تجعل كلامها مشتبهاً على سامعه ، ومن ذلك قول الشاعر :

ناولت زيداً بيدي عطية يــــدبها رمى كتاباً مخضب(١)

فدل بهذا القول على يد الذات بالمناولة .. ، وبالباء حين قال (بيدي) فجعل الباء استقصاء للعدد حين لم يكن له غير يدين . وقـــال الآخر حين أراد يد النعمة :

اشكر يدين لنا عليك وأنعما شكراً يكون مكافياً للمنعم

فدل على يد النعمة بقوله : لنا عليك ، ثم قـــال : وأنعما ، ثم قال يدين ، فجعل النون مكان الياء ، لم يستقص بها العدد ، فهذا قول العرب ومذهبها في لغاتها ، والله تعالى لم يسم في كتابه يداً بنعمة ، ولم يسم نعمة يداً ، سمى سبحانه اليد يداً ، والنعمة نعمة في جميع القرآن ، فأما ماذكره سبحانه من يدين ويد ، فقد ذكرت ذلك في صدر الكلام . وأما النعمة التي هي عن اليد ، فمن ذلك قوله : (واذكروا نعمة الله عليكم) آل عمران:١٠٣ وقولـــه : (وما بكم من نعمة فمن الله) النحل : ٥٣ وقولـــه : (وأتممت عليكم نعمتي) المائدة : ٤ وقوله (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه) الأحزاب : ٣٧ فسمى الله النعم باسم النعمة ، ولم يسمها بغير أسمائها ، ومثل هذا في القرآن كثير ، وذكر الله تعالى أيدي المخلوقين فسماها بالأيدي ، فقال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) الأسراء:٢٩ و قـــال تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) المائدة : ٣٨ وقـــال : (والملائكة باسطوا أيديهم) الأنعام: ٩٣ فهذه أيد لا نعمة ، وذكر نعمته على يد ، ونعمة النبي ﷺ ، فسماها نعمة ، ولم يسمها يداً ، ثم أخبر سبحانه عن يديه أنها يدان لا ثلاثة ، وجعل الباء استقصاء للعدد

---

(١) هذا البيت لم يكن ظاهراً في الأصل ، وكذلك وجدناه في «الصواعق المرسلة» للناظم غير منقوط ، ولم يتبين لنا صوابه ، ولعله كما أثبتناه .

حين قال : (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ فدل على أنهما يدي الذات ، لايتعارف العرب في لغاتها ولا أشعارها الا أن هاتين اليدين ، يدي الذات ، لاستقصاء العدد بالباء ، وأما نعم الله فهي أكثر وأعظم من أن تحصر أو تعد كما قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) ابراهيم: ٣٤

قال : واعلم رحمك الله أن قائل هذه المقالة جاهل بلغة القرآن ، وبلغة العرب ومعانيها وكلامها ، وذلك أن الله اذا افتتح الخبر عن نفسه بلفظ الجمع ، ختم الكلام بلفظ الجمع ، واذا افتتح الكلام بلفظ الواحد ، ختم الكلام بلفظ الواحد ، وانما يغني الخبر عن نفسه ، وان كان اللفظ جمعاً ، فأما ما كان من لفظ الواحد ، فهو قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) الأسراء: ٢٣ فافتتح الخبر عن نفسه بلفظ الواحد ، وبمثله ختم الكلام فقال : (ألا تعبدوا إلا إياه) الاسراء : ٢٣ وقال (رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) الأسراء : ٢٤ وقال (ربكم أعلم بكم) الاسراء : ٢٥ وأما ماافتتحه بلفظ الجمع ، فهو قوله : (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) الاسراء : ٤ فافتتحه بلفظ الجمع ، ثم ختمه بمثل ماافتتحه به فقال (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا) الإسراء : ٥ وانما عنى بذلك نفسه ، لأنها كلمة ملوكية تقولها العرب ، وروي ان ابن عباس لقي أعرابياً ومعه ناقة ، فقال : لمن هذه ؟ فقال الاعرابي : لنا . فقال له ابن عباس : كم أنتم ؟ فقال : أنا واحد . فقال ابن عباس : هكذا قول الله تعالى (نحن) و (خلقناه) و (قضينا) انما يعني نفسه ، والمبهم يرد الى المحكم ، فكل كلمة في القرآن من لفظ جمع قبلها محكم من التوحيد ترد اليه ، فمن ذلك قوله : (وقضينا الى بني اسرائيل) الأسراء : ٤ يرد الى قوله: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه) الاسراء: ٢٣ وقوله : (وخلقناكم أزواجاً) النبأ : ٨ يرد الى قوله : (انما أمره) يس : ٨٢ وقوله

(لما جاء أمر ربك) هود : ١٠١ وكذلك قوله (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً) يس : ٣١ يردالىقوله (لما خلقت بيدي)ص: ٧٥ فلما افتتح الكلام بلفظ الجمع فقال : (أولم يروا أنا خلقنا لهم) يس : ٣١ قال(أيدينا) ولما افتتح بقوله : (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي)ص : ٧٥ ختم الكلام علىماافتتحه به ، فهذا بيان لقوم يفقهون . وقد كان أكثر قسم النبي ﷺ اذا أقسم أن يقول : « لاوالذي نفس محمد بيده » وهذا لايليق به النعمة ، وهذا قول النبي ﷺ يصدق كتاب الله. انتهى كلامه .

والاشعري في كتبه يصرح باثبات الصفات الخبرية في كتبه كلها ، ومعلوم أن أحداً لا ينكر لفظها ، وإنماأنكروا حقائقها ومعانيها الظاهرة ، وكلام الأشعري موجود في « الابانة » و« الموجز » و« المقالات » وموجود في تصانيف أئمة أصحابه ، وأجلهم على الاطلاق القاضي أبو بكر بن الطيب ، وقد ذكر ذلك في كتاب « الابانة » و« التمهيد » وغيرهما ، وذكره ابن فورك فيما جمعه من كلام ابن كلاب ، وكلام الاشعري ، وذكره البيهقي في « الأسماءوالصفات » و« الاعتقاد » وذكره ابو القاسم القشيري في كتاب « الشكاية » له ، وذكره ابن عساكر في كتاب « تبيين كذب المفتري » حتى الفخر الرازي والسيف الآمدي حكوا ذلك عن الأشعري ، وأنه أثبت اليدين صفة لله ، ولكن غلطوا حيث ظنوا أن له قولين في ذلك ، وهذه كتبه كلها ليس فيها الاالاثبات ، فهو الذي يحكيه عن أهل السنة ، وينصره ، ويحكي خلافه عن الجهمية والمعتزلة . نعم كان قبل ذلك يقول بقول المعتزلة ، ثم رجع عنه ، وصرح بمخالفتهم ، واستمر على ذلك حتى مات . قال أبو الحسن الأشعري في كتاب « الابانة » الذي ذكر ابن عساكر أنه آخر كتبه ، وعليه اعتمد في ذكر مناقبه واعتقاده . قال : فان سألنا سائل فقال : أتقولون : إن لله يدين؟

قيل : نعم ، نقول ذلك لقول الله تعالى (يد الله فوق أيديهم) الفتح : ١٠ ولقوله ﷺ « خلق الله آدم بيده ، وغرس جنة عدن بيده » وقال تعالى (بل يداه مبسوطتان) المائدة:٦٤ وفي الحديث « كلتا يديه يمين » وليس يجوز في لسان العرب ، ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل : عملت كذا وكذا بيدي ، وهو يعني النعمة ، اذا كان الله خاطب العرب بلغاتها ، وما تجده مفهوماً في كلامها ، ومعقولاً في خطابها ، واذ لا يجوز في خطابها أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني النعمة ، بطل أن يكون معنى بيدي النعمة ، وساق الكلام في إنكار هذا التأويل وأطاله جداً ، وقرر أن لفظ اليدين على حقيقته ، وظاهره ، وبين أن اللغة التي نزل بها القرآن لاتحتمل ماتأولته الجهمية . وقال لسان أصحابه وأجلهم أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتاب « التمهيد » وهو أشهر كتبه : فان قال القائل : فما الحجة في أن لله وجهاً ويدين ؟ قيل : قوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن:٣٧وقوله (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ فأثبت لنفسه وجهاً ويدين ، فان قالوا : انما أنكرتم أن يكون المعنى : خلقت بيدي ، أنه خلقه بقدرته ؛ لأن اليدين في اللغة تكون بمعنى النعمة ، وبمعنى القدرة ، كما يقال : لفلان عندي يد بيضاء ، وهذا الشيء في يد فلان ، وتحت يده ، ويقال : رجل أيد ، اذا كان قادراً كما قال تعالى (خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً) يس :٣١ يريد: عملنا بقدرتنا .

وقال الشاعر :

إذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين

وكذلك قوله (خلقت بيدي) ص:٧٥ يعني بقدرته ونعمته. قال : فيقال له : هذا باطل ، لأن قوله (بيدي) يقتضي إثبات يدين هما صفة له ؛ فلو

كان المراد بها القدرة، لوجب أن يكون له قدرة ، ولا تزعمون أن لله تعالى قدرة واحدة ، فكيف يجوز أن تثبتوا قدرتين ؟! وقد أجمع المسلمون المثبتون للصفات والنافون لها على أنه لايجوز أن يكون لله تعالى قدرتان ، فبطل ماقلتم ، وكذلك لايجوز أن يكون خلق الله آدم بنعمتين ، لأن نعم الله تعالى على آدم وغيره لاتحصي ، ولأن القائل لايجوز أن يقول : رفعت الشيء ، أو وضعته بيدي ، أو توليته بيدي ، وهو يريد نعمته ، وكذلك لايجوز أن يقال : لي عند فلان يدان ، يعني نعمتين ، وانما يقال : لي عنده يدان بيضاوان ، ولأن : فعلته بيدي ، لايستعمل الا في اليد التي هي صفة الذات ، ويدل على فساد تأويلهم أيضاً أنه لو كان الأمر على ما قالوه ، لم يغفل عن ذلك إبليس ، وأن يقول : وأي فضل لآدم علي يقتضي أن أسجد له ، وأنا أيضاً بيدك خلقتني ؟! وفي العلم أن الله تعالى فضل آدم عليه بخلقه بيديه ، دليل على فساد ماقالوه . فان قال القائل : فما أنكرتم أن يكون يده ووجهه جارحة ، إذ كنتم لاتعقلون يداً ووجهاً هما صفة الجارحة ، قلنا : لايجب ذلك ، كما لايجب اذا لم نعقل حياً عالماً قادراً إلا جسماً أن نقضي نحن وأنتم ذلك على الله ، وكما لايجب اذا كان قائماً بذاته أن يكون جوهراً ، لأنا وإياكم لم نجد قائماً بنفسه في شاهدنا إلا كذلك ، وكذلك الجواب لهم إن قالوا : فيجب أن يكون علمه ، وكلامه ، وحياته ، وسائره صفات ذاته أعراضا ، أو أجساماً ، أجناساً ، أو حوادث ، أو اغياراً له تعالى ، ومحتاجة الى قلب . انتهى .

والله لو قلنا الذي قال الصحا ... بة والألى من بعدهم بلسان

لرجمتمونا بالحجارة ان قدر ... تم بعد رجم الشتم والعدوان

والله قد كفرتمُ من قال بعـــض مقالهم يا أمة العدوان

وجعلتم الجسم الذي قدَّرتمُ بطلانه طاغوت ذي البطلان

ووضعتمُ للجسم معنىً غير معـــروف به في وضع كل لسان

وبنيتم نفي الصفات عليه فاجـــتمعت لكم إذ ذاك محذوران

كذب على لغة الرسول ونفي اثـــبات العلو لفاطر الاكوان

أي: إنكم أيها المعطلة، وضعتم للجسم معنى غير معناه المعروف في لغة العرب، وسميتم كل ماهو مركب من المادة والصورة، أو من الجواهر المنفردة، أو مايقبل الاشارة الحسية جسماً، وليس هذا معنى الجسم في لغة الصحابة التي جاء بها القرآن، كما قال الجوهري في «صحاحه المشهورة» قال أبو زيد: الجسم الجسد؛ وكذلك الجسمان، والجثمان. وقـــال الأصمعي: الجسم والجسمان: الجسد، والجثمان، والشخص. قال: والأجسم: الضخم البدن.

قال شيخ الاسلام في كلامه على حديث النزول: وقد ادعى طوائف من النفاة أهل الكلام أن الجسم في اللغة هو المؤلف المركب، وأن استعمالهم لفظ الجسم في كل مايشار اليه موافق للغة، قالوا: لأن كل مايشار اليه، فانه يتميز منه شيء عن شيء، وكل ما كان كذلك، فهو مركب من الجواهر المنفردة التي كل واحد منها جزء لايتجزأ، ولا يتميز منه جانب عن جانب، أو من المادة والصورة اللذين هما جوهران عقليان، كما يقول ذلك بعض الفلاسفة، قالوا: واذا كان هذا مركباً مؤلفاً، فالجسم في لغة العرب هو المؤلف المركب، بدليل أنهم يقولون: رجل جسيم، وزيد أجسم من عمرو، إذ أكثر ذهابه في الجهات، ليس يقصدون بالمبالغة في قولهم: أجسم وجسيم الا لمن كثرت الأجزاء المتضممة والتأليف، لأنهم لايقولون: أجسم فيمن كثرت علومه، وقدره، وسائر تصرفاته، غير الاجتماع، حتى إذا

كثر الاجتماع فيه بتزايد أجزائه قيل : أجسم ، ورجل جسيم ، فدل ذلك على أن قولهم : جسم يفيد التأليف ، فهذا أصل قول هؤلاء النفاة ، وهو مبني على أصلين : سمعي لغوي ، ونظري عقلي فطري ، أمـــا السمعي اللغوي ، فقولهم : ان أهل اللغة يطلقون لفظ الجسم على المركب ، وهم استدلوا عليه بقولهم : هو أجسم إذا كان أغلظ وأكثر ذهاباً في الجهات ، وإن هذا يقتضي أنهم اعتبروا كثرة الأجزاء . فيقال : أما المقدمة الأولى، وهو أن أهل اللغة يسمون كل ما له مقدار بحيث يكون أكبر من غيره أو أصغر جسماً ، فهذا لا يوجد في لغة العرب البتة ، ولا يمكن أحـداً أن ينقل عنهم أنهم يسمون الهواء الذي بين السماء والأرض جسماً ؛ ولا يسمون روح الانسان جسماً ، بل من المشهور أنهم يفرقون بين الجسم والروح ، ولهذا قال تعـالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) المنافقون : ٤ يعني أبدانهم دون أرواحهم الباطنة، وقد ذكر نقلة اللغة أن الجسم عندهم هو الجسد ، ومن المعروف في اللغة أن هذا اللفظ يتضمن الغلظ والكثافة ، فلا يسمون به الأشياء القائمة بنفسها اذا كانت لطيفة ، كالهواء ، وروح الانسان ، وان كان لذلك مقدار ، يكون بعضه أكبر من بعض ، لكن لا يسمى في اللغة ذلك جسماً ؛ ولا يقولون في زيادة أحدهما على الآخر : هذا أجسم من هذا ، ولا يقولون : هذا المكان الواسع أجسم من هـذا المكان الضيق ، وإن كان أكبر منه ، وان كانت أجزاؤه زائدة على أجزائه عند من يقول بأنه مركب من الأجزاء ، ليس كل مـا هو مركب عندهم من الأجزاء يسمى جسماً ، ولا يوجد في الكلام قبض جسمه ، ولا صعد بجسمه الى السماء ، ولا أن الله يقبض أجسامنا كيف يشاء ، إنمـا يسمون ذلك روحاً ، ويفرق بين مسمى الروح ومسمى الجسم ، كما يفرق بين البدن والروح ، وكمـا يفرقون بين الجسد والروح ، فلا يطلقون لفظ

الجسد على الهواء ، فلفظ الجسم عندهم يشبه لفظ الجسد . قال الجوهري : الجسد والبدن . تقول: فيه تجسد ، كما تقول: الجسم تجسم ، كما تقدم نقله عن أئمة اللغة أن الجسم هو الجسد ، فعلم أن هذين اللفظين مترادفان ، أو قريبان من الترادف ، ولهذا يقولون : لهذا الثوب جسد ، كما يقولون : له جسم ، إذا كان غليظاً ثخيناً صفيقاً . وتقول العلماء : النجاسة قد تكون مستخبثة ، كالدم ، والميتة ، وقد لاتكون مستجسمة ، كالرطبة ، ويسمون الدم جسداً ، كما قال النابغة :

فلا لعمرو الذي قد زرته حججاً   وما أريق على الأنصاب من جسد

المقدمة الثانية : أنه لو سلم ذلك ، فقولهم : إن هذا يطلقونه عند تزايد الأجزاء ، هو مبني على أن الأجسام مركبة من الجواهر المنفردة ، وهذا لو قدر أنه صحيح ، فأهل اللغة لم يعتبروه ، ولا قال أحد منهم ذلك ، فعلم أنهم إنما لحظوا غلظه ، وكثافته ، وأما كونهم اعتبروا كثرة الأجزاء أو قلتها ، فهذا لايتصوره أكثر عقلاء بني آدم ، فضلاً عن أن ينقل عن أهل اللغة قاطبة أنهم أرادوا ذلك بقولهم : جسيم ، وأجسم ، والمعنى المشهور في اللغة ، لايكون مسماه مالا يفهمه إلا بعض الناس ، واثبات الجواهر المنفردة أمر خص به بعض الناس ، فلا يكون مسمى الجسم في اللغة ما لا يعرفه إلا بعض الناس ، وهو المركب من ذلك . وأما الأصل الثاني العقلي ، فقولهم : إنما يشار إليه بأنه هنا وهنا ، فانه مركب من الجواهر المنفردة ، أو من المادة والصورة ، وهذا بحث عقلي ، وأكثر عقلاء بني آدم من أهل الكلام وغير أهل الكلام ، ينكرون أن يكون ذلك مركباً من الجواهر المنفردة ، أو من المادة والصورة ، وإنكار ذلك قول ابن كلاب وأتباعه الكلابية ، وهو قول الهشامية ، والنجارية ، والضرارية ، وبعض الكرامية ، وهؤلاء الذين

أثبتوا الجوهر الفرد ، وزعموا أنا لم نعلم لا بالحس ولا بالضرورة أن الله أبدع شيئاً قائماً بنفسه ، وأن جميع مانشهده مخلوقاً ، من السحاب ، والمطر ، والحيوان ، والنبات ، والمعدن ، بني آدم وغير بني آدم ، فانما فيه أنه أحدث أكواناً في الجواهر المنفردة ، كالجمع ، والتفريق ، والحركة ، والسكون . وأنكر هؤلاء أن يكون الله لما خلقنا أحدث أبداناً قائمة بأنفسها ، أو شجراً ، أو ثمراً ، أو شيئاً قائماً بنفسه ، وإنما أحدث عندهم أعراضاً . وأما الجواهر المنفردة ، فلم تزل موجودة . ثم من يقول : انها محدثة ، منهم من يقول : إنها محدثة ، ومنهم من يقول : إنهم علموا حدوثها بأنها لم تخل من الحوادث ، وما لم يخل من الحوادث ، فهو حادث ... الى أن قال : ولهذا صارت النفاة إذا أثبت أحد شيئاً من الصفات ، كان ذلك مستلزماً لأن يكون الموصوف عندهم جسماً ، وعندهم الأجسام متماثلة ، فصاروا يسمونه مشبهاً بهذه المقدمات التي يلزمهم مثل ما ألزموه لغيرهم ، وهي متناقضة ، لا يتصور أن ينتظم منها قول صحيح ، وكلها مقدمات ممنوعة عند جماهير العقلاء ، وفيها من تغيير اللغة والمعقول مادخل بسببه هذه الأغاليط والشبهات ، حتى يبقى الرجل حائراً لا يهون عليه إبطال عقله ودينه ، والخروج عن الإيمان والقرآن ، فان ذلك كله متطابق على إثبات الصفات ، ولا يهون عليه التزام مايلزمونه من كون الرب مركباً من الأجزاء أو مماثلا للمخلوقات ، فانه يعلم أيضاً بطلان هذا ، وأن الرب عز وجل يجب تنزيهه عن هذا ، فانه سبحانه أحد صمد ، والأحد ينفي التمثيل ، والصمد ينفي أن يكون قابلا للتفريق والتجسيم والبعضية ، سبحانه وتعالى ، فضلا عن كونه مؤلفاً مركباً ألف من الأجزاء ، فيفهمون من يخاطبونه أن ماوصف به الرب نفسه لا يعقل الا في بدن ، مثل بدن الانسان ، بل وقد يصرحون بذلك ويقولون : الكلام لا يكون

إلا من صورة ، وصورة مركبة ، مثل فم الانسان ونحو ذلك مما يدعونه ، وإذا قال النفاة لهم : متى قلتم : إنه يرى ؟ لزم أن يكون مركباً مؤلفاً ، لأن المرئي لا يكون إلا بجهة من الرائي ، وما يكون بجهة من الرائي لا يكون إلا جسماً ، والجسم مؤلف مركب من الأجزاء ، وقالوا : إذا تكلم بالقرآن أو غيره من الكلام ، لزم ذلك ، واذا كان فوق العرش ، لزم ذلك ، صار المسلم العارف بما قال الرسول ﷺ ، يعلم أنه يرى في الآخرة ، لما تواتر عنده من الأخبار عن الرسول ﷺ بما يدل على ذلك مع مايوافق ذلك من القضايا الفطرية التي خلق الله بها عباده ، وإذا قالوا : هذا يستلزم أن الله مركب من الأجزاء المنفـــردة ، والمركب لابد له من مركب ، فلزم أن يكون الله محدثاً ، إذ المركب يفتقر الى أجزائه ، وأجزاؤه تكون غيره ، وما افتقر الى غيره لم يكن غنياً واجب الوجود بنفسه ، حيروه وشككوه إن لم يجعلوه مكذباً لما جاء به الرسول ﷺ ، مرتداً عن بعض ما كان عليه من الإيمان ، مع أن شكه وحيرته تقدح في إيمانه ، ودينه ، وعلمه ، وعقله . فيقال : أما كون الرب سبحانه وتعالى مركباً ركبه غيره ، فهـذا من أظهر الأمور فساداً ، وهذا معلوم فساده بضرورة العقل . ومن قال هذا ، فهو من أكفر الناس وأجهلهم ، وأشدهم محاربة لله ، وليس في الطوائف المشهورة من يقول بهذا ، وكذلك إذا قيل : هو مؤلف أو مركب بمعنى أنه كانت أجزاؤه مفرقة ، فجمع بينهما كما يجمع بين أجزاء المركبات ، من الأطعمة ، والأدوية والثياب ، والأبنية ، فهذا التركيب من اعتقده في الله فهو من أكفر الناس وأظلمهم ، ولم يعتقده أحد من الطوائف المشهورة في الأمة ، بل أكثر العقلاء عندهم أن مخلوقات الرب ليست مركبة هذا التركيب ، وانما يقول بهذا من يثبت الجواهر المنفردة ، وكذلك من زعم أن الرب مركب مؤلف ، بمعنى أنه يقبل التفريق والانقسام والتجزئة ، فهذا من أكفر الناس وأجهلهم .

وقوله : شر من قول الذين يقولون : إن لله ولداً ، بمعنى أنه انفصل منه فصار ولداً له . وقد بسطنا الكلام على هـذا في تفسير (قل هو الله أحد) وفي غير ذلك . وأطال الكلام رحمـه الله ، وهذا الذي سقناه من كلامه كالشرح لهذه الأبيات ، فرحمه الله ، ورضي عنه .

قال الناظم رحمه ا تعالى :

وركبتم إذا ذاك تحريفين تحـريف الحديث ومحكم القرآن
وكسبتم وزرين وزر النفي والـتحريف فاجتمعت لكم كفلان
وعداكم أجران أجر الصدق والـإيمان حتى فاتكم حظان
وكسبتم مقتين مقت الحكم والمؤمنين فنالكم مقتان
ولبستم ثوبين ثوب الجهل والـظلم القبيح فبئست الثوبان
وتخذتم طرزين طرز الكبر والـتيه العظيم فبئست الطرزان
ومددتم نحو العلى باعين لـكن لم تطل منكم لها الباعان
وأتيتموها من سوى أبوابها لكن تسورتم من الحيطان
وغلقتم بابين لو فتحا لكم فزتم بكل بشارة وتهان
باب الحديث وباب هذا الوحي من يفتحهما فليهنه البابان
وفتحتم بابين من يفتحهما تفتح عليه مواهب الشيطان
باب الكلام وقد نهيتم عنه والـباب الحريق فمنطق اليونان
فدخلتم دارين دار الجهل في الـدنيا ودار الخزي في النيران

وطعمتم لونين لون الشك والتـــشكيك بعد فبئست اللونان
وركبتم أمرين كم قد أهلكا من أمة في سالف الأزمان
تقديم آراء الرجال على الذي قال الرسول ومحكم القرآن
والثاني نسبتهم الى الألغاز والتـــلبيس والتدليس والكتمان
ومكرتم مكرين لو تمالكم لتفصمت فينا عرى الإيمان
أطفأتم نور الكتاب وسنة الـــهادي بذا التحريف والهذيان
لكنكم أوقدتم للحرب نا رأ بين طائفتين مختلفان
والله مطفيها بألسنة الألى قد خصهم بالعلم والإيمان
والله لو غرق المجسم في دم التـــجسيم من قدم إلى الآذان
فالنص أعظم عنده وأجل قد رأ أن يعارضه بقول فلان

قوله : طرزين . قال في « القـــاموس » : الطرز : الهيئة ، والطراز بالكسر : علم الثوب ، معرب ، وطرزه تطريزاً : أعلمه ، فتطرز . ومراد الناظم : الهيئة ، أي : اتخذتم هيئتين ، هيئة الكبر ، وهيئة التيه ، والله أعلم

فصل

في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبروت

أهون بذا الطاغوت لا عزا اسمه طاغوت ذي التعطيل والكفران
كم من أسير بل جريح بل قتيــــل تحت ذا الطاغوت في الأزمان
وترى الجبان يكاد يخلع قلبه من لفظه تباً لكل جبان
وترى المخنث حين يقرع سمعه تبدو عليه شمائل النسوان
ويظل منكوحاً لكل معطل ولكل زنديق أخي كفران
وترى صبي العقل يفزعه اسمه كالغول حين يقال للصبيان
كفران هذا الاسم لا سبحانه أبداً وسبحان العظيم الشان

قوله : الطاغوت ، هو مشتق من طغا ، وتقديره : طغوت ، ثم قلبت الواو ألفاً ، قال الواحدي : قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله ، يكون واحداً وجمعاً ، ويذكر ويؤنث. قال الله تعالى : (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) النساء : ٦٠ فهذا في الواحد . وقال في الجمع : (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) البقرة : ٢٥٧ وقــــال في المؤنث (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) الزمر : ١٧ قال النووي : قال الليث ، وأبو عبيدة ، والكسائي ، وجماهير أهل اللغة : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله .
وقال الجوهري : الطاغوت : الكاهن ، والشيطان ، وكل رأس في الضلال.

قوله : أهون بذا الطاغوت ، هي صيغة تعجب ، أي : ماأهونه .

قوله : تباً ، التب ، والتبيب ، والتباب ، النقص ، والخسار .

قوله : المخنث . هو اسم مفعول من خنث ، فهو مخنث ، وهو بضم الميم وفتح الخاء والنون وتشديدها . قال في « القاموس » : الخنث ككتف : من فيه انخناث ، أي: تكسر وتثن. وقد خنث كفرح ، وتخنث ، وانخنث.

قوله: شمائل النسوان. الشمل: الطبع، جمع شمائل، قاله في « القاموس ».

قوله : كالغول . الغول بضم الغين : اسم ، وجمعه أغوال ، وغيلان . قال أبو السعادات : الغول واحد الغيلان ، وهو جنس من الجن ، والشياطين ، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلوات تتراءى للناس ، تتلون تلوناً في صور شتى ، وتغولهم ، أي : تضلهم عن الطريق ، وتهلكهم : فنفاه النبي ﷺ وأبطله . انتهى .

ومعنى كلام الناظم أن اسم الغول اذا ذكر لصبي العقل ، لا صبي السن ، أفزعه وهاله ، كما يفزع الصبي اذا خوف بالغول .

قوله : كفران ، هذا الاسم هو مصدر كفر يكفر كفراناً .

كم ذا التترس بالمحال أما ترى   قد مزقته كثرة السهمان

قال في « القاموس » الترس معروف ، جمع أتراس ، وترسة ، وتراس ، وتروس ، والتراس صاحبه وصانعه ، والتراسة صنعته ، والتتريس والتترس: التستر به .

جسم وتجسيم وتشبيه أما   تعيون من فشر ومن هذيان

أنتم وضعتم ذلك الطاغوت ثم به   نفيتم موجب القرآن

وجعلتموه شاهداً بل حاكماً   هذا على من ياأولي العدوان

أعلى كتاب الله ثم رسوله؟ بالله فاستحيوا من الرحمن
فقضاؤه بالجور والعدوان مثـــل قيامه بالزور والعدوان
وقيامه بالزور مثل قضائه بالجور والعدوان والبهتان
كم ذا الجعاجع ليس شيء تحتها إلا الصدى كالبوم في الخربان

قوله : إلا الصدى . قال في « مختار الصحاح » الصدى ذكر البوم ، والصدى أيضاً الذي يجيبك مثل صوتك في الجبال وغيرها ، وقد أصدى الجبل. قوله : كالبوم ، قال في « القاموس » البوم والبومة بضمها : طائر ، كلاهما للذكر والأنثى ، وبومة لقب محمد بن سليمان المحدث .

ونظير هذا قول ملحدكم وقد جحد الصفات لفاطر الاكوان
لو كان موصوفاً لكان مركباً فالوصف والتركيب متحدان
ذا المنجنيق وذلك الطاغوت قد هدما دياركم الى الأركان
والله ربي قد أعان بكسر ذا وبقطع ذا سبحان ذي الإحسان

أي أن الله سبحانه قد أعان بكسر الطاغوت ، وبقطع المنجنيق بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة .

فلئن زعمتم ان هذا لازم لمقالكم حقاً لزوم بيان
فلنا جوابات ثلاث كلها معلومة الايضاح والتبيان
منع اللزوم وما بأيديكم سوى دعوى مجردة من البرهان
لا يرتضيها عالم أو عاقل بل تلك حيلة مفلس فتان
فلئن زعمتم أن منع لزومه منكم مكابرة على البطلان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى في هذه الأبيات : إنكم معاشر المعطلة ألزمتم المثبتة إذا أثبتوا صفات الباري سبحانه التجسيم والتركيب .

قوله : فلئن زعمتم أن هذا لازم لمقالكم الخ .

قوله : فلنا جوابات ثلاث الى قوله : منع اللزوم وما بأيديكم سوى دعوى مجردة بلا برهان ، أي : أن ذلك لايلزم المثبتة ، لأن لازم المذهب ليس بمذهب .

قوله : فلئن زعمتم أن منع لزومه . أي : إذا قلنا باثبات الصفات ، لم يلزمنا تجسيم ، فان زعمتم أن ذلك مكابرة ، فلنا جواب ثان ؛ وهو قوله :

فجوابنا الثاني امتناع النفي في ... ماتدّعون لزومه ببيان

إن كان ذلك لازماً للنص فالـ ... ـملزوم حق وهو ذو برهان

والحق لازمه فحق مثله ... أنى يكون الشيء ذا بطلان

ويكون ملزوماً به حقاً فذا ... عين المحال وليس ذا إمكان

فتعين الإلزام حينئذ على ... قول الرسول ومحكم القرآن

وجعلتم أنباءه ماتسترا ... خوفاً من التصريح والكفران

والله ماقلنا سوى ماقاله ... هذي مقالتنا بلا كتمان

فجعلتمونا جنة والقصد مفـ ... ـهوم فنحن وقاية القرآن

يقول الناظم : الجواب الثاني للنفاة : إنا لم نقل إلا بما دلت عليه النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، فان كان لازمها التجسيم كما زعمتم ، فاذا صح ذلك ، فالملزوم حق ، لأنا لم نتبع إلا مادل عليه كتاب الله وسنة رسوله ،

لأنه من المحال أن يكون الشيء باطلًا في نفسه ، وتكون ملزوماته حقاً ، فتعين إلزامكم حينئذ على قول الرسول ومحكم القرآن ، وأنهما لم يدلا إلا على التجسيم والتشبيه ، فرميتم أتباع الرسول بالتشبيه ، والتجسيم ، والتركيب ، تستراً ، وهذا معنى قوله : ماتسترا ، خوفاً من أنكم إذا نسبتم الكتاب والسنة الى التشبيه والتجسيم ، نسبتم الى الكفر والضلال ، والا فالمثبتة لم يقولوا إلا بما قاله الله ورسوله ، لكن جعلتم تشنيعكم على أتباعه جنة ، وقصدكم مفهوم ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثالث مانجيب به هو استفساركم يافرقة العرفان

ماذا الذي تعنون بالجسم الذي ألزمتمونا أوضحوا ببيان

تعنون ماهو قائم بالنفس أو عال على العرش العظيم الشان

أوذا الذي قامت به الأوصاف وأ صاف الكمال عديمة النقصان

أو ماتركب من جواهر فردة أو صورة حلت هيولى ثان

أو ماهو الجسم الذي في العرف أو في الوضع عند تخاطب بلسان

أو ماهو الجسم الذي في الذهن ذا ك يقال تعليمي ذي الأذهان

ماذا الذي من ذاك يلزم من ثبو ت علوه من فوق كل مكان

فأتوا بتعيين الذي هو لازم فاذا تعين ظاهر التبيان

فأتوا ببرهانين برهان اللزو م ونفي لازمه فذان اثنان

والله لو نشرت لكم أشياخكم عجزوا ولو واطاهم الثقلان

إن كنتمُ أنتم فحولاً فابرزوا ودعوا الشكاوي حيلة النسوان
وإذا اشتكيتم فاجعلوا الشكوى الى الوحيين لا القاضي ولا السلطان

هذا هو الجواب الثالث من أجوبة المثبتة للنفاة ، وهو استفسار المثبتة للنفاة ، ما مرادهم بالجسم ؟ هل هو القائم بنفسه ، كالهواء ، وروح الانسان ، ونحوهما ، أو ماهو عال على العرش ، أو ماقامت به الصفات ، أو هو الجسم التعليمي ، وهو الكمية السارية في الجسم الطبيعي الممتدة في الجهات الثلاث ، أعني : الطول والعرض والعمق ، سمي جسماً تعليمياً ، لكونه موضوعاً للحكمة التعليمية ، أعني : الحكمة الرياضية ، والذي يدل على تغاير المعنيين أنك إذا أخذت شمعة بعينها ، وشكلتها بأشكال مختلفة ، بأن جعلتها تارة كرة ، وتار مكعباً ، وتارة أسطوانة مثلا ، فالجسم الطبيعي باق بعينه ، وقد تغيرت كميته السارية في جهاته تغيرات شتى .

قوله : أو صورة حلت هيولى ثان ، أي : وهل المراد بالجسم المركب عند الفلاسفة المشائين من الهيولى والصورة ، أو مرادكم الجسم الذي في العرف ، أو في الوضع ، فاذا بينتم مرادكم بالجسم ، أجبناكم حينئذ بالجواب المركب ، وهذا معنى قوله :

فنجيب بالتركيب حينئذ جوا باً شافياً فيه هدى الحيران
الحق إثبات الصفات ونفيها عين المحال وليس في الإمكان
فالجسم إما لازم لثبوتها فهو الصواب وليس ذا بطلان
أو ليس يلزم من ثبوت صفاته فشناعة الالزام بالبهتان
فالمنع في احدى المقدمتين معلوم البيان إذاً بلا نكران

المنع إما في اللزوم أو انتفا ء اللازم المنسوب للبطلان

هذا هو الطاغوت قد أضحى كما أبصرتموه بمنة الرحمن

شرع الناظم رحمه الله في الجواب القاطع المركب ، وهو أن الحق إثبات الصفات ، ونفيها عين المحال ، وأبطل الباطل ، وحينئذ فالجسم ، إما لازم لثبوتها ، فيكون هو الصواب ، وإما أن يكون ليس بلازم ، وإنما الإلزام به من تشنيع المعطلة .

قوله : فالمنع في احدى المقدمتين ، وهما القول بالجسم ، أو انتفاء اللازم ، معلوم بغير انكار ، ونحن نمنع إحدى المقدمتين ، ونقول : ان كان الكتاب والسنة قد دلا على التجسيم والعياذ بالله ، فهو حق بهذا الاعتبار ، ولكن نحن نمنع اللزوم ، وهو المقدمة الثانية ، والله أعلم .

فصل

في مبدء العداوة الواقعة بين المثبتين الموحدين وبين النفاة المعطلين

ياقوم تدرون العداوة بيننا من أجل ماذا في قديم زمان؟

إنا تحيزنا إلى القرآن والنـ ـقل الصحيح مفسر القرآن

وكذا الى العقل الصريح وفطرة الرحمن قبل تغير الانسان

هي أربع متلازمات بعضها قد صدقت بعضاً على ميزان

والله ما اجتمعت لديكم هذه أبداً كما أقررتم بلسان

إذ قلتم العقل الصحيح يعارض المـــنقول من أثر ومن قرآن
فنقدم المعقول ثم نصرف الـــمنقول بالتأويل ذي الألوان
فاذا عجزنا عنه ألغيناه لم نعبأ به قصداً الى الاحسان
ولكم بذا سلف لهم تابعتم لما دعوا للأخذ بالقرآن
صدوا فلما ان أصيبوا أقسموا لمرادنا توفيق ذي الاحسان
ولقد أصيبوا في قلوبهم وفي تلك العقول بغاية النقصان
فأتوا بأقوال اذا حصلتها أسمعت ضحكة هازل مجان
هذا جزاء المعرضين عن الهدى متعوضين زخارف الهذيان

معنى كلام الناظم في هذه الأبيات أنه يقول : تدرون أيها المعطلة ما مبدء العداوة الواقعة بيننا وبينكم ؟ وما الذي أحدثها ؟ ثم أخذ في بيان ذلك فقال : إنا تحيزنا الى القرآن ، والنقل الصحيح ، والعقل الصريح ، والفطرة. وأنتم أخذتم فيما زعمتم بالعقل ، وقلتم : إذا تعارض العقل والنقل ، فاما أن تردهما جميعاً ، وإما أن نقبلهما جميعاً ، ولا سبيل الى ذلك ، وإما أن نقبل النقل ونترك العقل ، وهو محال ، لأن العقل أصل النقل ، فلو صدقنا النقل وكذبنا العقل ، لأفضى ذلك الى تكذيب النقل ، لأن العقل أصل النقل ، فلذلك قدمنا العقل ، ثم صرفنا النقل المخالف بزعمهم للعقل ، وذلك إما بالتأويل إن أمكن ، وإما بالتفويض .

قولـــه : ولكم بذا سلف الخ . هؤلاء السلف هم المنافقون الذين ذكرهم الله تعالى بقوله في سورة النساء (واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) النساء : ٦١-٦٣ الايات

قال شيخ الاسلام رحمه الله بعالى في « العقل والنقل » وفي هذه الآيات أنواع من العبر دالة على ضلال من تحاكم الى غير الكتاب والسنة ، وعلى نفاقه ، وأن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية ، وبين مايسميه هو عقليات ، من الأمور المأخوذة عن بعض الطواغيت من المشركين وأهل الكتاب ، وغير ذلك من انواع الاعتبار ، فمن كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والايمان مثلاً ، أو لتعديه حدود الله بسلوك السبيل التي نهي عنها ، أو لاتباع هواه بغير هدى من الله ، فهو الظالم لنفسه وهو من أهل الوعيد ، بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله باطناً وظاهراً ، الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله ، فهذا مغفور له خطؤه ، كما قـــال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) إلى قولـــه : (ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦ انتهى كلامه

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واضرب لهم مثلا بشيخ القوم إذ ... يأبى السجود بكبر ذي طغيان
ثم ارتضى ان صار قواداً لأر ... باب الفسوق وكل ذي عصيان

قولـــه : واضرب لهم مثلا بشيخ القوم الخ . المراد به إبليس عليه اللعنة ، وذلك أن الله أمره بالسجود لآدم ، فعصى كبراً وطغياناً ، ثم ارتضى بأن صار قواداً لكل فاسق وعاص ، نعوذ بالله ، وهذا مأخوذ من قول أبي نواس .

عجبت من إبليس في كبره ... وفي الذي أظهر من نخوته
تاه على آدم في سجـــدة ... وصار قواداً لذريتـــه

قوله : نخوته ، قال في « القاموس » نخا ينخو ، نخوة : افتخر وتعظم . وكذا قوله : تاه ، أي ، تكبر .

وكذاك أهل الشرك قالوا كيف ذا بشر أتى بالوحي والقرآن
ثم ارتضوا أن يجعلوا معبودهم من هذه الأحجار والاوثان

أي : أن أهل الشرك تكبروا وقالو : الله أكبر وأجل وأعظم من أن يرسل بشراً ، ثم ارتضوا بأن جعلوا آلهتهم من الأحجار والأوثان والجماد أخس حالاً من الحيوان

وكذلك عباد الصليب حموا بتا ركهم من النسوان والولدان
وأتوا الى رب السموات العلى جعلوا له ولدا من الذكران

أي إن عباد الصليب ، وهم النصارى نزهوا بتاركهم من النساء والولدان ، ثم جعلوا لله سبحانه ولداً ، تعالى الله عن قولهم : البترك الأكبر هو لوقا الناقل عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليه السلام . وأصل الترتيب عندهم أن القارىء للانجيل من أول وهلة شماس ، فان تأوله وأتقن حفظه صار قسيساً ، ويدوم كذلك مادام عنده زوجة ، وإن بلغ في العلم ما بلغ ، فان ماتت زوجته ، فان تزوج خرج عن مراتب العلم ، ويسمي سالخ القيسوسية ، فان تنزه عن الزفر وما يخرج من الأرواح ، صار بتركاً في مذهب الأرمن . وأما الروم واليعاقبة والنسطورية ، فيرون أنه لايجوز أن يكون بتركا إلا من تنزه عن النساء وأكل الأرواح ، وما يخرج منها من أول عمره ، الا العسل ، والسمك ، لأنه خليفة المسيح ، وطاعة هؤلاء فرض على النصارى . وأما الأسقف ، والميرون ، والراهب ، فأسماء للمتعبدين خاصة ، فالماكث في القلة ميرون ، وكثير السياحة أسقف ، وتارك النساء

فقط راهب . وشرط الروم ملازمته للبس المسوح ، وخدمة الدير ، وأن لا يصلي خارج الكنيسة .

وكذلك الجهمي نزه ربه   عن عرشه من فوق ذي الاكوان
حذراً من الحصر الذي في ظنه   أو أن يرى متحيزاً بمكان
فاصاره عدما وليس وجوده   متحققاً في خارج الاذهان
لكنما قدماؤهم قالوا بأن   الذات قد وجدت بكل مكان
جعلوه في الآبار والأنجاس والـ   ـخانات والخربات والقيعان

قال في « القاموس » الخان : الحانوت ، أو صاحبه ، وخان التجار معروف

قوله القيعان . قال في « القاموس » القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عليها الجبال والآكام ، جمع قيع وقيعة ، وقيعان بكسرهن ، أي : أن الجهمية نزهوا الله عن أن يكون مستوياً على عرشه ، حذراً من أن يكون محصوراً أو متحيزاً ، ثم قالوا : إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل ولا منفصل ، فأوقعوا عليه صفة المعدوم .

قوله : لكنما قدماؤهم قالوا بأن الذات الخ أي : أن قدماء الجهمية قالوا بأنه سبحانه موجود بكل مكان ، تعالى الله عن ذلك ، ولكن هذا ليس قول الجهمية الأولين جميعهم ، فان هذا قول النجارية ، والضرارية ، كما تقدم ذلك في أوائل هذا الشرح ، ففي كلامه مسامحة .

والقصد أنكم تحيزتم الى الـ   ـآراء وهي كثيرة الهذيان
فتلونت بكم فجئتم أنتم   متلونين عجائب الالوان
وعرضتم قول الرسول على الذي   قد قاله الاشياخ عرض وزان

وجعلتم أقوالهم ميزان ما قد قاله والعدل في الميزان

أي : أن هذا ميزان عائل جائر . قال في « القاموس » عال : جار عن الحق والميزان ، نقص .

ووردتم سفل المياه ولم نكن نرضى بذاك الورد للظمآن

وأخذتم أنتم بنيات الطريق ونحن سرنا في الطريق الاعظم السلطان

بنيات الطريق هي الطرق الصغار تتشعب من الطريق الأعظم ثم ترجع اليه

وجعلتمُ ترس الكلام مجنة تبا لذاك الترس عند طعان

ورميتمُ أهل الحديث بأسهم عن قوس موتور الفؤاد جبان

فتترسوا بالوحي والسنن التي تتلوه نعم الترس للشجعان

تقدم تفسير الترس .

قوله : موتور . هو اسم مفعول ، من وتره يتره . قال في « القاموس » وتره يتره ، وتراً ، وترة ، والقوم جعل شفعهم وتراً ، كأوترهم ، والرجل أفزعه وأدركه بمكروه ، ووتره ماله : نقصه إياه . انتهى .

قلت : ومنه الحديث « الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »

هو ترسهم والله من عدوانكم والترس يوم البعث من نيران

أفتاركوه لفشركم ومحالكم لا كان ذاك بمنة الرحمن

ودعوتمونا للذي قلتم به قلنا معاذ الله من خذلان

فاشتد ذاك الحرب بين فريقنا وفريقكم وتفاقم الأمران

وتأصلت تلك العداوة بيننا من يوم أمر الله للشيطان

بسجوده فعصى وعارض أمره　　بقياسه وبعقله الخوان

فأتى التلاميذ الوقاح فعارضوا　　أخباره بالفشر والهذيان

ومعارض للأمر مثل معارض الـ　　أخبار هم في كفرهم صنوان

من عارض المنصوص بالمعقول قد　　ما أخبرونا ياأولي العرفان

أو ما عرفتم أنه القدري والـ　　جبري أيضاً ذاك في القرآن

إذ قال قد أغويتني وفتنتني　　لأزين لهم مدى الازمان

فاحتج بالمقدور ثم ابان أن　　الفعل منه بغية وزيان

فانظر الى ميراثهم ذا الشيخ بالتـ　　ـعصيب والميراث بالسهمان

فسألتكم بالله من وراثه　　منا ومنكم بعد ذا التبيان

حاصل كلام ناظم في هذه الأبيات ، أن أصل العداوة بيننا وبينكم يامعشر من عارض أمر الله بقياسه وعقله ، من حين أمر الله إبليس بالسجود لآدم فعصى وعارض أمر اللـه بالعقل والقياس ، وذلك فيما حكى اللـه عنه ، وهو قوله : (لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) الحجر : ٣٣ وقوله : (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) الأعراف : ١٢ يعني النار خير وأفضل من الطين ، فأنا خير من آدم ، فهذا معارضة اللعين للأمر بالعقل والقياس .

وقوله : وأتى التلاميذ الوقاح فعارضوا أخباره الخ . أي : ان النفاة عارضوا الأخبار بالفشر والهذيان ، وقالوا : العقل يعارض النقل ، والقواطع تعارض الظواهر اللفظية ، والأدلة اللفظيـة لاتفيد اليقين ، ونحو ذلك

من القشر والهذيان ، وهذا معنى معارضتهم للخبر ، وهو معنى قول الناظم ومعارض للأمر مثل معارض الاخبار الخ

قوله : من عارض المنصوص بالمعقول قدماً الخ . أي : أن إبليس حين احتج بالقدر ، وهو قوله : (فبما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين) الحجر : ٣٩ فاحتج أولا بالقدر والجبر ، وهو قوله : (فبما أغويتني) ثم قال : (لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) فتبعته القدرية المجبرة في الاحتجاج بالقدر ، وأنهم مجبورون على أفعالهم ، وتبعته القدرية النفاة ، وهم الذين زعموا أن أفعال العباد غير مخلوقة في قوله :(لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) فالقدرية المجبرة تبعوه في الجبر، والقدرية النفاة تبعوه في نفي خلق أفعال العباد ، فالطائفتان قد عارضتا المنصوص بالمعقول ، وهذا معنى قول الناظم: فانظر الى ميراثهم ذا الشيخ بالتعصيب كما هو ظاهر،و الله أعلم . وقد تقدم الكلام في مذهب أهل السنة والجماعة في « خلق أفعال العباد » وفي رد مذهب الجبرية .

هذا الذي ألقى العداوة بيننا اذ ذاك واتصلت الى ذا الآن

اءلمتمُ اصلاًوأصل خصمكم اصلاً فحين تقابل الأصلان

ظهر التباين فانتشت مابيننا الـــحرب العوان وصيح بالاقران

أصلتم رأى الرجال وخرصها من غير برهان ولا سلطان

هذا وكم رأي لهم فبرأي من نزن النصوص فأوضحوا ببيان

كل له رأي ومعقول لـــه يدعو ويمنع أخذ رأي فلان

والخصم اصل محكم القرآن مع   قول الرسول وفطرة الرحمن
وبنى عليه فاعتلى بنيانه   نحو السما أعظم بذا البنيان
وعلى شفا جرف بنيتم أنتم   فأتت سيول الوحي والايمان
فعلت أساس بنائكم فتهدّمت   تلك السقوف وخر للاركان
الله أكبر لو رأيتم ذلك الـ   ـبنيان حين علا كمثل دخان
تسمو اليه نواظر من تحته   وهو الوضيع ولو يرى بعيان
فاصبر له وهناك ورد الطرف تلـ   ـقاه قريباً في الحضيض الداني

ثم شرع الناظم رحمه الله في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفر ، وأن الاثبات أساس العلم والايمان . فقال :

فصل

في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفران ، والاثبات أساس العلم والايمان

من قال إن الله ليس بفاعل   فعلاً يقوم به قيام معان
كلا وليس الامر أيضاً قائماً   بالرب بل من جملة الاكوان

اي : من قال : ان الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، والأمر هو المأمور ، وقد تقدم بسط الكلام في ذلك .

قوله : قيام معان ، هو بفتح الميم ، أي : قياماً معنوياً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

كلا وليس الله فوق عباده ... بل عرشه خلو من الرحمن

فثلاثة والله لاتبقي من الـ ... ايمان حبة خردل بوزان

وقداستراح معطل هذي الثلا ... ث من الاله وجملة القرآن

ومن الرسول ودينه وشريعته الـ ... اسلام بل من جملة الاديان

قوله : خلو ، بكسر الخاء ، أي : خال .

قوله : هذي الثلاث ، وهن القول بأن فعله تعالى وأمره لا يقومان به ، والقول بنفي الفوقية والعلو لا يبقي من الايمان حبة خردل .

وتمام ذاك جحوده لصفاته ... والذات دون الوصف ذو البطلان

أي : وتمام ذاك جحود صفات الرب تعالى ، مع أن وجود ذات بغير صفات باطل .

وتمام ذا الايمان إقرار الفتى ... بالله فاطر هذي الاكوان

فاذا أقربه وعطل كل مفـ ... ـروض ولم يتوق من عصيان

لم ينقص الايمان حبة خردل ... أنى وليس بقابل النقصان ؟!

هذا هو القول بالايمان، هو التصديق والمعرفة ، كما هو قول الجهمية والأشعري في المشهور من قوليه ، وأنه لايزيد ولا ينقص .

وتمام هذا قوله إن النبـ ... ـوة ليس وصفاً قام بالانسان

لكن تعلق ذلك المعنى القديـ ... ـم بواحد من جملة الانسان

هذا وما ذاك التعلق ثابتاً　　في خارج بل ذاك في الاذهان

فتعلق الاقوال لا يعطي الذي　　وقفت عليه الكون في الأعيان

هذا اذا ماحصل المعنى الذي　　قلتم هو النفسيّ في البرهان

لكنّ جمهور الطوائف لم يروا　　ذا ممكناً بل ذاك ذو بطلان

ماقال هذا غيركم من سائر النـــظار في الآفاق والازمان

تسعون وجهاً بينت بطلانه　　لولا القريض لسقتها بوزان

أي : وتمام هذا قوله : إن النبوة ليس وصفاً قام بالنبي ، وإن المعنى القديم وهو المعنى النفسي ، تعلق به ، ومع ذلك ، فالتعلق ليس ثابتاً في الخارج ، بل هو في الذهن ، وذلك هو المعنى النفسي الذي أثبته الأشاعرة.

قوله : ماقال هذا غيركم الخ . أي : ماقال هذا القول أحد غيركم معشر الأشعرية .

قوله : تسعون وجهاً الخ . هذه الأوجه ساقها شيخ الاسلام في رسالته المعروفة « بالتسعينية »

قوله : لولا القريض . قال في « القاموس » قرضه يقرضه ، قطعه ، وجازاه كقارضه ، والشعر قاله .

ياقوم أين الرب أين كلامه　　أين الرسول فأوضحوا ببيان

مافوق عرش الرب من هو قائل　　طه ولا حرفاً من القرآن

ولقد شهدتم ان هذا قولكم　　والله يشهد مع أولي الايمان

وارحمتاه لكم غبنتم حظكم　　من كل معرفة ومن ايمان

ونسبتم للكفر أولى منكم ... بالله والايمان والقرآن
هذي بضاعتكم فمن يستامها ... فقد ارتضى بالجهل والخسران
وتمام هذا قولكم في مبدء ... ومعادنا أعني المعاد الثاني

هذا على قول مثبتي الجوهر الفرد ، وقد تكلموا في معاد الابدان على هذا الاصل ، فمنهم من يقول : يفرق الاجزاء ثم يجمعها ، ومنهم من يقول : يعدمها ثم يعيدها . واختلفوا ههنا فيما إذا أكل حيوان حيواناً ، فكيف يعاد ؟ وادعى بعضهم أن الله يعدم أجزاء العالم ، ومنهم من يقول : هذا لايمكن أن يعلم ثبوته ولاانتفاؤه ، والمعاد عندهم يفتقر الى أن يبتدىء هذي الجواهر ، والجهم بن صفوان منهم يقول : يعدمها بعد ذلك ، ويقول: بفناء الجنة والنار . وأبو الهذيل العلاف يقول: تعدم الحركات .

قال ابن العربي في « عقيدته الوسطى » اختلف أهل السنة في الاعادة هل بالجمع والتفريق ، أو بعد محض العدم ؟ والحق التوقف ، وهو اختيار امام الحرمين ، اذ كلاهما جائز عقلا في قدرته تعالى ، ولا قاطع في ذلك ، فالأحوط التوقف . انتهى

وفي شرح الرسالة ، للشيخ أبي القاسم ابن ناجي. قال بعض الشيوخ: أجمع أهل الحق على القول برد الجواهر بأعيانها ، وانما اختلفوا :هل عن عدم أو تفريق ؟ قال أبو المعالي : لادليل قاطع بأحدهما ، والظواهر تقتضي الاعدام لابالتفريق ، وعليه فترد بأعيانها ، وكون الابتداء والاعادة بالعلم والقدرة والارادة . وأما إن قلنا بالتفريق لا بالاعدام ، فتجمع الجواهر ، ثم يخلق تعالى فيها الصفات بأعيانها كما كانت أول مرة ، وكل ماهو ممكن ، فالقدرة صالحة لايقاعه انتهى .

وقال شارح « المواقف » وهل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها ، أم يفرقها ويعيد تأليفها ؟ الحق أنه لم يثبت في ذلك شيء ، فلا نجزم فيه نفياً ولا إثباتاً ، لعدم الدليل على شيء من الطرفين ، وليس في قوله تعالى

(كل شيء هالك الا وجهه) القصص : ٨٨ دليل على الاعدام ، لأن التفريق هلاك كالاعدام ، فهلاك كل شيء خروجه عن صفاته المطلوبة منه وزوال التأليف كذلك ، ومثله يسمى فناء عرفاً ، فلا يتم الاستدلال بقوله تعالى (كل من عليها فان) الرحمن : ٣٧ على الاعدام أيضاً ، والله تعالى أعلم . انتهى كلامه .

فهذا قول النفاة في المعاد ، أما قولهم في المبدأ ، فقد تقدم الكلام عليه ، والله أعلم .

وتمام هذا قولكم بفناء دا ... ر الخلد فالداران فانيتان

أي : إن الجهمية قالوا بفناء الجنة والنار

ياقومنا بلغ الوجود بأسره الد ... نيا مع الاخرى مع الايمان
والخلق والامر المنزل والجزا ... ء منازل الجنات والنيران
والناس قد ورثوه بعد فمنهم ... ذو السهم والسهمين والسهمان
بئس المورث والمورث والترا ... ث ثلاثة أهل لكل هوان
ياوارثين نبيهم بشراكمُ ... مارإثكم مع إرثهم سيان
شتان بين الوارثين وبين مو ... روثيهما وسهام ذي سهمان
ياقوم ماصاح الأئمة جهدهم ... بالجهم من أقطارها بأذان
الا لما عرفوه من أقواله ... ومآلها بحقيقة العرفان
قول الرسول وقول جهم عندنا ... في قلب عبد ليس يجتمعان
نصحوكمُ والله جهد نصيحة ... مافيهمُ والله من خوان
فخذوا بهديهم فربي ضامن ... ورسوله أن تفعلوا بجنان

أي : إن قول أهل النفي والتعطيل ، قد بلغت شناعاته الوجود بأسره

الدنيا والآخرة ، والخلق والأمر ، والجزاء ، والجنة ، والنار . وقد توارث الناس تلك الضلالات والشناعات ، فمنهم من ورث السهم ، ومنهم من ورث السهمين ، ومنهم من ورث السهام .

قوله : والله ماصاح الأئمة جهدهم الخ . أي : ما كثر تشنيع الأئمة الكبار في جميع المدن والأقطار ، وتحذيرهم من جهم وأقواله إلا لما عرفوا من مآلها المنافي للدين المباين للحق واليقين .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فاذا أبيتم فالسلام على من اتـــبع الهدى وانقاد للقرآن
سيروا على نجب العزائم واجعلوا بظهورها المسرى الى الرحمن
سبق المفرد وهو ذاكر ربه في كل حال ليس ذا نسيان

يشير الى مارواه مسلم في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة ، فمر على جبل يقال له : حمدان فقال : سيروا ، هذا حمدان ، سبق المفرودون ، قالوا : وما المفردون يارسول الله ؟ قال : « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » روي لفظ (المفردون) من التفريد ، ومن الافراد ، والمشهور الذي قاله الجمهور هو التشديد

لكن أخا الغفلات منقطع به بين المفاوز تحت ذي الغيلان
صيد السباع وكل وحش كاسر بئس المضيف لأعجز الضيفان

قال في « القاموس » كسر الطائر كسراً وكسوراً : ضم جناحيه يريد الوقوع ، وعقاب كاسر .

وكذلك الشيطان يصطاد الذي لايذكر الرحمن كل أوان

والذكر أنواع فأعلى نوعه ذكر الصفات لربنا المنان

وثبوتها أصل لهذا الذكر والـــنافي لها داع الى النســيان

فلذاك كان خليفه الشيطان ذا لا مرحباً بخليفة الشيطان

والذاكرون على مراتبهم فأعـــلاهم اولو الايمان والعرفان

بصفاته العلياء اذ قاموا بحمــــد الله في سر وفي إعلان

وأخص أهل الذكر بالرحمن أعـــلمهم بها هم صفوة الرحمـــن

وكذاك كان محمد وأبوه ابـــراهيم والمولود من عمران

وكذاك نوح وابن مريم عندنا هم خير خلق الله من انسان

لمعارف حصلت لهم بصفاته لم يؤتها أحد من الانسان

وهم أولو العزم الذين بسورة الـــ أحزاب والشورى أتوا ببيان

وكذلك القرآن مملوء من الـــ أوصاف وهي القصد بالقرآن

ليصير معروفاً لنا بصفاته ويصير مذكوراً لنا بجنان

ولسان ايضاً مع محبتنا له فلاجل ذا الاثبات في الايمان

مثل الأساس من البناء فمن يرم هدم الاساس فكيف بالبنيان؟!

يعني الناظم رحمه الله تعالى ، أن الذكر أنواع . فأعلاها ذكر الصفات ، وثبوت صفاته سبحانه أصل لهذا الذكر ، ونافي الصفات داع الى نسيانها ، وهو خليفة الشيطان ، والذاكرون على مراتب ، فأعلاهم أولو الايمان

والعرفان بصفاته سبحانه ، ولذلك قاموا بحمد الله في السر والاعلان ، وأخص أهل الذكر بالله ، أعلمهم بصفاته ، ولذلك كان أولو العزم من الرسل ، وهم نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، هم خير خلق الله ، للمعارف التي حصلت لهم بصفاته سبحانه ، بحيث لم يؤتها غيرهم ، ولذلك القرآن مملوء بصفاته سبحانه ، وهي القصد بالقرآن ، ليكون معروفاً لعباده بصفاته ، مذكوراً لهم بقلوبهم ، وهو معنى قوله : مذكوراً لهم بجنان ، وهو القلب ، ونحو من هذا قول الناظم في المقدمة : وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها ، ومحبته وذكره ، والابتهاج به ، وطلب الوسيلة اليه ، والزلفى عنده ، ولا سبيل الى هذا بمعرفة أوصافه وأسمائه ، فكلما كان العبد بها أعلم ، كان بالله أعرف ، وله أطلب ، واليه أقرب ، وكلما كان لها أنكر ، كان بالله أجهل ، واليه أكره ، ومنه أبعد ... الى آخر ماذكره . قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « الكلم الطيب » الذكر نوعان . أحدهما : ذكر أسماء الرب وصفاته والثناء عليه ، وتنزيهه ، وتقديسه عما لا يليق به ، وهذا أيضاً نوعان . أحدهما : إنشاء الثنا عليه بها من الذاكر ، وهذا النوع هو المذكور في الاحاديث ، نحو : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله اكبر . سبحان الله وبحمده ، لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . ونحو ذلك ، فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء ، وأعمه ، نحو سبحان الله عدد خلقه . فهذا أفضل من نحو : سبحان الله . وقولك : الحمد لله عدد ما خلق في السماء ، وعدد ما خلق في الأرض ، وعدد ما بينهما ، وعدد ما هو خالق . أفضل من نحو قولك : الحمد لله . ولهذا جاء في حديث جويرية أن النبي ﷺ قال لها : « لقد قلت بعدك أربع كلمات – ثلاث مرات – ، لو وزنت بما قلت

اليوم لوزنتهن ، سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضى نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » رواه مسلم . وفي الترمذي و « سنن أبي داود » عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع النبي ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أوحصى تسبح به ، فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل ؟ سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق في الارض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك »

النوع الثاني : الخبر عن الرب تعالى باحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك : الله عز وجل يسمع أصوات عباده ، ويرى حركاتهم ، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم ، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم ، وهو على كل شيء قدير ، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد لراحلته ، ونحو ذلك . وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه ، وبما أثنى عليه رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع ، حمد ، وثناء ، ومجد ، فالحمد : الاخبار عنه بصفات كماله ، مع محبته والرضى عنه ، فلا يكون المحب الساكت حامداً ، ولا المثني بلا محبة حامداً ، حتى يجتمع له المحبة والثناء ، فان كرر المحامد شيئاً بعد شيء ، كان ثناء ، وان كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك ، كان مجداً . وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول سورة الفاتحة ، فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال حمدني عبدي وإذا قال : (الرحمن الرحيم) قال : أثنى علي عبدي ، واذا قال : (مالك يوم الدين) قال : مجدني عبدي .

والنوع الثاني من الذكر، ذكر أمره ونهيه وأحكامه، وهذا أيضاً نوعان: إلى آخر كلامه، وهو كلام نفيس.

قوله: أولو العزم الذين بسورة (الاحزاب) و (الشورى) قال تعالى في سورة الاحزاب ٧: (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) وفي سورة الشورى ١٣: (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ...) الايه.

قوله: فلأجل ذا الاثبات في الايمان مثل الاساس من البناء، يعني أن الاثبات في الايمان مثل الأساس مع البناء، وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى: الاثبات أمكن، نقله عنه الخطابي.

والله ماقام البناء لدين رسـل الله بالتعطيل للديان
ماقام الا بالصفات مفصلا اثباتها تفصيل ذي عرفان
فهي الاساس لديننا ولكل ديـن قبله من سائر الاديان
وكذاك زندقة العباد أساسها التـعطيل يشهد ذا اولو العرفان
والله مافي الأرض زندقة بدت الا من التعطيل والنكران
والله مافي الأرض زندقة بدت من جانب الاثبات والقرآن
هذي زنادقة العباد جميعهم ومصنفاتهم بكل مكان
مافيهم أحد يقول الله فو ق العرش مستول على الاكوان
ويقول ان الله جل جلاله متكلم بالوحي والقرآن

ويقول ان الله كلم عبده موسى فأسمعه بذي الآذان

ويقول ان النقل غير معارض للعقل بل أمران متفقان

والنقل جاء بما يحار العقل فيـــه لا المحال البين البطلان

فانظر الى الجهمي كيف أتى الى أس الهدى ومعاقل الايمان

بمعاول التعطيل يقطعها فما يبقي على التعطيل من ايمان

يدري بهذا عارف بمآخذ الـــأقوال مضطلع بهذا الشان

والله لو حدثتم لرأيتم هذا وأعظم منه رأي عيان

لكن على تلك العيون غشاوة ماحيلة الكحال في العميان

أقسم الناظم رحمه الله في البيت الذي أوله : والله ماقام الأساس لدين رسل الله الخ . . إن دين الرسل عليهم السلام ماقام بالتعطيل ، وإنه ماقام إلا باثبات الصفات مفصلة ، ثم أخبر أن زندقة العباد أساسها التعطيل ، فانظر زنادقة العباد ومصنفاتهم بكل مكان ، فانه ليس فيهم من يثبت علو الله تعالى على خلقه ، أو يقول : ان الله سبحانه متكلم بالوحي والقرآن ، وإن الله كلم عبده موسى فأسمعه النداء .

قوله : ويقول : إن النقل غير معارض للعقل الخ . أي : إن المعطلة تقول : ان العقل يعارض النقل ، وحاشا من ذلك ، لكن النقل جاء بمحارات العقول ، أي : بما تتحير فيه العقول . وأما أن النقل يجيء بالمحال الباطل ، فكلا ، ومعاذ الله .

فصل

في بهت أهل الشرك والتعطيل في رميهم أهل التوحيد والإثبات بتنقيص الرسول ﷺ

قالوا تنقصتم رسول الله وا ... عجبا لهذا البغي والبهتان
عزلوه ان يحتج قط بقوله ... في العلم بالله العظيم الشان
عزلوا كلام الله ثم رسوله ... عن ذاك عزلاً ليس ذا كتمان
جعلوا حقيقته وظاهره هو الـ ... ـكفر الصريح البين البطلان
قالوا وظاهره هو التشبيه والـ ... ـتجسيم والتمثيل حاشا ظاهر القرآن
من قال في الرحمن مادلت علـ ... ـيه حقيقة الاخبار والفرقان
فهو المشبه والممثل والمجـ ... ـسم عابد الأوثان لا الرحمن
تالله قد مسخت عقولكم فليـ ... ـس وراء هذا قط من نقصان
ورميتم حزب الرسول وجنده ... بمصابكم يافرقة البهتان
وجعلتم التنقيص عين وفاقه ... اذ لم يوافق ذاك رأي فلان
أنتم تنقصتم إله العرش والـ ... ـقرآن والمبعوث بالقرآن
نزهتموه عن صفات كماله ... وعن الكلام وفوق كل مكان
وجعلتم ذا كله التشبيه والـ ... ـتمثيل والتجسيم ذا البطلان

وكلامكم فيه الشفاء وغاية الـــتحقيق ياعجباً لذا الخذلان

جعلوا عقولهمُ أحق بأخذ ما فيها من الأخبار والقرآن

وكلامه لايستفاد به اليقيـــن لأجل ذا لايقبل الخصمان

تحكيمه عند اختلافهما بل المـــعقول ثم المنطق اليونان

أي التنقص بعد ذا لولا الوقا حة والجراءة ياأولي العدوان

معنى كلامه في هذه الأبيات أن أهل التعطيل رموا أهل التوحيد لما جردوا التوحيد، والمتابعة، وأفردوا الله تعالى بجميع أنواع العبادة خوفاً، ورجاء، وتوكلا، وخشية، وقالوا: لايجوز صرف العبادة ولا شيء منها لملك مقرب، ولا نبي مرسل، وقدموا أقوال الرسول على غيره، فلأجل ذلك رموهم بتنقص الرسول، والمعطلة مع ذلك قد تنقصوا الله تعالى ورسوله وكتابه، أما تنقصهم الله تعالى، فانهم سلبوه صفات كماله، ونزهوه عن الكلام والفوقية، وجعلوا ذلك تشبيهاً وتجسيماً، وأما تنقصهم الرسول، فانهم عزلوه أن يحتج بقوله في العلم بالله، وأما تنقصهم القرآن، فانه عندهم لايفيد اليقين، إذ هو أدلة لفظية عارضتها القواطع العقلية بزعمهم، وأن القرآن لايحكم عند الاختلاف، وإنما يرجع الى العقول والمنطق، وأما أهل الاثبات، فانهم حكموا الرسول ﷺ وما جاء به في الدق والجل، ولهذا قال: أي التنقص بعد ذا لولا الوقاحة والجراءة الخ.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

يامن له عقل ونور قد غدا يمشي به في الناس كل زمان

لكننا قلنا مقالة صارخ في كل وقت بينكم بأذان

الرب رب والرسول فعبده حقاً وليس لنا إله ثان
فلذاك لم نعبده مثل عبادة الـرحمن فعل المشرك النصراني
كلا ولم نغلوا الغلو كما نهى عنه الرسول مخافة الكفران
لله حق لا يكون لغيره ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً من غير تمييز ولا فرقان
فالحج للرحمن دون رسوله وكذا الصلاة وذبح ذي القربان
وكذا السجود ونذرنا ويميننا وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والانابة والتقى وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به اياك نعبد ذاك توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره دنيا وأُخرى حبذا الركنان
وكذلك التسبيح والتكبير والـتهليل حق إلهنا الديان
لكنما التعزير والتوقير حـق للرسول بمقتضى القرآن
والحب والإيمان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان
هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة لا تجهلوها ياأولي العدوان
حق الإله عبادة بالأمر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئاً هما سببا النجاة فحبذا السببان
ورسوله فهو المطاع وقوله الـمقبول إذ هو صاحب البرهان

والأمر منه الحتم لاتخيير فـــيه عند ذي عقل وذي إيمان
من قال قولاً غيره قمنا على أقواله بالسبر والميزان
إن وافقت قول الرسول وحكمه فعلى الرؤوس تشال كالتيجان
أو خالفت هذا رددناها على من قالها من كان من انسان
أو أشكلت عنا توقفنا ولم نجزم بلا علم ولا برهان
هذا الذى أدى إليه علمنـا وبه ندين الله كل أوان
فهو المطاع وأمره العالي على أمر الورى وأمر ذي السلطان
وهم المقدم في محبتنا على الـــأهلين والأزواج والولدان
وعلى العباد جميعهم حتى على الـــنفس التي قد ضمها الجنبان

شرع الناظم رحمه الله في بيان الحقوق التي لله ورسوله ، فذكر أن حق الله سبحانه ، هو عبـادته بأمره ، لا بهوى النفس ، وذلك ، كالحج والصلاة ، والذبح ، والسجود ، والنذر ، واليمين ، والتوبة ، والتوكل ، والانابة ، والتقى ، والرجاء ، والخشية ، والاستعانة ، والتكبير ، والتهليل ، ونحوها ، فكل هذا حق لله ، لايشركه فيه غيره ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل . وأما المختص بالرسول ﷺ ، فهو التعزير ، والتوقير ، كما في قوله تعـالى (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) الفتح : ٩ وأما الحب والإيمان والتصديق ، فهي مشتركة بين الله ورسوله ، فقد وضحت الحقوق الثلاثة ، وهذا معنى قوله : هذي تفاصيل الحقوق الثلاثة الخ .

قوله : ورسوله فهو المطاع وقوله الخ . يدل على هذا قوله تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...) النساء : ٦٥ الآية

قوله : فهو المقدم في محبتنا الخ . يشير الى قوله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » . وقول عمر رضي الله عنه : يارسول الله لأنت أحب الي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال : « لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك » فقال عمر : إنك الآن أحب الي من نفسي . فقال « الآن ياعمر » رواه البخاري .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ونظير هذا قول أعداء المسيـ ... ـح من النصارى عابدي الصلبان

انا تنقصنا المسيح بقولنا ... عبد وذلك غاية النقصان

لو قلتمُ ولد إله خالق ... وفيتموه حقه بوزان

وكذاك أشباه النصارى مذ غلوا ... في دينهم بالجهل والطغيان

صاروا معادين الرسول ودينه ... في صورة الأحباب والاخوان

أي : ونظير غلوهم في الرسول ﷺ غلو عباد الصليب من النصارى في المسيح ، لما قال لهم النبي ﷺ : « ان المسيح عبد » فقالوا له : تنقصت المسيح وعبته ، وقد تقدم من كلام الناظم في « شرح منازل السائرين » ما يتضح به في معنى هذه الأبيات في الفصل الذي أوله : والشرك فاحذره فشرك ظاهر الخ .

فانظر الى تبديلهم توحيده ... بالشرك والإيمان بالكفران

وانظر الى تجريده التوحيد من ... أسباب كل الشرك بالرحمن

واجمع مقالتهم وما قد قاله ... واستدع بالنقاد والوزان

عقل وفطرتك السليمة ثم زن ... هذا وذا لا تطغ في الميزان

فهناك تعلم أي حزبينا هو الـــمتنقص المنقوص ذو العدون
رامي البريء بدائه ومصابه فعل المباهت أوقح الحيوان
كمعيِّر للناس بالزغل الذي هو ضربه فاعجب لذا البهتان

الزغل بفتح الزاي

يافرقة التنقيص بل ياأمة الـــدعوى بلا علم ولا عرفان
والله ماقدمتمُ يوماً مقـــا لته على التقليد للانسان
والله ماقال الشيوخ وقال إلاّ كنتم معهم بلا كتمان
والله أغلاط الشيوخ لديكمُ عين الصواب ومقتضى البرهان
ولذا قضيتم بالذي حكمت به جهلاً على الاخبار والقرآن
والله انهم لديكم مثل معصـــوم وهذا غاية الطغيان
تباً لكم ماذا النقص بعد ذا لو تعرفون العدل من نقصان
والله مايرضيه جعلكمُ له ترساً لشرككمُ وللعدوان
وكذاك جعلكم المشايخ جنة لخلافه والقصد ذو تبيان
والله يشهد ذا بجذر قلوبكم وكذاك يشهده أولو الإيمان

قوله : بجذر قلوبكم الخ . الجذر بالذال المعجمة . قال في « مختار الصحيح » جذر كل شيء أصله، بفتح الجيم عن الاصمعي، وبكسرها عن أبي عمرو . وفي الحديث : « إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال » .

والله ماعظمتموه طاعة ومحبة يا فرقة العصيان

أنى وجهلكم به وبدينه وخلافكم للوحي معلومان؟

أوصاكم أشياخكم بخلافهم لوفاقه في سالف الأزمان

خالفتم قول الشيوخ وقوله فغدا لكم خلفان متفقان

أي : انكم معاشر النفاة خالفتم قول الرسول ﷺ ، وخالفتم أقوال الأئمة المجتهدين رحمهم الله تعالى ، فانهم أوصوكم ، بخلاف أقوالهم اذا خالفت قول الرسول ﷺ كما قد تقدم بعض أقوالهم ، فخالفتم الرسول ﷺ ، وخالفتم الأئمة في ترك أقوالهم اذا خالفت أقواله ، وهذا معنى قول الناظم : فغدا لكم خلفان متفقان ، وهما خلاف قول الرسول ﷺ ، وخلاف قول الأئمة رضي الله عنهم .

والله أمركم عجيب معجب ضدان فيكم ليس يتفقان

تقديم آراء الرجال عليه مع هذا الغلو فكيف يجتمعان؟!

كفرتم من جرد التوحيد جهـــلا منكم بحقائق الإيمان

لكن تجردتم لنصر الشرك والبـــدع المضلة في رضى الشيطان

والله لم نقصد سوى التجريد للتـــوحيد ذاك وصية الرحمن

ورضى رسول الله منا لا غـــلو الشرك أصل عبادة الأوثان

والله لو يرضى الرسول دعاءنا إياه بادرنا الى الاذعان

والله لو يرضى الرسول سجودنا كنا نخر له على الأذقان

والله ما يرضيه منا غير اخـــلاص وتحكيم لذا القرآن

ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه فعل النصارى عابدي الصلبان
ولقد نهانا أن نصيرّ قبره عيداً حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه وثناً من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان

قوله : ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه الخ . يشير الى قوله ﷺ « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » متفق عليه [1] .

قوله : ولقد نهانا أن نصير قبره عيداً الخ . يشير الى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم » رواه أبو داود باسناد حسن ، ورواته ثقات . وعن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، فان تسليمكم يبلغني أين كنتم » رواه في « المختارة » ورواه أبو يعلى ، والقاضي اسماعيل . وقال سعيد ابن منصور في « سننه » : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، أخبرني سهيل ابن أبي صالح ، قال : رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عند القبر ، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى ، فقال : هلم الى العشاء . فقلت: لا أريده . فقال : مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي ﷺ ، فقال : اذا دخلت المسجد ، فسلم ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ

---

(١) كذا في الأصل : متفق عليه ، ولم يروه مسلم ، فهو من رواية البخاري وحده ورواه الترمذي ، والدارمي ، والطيالسي ، وأحمد .

قال : « لاتتخذوا قبري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر ، وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ، لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ما انتم ومن بالأندلس الا سواء . وقال سعيد أيضاً : حدثنا حبان بن علي ، ثنا محمد بن عجلان ، عن أبي سعيد مولى المهري قال : قال رسول الله ﷺ « لاتتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني » قال شيخ الاسلام : فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين ، يدلان على ثبوت الحديث ، لاسيما وقد احتج به من أرسله ، وذلك يقتضي ثبوته عنده ، هذا لو لم يرو من وجوه مسندة غير هذين ، فكيف وقد تقدم مسنداً .

وقال أيضاً : فانظر الى هذه السنة ، كيف مخرجها من أهل المدينة ، وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب ، وقرب الدار ، لأنهم الى ذلك أحوج من غيرهم ، فكانوا له أضبط . انتهى .

قوله : ودعا بأن لايجعل القبر الذي قد ضمه الخ . قال القرطبي : ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ ، فأعلوا حيطان تربته ، وسدوا المداخل اليها ، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة ، إذ كان مستقبل المصلين ، فتصور الصلاة اليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين ، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال ، حتى لايتمكن أحد من استقبال قبره . انتهى . وهذا معنى قول الناظم : حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه الخ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد غدا عند الوفاة مصرحاً باللعن يصرخ فيهم بأذان

وعنى الألى جعلوا القبور مساجداً وهم اليهود وعابدو الصلبان

والله لولا ذاك أبرز قبره لكنهم حجبوه بالحيطان

قصدوا الى تسنيم حجرته ليمـــتنع السجود له على الأذقان

قصدوا موافقة الرسول وقصده التجريد للتوحيد للرحمن

قوله : ولقد غدا عند الوفاة الخ . يشير الى حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزل برسول الله ﷺ ، طفق طفق خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ماصنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . أخرجاه .

قولها : غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . روي بفتح الخاء ، وضمها ، فعلى الفتح هو الذي خشي ذلك ﷺ ، وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه ، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة ، فلم يبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة غلواً وتعظيماً بما أبدى وأعاد من النهي عنه ، والتحذير منه ، ولعن فاعله .

قوله : قصدوا الى تسنيم حجرته الخ . تقدم كلام القرطبي رحمه الله تعالى في ذلك ، ولعل الناظم أخذ هذا المعنى من كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

يافرقة جهلت نصوص نبيهم وقصوده وحقيقة الإيمان

فسطوا على أتباعه وجنوده بالبغي والعدوان والبهتان

لاتعجلوا وتبينوا وتثبتوا فمصابكم مافيه من جبران

قلنا الذي قال الأئمة قبلنا   وبه النصوص أتت على التبيان
القصد حج البيت وهو فريضة الـ   ـرحمن واجبة على الأعيان
ورحالنا شدت اليه من بقا   ع الأرض قاصيها كذاك الداني
من لم يزر بيت الإله فماله   من حجه سهم ولا سهمان
وكذا نشد رحالنا للمسجد النـ   ـبوى خير مساجد البلدان
من بعد مكة أو على الاطلاق فيـ   ـه الخلف عند الناس منذ زمان
ونراه عند النذر فرضاً لكن النـ   ـعمان يأبى ذا وللنعمان
أصل هو النافي الوجوب فانه   ماجنسه فرض على الانسان
ولنا براهين تدل بأنه   بالنذر مفترض على الانسان
أمر الرسول لكل ناذر طاعة   بوفائه بالنذر بالاحسان
وصلاتنا فيه بألف في سوا   ه ماخلا ذا الحجر والأركان
وكذا صلاة في قبا فكعمرة   في أجرها والفضل للمنان
فاذا أتينا المسجد النبوي صلـ   ـينا التحية أولاً ثنتان
بتمام اركان لها وخشوعها   وحضور قلب فعل ذي الاحسان
ثم انثنينا للزيارة نقصد الـ   ـقبر الشريف ولو على الأجفان
فنقوم دون القبر وقفة خاضع   متذلل في السر والاعلان
فكأنه في القبر حي ناطق   فالواقفون نواكس الاذقان

ملكتهم تلك المهابة فاعترت تلك القوائم كثرة الرجفان
وتفجرت تلك العيون بمائها ولطالما غاضت على الأزمان
وأتى المسلّم بالسلام بهيبة ووقار ذي علم وذي إيمان
لم يرفع الأصوات حول ضريحه كلا ولم يسجد على الأذقان
كلا ولم ير طائفاً بالقبر أسـ ـبوعاً كأن القبر بيت ثان
ثم انثنى بدعائه متوجهاً لله نحو البيت ذي الاركان
هذي زيارة من غدا متمسكاً بشريعة الاسلام والإيمان
من أفضل الأعمال هاتيك الزيا رة وهي يوم الحشر في الميزان
لا تلبسوا الحق الذي جاءت به سنن الرسول بأعظم البطلان
هذي زيارتنا ولم ننكر سوى الـ ـبدع المضلة يا أولي العدوان
وحديث شد الرحل نص ثابت يجب المصير اليه بالبرهان

مراد الناظم رحمه الله انا قلنا بما قالت به الأئمة قبلنا ، ودلت عليه النصوص ، فذكر أن حج البيت فريضة ، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام .

قوله : ورحالنا شدت اليه الخ . يشير الى الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ... » الحديث

وكذا نشد رحالنا للمسجد النبوي الخ . أقول :

قوله هذه مسألة الزيارة ، وهي التي أفتى فيها شيخ الاسلام ، وحبس بسببها حتى مات في الحبس ، ولنذكر جوابه في المسألة ، وذلك أنه سئل عن رجل نوى زيارة قبر نبي من الأنبياء عليهم السلام ، مثل نبينا ﷺ وغيره ،

فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة ؟ وهل هي زيارة شرعية ، أم لا ؟ وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال « من حج فلم يزرني فقد جفاني » و« من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » وقد روي عنه أنه قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا » .

أجاب الشيخ رضي الله عنه : الحمد لله رب العالمين ، أما من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، فهل يجوز له القصر ؟ على قولين ، أحدهما وهو قول متقدمي العلماء الذين لايجوزون القصر في سفر المعصية ، كأبي عبد الله ابن بطة ، وأبي الوفاء ابن عقيل ، وطوائف كثيرة من العلماء المتقدمين أنه لايجوز القصر في هذا السفر ، لأنه سفر منهي عنه . ومذهب مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله أن السفر المنهي عنه في الشريعة لا يقصر فيه ، والقول الثاني أنه يقصر ، وهذا يقوله من يجوز القصر في السفر المحرم ، كأبي حنيفة ، ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ، ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، كأبي حامد الغزالي ، وأبي الحسن ابن عبدوس الحراني ، وأبي محمد ابن قدامة المقدسي ، وهؤلاء يقولون: إن هذا السفر ليس بمحرم ، لعموم قوله ﷺ « زوروا القبور » وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ ، كقوله « من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » رواه الدارقطني ، وابن ماجه . وأما مايذكره بعض الناس من قوله « من حج فلم يزرني فقد جفاني » فهذا لم يروه أحد من العلماء ، وهو مثل قوله « من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له على الله الجنة » فان هذا أيضاً باطل باتفاق العلماء ، لم يروه أحد ، ولم يحتج به أحد ، وانما يحتج بعضهم بحديث الدارقطني

ونحوه ، وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور ، بأن النبي ﷺ كان يزور مسجد قباء ، وأجاب عن حديث « لاتشد الرحال.. » بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب . وأما الأولون ، فانهم يحتجون بما في « الصحيحين » عن النبي ﷺ قال : « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا » وهذا الحديث اتفق العلماء على صحته ، والعمل به ، فلو نذر الرجل أن يصلي في مسجد أو مشهد ، أو يعتكف فيه ، أو يسافر اليه ، غير هذه الثلاثة ، لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة ، ولو نذر أن يأتي المسجد الحرام لحج أو عمرة ، وجب عليه ذلك باتفاق العلماء ، ولو نذر أن يأتي مسجد النبي ﷺ ، أو المسجد الأقصى ، لصلاة أو اعتكاف ، وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي في أحد قوليه ، وأحمد ، ولم يجب عليه عند أبي حنيفة ، لأنه لايجب عنده بالنذر إلا ما كان جنسه واجباً بالشرع . أما الجمهور ، فانهم يوجبون الوفاء بكل طاعة ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه .. » الحديث . رواه البخاري .

وأما السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة ، فلم يوجب أحد من العلماء السفر اليها إذا نذره ، حتى نص بعض العلماء على أنه لا يسافر الى مسجد قباء ، لأنه ليس من الثلاثة ، مع أن مسجد قباء تستحب زيارته لمن كان بالمدينة ، لأن ذلك ليس بشد رحل ، كما في « الصحيح » من « تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء لايريد الا الصلاة فيه ، كان كعمرة » قالوا : ولأن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة ، لم يفعلها أحد الصحابة والتابعين ، ولا أمر بها رسول الله ﷺ ، ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها ، فهذا مخالف للسنة وإجماع الأمة ، وهذا مما ذكره أبو عبد الله ابن بطة في « الابانة الصغرى » .

من البدع المخـــالفة للسنة ، والاجماع ، وبهذا يظهر ضعف حجة أبي محمد المقدسي ، فان زيارة النبي ﷺ لمسجد قباء لم تكن بشد رحل ، وهو يسلم لهم أن السفر اليه لايجب بالنذر .

وقوله : ان قوله : « لاتشد الرحـال » محمول على نفي الاستحباب .

يجـــاب عنه من وجهين : أحدهما : أن هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ، ولا قربة وطاعة ، ومن اعتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وأنه قربة وطاعة ، فقد خـالف الاجماع ، واذا سافر لاعتقاد أنها طاعة ، فذلك محرم باجماع المسلمين ، فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة، ومعلوم أن أحداً لايسافر اليها الا لذلك . وأما اذا قدر أن شد الرحل اليها لغرض مباح ، فهذا جائز ، وليس من هذا الباب .

الوجه الثاني : أن الحديث يقتضي النهي ، والنهي يقتضي التحريم ، وما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ ، فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة ، لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها ، ولم يحتج أحد من الأئمة منها بشيء ، بل مالك إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة، كره أن يقول الرجل : زرت قبر النبي ﷺ ، ولو كان هذا اللفظ معروفاً عندهم ، مشروعاً ، أو مأثوراً عن النبي ﷺ ، لم يكرهه عالم المدينة . والإمام أحمد رضي الله عنه أعلم النـــاس في زمانه بالسنة ، لما سئل عن ذلك لم يكن عنده مايعتمد عليه في ذلك ، إلا حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « مامن رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليـــه السلام » وعلى هذا اعتمد أبو داود في « سننه » وكذلك مالك في « الموطأ » روى عن عبدالله بن عمر أنه كان اذا دخل المسجد قال : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليـــك

يا أبت ، ثم ينصرف . وفي « سنن أبي داود » عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، وصلوا علي أينما كنتم ، فان صلاتكم تبلغني » وفي «سنن سعيد بن منصور » عن حسن بن حسن بن علي ابن أبي طالب أنه رأى رجلاً يختلف الى قبر النبي ﷺ ، ويدعو عنده . فقال : ياهذا ، إن رسول الله ﷺ قال : « لاتتخذوا قبري عيداً ، وصلو علي أينما كنتم ؛ فان صلاتكم تبلغني » فما أنت ورجل بالأندلس منه الاسواء ، وكان الصحابة والتابعون ، لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد الى زمن الوليد ابن عبدالملك لا يدخل عنده أحد لا لصلاة هناك ، ولا لمسح قبر ، ولا لدعاء ، بل هذا انما كانوا يفعلونه في المسجد . وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا عليه ، وأرادوا الدعاء ، دعوا مستقبلي القبلة ، ولم يستقبلوا القبر. وأما الوقوف للسلام عليه صلوات الله وسلامه عليه . فقال أبو حنيفة : يستقبل القبلة أيضاً ولا يستقبل القبر . وقال أكثر الأئمة : يستقبل القبر عند السلام خاصة ، ولا يستقبل القبر عند الدعاء ، وليس في ذلك الا حكاية مكذوبة تروى عن مالك ، ومذهبه بخلافها ، ولم يقل أحد من الأئمة أنه يستقبل القبر عند الدعاء . واتفق الأئمة على أنه لا يتمسح بقبر النبي ﷺ ، ولا يقبله ، وهذا كله محافظة على التوحيد ، فان من أصول الشرك بالله سبحانه ، اتخاذ القبور مساجد ، كما قالت طائفة من السلف في قوله تعالى : (وقالو لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) نوح : ٢٣ وقالوا : هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا ، عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا على صورهم تماثيل ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوها . وقد ذكر هذا المعنى البخاري في « صحيحه » عن ابن عباس ، وذكره محمد ابن جرير الطبري وغيره في التفسير ، عن غير واحد من السلف ، وذكره

وثيمة وغيره في قصص الأنبياء من عدة طرق . وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع . وأول من وضع الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد أهل البدع الرافضة ، ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد ، يدعون بيوت الله التي أمر الله أن يذكر فيها اسمه ، ويعبد فيها وحده لا شريك له ، ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً ، فان الكتاب والسنة انما فيهما ذكر المساجد لا المشاهد . كما قال الله تعالى : (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) الأعراف : ٢٩ وغير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم . انتهى.

واعلم أن من أدلة المجوزين لشد الرحل الى ماذكره التقي السبكي في كتابه « شفاء السقام » من الأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ ، كقوله عليه السلام « من زار قبري وجبت له شفاعتي » رواه الدارقطني . وفي رواية « حلت له شفاعتي » وقوله عليه الصلاة والسلام « من جاءني زائراً لا يعمله حاجة الا زيارتي ، كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة » رواه الطبراني . وقوله ﷺ « من حج الى مكة ثم قصدني في مسجدي ، كتب له حجتان مبرورتان » رواه ابن عباس . وقوله ﷺ « من حج فزار قبري بعد وفاتي ، فكأنما زارني في حياتي » رواه الدار قطني ، والحديث الذي روي « من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني » رواه ابن عمر ، وأطنب السبكي في الأدلة . وقد أجاب المانعون عن جميع ذلك ، كما قال الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه الذي سماه «الصارم المنكي في الرد على السبكي » مانصه : أما بعد ، فاني وقفت على الكتاب الذي ألفه بعض قضاة الشافعية في الرد على شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في مسألة شد الرحال ، واعمال المطي الى القبور ، وذكر

أنه سماه « شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة » ثم زعم أنه اختار أن يسميه « شفاء السقام في زيارة خير الأنام » فوجدته كتاباً مشتملاً على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة ، والآثار القوية المقبولة ، أو تحريفها عن مواضعها ، وصرفها عن ظواهرها بالتأويلات المستنكرة المردودة ، ورأيت مؤلف هذا الكتاب رجلاً مماريا ، معجباً برأيه ، متبعاً لهواه ، ذاهباً في كثير مما يعتقده الى الأقوال الشاذة ، والآراء الساقطة ، صائراً في أشياء مما يعتمده ، الى الشبه المخيلة ، والحجج الداحضة ، وربما خرق الاجماع في مواضع لم يسبق اليها ، ولم يوافقه أحد من الأئمة عليها ، وهو في الجملة لون عجيب ، ونبأ غريب ، تارة يسلك فيما ينصره ويقويه مسلك المجتهدين ، فيكون مخطئاً في ذلك الاجتهاد ، ومرة يزعم فيما يقوله ويدعيه أنه من جملة المقلدين فيكون من قلده مخطئاً في ذلك الاعتقاد ، ونسأل الله سبحانه أن يلهمنا رشدنا ، ويرزقنا الهداية والسداد ، هذا مع أنه إن ذكر حديثاً مرفوعاً أو أثراً موقوفاً وهو غير ثابت ، قبله اذا كان موافقاً لهواه ، وان كان ثابتاً رده ، إما بتأويل أو غيره اذا كان مخالفاً لهواه . وان نقل عن بعض الأئمة الأعلام كمالك أو غيره مايوافق رأيه ، قبله، وان كان مطعوناً فيه غير صحيح عنه . وان كان مما يخالف رأيه ، رده ولم يقبله وان كان صحيحاً ثابتاً عنه ، وان حكى شيئاً مما يتعلق بالكلام على الحديث وأحوال الرواة عن أحد من أئمة الجرح والتعديل ، كالامام أحمد بن حنبل ، وأبي حاتم الرازي ، وأبي حاتم ابن حبان البستي ، وأبي جعفر العقيلي ، وأبي أحمد ابن عدي ، وأبي عبدالله الحاكم صاحب « المستدرك » وأبي بكر البيهقي وغيرهم من

الحفاظ وكان مخالفاً لما ذهب اليه ، لم يقبل قوله ، ورده عليه ، وناقشه فيه وان كان ذلك الامام قد أصاب في ذلك القول ، ووافقه غيره من الأئمة عليه ، وإن كان موافقاً لما صار اليه ، تلقاه بالقبول ، واحتج به ، واعتمد عليه ، وان كان ذلك الامام قد خولف في ذلك القول ولم يتابعه غيره من الأئمة عليه ، وهذا هو عين الجور والظلم ، وعدم القيام بالقسط . نسأل الله تعالى التوفيق ، ونعوذ به من الخذلان ، واتباع الهوى . هذا مع أنه حمله إعجابه برأيه ، وغلبة اتباع هواه ، على أن نسب سوء الفهم والغلط في النقل الى جماعة من العلماء الأعلام المعتمد عليهم في حكاية مذاهب الفقهاء واختلافهم وتحقيق معرفة الأحكام ، حتى زعم أن مانقله الشيخ أبو زكريا النووي في « شرح مسلم » عن الشيخ أبي محمد الجويني ، من النهي عن شد الرحال وإعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة ، كالذهاب الى قبور الأنبياء والصالحين ، والى المواضع الفاضلة ونحو ذلك ، هو مما غلط فيه الشيخ أبي محمد ، أو أن ذلك مما وقع منه على سبيل السهو والغفلة . قال : ولو قاله هو ، يعني الشيخ أبا محمد ، أو غيره ممن يقبل كلامه الغلط ، لحكمنا بغلطه ، وأنه لم يفهم مقصود الحديث . فانظر الى كلام هذا المعترض المتضمن لرد النقل الصحيح بالرأي الفاسد ، واجمع بينه وبين ماحكاه عن شيخ الاسلام من الافتراء العظيم ، والافك المبين ، والكذب الصراح ، وهو مانقله عنه من أنه جعل زيارة قبر النبي ﷺ ، وقبور سائر الانبياء عليهم السلام ، معصية بالاجماع ، مقطوعاً بها ، هكذا ذكر هذا المعترض عن بعض قضاة الشافعية عن الشيخ أنه قال هذا القول الذي لايشك عاقل من أصحابه وغير أصحابه أنه كذب مفترى ، لم يقله قط ، ولا يوجد في شيء من كتبه ، ولأول كلامه عليه ، بل كتبه كلها ، ومناسكه ، وفتاويه ، وأقواله ، وأفعاله

تشهد ببطلان هذا النقل عنه، ومن له أدنى علم وبصيرة، يقطع بأن هذا مفتعل مختلق على الشيخ، وأنه لم يقله قط. وقد قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) الحجرات : ٦ وهذا المعترض يعلم أن مانقله عن القاضي المشهور بما لاأحب حكايته عنه في هذا المقام عن شيخ الاسلام من هذا الكلام، كذب مفترى، لايرتاب في ذلك، ولكن يطفف ويداهن ويقول بلسانه ماليس في قلبه. ولقد أخبرني الثقة أنه ألف هذا الكتاب لما كان بمصر قبل أن يلي القضاء بالشام بمدة كثيرة، ليتقرب به الى القاضي الذي حكى عنه هذا الكذب، ويحظى لديه، فخاب أمله، ولم ينفق عنده، وقد كان هذا القاضي الذي جمع المعترض كتابه لأجله من أعداء الشيخ المشهورين. وقد زعم هذا المعترض أيضاً مع هذا الأمر الفظيع الذي ارتكبه من التكذيب بالصدق، والتصديق بالكذب، أن الفتاوي المشهورة التي أجاب بها علماء اهل بغداد، موافقة للشيخ، مختلقة موضوعة، وضعها بعض الشياطين، هكذا زعم، مع علم العام والخاص بأن هذه الفتاوي مما شاع خبرها وذاع، واشتهر امرها وانتشر، وهي صحيحة ثابتة متواترة عمن أفتى بها من العلماء، وقد رأيت أنا وغيري خطوطهم بها.. الى ان قال : وليعلم قبل الشروع في الكلام مع هذا المعترض، أن شيخ الاسلام رحمه الله تعالى، لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه ولم ينه عنها، ولم يكرهها، بل استحبها، وحض عليها، ومصنفاته ومناسكه طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبي ﷺ، وسائر القبور.

قال رحمه الله تعالى في بعض مناسكه : باب زيارة قبر النبي ﷺ إذا أشرف على مدينة النبي ﷺ قبل الحج أو بعده، فليقل ماتقدم، فاذا

دخل استحب له أن يغتسل ، نص عليه الامام أحمد ، فاذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى ، وقال : بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك . ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلي بها ويدعو بما شاء ، ثم يأتي قبر النبي ﷺ ، فيستقبل جدار القبر ، ولا يمسه ، ولا يقبله ، ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ، ليكون قائماً وجاه النبي ﷺ ، ويقف متباعداً كما يقف لو ظهر في حياته بخشوع وسكون ، منكسر الرأس ، غاض الطرف ، مستحضراً بقلبه جلالة موقفه ، ثم يقول : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يانبي الله وخيرته من خلقه ، السلام عليك ياسيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين ، أشهد أن لا إله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لأمتك ، ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله أفضل ماجزى نبياً ورسولاً عن أمته ، اللهم آته الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، يغبطه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ، انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ، انك حميد مجيد ، اللهم احشرنا في زمرته ، وتوفنا على سنته ، وأوردنا حوضه ، واسقنا بكأسه مشرباً روياً لا نظمأ بعده أبداً . ثم يأتي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فيقول : السلام عليك ياأبا بكر الصديق ، السلام عليك ياعمر الفاروق ، السلام عليكما ياصاحبي رسول الله ﷺ وضجيعيه ورحمة الله وبركاته ، جزاكما الله تعالى عن صحبة نبيكما وعن الاسلام خيراً ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

قـال : ويزور قبور أهل البقيع ، وقبور الشهداء إن أمكن . هذا كلام الشيخ بحروفه ، وكذلك سائر كتبه ذكر فيها استحباب زيارة قبر النبي ﷺ ، وسائر القبور ، ولم ينكر زيارتها في موضع من المواضع ، ولا ذكر في ذلك خلافاً ، الا نقلاً غريباً ذكره في بعض كتبه عن بعض التابعين . وانما تكلم في مسألة شد الرحـال واعمال المطي الى مجرد زيارة القبور ، وذكر في ذلك قولين للعلماء المتقدمين والمتأخرين : أحدهما : القول بإباحة ذلك ، كما يقوله بعض أصحاب الشافعي ، وأحمد . والثاني : أنه منهي عنه ، كما نص عليه إمـام دار الهجرة مالك بن أنس ، ولم ينقل عن الأئمة الثلاثة خلافه ، وإليه ذهب جماعة من أصحاب الشافعي وأحمد . هكذا ذكر الشيخ الخلاف في شد الرحـال واعمال المطي الى القبور ، ولم يذكره في الزيارة الخالية عن شد رحل ، واعمال مطي ، والسفر الى زيارة القبور مسألة ، وزيارتها من غير سفر مسألة أخرى ، ومن خلط هذه المسألة بهذه المسألة وجعلها مسألة واحدة ، وحكم عليهما بحكم واحد ، وأخذ في التشنيع على من فرق بينهما ، وبالغ في التنفير عنه ، فقد حرم التوفيق ، وحاد عن سواء الطريق . واحتج الشيخ لمن قال بمنع شد الرحل بالحديث المشهور المتفق على صحته ، من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، بحديث « لاتشد الرحـال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » هذا هو الذي نقله الشيخ رحمه الله تعالى ، حكى الخلاف في مسألة بين العلماء ، واحتج لأحد القولين بحديث متفق على صحته ، فأي عتب عليه في ذلك ؟ ! ولكن نعوذ بالله تعالى من الحسد ، والبغي ، واتباع الهوى ، والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا واخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من العمل الصالح ، والقول الجميل ، فانه يقول الحق ويهدي السبيل . انتهى .

وهذا الذي ذكرناه شرح لما تضمنته هذه الأبيات التي تقدمت والله أعلم .

قـــوله : من بعد مكة أو على الاطلاق الخ . هذه المسألة فيها خلاف مشهور بين العلماء فذهب أبو حنيفة ، والشافعي ، وأحمد في احدى الروايتين ، إلى أن مكة أفضل ؛ وذهب مـــالك الى أن المدينة أفضل ، وهو الرواية الثـــانية عن أحمد ، واحتج من فضل مكة بما رواه عبد الله بن عدي بن الحمراء أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة « والله انك لخير ارض الله وأحب أرض الله الى الله ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ماخرجت » رواه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذي وقال : حسن صحيح. واحتجوا أيضاً بأن مضاعفة الصلاة فيها أكثر . وأما الحديث المروي « اللهم إنهم أخرجوني من أحب البقاع الي ؛ فأسكنى أحب البقاع اليك » فهو حديث لا يعرف .

قـال شيخ الاسلام : هو حديث موضوع كذب ، لم يروه أحد من أهل العلم .

واحتج من فضل المدينة بأخبار صحيحه تدل على فضلها ، لا على فضليتها على مكة ، والله أعلم .

وقول الناظم رحمه الله : ونراه عند النذر فرضاً الخ . . اعلم أن العلماء اختلفوا فيمن نذر طاعة بشرط يرجوه ؛ كأن شفى الله مريضي فعلي أن أتصدق بكذا ، ونحو ذلك ، فذهب جمهور العلماء إلى أنه يجب الوفاء بكل طاعة . وحكي عن أبي حنيفة أنه لا يجب الوفاء الا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم . أما ماليس كذلك ، كالاعتكاف ، فلا يوجب الوفـاء به . وحجة الجمهور قوله ﷺ « من نذر أن يطيع الله فليطعه » رواه البخاري. والله علم .

فصل

في تعيين ان اتباع السنة والقرآن طريق للنجاة من النيران

يامن يريد نجاته يوم الحسا ب من الجحيم وموقد النيران
اتبع رسول الله في الأقوال والـــأعمال لاتخرج عن القرآن
وخذ الصحيحين اللذين هما لعقـــد الدين والإيمان واسطتان
واقرأهما بعد التجرد من هوى وتعصب وحمية الشيطان
واجعلهما حكماً ولا تحكم على مافيهما أصلاً بقول فلان
واجعل مقالته كبعض مقالة الـــأشياخ تنصرها بكل أوان
وانصر مقالته كنصرك للذي قلدته من غير مابرهان
قدر رسول الله عندك وحده والقول منه اليك ذو تبيان
ماذا ترى فرضاً عليك معيناً ان كنت ذا عقل وذا إيمان
عرض الذي قالوا على أقواله أو عكس ذاك فذلك الامران
هي مفرق الطرقات بين طريقنا وطريق أهل الزيغ والعدوان
قدر مقالات العباد جميعهم عدماً وراجع مطلع الإيمان
واجعل جلوسك بين صحب محمد وتلق معهم عنه بالإحسان

وتلق عنهم ماتلقوه همُ عنه من الإيمان والعرفان
أفليس في هذا بلاغ مسافر يبغي الإله وجنة الحيوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الوصية بما ينجي يوم الحساب من العذاب والنار ، وبين أن ذلك يكون باتباع رسول الله ﷺ في الأقوال والأعمال ، كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) آل عمران : ٣١ ثم حث على لزوم « الصحيحين » أي : « صحيح البخاري » و « مسلم » واتخاذهما حكماً ، فيحكم بهما ، ولا يحكم عليهما ، وذلك بعد أن تتجرد من الهوى والتعصب والحمية . قال : واجعل مقالته كبعض مقالات الأشياخ ، أي : اجعل مقالته ﷺ كبعض مقالات الأشياخ التي ينصرها المقلدون بكل أوان ، وكنصرك للذي قلدته من غير برهان ، الذي غاية أقواله أن تكون سائغة الاتباع . وأما أقوال الرسول ﷺ ، فهي واجبة الاتباع ، كما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ..) الآية النساء : ٦٥ ثم قال : قدر رسول الله عندك وأنت تسمع كلامه منه بلا واسطة ، فهل ترى فرضاً عليك عرض أقواله على أقوال من قلدته ، أو عكس ذلك ؟ أي : عرض أقوالهم على أقواله ، وهذان الأمران هما مفرق الطرق بين طريقنا وطريق أهل الزيغ والعدوان .

قوله : قدر مقالات العباد جميعهم عدماً الخ . أي : قدر عدم مقالات العباد ، ثم راجع مطلع الايمان ، أي : الكتاب والسنة ، وقدر نفسك جالساً بين صحب محمد ﷺ وأنت تسمع منه ، فاذا كان فرض عليك اتباع ماجاء به ﷺ ، وعرض كلام الناس على كلامه لو كنت حاضراً بين يديه ، فما الذي أسقط هذا الفرض عنك وأنت تسمع كتابه الذي جاء به ، وسنته الصحيحة الصريحة غضة طرية :

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لولا التنافس بين هذا الخلق ما   كان التفرق قط في الحسبان
فالرب رب واحد وكتابه   حق وفهم الحق منه دان
ورسوله قد أوضح الحق المبـــين بغاية الإيضاح والتبيان
ماثم أوضح من عبارته فلا   يحتاج سامعها الى تبيان
والنصح منه فوق كل نصيحة   والعلم مأخوذ عن الرحمن
فلأي شيء يعدل الباغي الهدى   عن قوله لولا عمى الخذلان؟!
فالنقل عنه مصدق والقول من   ذي عصمة ماعندنا قولان
والعكس عند سواه في الأمرين يا   من يهتدي هل يستوي النقلان؟!
تالله قد لاح الصباح لمن له   عينان نحو الفجر ناظرتان
وأخو العماية في عمايته يقو   ل الليل بعد أيستوي الرجلان؟!
تالله قد رفعت لك الأعلام ان   كنت المشمر نلت دار أمان
وإذا جنبت وكنت كسلاناً فما   حرم الوصول اليه غير جبان
فاقدم وعد بالوصل نفسك واهجر الـمقطوع منه قاطع الانسان
عن نيل مقصده فذاك عدوه   ولو انه منه القريب الداني

ذكر الناظم في هذه الأبيات ، أنه لولا التنافس بين هذا الخلق ، لم يوجد التفرق ؛ وذلك أن الرب سبحانه واحد ، وكتابه واحد ، وفهمه يسير ، والرسول ﷺ قد أوضح الحق بغاية الايضاح ، فلا عبارة أوضح من عبارته ،

ولا نصح فوق نصحه ، وعلمه مأخوذ عن الله تعالى ، فعدول الباغي عن ذلك هو عين الخذلان ، ثم ذكر أن عكس الأمرين عند غيره ، وقد لاح الصباح لذي عينين ، وأخو العماية في عماية جهله ، نعوذ بالله من العمى .

فصل

في تيسير السير الى الله على المثبتين الموحدين وامتناعه على المعطلين والمشركين

ياقاعداً سارت به أنفاسه سير البريد وليس بالذملان

قال في « القاموس » : الذميل كأمير : السير اللين ماكان ، أو فوق العنق ، ذمل يذمِل ويذُمل ذملًا وذمولا ، وذميلا ، وذملاناً . وناقة ذمول ، من ذمل .

حتى متى هذا الرقاد وقد سرى وفد المحبة مع أولي الاحسان

وحدت بهم عزماتهم نحو العلى لا حادي الركبان والاظعان

قوله : وحدت بهم عزماتهم الخ . قال في « القاموس » : حدا الإبل حدواً ، وحداء : زجرها وساقها . انتهى .

ركبوا العزائم واعتلوا بظهورها وسروا فما حنوا الى نعمان

ساروا رويداً ثم جاؤوا أولا سير الدليل يؤم بالركبان

ساروا باثبات الصفات اليه لا الـتعطيل والتحريف والنكران

عرفوه بالأوصاف فامتلأت قلو　　بهمُ له بالحب والإيمان
فتطايرت تلك القلوب اليه بالـــأشواق إذ ملئت من العرفان
وأشدهم حباً له أدراهمُ　　بصفاته وحقائق القرآن
فالحب يتبع للشعور بحسبه　　يقوى ويضعف ذاك ذو تبيان
ولذاك كان العارفون صفاته　　أحبابه هم أهل هذا الشان
ولذاك كان العالمون بربهم　　أحبابه وبشرعة الإيمان
ولذاك كان المنكرون لها هم الـــأعداء حقاً هم أولو الشنآن
ولذاك كان الجاهلون بذا وذا　　بغضاءه حقاً ذوي شنآن
وحياة قلب العبد في شيئين من　　يرزقهما يحيى مدى الأزمان
في هذه الدنيا وفي الأخرى يكو　　ن الحي ذا الرضوان والإحسان
ذكر الإله وحبه من غير اشــــراك　　به وهما فممتنعان
من صاحب التعطيل حقاً كامتنا　　ع الطائر المقصوص من طيران
أيحبه من كان ينكر وصفه　　وعلوه وكلامه بقران
لا والذي حقاً على العرش استوى　　متكلماً بالوحي والفرقان
الله أكبر ذاك فضل الله يؤ　　تيه لمن يرضى بلا حسبان
وترى المخلف في الديار تقول ذا　　إحدى الأثافي خص بالحرمان
الله أكبر ذاك عدل الله يقـــضيه على من شاء من إنسان

وله على هذا وهذا الحمد في الـــأولى وفي الأخرى هما حمدان

حمد لذات الرب جل جلاله وكذاك حمد العدل والإحسان

يامن تعز عليهمُ أرواحهم ويرون غبنا بيعها بهوان

ويرون خسراناً مبيناً بيعها في إثر كل قبيحة ومهان

ويرون ميدان التسابق بارزاً فيتاركون تقحم الميدان

ويرون أنفاس العباد عليهمُ قد أحصيت بالعد والحسبان

ويرون أن أمامهم يوم اللقا لله مسئلتان شاملتان

مــــاذا عبدتم ثم ماذا قد أجبتم من أتى بالحق والبرهان

هاتوا جواباً للسؤال وهيئوا أيضاً صواباً للجواب يداني

وتيقنوا ان ليس ينجيكم سوى تجريدكم لحقائق الإيمان

يشير إلى الحديث، وهو قوله ﷺ « كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون، ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ »

تجريدكم توحيده سبحانه عن شركة الشيطان والأوثان

وكذاك تجريد اتباع رسوله عن هذه الآراء والهذيان

والله ماينجي الفتى من ربه شيء سوى هذا بلا روغان

يارب جرد عبدك المسكين را جي الفضل منك أضعف العبدان

لم تنسه وذكرته فاجعله لا ينساك أنت بدأت بالإحسان

وبه ختمت فكنت أولى بالجميـــل وبالثناء من الجهول الجاني

فالعبد ليس يضيع بين فواتح وخواتم من فضل ذي الغفران

أنت العليم به وقد أنشأته من تربة هي أضعف الاركان

كل عليها قد علا وهوت الى تحت الجميع بذلة وهوان

وعلت عليها النار حتى ظن أن يعلو عليها الخلق من نيران

وأتى إلى الابوين ظناً أنه سيصيّر الأبوين تحت دخان

فسعت الى الأبوين رحمتك التي وسعتهما فعلاً بك الأبوان

هذا ونحن بنوهما وحلومنا في جنب حلمهما لدى الميزان

جزء يسير والعدو فواحد لهما وأعدانا بلا حسبان

والضعف مستول علينا من جمـــيع جهاتنا سيماً من الإيمـــان

قـــوله : من تربة هي أضعف الأركان ، أي : إن الانسان مخلوق من تراب .

قوله : أضعف الأركان ، أي : الأركان الأربعة ، وهي الماء ، والهواء ، والنار ، والتراب .

قوله : وعلت عليها النار الخ . يعني قوله تعـالى عن ابليس اللعين (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) الأعراف : ١٢

قوله : هذا ونحن بنوهما الخ . يعني أن عقولنا في جنب عقلهما جزء يسير ، وعدوهما واحد ، وأعداؤنا بلا حسبان .

يارب معذرة اليك فلم يكن قصد العباد ركوب ذا العصيان

لكن نفوس سوّلته وغرها هذا العدو لها غرور أمان
فتيقنت يارب أنك واسع الـــغفران ذو فضل وذو إحسان
ومقالنا ماقاله الأبوان قبـــل مقالة العبد الظلوم الجاني
نحن الأُلى ظلموا وإن لم تغفر الـــذنب العظيم فنحن ذو خسران
يارب فانصرنا على الشيطان ليـــس لنا به لولا حماك يدان

فصل

في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه الا على من ليس بذي عينين

والفرق بينكم وبين خصومكم من كل وجه ثابت ببيان
ماأنتم منهم ولا هم منكمُ شتان بين السعد والدبران
فاذا دعونا للقران دعوتمُ للرأي أين الرأي من قرآن
وإذا دعونا للحديث دعوتمُ أنتم الى تقليد قول فلان
وكذا تلقينا نصوص نبينا بقبولها بالحق والاذعان
من غير تحريف ولا جحد ولا تفويض ذي جهل بلا عرفان
لكن باعراض وتجهيل وتأ ويل تلقيتم مع النكران
أنكرتموها جهدكم فاذا أتى ما لاسبيل له الى نكران

أعرضتم عنه ولم تستنبطوا ... منه هدى لحقائق الإيمان
فاذا ابتليتم مكرهين بسمعها ... فوضتموها لا على العرفان
لكن بجهل للذي سيقت له ... تفويض اعراض وجهل معان
فاذا ابتليتم باحتجاج خصومكم ... أوليتموها دفع ذي صولان
فالجحد والاعراض والتأويل والـ ... ـتجهيل حظ النص عند الجاني
لكن لدينا حظه التسليم مع ... حسن القبول وفهم ذي الإحسان

فصل

في التفاوت بين حظ المثبتين والمعطلين من وحي رب العالمين

ولنا الحقيقة من كلام إلهنا ... ونصيبكم منه المجاز الثاني
وقواطع الوحيين شاهدة لنا ... وعليكم هل يستوي الأمران
وأدلة المعقول شاهدة لنا ... أيضاً فقاضونا الى البرهان
وكذاك فطرة ربنا الرحمن شا ... هدة لنا أيضاً شهود بيان
وكذاك إجماع الصحابة والأُلى ... تبعوهم بالعلم والاحسان
وكذاك إجماع الأئمة بعدهم ... هذا كلامهم بكل مكان
هذي الشهود فهل لديكم أنتم ... من شاهد بالنفي والنكران

وجنودنا من قد تقدم ذكرهم　　وجنودكم فعساكر الشيطان

وهي قواطع الوحيين ، وأدله المعقول والفطرة ، واجماع الصحـــابة والتابعين والأئمة .

وخيامنا مضروبة بمشاعر الـــوحيين من خبر ومن قرآن
وخيامكم مضروبة بالتيه فالســكان كل ملدد حيران

هذي شهادتهم على محصولهم　　عند الممات وقولهم بلسان

يعني الناظم رحمه الله ماتقدم عن بعض المتكلمين أنه قال عند موته : لقد خضت البحر الخضم ، وتركت أهل الاسلام وعلومهم ، وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته ، وإلا فالويل لفلان ، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي . وقال آخر : اكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام . وقال آخر عند موته : أموت وما علمت شيئاً ، إلا أن الممكن يفتقر الى واجب ، ثم قال: الافتقار وصف عدمي ، أموت وما علمت شيئاً ،

والله يشهد أنهم أيضاً كذا　　تكفي شهادة ربنا الرحمن
ولنا المسانـد والصحاح وهذه السـنن التي نابت عن القرآن
ولكم تصانيف الكلام وهذه الـآراء وهي كثيرة الهذيان
شبه يكسر بعضها بعضا كبيـت من زجاج خر للأركان

هو مأخوذ من قول القائل :

شبه تهافت كالزجاج تخالها　　حقاً وكل كاسر مكسور

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هل ثم شيىء غير رأي أو كلا ... م باطل أو منطق اليونان

ونقول قال الله قال رسوله ... في كل تصنيف وكل مكان

لكن تقولوا[1] قال آرسطو وقا ... ل ابن الخطيب وقال ذو العرفان

ابن الخطيب ، هو الفخر الرازي .

شيخ لكم يدعى ابن سينا لم يكن ... متقيداً بالدين والإيمان

وخيار ما تأتون قال الاشعريّ ... وتشهدون عليه بالبهتان

أي : خيار ماتقولون قال الأشعري : وقد خالفتموه عين المخالفة ، فانه يقول باثبات العلو والاستواء ، ويقول باثبات الصفات الخبرية ، وليس له في ذلك قولان ، ومع ذلك خالفتموه في نفي العلو والصفات ، تعالى الله عما يقول المعطلة علواً كبيراً .

فالأشعري مقرر لعلو رب العرش فوق جميع ذي الأكوان

في غاية التقرير بالمعقول والـ ... ـمنقول ثم بفطرة الرحمن

هذا ونحن فتاركوا الآراء للنـ ... ـقل الصحيح ومحكم الفرقان

لكنكم بالعكس قد صرحتم ... ووضعتم القانون ذا البهتان

أي : نحن نترك الآراء للنقل الصحيح ، وأنتم صرحتم بالعكس ، وأعددتم لدفع النصوص ضروباً من العدد ، وأنواعاً من القوانين .

والنفي عندكم على التفصيل والـ ... ـاثبات إجمالاً بلا نكران

(١) كذا الأصل بحذف النون من (تقولوا) والاصل أن يقول (تقولون) ولكن حذف النون لضرورة الشعر .

والمثبتون طريقهم نفي على الـ إجمال والتفصيل بالتبيان
فتدبروا القرآن مع من منكما وشهادة المبعوث بالفرقان
وعرضتم قول الرسول على الذي قال الشيوخ ومحكم القرآن
فالمحكم النصّ الموافق قولهم لايقبل التأويل في الأذهان
لكنما النص المخالف قولهم متشابه متأول بمعـان

أي : إن أهل التأويل عرضوا كتاب الله وسنة رسوله على ماقاله شيوخهم ، وجعلوا النص الموافق لقولهم محكماً لا يقبل التأويل ، أما النص المخالف لقولهم ، فهو عندهم متشابه يحتمل لعدة معان .

وإذ تأدبتم تقولوا[1] مشكل أفواضح ياقوم رأي فلان ؟
والله لو كان الموافق لم يكن متشابهاً متأولاً بلسان
لكن عرضنا نحن أقوال الشيو خ على الذي جاءت به الوحيان
ما خالف النصين لم نعبأ به شيئاً وقلنا حسبنا النصان

قوله : والله لو كان النص موافقاً لقولكم لم يكن متشابهاً عندكم متأولاً بعدة من التأويلات .

قوله : لكن عرضنا نحن أقـوال الشيوخ الخ . أي : إن قولنا عكس قولكم ، وذلك أنا عرضنا أقوال الشيوخ على الكتاب والسنة ، فما وافقها قبلنا ، وما خالفها لم نعبأ به شيئاً ، وقلنا حسبنا كتـاب الله وسنة رسوله .

والمشكل القول المخالف عندنا في غاية الاشكال لا التبيان

---

(١) وكذلك حذف النون لضرورة الشعر .

والعزل والابقاء مرجعه الى الـ آراء عندكم بلا كتمان
لكن لدينا ذاك مرجعه الى قول الرسول ومحكم القرآن
والكفر والاسلام عين خلافه ووفاقه لاغير بالبرهان
والكفر عندكم خلاف شيوخكم ووفاقهم فحقيقة الايمان
هذي سبيلكم وتلك سبيلنا والموعد الرحمن بعد زمان
وهناك يعلم أى حزبينا على الـ حق الصريح وفطرة الديان
فاصبر قليلاً انما هي ساعة فاذا أصبت ففي رضى الرحمن
فالقوم مثلك يألمون ويصبرو ن وصبرهم في طاعة الشيطان

فصل

في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء

ياطالب الحق المبين ومؤثراً علم اليقين وصحة الايمان
اسمع مقالة ناصح خبر الذي عندالورى مذ شب حتى الآن
مازال مذ عقدت يداه إزاره قد شد مئزرة الى الرحمن
وتخلل الفترات للعزمات امـ ـر لازم لطبيعة الانسان
وتولد النقصان من فتراته أوليس سائرنا بني النقصان ؟!

طاف المذاهب يبتغي نوراً ليهـــديه وينجيه من النيران
وكأنه قد طاف يبغي ظلمة الليـــل البهيم ومذهب الحيران
والليـل لايزداد إلا قوة والصبح مقهور بذا السلطان
حتى بدت في سيره نار على طود المدينة مطلع الايمان
فأتى ليقبسها فلم يمكنه مع تلك القيود منالها بأمان
لولا تداركه الاله بلطفه ولى على العقبين ذا نكصان
لكن توقف خاضعاً متذللاً مستشعر الافلاس من أثمان
فأتاه جند حل عند قيوده فامتد حينئذ له الباعان
والله لولا ان تحل قيوده وتزول عنه ربقة الشيطان
كان الرقي الى الثريا مصعدا من دون تلك النار في الامكان
فرأى بتلك النار آطام المدينـــة كالخيام تشوفها العينان
ورأى على طرقاتها الأعلام قد نصبت لاجل السالك الحيران
ورأى هنالك كل هاد مهتد يدعو الى الإيمان والإيقان
فهناك هنّا نفسه متذكراً ما قاله المشتاق منذ زمان
والمستهام على المحبة لم يزل حاشا لذكراكم من النسيان
لو قيل ما تهوى لقال مبادراً أهوى زيارتكم على الأجفان

تالله ان سمح الزمان بقربكم وحللت منكم بالمحل الداني
لأعفرن الخد شكراً في الثرى ولأكحلن بتربكم أجفاني

يخبر الناظم عما حصل له في سيره الى الله جلا وعلا ، وأنه طاف المذاهب نغي نوراً ليهتدي به ، وينجو به من النيران ، وأنه لم يحصل له في طوافه ذلك الا لمة والحيرة ، ومع امعانه في ذلك والظلمة تزيد والحيرة تقوى ، حتى بدت أنوار الهدى من الكتاب والسنة ، وكنى عن ذلك بقوله : حتى بدت له سيره نار على طود المدينة ، فأتى ليقبسها فلم يمكنه ذلك مع تلك القيود التي من الانقياد ، فلولا أن الله سبحانه تداركه بلطفه ، لرجع ونكص على بيه ، فلما جاءه ذلك اللطف الالهي ، انحلت قيوده ، وسار الى الله مقتدياً نوار الكتاب والسنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ذ رمت تبصر ما ذكرت فغض طر فاً عن سوى الآثار والقرآن
راترك رسوم الخلق لا تعبأ بها في السعد ما يغنيك عن دبران
حدّق بقلبك في النصوص كمثل ما قد حدقوا في الرأي طول زمان
ا كحل جفون القلب بالوحيين واحـذر كحلهم يا كثرة العميان
نالله بيّن فيهما طرق الهدى لعباده في أحسن التبيان
م يحوج الله الخلائق معهما لخيال فلتان ورأي فلان
نالوحي كاف للذي يعنى به شاف لداء جهالة الانسان
تفاوت العلماء في أفهامهم للوحي فوق تفاوت الأبدان

والجهل داء قاتل وشفاؤه أمران في التركيب متفقان
نص من القرآن أو من سنة وطبيب ذاك العالم الرباني
والعلم أقسام ثلاث مالها من رابع والحق ذو تبيان
علم بأَوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي جاءت عن المبعوث بالفرقان
والله ما قال امرؤ متحذلق بسواهما الا من الهذيان

قال في « القاموس » حذلق : أظهر الحذق ، أو ادعى أكثر مما عنده كتحذلق . انتهى .

يعني أن العلم ثلاثة أقسام : أولها : العلم بصفات الرب ، وأفعاله ، وأسمائه. والثاني : علم الأمر والنهي. والثالث : علم المعاد ، والكل في القرآن والسنة. قوله : بسواهما . يعني الكتاب والسنة .

ان قلتم تقريره فمقرر بأتم تقرير من الرحمن
أو قلتم إيضاحه فمبيّن بأتم ايضاح وخير بيان
أو قلتم إيجازه فهو الذي في غاية الايجاز والتبيان
أو قلتم معناه هذا فاقصدوا معنى الخطاب بعينه وعيان
او قلتم نحن التراجم فاقصدوا الـــمعنى بلا شطط ولا نقصان
أو قلتم بخلافه فكلامكم في غاية الانكار والبطلان

ر قلتم قسنا عليه نظيره فقياسكم نوعان مختلفان
ع يخالف نصه فهو المحا ل وذاك عند الله ذو بطلان
كلامنا فيه وليس كلامنا في غيره أعني القياس الثاني
ا لا يخالف نصه فالناس قد عملوا به في سائر الأحيان
كنه عند الضرورة لا يصا ر إليه إلا بعد ذا الفقدان
هذا جواب الشافعي لأحمد لله درك من امام زمان
والله ما اضطر العباد إليه فيـــما بينهم من حادث بزمان

قال الناظم رحمه الله تعالى في « أعلام الموقعين » بعد أن ذكر أن فتوى لامام أحمد رحمه الله تعالى تدور على خمسة أصول : الأصل الرابع من أصول لامام أحمد : الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف اذا لم يكن في الباب شيء دفعه ، وهو الذي رجحه على القياس، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل، لا المنكر ، ولا ما في رواته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب اليه والعمل به ، بل الحـــديث الضعيف عنده قسيم الصحيح ، وقسم من أقسام الحسن ، لم يكن يقسم ا'ديث الى صحيح وحسن وضعيف ، بل الى صحيح ضعيف . والضعيف عنده مراتب ، فاذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ، ولا قول صاحب ، ولا إجماعاً على خلافه ، كان العمل به عنده أولى من القياس، وليس أحد من الأئمة إلا وهو موافق على هذا الأصل من حيث الجملة ، فانه مامنهم أحد الا وقد قدم الحديث الضعيف على القيـاس ، فقدم أبو حنيفة حديث القهقهة في الصلاة على محض القياس ، وأجمع أهل الحديث على ضعفه، وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر على القياس ، وأكثر أهل الحديث يضعفه، وقدم حديث أكثر الحيض عشرة أيام ، وهو ضعيف باتفـاقهم ، على محض

القياس ، فالذي تراه في الثالث عشر مساو في الحد وفي الحقيقة والصفة لدم اليوم العاشر ، وقدم حديث « لا مهر أقل من عشرة دراهم » وأجمعوا على ضعفه ، بل بطلانه ، على محض القياس ، فان بذل الصداق معاوضة في مقابلة بذل البضع ، فما تراضيا عليه ، جاز قليلاً أو كثيراً . وقدم الشافعي تحريم صيد وج ، مع ضعفه ، على القياس ، وقدم خبر جواز الصلاة بمكة على ضعفه ومخالفته لقياس غيرها من البلدان ، وقدم في أحد قوليه حديث « من قاء أو رعف فليتوضأ وليبن على صلاته » على القياس مع ضعف الخبر وارساله . وأما مالك فانه يقدم الحديث المرسل ، والمنقطع والبلاغات ، وقول الصحابي على القياس ، فاذا لم يكن عند الامام أحمد في المسألة نص ، ولا قول الصحابة أو واحد منهم ، ولا أثر مرسل أو ضعيف ، عدل الى الأصل الخامس ، وهو القياس فاستعمله للضرورة . وقد قال في كتاب « الخلال » سألت الشافعي عن القياس فقال : انما يصار اليه عند الضرورة . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاذا رأيت النص عنه ساكتا فسكوته عفو من الرحمن

وهو المباح أباحة العفو الذي مافيه من حرج ولا نكران

فأضف إلى هذا عموم اللفظ والمـــعنى وحسن الفهم في القرآن

فهناك تصبح في غنى وكفاية عن كل ذي رأي وذي حسبان

قال الحافظ ابن رجب في « شرح الأربعين » على قوله ﷺ « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها .. » الحديث . قال : وأما المسكوت عنه فهو مالم يذكر جملة بتحليل ولا تحريم ، فيكون معفواً

عنه ، لاحرج على فاعله ، وعلى هذا دلت هذه الأحاديث المذكورة هاهنا ، كحديث أبي ثعلبة الخشني وغيره ... الى أن قال : ولكن مما ينبغي أن يعلم أن ذكر الشيء بالتحريم والتحليل مما قد يخفى فهمه من نصوص الكتاب والسنة ، فان دلالة هذه النصوص قد تكون بطريق النص والتصريح ، وقد تكون بطريق العموم والشمول ، وقد تكون دلالتـــه بطريق الفحوى والتنبيه ، كما في قوله تعـالى (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) الاسراء : ٢٣ فان دخول ماهو أعظم من التأفيف من أنواع الأذى يكون بطريق الأولى ، ويسمى ذلك مفهوم الموافقة ، وقد تكون دلالته بطريق مفهوم المخالفة ، كما في قوله ﷺ « في الغنم السائمة الزكاة » فانه يدل بمفهومه على أنه لازكاة في غير السائمة . وقد أخذ الأكثرون بذلك ، واعتبروا مفهوم المخـــالفة ، وجعلوه حجة . وقد تكون دلالته من المعنى موجوداً في غيره ، فانه يتعدى الحكم الى كل ماوجد في ذلك المعنى عند جمهور العلماء ، وهو من باب العدل والميزان الذي أنزله الله ، وأمر بالاعتبار به ، فهذا كله مما تعرف به دلالة النصوص على التحليل والتحريم ، فأما ماانتفى فيه ذلك كله ، فهنا يستدل بعدم ذكره بإيجاب أو تحريم ، على أنه معفو عنه . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومقدرات الذهن لم يضمن لنا   تبيانها بالنص والقرآن
وهي التي فيها اعتراك الرأي من   تحت العجاج وجولة الأذهان
لكن هنا أمران لو تما لما احـ   ـتجنا إليه فحبذا الأمران
جمع النصوص وفهم معناها المرا   د بلفظها والفهم مرتبتان

احداهمامدلول ذاك اللفظ وضـعاً أو لزوماً ثم هذا الثاني
فيه تفاوتت الفهوم تفـاوتاً لم ينضبط أبداً له طرفـان
فالشيء يلزمه لوازم جمة عند الخبير به وذي العرفان
فبقدر ذاك الخبر يحصي من لوا زمه وهذا واضح التبيان

قوله : ومقدرات الذهن الخ . أي : إن الأمور التي تقدرها الأذهـان كثيرة ، ولكن لم يضمن لنا تبيانها بالكتاب والسنة .

قوله : لكن هنا أمران الخ . أي : إن هذين الأمرين ، وهما جمـع النصوص ، وفهم معناها ، لو تما لنا لم نحتج الى الرأي .

قوله : والفهم مرتبتان إحداهما مدلول ذاك اللفظ الخ . أي : فهم مدلول اللفظ مطابقة أو لزوماً .

قوله : ثم هذا الثاني ، وهو اللزوم ، فيه تفاوتت الفهوم تفاوتاً لا ينضبط

ولذاك من عرف الكتاب حقيقة عرف الوجود جميعه ببيـان
وكذاك يعرف جملة الشرع الذي يحتاجه الانسان كل زمان
علماً بتفصيل وعلماً مجمـلاً تفصيله أيضاً بوحي ثان
وكلاهما وحيان قد ضمنا لنـا أعلى العلوم بغـاية التبيـان
ولذاك يعرف من صفات الله والـأفعال والأسماء ذي الإحسان
ماليس يعرف من كتاب غيره أبداً ولا ماقالت الثقلان
وكذاك يعرف من صفات البعث بالـتفصيل والاجمـال في القرآن

مايجعل اليوم العظيم مشاهداً بالقلب كالمشهود رأي عيان
وكذاك يعرف من حقيقة نفسه وصفاتها بحقيقة العرفان
يعرف لوازمها ويعرف كونها مخلوقة مربوبة ببيان
وكذاك يعرف ماالذي فيها من الحاجات والاعدام والنقصان
وكذاك يعرف ربه وصفاته أيضاً بلا مثل ولا نقصان
وهنا ثلاثة أوجه فافطن لها إن كنت ذا علم وذا عرفان
بالضد والأولى كذا بالامتنا ع لعلمنا بالنفس والرحمن
فالضد معرفة الإله بضد ما في النفس من عيب ومن نقصان
وحقيقة الأولى ثبوت كماله إذ كان معطيه على الإحسان

قوله : بالضد . أي : إنه سبحانه ينزه عن العيب والنقصان ، إذ ضدها السلامة من العيوب والنقائص ، تعالى الله وتقدس .

قوله : والأولى الخ . بفتح الهمزة أي : إنما يستعمل في حق الرب تعالى قياس الأولى ، وهو أن يقال : كل كمال ثبت للمخلوق ، فالرب سبحانه أولى به ، لأنه معطيه وواهبه ، وواهب الكمال أولى بالكمال ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق ، فالخالق أولى بالتنزه عنه .

قـوله : بالامتناع الخ . أي بأن يقال : هذه صفة نقص ، فتمتنع على الله سبحانه .

فصل

في بيان شروط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين

وكفاية النصين مشروط بتجـــريد التلقي عنهما لمعان
وكذاك مشروط بخلع قيودهم فقيودهم غلّ الى الأذقـان
وكذاك مشروط بهدم قواعد ماأنزلت ببيانها الوحيان
وكذاك مشروط باقدام على الـــآراء إن عريت عن البرهان
بالرد والإبطال لاتعبأ بهـــا شيئاً إذا مافاتها النصان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى شروط كفاية النصين ، وهي ثلاثة: أحدها: تجريدالتلقي عن الكتاب والسنة ، وعدم الالتفات الى غيرهما ، واتباعهما وترك ماسواهما . الثاني : خلع القيود التي توهن الانقياد كماقال شيخ الاسلام في تعظيم الأمر والنهي : هو أن لايعارضا بترخص جاف ، ولا يعارضا بتشديد غال ، ولايحملا على علة توهن الانقياد ، وذلك بأن يسلم لأمر الله وحكمته ممتثلاماأمر به ، سواء ظهرت له حكمته أولم تظهر ، فان ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه ، حمله ذلك على مزيد الانقياد ، والبذل والتسليم ، ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه ، كما حمل ذلك كثيراً من زنادقة الفقراء والمنتسبين الى التصوف . الثالث : هدم القواعد المؤسسة على الفساد ، والبطلان ، والأمور التي ماأنزل الله بها من سلطان ، العارية عن الدليل والبرهان .

لولا القواعد والقيود وهذه الـ ... آراء لا تسعت عرى الايمان
لكنها والله ضيقت العرى ... فاحتاجت الايدي لذاك توان
وتعطلت من أجلها والله أعـ ... ـداد من النصين ذات بيان
وتضمنت تقييد مطلقها واطـ ... ـلاق المقيد وهو ذو ميزان
وتضمنت تخصيص ماعمته والـ ... ـتعميم للمخصوص بالاعيان
وتضمنت تفريق ماجمعت وجمـ ... ـعاً للذي وسمته بالفرقان
وتضمنت تضييق ماقد وسعـ ... ـته وعكسه فلتنظر الأمران
وتضمنت تحليل ماقد حرمتـ ... ـه وعكسه فلتنظر النوعان
سكتت وكان سكوتها عفواً فلم ... تعف القواعد باتساع بطان
وتضمنت إهدار مااعتبرت كذا ... بالعكس والامران محذوران
وتضمنت ايضاً شروطاً لم تكن ... مشروطة شرعاً بلا برهان
وتضمنت أيضاً موانع لم تكن ... ممنوعة شرعاً بلا تبيان
إلا بأقيسة وآراء وتقلـ ... ـليد بلا علم ولا استحسان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان المفاسد التي حصلت من القواعد التي وضعوها ، والقيود التي قيدوا بها الكتاب والسنة ، والآراء التي خالفوا بها الكتاب والسنة ، فذكر أنه تعطلت من أجلها أعداد من النصين ، وتضمنت تقييد المطلق ، وإطلاق المقيد ، وتخصيص العموم ، وتعميم المخصوص ، وتفريق ماجمعت النصوص بينه ، وجمع مافرقت بينه ، وتضييق ماوسعته

وعكسه ، وتحليل ماحرمته ، وتحريم ماحللته ، وغير ذلك مما ذكره الناظم .

عمن أتت هذي القواعد من جميـ ـع الصحب والاتباع بالاحسان
ماأسسوا إلا اتباع نبيهم لاعقل فلتان ورأي فلان

قال في « القاموس » وفلتات المحسن ، هفواته وزلاته .

بل أنكروا الآراء نصحاً منهم لله والداعي وللقرآن
أو ليس في خلفبها وتناقض مادل ذالب وذا عرفان ؟!
والله لوكانت من الرحمن ما اخـ ـتلفت ولا انتقضت مدى الازمان
شبه تهافت كالزجاج تخالها حقاً وقد سقطت على صفوان
والله لايرضى بها ذو همة علياء طالبة لهذا الشان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان أن هذه القواعد لم تأت عن أحد من الصحابة وتابعيهم باحسان ، وأن القوم ماأسسوا الا اتباع نبيهم ﷺ ، ولم يؤسسوا اتباع عقل فلان ، ورأي فلتان .

قوله : والله لو كانت من الرحمن الخ . هذا مأخوذ من قوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء : ٨٢ فالدليل على أن هذه الآراء والقواعد من عند غير الله ، كثرة اختلافها ، وتناقضها ، فلو كانت من عند الله لم تختلف ، ولم تنتقض الى آخر الدهر ، ولكنها كما قال القائل :

شبه تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكلٌ كاسر مكسور

قال الناظم :

فمثالها والله في قلب الفتى وثباتها في منبت الايمان

كالزرع ينبت حوله دغل فيمـــنعه النما فتراه ذا نقصان
وكذلك الايمان في قلب الفتى غرس من الرحمن في الانسان
والنفس تنبت حوله الشهوات والـــشبهات وهي كثيرة الأفنان
فيعود ذاك الغرس يبساً ذاوياً أو ناقص الثمرات كل أوان
فتراه يحرث دائباً ومغله نزر وذا من أعظم الخسران
والله لو نكش النبات وكان ذا بصر لذاك الشوك والسعدان
لأتى كأمثال الجبال مغله ولكان أضعافاً بلا حسبان

قـــوله : نزر . أي : قليل . قال في « القاموس » النزر القليل « كالنزير ، والمنزور .

قوله : نكش . قال في « القاموس » نكش الركية ، ينكشها ، وينكشها : أخرج ما فيها من الحمأة والطين ، كانتكشها ، والشيء أفناه ، ومنه فرغ .

فصل

هذا وليس الطعن بالاطلاق فيـــــها كلها فعل الجهول الجاني
بل في التي قد خالفت قول الرسو ل ومحكم الايمان والفرقان
أو في التي ما أنزل الرحمن في تقريرها ياقوم من سلطان
فهي التي كم عطلت من سـنّـة بل عطلت من محكم القرآن

هذا ونرجو أن واضعها فلا   يعدوه أجرأو له أجران
اذ قال مبلغ علمه من غير ايـــجاب القبول له على انسان
بل قد نهانا عن قبول كلامه   نصاً بتقليد بلا برهان
وكذاك أوصانا بتقديم النصو   ص عليه من خبر ومن قرآن
نصح العباد بذا وخلّص نفسه   عند السؤال لها من الديان
والخوف كل الخوف فهو على الذي   ترك النصوص لأجل قول فلان
وإذا بغى الاحسان أوّلها بما   لو قاله خصم له ذو شان
لرماه بالداء العضال منادياً   بفساد ماقد قاله بأذان

ولما خشي الناظم رحمه الله تعالى من بعض الجهال أن يتوهم ذم الرأي مطلقاً ، دفع ذلك بقوله : هذا وليس الطعن بالاطلاق فيها الخ . أشار الى أن الرأي نوعان : مذموم ، ومحمود ، فالمذموم : ماخالف الكتاب والسنة ، والمحمود : ماوافق الكتاب والسنة ، وقد بسط الكلام في ذلك بسطاً مستوفى في أول كتاب « اعلام الموقعين » وهذا معنى قوله : هذا وليس الطعن بالاطلاق فيها كلها ؛ أي : لايطعن فيها كلها وانما يطعن فيما خالف الكتاب والسنة فقط .

قوله : هذا ونرجو أن واضعها الخ ؛ أي : نرجو أن المجتهد إذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، وإذا اجتهد فأصاب فله أجران ، كما صح في « صحيح البخاري » عن النبي ﷺ قال : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » .

قوله : إذ قال مبلغ علمه الخ ؛ أي : إن الأئمة رحمهم الله تعالى قالوا بمبلغ علمهم ، ونهوا الناس عن قبول كلامهم إذا خالف النصوص ، وأوصوا بتقديم النصوص عليه ، كالامام أحمد ، والشافعي ، ومالك ، وأبي حنيفة ، وغيرهم ، فرحمة الله عليهم ، فلقد نصحوا العباد ، وخلصوا أنفسهم عند سؤال الرب تعالى لهم يوم القيامة.

قوله : والخوف كل الخوف الخ ؛ أي : ان الخوف العظيم ، والخطر الشديد على الذين تركوا النصوص لأجل قول فلان وفلان ، واذا أرادوا الاحسان أولوها بالتأويلات الباطلة ، وحملوها على الاحتمالات البعيدة ، ومع ذلك لو قال ذلك خصمهم في تأويل كلام مشايخهم ، ومن يرضونه ، رموه بالداء العضال ، ونادوا على فساد ماقاله .

فصل

في لازم المذهب هل هو مذهب ام لا ؟

ولوازم المعنى تراد بذكره من عارف بلزومها الحقان
وسواه ليس بلازم في حقه قصد اللوازم وهي ذات بيان
اذقد يكون لزومها المجهول أو قد كان يعلمه بلا نكران
لكن عرته غفلة بلزومها اذ كان ذا سهو وذا نسيان
ولذاك لم يك لازماً لمذاهب الـــعلماء مذهبهم بلا برهان

ذكر الناظم في هذا الفصل أن لازم المذهب ليس بمذهب .

قوله : ولوازم المعنى الخ ؛ أي : إن لوازم المعنى تراد من عارف بلزومها ، وأما سواه ، فليس ذلك بلازم في حقه ، اذ قد يكون جاهلاً لزومها ، أو يكون عالماً به ، ولكن عرته ؛ أي : حصل له سهو ونسيان فلذاك : لازم المذهب ليس بمذهب .

قال شيخ الاسلام في جواب له : وأما قول السائل : هل لازم المذهب مذهباً ، أم ليس بمذهب ؟ فالصواب : أن لازم مذهب الانسان ليس بمذهب له ، اذا لم يلتزمه ، فانه اذا كان قد أنكره ونفاه ، كانت إضافته اليه كذباً عليه ، بل ذلك يدل على فساد قوله وتناقضه في المقال ، غير التزامه اللوازم التي يظهر أنها من قبيل الكفر والمحال ، فالذين قالوا بأقوال يلزمها أقوال ، يعلم أنه لايلتزمها ، لكن لم يعلم أنها تلزمه ، ولو كان لازم المذهب مذهباً ، للزم تكفير كل من قال عن الاستواء وغيره من الصفات أنه مجاز ليس بحقيقة ، فان لازم هذا القول يقتضي أن لايكون شيء من أسمائه أو صفاته حقيقة . انتهى .

فالمقدمون على حكاية ذاك مذ ... هبهم أولو جهل مع العدوان
لافرق بين ظهوره وخفائه ... قد يذهلون عن اللزوم الداني
سيما إذا ما كان ليس بلازم ... لاكن يظن لزومه بجنان
لاتشهدوا بالزور ويحكم على ... ماتلزمون شهادة البطلان
بخلاف لازم مايقول آلهنا ... ونبينا المعصوم بالبرهان
فلذا دلالات النصوص جلية ... وخفية تخفى على الأذهان

والله يرزق من يشاء الفهم في آياته رزقاً بلا حسبان

ولما ذكر الناظم رحمه الله أن المذهب ليس بمذهب ، شرع في ذكر ماألزمه أهل التعطيل أهل الاثبات ، فقال :

واحذر حكايات لأرباب الكلا م عن الخصوم كثيرة الهذيان
فحكوا بما ظنوه يلزمهم فقا لوا ذاك مذهبهم بلا برهان
كذبوا عليهم باهتين لهم بما ظنوه يلزمهم من البهتان
فحكى المعطل عن أولي الاثبات قو لهمُ بأن الله ذو جثمان
وحكى المعطل أنهم قالوا بأن الله ليس يرى لنا بعيان
وحكى المعطل أنهم قالوا يجو ز كلامه من غير قصد معان
وحكى المعطل أنهم قالوا بتحـ ـييز الاله وحصره بمكان
وحكى المعطل أنهم قالوا اله الـ أعضاء جل الله عن بهتان
وحكى المعطل أن مذهبهم هو الـ ـتشبيه للخلاق بالانسان
وحكى المعطل عنهمُ ما لم يقو لوه ولا أشياخهم بلسان
ظن المعطل أن هذا لازم فلذا أتى بالزور والعدوان
فعليه في هذا محاذير ثلا ث كلها متحقق البطلان
ظن اللزوم وقذفهم بلزومه وتمام ذاك شهادة الكفران

حاصل هذه الأبيات أن الناظم رحمه الله يحكي أشياء مما ألزم بها أهل التعطيل أهل الاثبات ، فحكت المعطلة عن المثبتة أنهم يقولون : ان الله

تعالى وتقدس جسم ، وحكوا عنهم أن مذهبهم أن الله لايرى في الآخرة ؟ كما قال الفخر الرازي في « المعالم » أطبق أهل السنة على أن الله تعالى يصح أن يرى . وأنكرت الفلاسفة والمعتزلة والكرامية والمجسمة ذلك ، ثم قال : أما انكار الفلاسفة والمعتزلة ، فظاهر ، وأما انكار الكرامية والحنابلة ، فلأنهم أطبقوا على أن الله تعالى لو لم يكن جسما في مكان ، امتنعت رؤيته . انتهى .

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ابراهيم الفزاري في كتابه « غاية السول في علم الأصول » بعد أن حكى كلام الرازي هذا ، وماأدري أي الأمرين أسرع الى فضيحته ، نقله أو تقريره ؟ أما نقله ، فلأن الحنابلة لايختلف أولهم وآخرهم في أن المنكر لرؤية الله تعالى ، جاحد لكتابه ، وسنة رسوله ، واجماع اهل النقل ، وأما تقريره ، فلأن قوله : أطبقوا على أنه لو لم يكن جسما في مكان ، لامتنعت رؤيته ، إنما هو استدلال يقتضي اثبات الجسم بدليل صحة الرؤية ، لأن التقدير يكون : لولم يكن جسما ، لامتنعت رؤيته ، فيكون جسماً ، فمثل هذا لايخفى على الفخر الرازي ، وانما هو الهوى إذا غلب أعمى وأصم ، فان كل لبيب يعلم من كلام هذا الرجل ، أن في قلبه من الحنابلة داء لادواء له ، فانه أولاً أخرجهم عن أهل السنة ، فتراه يرى السنة ماابتدعه في دين الاسلام والشرعة المحمدية ، من المباحث الكلامية ، والشبه العقلية ، والآراء الفيلسوفية ، فحكم على من لايقوم مقامهم بأنهم ليسوا من أهل السنة . وثانياً أطلق عليهم اسم التجسيم ، والتجسيم لايعتقده مسلم ، وأطال الفزاري الكلام . قوله : وحكى المعطلة عنهم أنهم قالوا : يجوز كلامه من غير قصد معان . أقول : قال ابن السبكي في « جمع الجوامع » ولا يجوز ورود مالا معنى له في الكتاب والسنة ، خلافاً للحشوية . قال

المحلي في شرحه : أي في تجويزهم ورود ذلك في الكتاب والسنة ، قالوا : لوجوده فيه ، كالحروف المقطعة في أوائل السور. انتهى .قال بعض محشيه : وقد اضطرب القائلون بهذا في معنى هذا . فقال الزركشي ، والكوراني: إن أحداً لم يقل: ان في القرآن مالا معنى له . وقال الآمدي : لايتصور اشتمال القرآن الكريم على مالا معنى له أصلاً ، وقد استدلت الحشوية أيضاً بآية (وما يعلم تأويله الا الله) آل عمران : ٧ بالوقف، فقالوا : الكون المتشابه غير معلوم لنا ، فقد خاطبنا الله بما لانفهمه ، وهو المهمل ،نقله الجخندي . ومعلوم أن فواتح السور والآيات المتشابهات ، وان فهم لها معنى صحيح ، إلا أنه غير مقطوع بأنه مراد قائله تعالى ،ولذلك سلك كثير من المفسرين هذا، حيث قالوا في الفواتح : والله أعلم بمراده . ولما رأى الحشوية أن مثل هذا غير مفهوم منه مراد قائله ، نفوا المعنى عنه أصلاً ، وقالوا : إنه لامعنى له ، لابمعنى أنه غير موضوع ، بل بمعنى ماذكرنا ، هذا مافي وسعي من توجيه هذا الكلام الذي اضطربت فيه الأفهام ، ولم أر لأحد ممن كتب هنا كلاماً شافياً . انتهى كلامه .

وحكت المعطلة عنهم أنهم قالوا بجواز ورود مالا معنى له في القرآن وأنهم يقولون بتحيز الله وحصره . وحكى المعطلة أنهم قالوا :له أعضاء، وأنهم شبهوا الله تعالى بخلقه . وحكت المعطلة عنهم غير هذا ، مما لم يقولوه، ولم تقله أشياخهم ، والأمر كما قال الناظم : إن المعطلة ظنوا أن هذا لازماً لقولهم ، فحكوه عنهم ، وكذبوا عليهم ، واعتدوا ، لأن لازم المذهب ليس بمذهب ، ولهذا قال الناظم : فعليه ؛ أي : على المعطل في نسبة ذلك الى أهل الاثبات ، معاذير ثلاث ، وكلها باطلة : الأول : ظن اللزوم ، والثاني قذفهم بلزومه . والثالث : شهادته عليهم بالكفر .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ياشاهداً بالزور ويحك لم تخف يوم الشهادة سطوة الديان
ياقائل البهتان غط لوازما قد قلت ملزوماتها بلسـان
والله لازمها انتفاء الذات والـ أوصاف والأفعال الرحمن
والله لازمها انتفاء الدين والـ قرآن والاسلام والايمان
ولزوم ذلك بيّن جداً لمن كانت له أذنان واعيتان
والله لولا ضيق هذا النظم بيـ ـنت اللزوم بأوضح التبيان
ولقد تقدم منه مايكفي لمن كانت له عينان ناظرتان
إن الذكي ببعض ذلك يكتفي وأخو البلادة ساكن الجبّان

شرع الناظم في بيان اللوازم التي تلزم المعطلة ، ويلزم منها انتفاء ذاته تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، بل يلزم منها انتفاء الدين ، والاسلام ، والقرآن وقد تقدم مايعرف من ذلك في غضون هذا النظم .

قـوله : ساكن الجبان . الجبان ، والجبانة : مشددتين : المقبرة ، والصحراء ، قاله في « القاموس » :

قال الناظم :

ياقومنا اعتبروا بجهل شيوخكم بحقائق الايمان والقرآن
أو ماسمعتم قول أفضل وقته فيكم مقالة جاهل فتان
إن السموات العلى والأرض قـبل العرش بالاجماع مخلوقان؟!
والله ماهذي مقالة عالم فضلاً عن الاجماع كل زمان

من قال ذا قد خالف الاجماع والـ ـخبر الصحيح وظاهر القرآن

فانظر الى ماجرّه تأويل لفـ ـظ الإستواء بظاهر البطلان

زعم المعطل أن تأويل استوى بالخلق والاقبال وضع لسان

كذب المعطل ليس ذا لغة الألى قد خوطبوا بالوحي والقرآن

فأصاره هذا إلى أن قال خلـ ـق العرش بعد جميع ذي الاكوان

يهنيه تكذيب الرسول له وإجـ ـماع الهداة ومحكم الفرقان

لم أقف على تعيين قائل هذا القول ، ومعنى ذلك أن هذا القائل الجاهل زعم أن السموات والأرض مخلوقان قبل العرش بالاجماع ، واعجب لهذا الجهل العظيم ، ومخالفة الاجماع ، والخبر الصحيح ، وظاهر القرآن . وذلك أن للسلف قولين في أول المخلوقات ، ما هو؟ أحدهما : أن العرش أول المخلوقات والثاني : أن القلم هو أول المخلوقات ، فكان في هذا إجماع السلف ، على أن المخلوقات العرش أو القلم ، وهذا الجاهل زعم أن السموات والأرض مخلوقان قبل العرش ، فخرق الاجماع . والخبر الصحيح الذي أشار اليه هو مارواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً قال : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء »

وقول الناظم : زعم المعطلة أن تأويل استوى بالخلق والاقبال ؛ أي : إن المعطل زعم أن تفسير الاستواء بالاقبال يتضمن . أن الأرض والسموات مخلوقان قبل العرش ، وهذا غاية الجهل

قوله : قول المعطل : ان تأويل استوى بالخلق والاقبال وضع لسان ، أي :

زعم أن تأويل الاستواء بقولهم : أقبل على خلق السماء ، هو المعروف في لغة العرب ، وليس كذلك ، واذا كان العرش مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض ، فكيف يكون استواؤه عمده الى خلقه له ؟ ! لو كان هذا يعرف في اللغة أن الاستواء على كذا ، بمعنى أنه عمد الى فعله ، وهذا لا يعرف قط في اللغة لا حقيقة ولا مجازاً لا في نظم ولا نثر ، ومن قال : استوى بمعنى عمد ، ذكره في قوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان) فصلت : ١١ لأنه عدى بحرف الغاية كما يقال : عمدت الى كذا ، ولا قصدت عليه ، مع أن ما ذكر في تلك الآية لا يعرف في اللغة أيضاً ، ولا هو قول أحد من مفسري السلف ، بل المفسرون من السلف قولهم بخلاف ذلك ، وانما هذا القول وأمثاله ابتدع في الاسلام لما ظهر إنكار أفعال الرب التي تقوم به ويفعلها بمشيئته وقدرته واختياره ، فحينئذ صار يفسر القرآن من يفسره بما ينافي ذلك ، كما يفسر سائر أهل البدع القرآن على ما يوافق أقاويلهم ، وأما أن ينقل هذا التفسير عن أحد من السلف ، فلا ، بل أقوال السلف الثابتة عنهم متفقة في هذا الباب ، لا يعرف لهم فيه قولان ، كما قد يختلفون أحياناً في بعض الآيات ، وان اختلفت عباراتهم ، فمقصودهم واحد ، وهو اثبات علو الله على العرش . ثم قال الناظم على سبيل التهكم : يهنيه تكذيب الرسول له واجماع الهداة ومحكم الفرقان .

فصل

في الرد عليهم تكفيرهم أهل العلم والايمان وذكر انقسامهم الى أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران

ومن العجائب أنكم كفرتمُ ... أهل الحديث وشيعة القرآن
إذ خالفوا رأياً له رأي ينا ... قضه لأُجل النص والبرهان
وجعلتم التكفير عين خلافكم ... ووفاقكم فحقيقة الايمان
فوفاقكم ميزان دين الله لا ... من جاء بالبرهان والفرقان
ميزانكم ميزان باغ جاهل ... والعول كل العول في الميزان
أهون به ميزان جور عائل ... بيد المطفف ويل ذا الوزان
لو كان ثم حيا وأدنى مسكة ... من دين أو علم ومن ايمان
لم تجعلوا آراءكم ميزان كفـــر الناس بالبهتان والعدوان
هبكم تأولتم وساغ لكم أيكــفر من يخالفكم بلا برهان
هذي الوقاحة والجراءة والجها ... لة ويحكم يافرقة الطغيان
الله أكبر ذا عقوبة تارك الـــوحيين للآراء والهذيان

أي : ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث، إذ خالفوا آراء الرجال للنصوص ، فجعلتم الكفر والايمان لأجل خلافكم ووفاقكم ، فعلى هذا

فالميزان وفاقكم ، فمن وافقكم شهدتم له بالايمان ، ومن خالفكم شهدتم عليه بالكفران،ووفاقكم فحقيقة الايمان، مبتدأ وخبر وفاقكم مبتدأ،وحقيقته خبره.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكننا نأتي بحكم عادل فيكم لأجل مخافة الرحمن
فاسمع إذاً يامنصفاً حكيمها وانظر إذاً هل يستوي الحكمان
هم عندنا قسمان أهل جهالة وذوو العناء وذانك القسمان
جمع وفرق بين نوعين هما في بدعة لاشك يجتمعان
وذوو العناد فأهل كفر ظاهر والجاهلون فانهم نوعان
متمكنون من الهدى والعلم بالـ أسباب ذات اليسر والامكان
لكن إلى أرض الجهالة أخلدوا واستسهلوا التقليد كالعميان
لم يبذلوا المقدور في إدراكهم للحق تهويناً بهذا الشان
فهم الألى لاشك في تفسيقهم والكفر فيه عندنا قولان
والوقف عندي فيهم لست الذي بالكفر أنعتهم ولا الايمان
والله أعلم بالبطانة منهم ولنا ظهارة حلة الاعلان
لكنهم مستوجبون عقابه قطعاً لأجل البغي والعدوان
هبكم عذرتم بالجهالة إنكم لن تعذروا بالظلم والطغيان
والطعن في قول الرسول ودينه وشهادة بالزور والبهتان

وكذلك استحلال قتل مخالفيـــكم قتل ذي الاشراك والكفران
ان الخوارج ماأحلوا قتلهم الا لما ارتكبوا من العصيان
وسمعتم قول الرسول وحكمه فيهم وذلك واضح التبيان
لكنكم أنتم أبحتم قتلهم بوفاق سنته مع القرآن
والله مازادوا النقير عليهما لكن بتقرير مع الإيمان
فبحق من قد خصكم بالعلم والـــتحقيق والانصاف والعرفان
أنتم أحق أم الخوارج بالذي قال الرسول فأوضحوا ببيان
هم يقتلون لعابد الرحمن بل يدعون أهل عبادة الأوثان
هذا وليسوا أهل تعطيل ولا عزل النصوص الحق بالبرهان

حاصل كلام الناظم رحمه الله تعالى في هذا الفصل والذي بعده ، تقسيم أهل الجهل والتعطيل الى قسمين : أهل عناد ، وجهال ، ثم قسم الجهال الى قسمين : القسم الأول : متمكنون من الهدى والعلم بالاسباب المتيسرة ، ولكن أخلدوا الى الجهالة ، واستسهلوا التقليد . والقسم الثاني : من الجهال أهل عجز عن بلوغ الحق ، مع حسن قصد وايمان بالله ورسوله ، ولقائه . ثم قال : وهم اذا ميزتهم حزبان : الأول : قوم أحسنوا الظن بما قالته الأشياخ وأهل الديانة عندهم ، ولم يجدوا سوى أقوالهم ، فرضوا بها . والضرب الثاني من هؤلاء : فطالبوا الحق ، لكن صدهم عن علمه أنهم طلبوا الحقائق من سوى أبوابها ، وسلكوا طرقاً غير موصلة الى اليقين ، فتشابهت الطرق عليهم ، وصاروا حيارى . فاما القسم الأول وهم أهل العناد والعياذ بالله ، فحكم بكفرهم ، وقد أشار الى ذلك بقوله في هذا النظم :

فالكفر ليس سوى العناد ورد ما قال الرسول لأجل قول فلان

وأما القسم الأول من الجهال . وهم المتمكنون من الهدى والعلم ، ولكنهم أخلدوا الى التقليد ، ولم يبذلوا وسعهم في طلب الحق ، فهؤلاء حكم الناظم بفسقهم . وأما الكفر ففيه قولان ، واختار الوقف ، وأما القسم الثاني : وهم أهل العجز عن بلوغ الحق مع ايمانهم بالله ورسوله ، ولكنهم قلدوا المشايخ وأهل الديانة ، وقال فيهم الناظم :

فأولاء معذورون إن لم يظلموا　　ويكفّروا بالجهل والعدوان

أي : إنهم وان عذروا بالجهالة ، فهم غير معذورين بالظلم والطغيان والطعن في قول الرسول ودينه ، والشهادة بالزور والبهتان ، واستحلال قتل مخالفيهم من المثبتة الذين أثبتوا ما أثبته الله ورسوله من الصفات ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ودعوى أنهم أهل شرك وكفر ، فان الخوارج لم يحل قتالهم الا لما ارتكبوه من العصيان ، واستحلال قتال أصحاب رسول الله ﷺ ، والطعن عليهم ، مع عبادتهم العظيمة ، كما قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فان في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم » وقد صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه ، كما قاله الامام أحمد وغيره . فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حكم بقتل الخوارج مع عبادتهم العظيمة ، فأنتم أيها الجهال المقلدة إذا استحللتم دماء المثبتة أحق من الخوارج بالقتل . والقسم الثاني من هذا القسم ، فهم الذين طلبوا الحق ، لكن من غير طرقه ، وغلب عليهم الشك والحيرة والوقف ، من غير شك في الله أو دينه ، أو كتابه ، ولقائه . فقال :

فأولاء بين الذنب والأجرين أو　　احداهما أو واسع الغفران

هذا حاصل ما ذكره في هذا الفصل ، قسمهم الى أربعة أقسام ، وقد

ذكر الناظم في « شرح منازل السائرين » في ذكر أجناس مايتـاب منه ، وهي اثنا عشر جنساً : أربعة مذكورة في كتاب الله عز وجل . الأول : الكفر . والثاني : الشرك . فأنواع الكفر خمسة : كفر تكذيب ، وكفر استكبار وإباء مع التصديق ، وكفر اعراض ، وكفر شك ، وكفر نفاق. وبين هذه الأنواع ، ثم قال : وأما الشرك الأكبر فهو نوعان ، ثم بين ذلك بأحسن بيان .

وقـــال شيخ الاسلام في رده على ابن البكري : فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ، لأن الكفر حكم شرعي ، فليس للانسـان أن يعاقب بمثله ، كمن كذب عليـك ، وزنى بأهلك ، ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله ، لأن الزنا والكذب حرام لحق الله تعالى ، وكذلك التكفير حق لله تعـالى ، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله . وأيضاً فان تكفير الشخص المعين ، وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها ، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر ... الى أن قال : ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين ينفون أن يكون الله تعالى فوق العرش : أنا لو وافقتكم كنت كافراً ، لأني أعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال .

وقال شيخ الاسلام أيضاً في كلام له بعد كلام سبق : وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه ، ويقال : من قـال كذا فهو كافر ، لكن الشخص المعين الذي قال ذلك لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها ، وهذا كما هو في نصوص الوعيد ، فان الله يقول : (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً) النساء : ١٠ فهذا أو نحوه من نصوص الوعيد حق ، لكن

الشخص المعين لايشهد عليه بالوعيد ، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار ، لجواز أن لايلحقه الوعيد ، لفوات شرط ، أو ثبوت مانع ، فقد لايكون التحريم بلغه ، وقد يتوب من فعل المحرم ، ونحو ذلك ، وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها ، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، أو لم تثبت عنده ، أو لم يتمكن من فهمها ، أو لم يفهمها لشبهة عرضت له يعذره الله بها ، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ ، فان الله يغفر له خطأه كائناً ما كان ، سواء في المسائل النظرية أو العملية . هذا الذي عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، وجماهير أئمة الاسلام .

وقال رحمه الله تعالى في بعض أجوبته : فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً ؛ ومن ممادح أهل العلم يخطؤون ولا يكفرون ، وسبب ذلك أن أحدهم يظن ماليس بكفر كفراً ، وقد يكون كفراً ، لأنه تبين له أنه تكذيب للرسول ، وسب للخالق ، والآخر لم يتبين له ذلك ، فلا يلزم إذا كان هذا العالم بحاله يكفر اذا قاله ، أن يكفر من لم يعلم بحاله . قال : واذا كان - يعني الامام أحمد - رحمه الله يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله تعالى وصفاته ، لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول ﷺ ظاهرة بينة ، ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق ، وكان رضي الله عنه قد ابتلي بهم حتى عرف حقيقة قولهم وأمرهم ، وأنه يدور على التعطيل ، وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة ، لكن ما كان يكفر أعيانهم ، فان الذي يدعو الى القول أعظم من الذي يقوله ، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط ، والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه ، ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية : إن القرآن مخلوق ، وان الله لا يرى في الآخرة ، وغير ذلك من تعطيل أسمائه وصفاته ، ويدعون الناس الى ذلك ، ويمتحنونهم

ويعاقبونهم اذا لم يجيبوا ، ويكفرون من لم يجبهم ، حتى إنهم كانوا إذا قيدوا الأسير لا يطلقونه حتى يقر بقول الجهمية : أن القرآن مخلوق ، ولا يولون مستول ، ولا يرزقون من بيت المال الا من يقول ذلك ، ومع هذا فالامام أحمد ترحم عليهم ، واستغفر لهم ، لعلمه أنهم لم يتبين لهم أنهم يكذبون الرسول ﷺ ، ولا جاحدون لما جاء به ، ولكن تأولوا فأخطؤوا ، وقلدوا من قال ذلك ، وكذلك الامام الشافعي رضي الله عنه لما قال لحفص الفرد حين قال : القرآن مخلوق ، كفرت بالله العظيم ، فبين بذلك أن هذا القول كفر ، لم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك ، لأنه لم تتبين له الحجة التي يكفر بها ، ولو اعتقد أنه مرتد لسعى في قتله . وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الاهواء ، والصلاة خلفهم ، وكذلك قال الامام مالك ، والشافعي ، وأحمد في القدري : إن جحد علم الله كفر . ولفظ بعضهم : ناظروا القدرية بالعلم ، فان أقروا به خصموا ، وان جحدوه كفروا . وسئل الامام أحمد عن القدري : هل يكفر ؟ فقال : إن جحد العلم كفر ، حينئذ فجاحده من جنس الجهمية ، وأما قتل الداعية للبدع ، فقد يقتل لكف ضرره على الناس ، كما يقتل المحارب وإن لم يكن في نفس الأمر كافراً ، فليس كل من أمر الشرع بقتله يكون قتله لردته ، وعلى هذا يكون قتل غيلان القدري وغيره من أهل البدع قد يكون على هذا الوجه . انتهى كلامه .

وقال رحمه الله تعالى بعد كلام سبق في ذكر ما عليه كثير من النـاس من الكفر والخروج عن الاسلام ، قـال : وهذا كثير غالب ، لاسيما في الأعصار والامصار التي تغلب فيها الجاهلية والكفر والنفاق ، فلهؤلاء من عجائب الجهل ، والظلم ، والكذب ، والكفر ، والنـفاق ، والضلال ، ما لا يتسع لذكره المقال . واذا كان في المقالات الخفية ، فقد يقـال : إنه

فيها مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها ، لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أنها من دين الاسلام ، بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمداً ﷺ بعث بها ، وكفر من خالفها ، مثل أمره بعبادة الله وحده لاشريك له ، ونهيه عن عبادة أحد سوى الله من الملائكة والنبيين أو غيرهم ، فان هذا أظهر شعائر الاسلام ، ومثل معادات اليهود والنصارى والمشركين ، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك . ثم تجد كثيراً من رؤوسهم ، وقعوا في هذه الأنواع ، فكانوا مرتدين وإن كانوا قد يتوبون من ذلك أو يعودون . . . الى أن قال : وأبلغ من ذلك أن منهم من يصنف في دين المشركين والردة عن الاسلام ، كما صنف الرازي كتابه في « عبادة الكواكب » وأقام الأدلة على حسن ذلك ومنفعته ، ورغب فيه ، وهذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين ، وإن كان قد يكون عاد الى الاسلام . انتهى(١) .

فانظر الى تفريقه بين المقالات الخفية ، والأمور الظاهرة . فقال في المقالات الخفية التي هي كفر : قد يقال : إنه فيها مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها ، ولم يقل ذلك في الأمور الظاهرة حكمها مطلقاً ، وبما يصدر منها من مسلم جهلاً ، كاستحلال محرم ، أو فعل أو قول شركي بعد التعريف ، ولا يكفر بالأمور الخفية جهلاً ، كالجهل ببعض الصفات ، فلا يكفر الجاهل بها مطلقاً ، وان كان داعية ، كقوله للجهمية : أنتم عندي لا تكفرون ، لأنكم جهال .

وقوله : عندي . يبين أن عدم تكفيرهم ليس أمراً مجمعاً عليه ، لكنه اختياري ، وقوله في هذه المسألة خلاف المشهور في المذهب ، فان الصحيح من

(١) لم يخرج من الاسلام حتى يكون قد عاد اليه ، وإن كان له أخطاء .

المذهب تكفير المجتهد الداعي الى القول بخلق القرآن ، أو نفي الرؤيه ، أو الرفض ، ونحو ذلك ، وتفسيق المقلد .

قال الشيخ مجد الدين ابن تيمية رحمه الله : الصحيح أن كل بدعة كفرنا فيها الداعية، فانا نفسق المقلد فيها ، كمن يقول في خلق القرآن ، أو ان علم الله مخلوق أو أن أسماءه مخلوقة ، أو أنه لا يرى في الآخرة، أو يسب الصحابة تديناً ، أو يقول : إن الإيمان مجرد الاعتقاد ، وما أشبه ذلك ، فمن كان في شيء من هذه البدع يدعو اليه ، ويناظر عليه ، فهو محكوم بكفره . نص أحمد على ذلك في مواضع . انتهى .

فانظر كيف حكموا بكفرهم مع جهلهم ، والشيخ رحمه الله يختار عدم كفرهم ، ويفسقون عنده ، ونحوه قول الناظم : فانه قال : وفسق الاعتقاد كفسق أهل البدع الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويحرمون ما حرم الله ، ويوجبون ما أوجب الله ، ولكن ينفون كثيراً مما أثبت الله ورسوله جهلا وتقليداً للشيوخ ، ويثبتون ما لم يثبته الله ورسوله كذلك ، وهؤلاء كالخوارج المارقة ، وكثير من الروافض ، والقدرية ، والمعتزلة ، وكثير من الجهمية الذين ليسوا غلاة التجهم . وأما غلاة الجهمية ، فكغلاة الرافضة، ليس للطائفتين في الاسلام نصيب ، ولذلك أخرجهم جماعة من السلف من الثنتين وسبعين فرقة ، وقالوا : هم مباينون للملة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

والآخرون فأهل عجز عن بلو   غ الحق مع قصد ومع ايمان
بالله ثم رسوله ولقائه   وهم اذا ميزتهم ضربان
قوم دهاهم حسن ظنهم بما   قالته أشياخ ذوو أسنان
وديانة في الناس لم يجدوا سوى   أقوالهم فرضوا بها بأمان
لو يقدرون على الهدى لم يرتضوا   بدلاً به من قائل البهتان
فأولاء معذورون ان لم يظلموا   ويكفروا بالجهل والعدوان
والآخرون فطالبون الحق لـــكن صدهم عن علمه شيئان
مع بحثهم ومصنفات قصدهم   منها وصولهم الى العرفان
احداهما طلب الحقائق من سوى   أبوابها متسوري الجدران
وسلوك طرق غير موصلة الى   درك اليقين ومطلع الإيمان
فتشابهت تلك الأمور عليهم   مثل اشتباه الطرق بالحيران
فترى أفاضلهم حيارى كلها   في التيه يقرع ناجذ الندمان
ويقول قد كثرت عليّ الطرق لا   أدري الطريق الأعظم السلطاني

بل كلها طرق مخوفات بها الـــآفات حاصلة بلا حسبان
فالوقف غايته وآخر أمره من غير شك منه في الرحمن
أو دينه وكتابه ورسوله ولقائه وقيامة الأبدان
فأولاء بين الذنب والأجرين أو إحداهما أو واسع الغفران
فانظر إلى أحكامنا فيهم وقد جحدوا النصوص ومقتضى القرآن
وانظر الى أحكامهم فينا لأجـــل خلافهم اذ قاده الوحيان
هل يستوي الحكمان عند الله أو عند الرسول وعندي ذي الإيمان
الكفر حق الله ثم رسوله بالشرع يثبت لا بقول فلان
من كان رب العالمين وعبده قد كفراه فذاك ذو الكفران
فهلم ويحكمُ نحاكمكم الى النـــصين من وحي ومن قرآن
وهناك يعلم أي حزبينا على الـــكفران حقاً أو على الإيمان
فليهنكم تكفير من حكمت باســلام وإيمان له النصان
لكنّ غايته كفاية من سوى الـــمعصوم غاية نوع ذا الإحسان
فيصير الأجرين أجراً واحداً إن فاته من أجله الكفلان
ان كان ذاك مكفر يا أمة الـــعدوان من هذا على الإيمان
قد دار بين الأجر والأُجرين والـــتكفير بالدعوى بلا برهان
كفّرتمُ والله من شهد الرسولـــ بأنه حقاً على الإيمان

ثنتان من قبل الرسول وخصلة   من عندكم أفأنتما عدلان ؟!

فصل

في تلاعب المكفرين لأهل السنة والإيمان بالدين كتلاعب الصبيان

كم ذا التلاعب منكم بالدين والـ   إيمان مثل تلاعب الصبيان

خسفت قلوبكم كما كسفت عـ   قولكم فلا تزكوا على القرآن

كم ذا تقولوا مجمل ومفصل   وظواهر عزلت عن الإيقان

حتى اذا رأي الرجال أتاكم   فاسمع لما يوحى بلا برهان

يقول الناظم رحمه الله : إنكم معاشر المخالفين للكتاب والسنة ، تلاعبتم بالدين ، كتلاعب الصبيان ، فاذا احتج أهل الاثبات بنصوص الوحيين تحيلتم في ردها بأنواع الحيل ، فتارة بدعوة الاجمال ، وتارة بالتأويل ، وتارة بقولكم : ظواهر لفظية لاتفيد اليقين ، ونحو ذلك ، فاذا جاءت آراء الرجال نزلوها منزلة النصوص ، ثم ضرب لهم مثلاً بقوله :

مثل الخفافيش التي ان جاءها   ضوء النها ففي كوى الحيطان

عميت عن الشمس المنيرة لاتـ   طيق هداية فيها الى الطيران

حتى إذا ما الليل جاء ظلامه   جالت بظلمته بكل مكان

فترى الموحد حين يسمع قولهم   ويراهم في محنة وهوان

وارحمتاه لعينه ولأُذنه ياْمحنة العينين والأذنان

قوله : مثل الخفافيش الخ . قال في « القاموس » : خفاش كرمان : الوطواط ، سمي لصغر عينيه ؛ وضعف بصره . وأمـــا الكوى فقال في « القاموس » : الكوة بفتح الكاف ويضم والكو : الخرق في الحائط جمع كوى ، وكواء ، وتكوى دخل مكاناً ضيـقاً ، أي : إن هؤلاء المعطلة ، لضعف بصائرهم ، مثل الخفافيش ، متى سمعوا نصوص الوحيين ، ورأوا نور الكتاب والسنة ؛ لم تحتملها بصائرهم لضعفها ، فاذا جاءت ظلمة آراء الرجال ، جالوا بها وصالوا ، ولهذا قال الناظم : وارحمتاه لعينه ولأذنه ، أي : مما يرى ويسمع من كثرة الآراء والهذيان والشبه التي ماأنزل الله بها من سلطان . ولهذا قال النـــاظم :

إن قال حقاً كفّروه وإن يقو اوا باطلاً نسبوه للايمان

حتى اذا ماردّه عادوه مثـــــل عداوة الشيطان للانسان

قالوا له خالفت أقوال الشيو خ ولم يبالوا الخلف للفرقان

خالفت أقوال الشيوخ فأنتم خالفتمُ من جاء بالقرآن

خالفتمُ قول الرسول وانما خالفت من جرّاه قول فلان

أي : إن قال المثبت بما دلت عليه نصوص الوحيين كفروه ، وإن قالوا هم باطلاً نسبوه للايمان، فان رده المثبت عادوه مثل عداوة الشيطان للانسان، يحتمل أن مراده بالشيطـــان والانسان آدم وإبليس ، ويحتمل أن مراده الجنس ، أي : عادوه مثل عداوة الشيطان لجنس بني آدم .

قوله : قالوا : خالفت أقوال الشيوخ ، أى : قالوا له : خالفت أقوال الشيوخ ، وهم قد خالفوا القرآن من غير مبالاة ، فيقول لهم المثبت : إن كنت خالفت أقوال الشيوخ ، فلم أخالفها الا لأجل من جاء بالقرآن .

قوله : من جراه بضم الجيم والمد . أي : من أجل الرسول ﷺ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ياحبذا ذاك الخلاف فانه … عين الوفاق لطاعة الرحمن
أو ماعلمت بأن أعداء الرسو … ل عليه عابوا الخلف بالبهتان
لشيوخهم ولما عليه قد مضى … أسلافهم في سالف الأزمان
ماالعيب الا في خلاف النص لا … رأي الرجال وفكرة الاذهان
أنتم تعيبون بهذا وهو من … توفيقنا والفضل للمنان
فليهنكم خلف النصوص ويهننا … خلف الشيوخ أيستوي الخلفان
والله ماتسوي عقول جميع أهـ … ـل الأرض نصاً صح ذا تبيان
حتى نقدمها عليه معرضـ … ـين مؤولين محرفي القرآن
والله ان النص فيما بيننا … لأجل من آراء كل فلان
والله لم ينقم علينا منكم … أبداً خلاف النص من انسان

أي : ينبغي لك أيها الناظر في هذا النظم أن تعلم أن أعداء الرسول عابوا عليه ، خلاف آبائهم وقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . ومن معائبهم للرسول ﷺ أنهم يقولون له : ضللت آباءنا ، فيقول الناظم : ماالعيب الا في خلاف النص ، وأماخلاف آراء الرجال المخالفة للنصوص ، فهو

عين الوفاء لطاعة الرحمن ، ولهذا قال متهكماً بهم : فليهنكم خلف النصوص ويهننا الخ . ثم قال : والله لم ينقم علينا منكم أبداً خلاف النص من إنسان ، أي : والله مانقمتم علينا مرة واحدة خلاف النص ، وإنما خلاف الأشعري ، وأشار الى ذلك بقوله :

إلا خلاف الاشعري بزعمكم وكذبتم أنتم على الانسان
كفّرتم من قال من قد قاله في كتبه حقاً بلا كتمان
هذا وخالفناه في القرآن مثـــل خلافكم في الفوق للرحمن
فالأشعري مصرح بالاستوا ء وبالعلو بغاية التبيان
ومصرح أيضاً باثبات اليديـــن ووجه رب العرش ذي السلطان
ومصرح أيضاً بأن لربنا سبحانه عينان ناظرتان
ومصرح أيضاً باثبات النزو ل لربنا نحو الرفيع الداني
ومصرح أيضاً باثبات الأصا بع مثل ماقد قال ذو البرهان
ومصرح أيضاً بأن الله يو م الحشر يبصره أولو الايمان
جهراً يرون الله فوق سمائه رؤيا العيان كما يرى القمران
ومصرح أيضاً باثبات المجيء وأنه يأتي بلا نكران
ومصرح بفساد قول مؤوّل للاستواء بقهر ذي السلطان
ومصرح أن الألى قالوا بذا التأويل أهل ضلالة ببيان
ومصرح أن الذي قد قاله أهل الحديث وعسكر القرآن

هو قوله يلقي عليه ربه   وبه يدين الله كل أوان

قال أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ومقالات الاسلاميين وذكر فيه فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم ، ثم قال مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث : جملة قول أصحاب الحديث ، وأهل السنة ، الاقرار بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لايردون شيئاً من ذلك ، وأن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لا إله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله على عرشه ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وأن له يدين ، بلا كيف ، كما قال (خلقت بيدي) ص : ٧٥ وكما قال : (بل يداه مبسوطتان) المائدة : ٦٤ وأن له عينين بلا كيف كما قال (تجري بأعيننا) القمر : ١٤ وأن له وجهاً كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن : ٢٧ وأن أسماء الله لايقال : إنها غير الله ، كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن لله علماً كما قال (أنزله بعلمه) وكما قال (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) فاطر : ١١ وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة ، وأثبتوا لله القوة ، كما قال (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) فصلت : ١٥ وذكر مذهبهم في القدر . . . الى أن قال : ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في اللفظ والوقف ، من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم ، لايقال : اللفظ بالقرآن مخلوق ، ولا يقال : غير مخلوق ، ويقرون أن الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى

القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ، ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله محجوبون ، وذكر قولهم في الاسلام ، والإيمان ، والحوض ، والشفاعة ، وأشياء . . . . الى أن قال : ويقرون بأن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ولا يقولون : مخلوق ، ولا غير مخلوق ، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار . . الى أن قال : وينكرون الجدل والمراء في الدين ، والخصومة ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ، ويتنازعون فيه من دينهم ، ويسلمون الروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي جاء بها الثقات ، عدلاً عن عدل ، حتى ينتهي ذلك الى رسول الله ﷺ ، لايقولون (كيف) ولا (لم) لأن ذلك بدعة . . . الى أن قال : ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء ، كما قال : (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ... الى أن قال : ويرون مجانبة كل داع الى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن ، وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه ، مع الاستكانة ، والتواضع ، وحسن الخلق ، مع بذل المعروف ، وكف الأذى . وترك الغيبة ، والنميمة ، والسعاية ، وتفقد المآكل والمشارب . قال : فهذه جملة مايؤمرون به ، ويستسلمون اليه ، ويرونه ، وبكل ماذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب ، ومـا توفيقنا الا بالله ، وهو المستعان .

وقال الأشعري أيضاً في اختلاف أهل القبلة في العرش : قال أهل السنة وأصحاب الحديث : ليس بجسم ، ولا يشبه الأشياء ، وأنه استوى على العرش ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ ولا يتقدم بين يدي الله في القول ، بل نقول : استوى بلا كيف . وأنه له وجهاً ، كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن : ٢٧ وأن له يدين ، كما قـال (خلقت بيدي) ص : ٧٥ وأن له عينين ، كما قال (تجري بأعيننا) البقرة ١٤

وأنه يجيء يوم القيامة وملائكته ، كما قال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وأنه ينزل الى سماء الدنيا ، كما جـاء في الحديث ، ولم يقولوا شيئاً الا ماوجدوه في الكتاب ، أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ .
وقالت المعتزلة : إن الله استوى على العرش ، بمعنى استولى ، وذكر مقالات أخرى . وقال أيضاً أبو الحسن الاشعري في كتابه الذي سماه « الابانة في أصول الديانة » : وقد ذكر أصحـابه آخر كتاب صنفه ، وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال : فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة.
فان قال قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة ، والقدرية ، والجهمية ، والحرورية والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون ؟ قيل له : قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب ربنا ، وسنة نبينا ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته قائلون ، ولما خالف قوله مجانبون، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ، ودفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفهم .

وجملة قولنا أنا نقر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما جاؤوا به من عند الله ، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانرد من

ذلك شيئاً ، ون الله واحد ، لااله إلا هو ، فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله مستو على عرشه ، كما قال: (الرحمن على العرش استوى) طـــه : ٥ وأن له وجهاً كما قال: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن : ٢٧ وأن له يدين بلا كيف ، كما قال : (خلقت بيدي) ص : ٧٥ وكما قال : (بل يداه مبسوطتان) المائدة : ٦٤ وأن له عينين بلا كيف ، كما قال : (تجري بأعيننا) القمر : ١٤ ومن زعم أن أسماء الله غيره ، كان ضالاً ، وذكر نحواً مما ذكر في الفرق . . إلى أن قال : ونقول : إن الاسلام أوسع من الايمان ، وليس كل اسلام إيماناً ، وندين بأن الله يقلب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ، يضع السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، كما جاءت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ... الي أن قال : وأن الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ونسلم الروات الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات ، عدلاً عن عدل ، حتى ينتهي الى الرسول صلى الله عليه وسلم . الى أن قال : ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول الى السماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول : هل من سائل ? هل من مستغفر ? وسائر مانقلوه وأثبتوه ، خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل . ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا ، وسنة نبينا ، واجماع المسلمين ، وما كان في معناه ، ولا نبتدع في دين الله مالم يأذن لنا به ، ولا نقول على الله مالا نعلم ، ونقول : إن الله يجيء يوم القيامة ، كما قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وأن الله يقرب من

عباده كيف شاء ، كما قال :(ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ق :١٦ وكما قال : (ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) النجم : ٨ ، ٩ إلى أن قال : وسنحتج لما ذكرناه من قولنا ، وما بقي مما لم نذكره باباً باباً ، ثم نتكلم على أن الله يرى ، واستدل على ذلك ، ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق ، واستدل على ذلك ، ثم تكلم على من وقف في القرآن ، وقال : لا أقول : إنه مخلوق ، ولا غير مخلوق ، ورد عليه ، ثم قال : باب ذكر الاستواء على العرش ، فقال : إن قال قائل : ماتقولون في الاستواء؟ قلنا له : نقول : إن الله مستو على عرشه . كما قال: (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وقد قال الله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ وقال : (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ وقال : (يدبر الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه) السجدة : ٥ وقال حكاية عن فرعون (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ كذب موسى في قوله : إن الله فوق السموات ، وقال : (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) الملك : ١٦ فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات قـال : (أأمنتم من في السماء) لأنه مستو على عرشه الذي هو فوق السموات ، وكل ما علا فهو سماء ، فالعرش أعلى السموات ، وليس إذا قال : (أأمنتم من في السماء) يعني جميع السماء ، وانما أراد العرش الذي هو أعلى السموات. ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال : (وجعل القمر فيهن نوراً) نوح : ١٦ فلم يرد أن القمر يملأهن ، وأنه فيهن جميعاً ، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله على العرش

الذي فوق السموات ، فلولا أن الله على العرش ، لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، كما لا يحطونها اذا دعوا الى الأرض ، ثم ذكر رحمه الله فصلاً رد فيه على من تأول الاستواء بالاستيلاء من الجهمية ، والمعتزلة أبلغ رد ، واستدل على ذلك بأدلة من الكتاب ، والسنة ، والاجماع والعقل . وقد تقدم ذلك ، وهذا الذي ذكرناه من كلام أبي الحسن الأشعري ، هو مضمون ماذكره الناظم عنه .

قلت : ومن العجب أن المنتمين الى الامام أبي الحسن الاشعري ، مع شدة تعظيمهم له ، قد خالفوه في أكثر ماذهب اليه وخالف فيه المعتزلة ، فانه في بدايته وأول أمره كان معتزلياً ، ودرس الكلام على أبي علي الجبائي أربعين سنة ، ثم لما بين الله له الحق رجع عن الاعتزال ، ونابذ المعتزلة ، ورد عليهم أبلغ الرد ، وصار متكلماً للسنة ، بل هو كما قيل فيه : انه حجز المعتزلة في قمع السمسمة ، ثم قد خالفوه في أكثر مارجع عنه ، ورجعوا إلى مذهب المعتزله ، فتأولوا الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالنعمة أو القدرة ، والنزول بنزول الأمر والملائكة ، والمجيء بمجيء الأمر والملائكة ، والرضى بالاثابة ، والغضب بالانتقام ، والرحمة بالانعام ، أو ارادة الانعام ، بل لعلهم زادوا على المعتزلة في التأويلات الباطلة ، والتمحلات العاطلة ، فنعوذ بالله من موجبات غضبه .

وقول الناظم: هذا وخالفناه في القرآن الخ . أي : خالفناه في قوله: لان كلام الله تعالى هو المعنى النفسي ، وان القرآن عبارة عن ذلك المعنى ، كما خالفتموه في الاستواء ، والعلو ، واثبات الصفات الخبرية ، فلم كان خلافناله كفراً ، وخلافكم له إيماناً ؟ ! وخالفتم النصوص أيضاً ، ونحن خالفنا آراء جهم ذي البهتان .

ثم أقسم الناظم : والله مالكم جواب غير تكفير الخ أي : ليس لكم جواب غير تكفيرنا بلا علم . ثم قال متهكما : أستغفر الله العظيم الخ . أي : لكم جواب آخر وهو الشكوى إلى السلطان بغير علم ولا برهان .

قولـــه ، والله لا الأشعري تبعتم الخ . أي إنهم لم يتبعوا الأشعري ، ولا النصوص ، ولكنهم وافقوا المعتزلة في أكثر ماذهبوا اليه . كما تقدم ذلك ، والله تعالى أعلم .

قال الناظم :

لكنه قد قال إن كلامه — معنى يقوم بربنا الرحمن
في القول خالفناه نحن وأنتم — في الفوق والأوصاف للديان
لو كان نفس خلافنا كفراً وكا — ن خلافكم هو مقتضى الايمان
هذا وخالفتم لنص حين خا — لفنا لرأي الجهم ذي البهتان
والله مالكم جواب غير تكـــفير بلا علم ولا ايقان
أستغفر الله العظيم لكم جوا — ب غير ذي الشكوى إلى السلطان
فهو الجواب لديكم ولنحن منـــتظرون منكم ياأولي البرهان
والله لا للأشعـــري تبعتم — كلا ولا للنص بالاحسان
ياقوم فانتبهوا لأنفسكم وخـــلوا الجهل والدعوى بلا برهان
مافي الرياسة بالجهالة غير ضحكة عاقل منكم مدى الأزمان
لاترتضوا برياسة البقر التي — رؤساؤها من جملة الثيران

لما ذكر الناظم رحمه الله أن النفاة لم ينقموا علينا ولله الحمد أنا خالفنا

النصوص ، وانما نقموا علينا مخالفة الأشعري ، أخذ يبين كذب هذه الدعوى ، ويوضح أنهم خالفوه أعظم المخالفة ، فانه رحمه الله قد صرح باثبات الاستواء والعلو ، واثبات اليدين ، والوجه ، والعينين ، والنزول الى سماء الدنيا ، والأصابع ، وصرح باثبات رؤية الله تعالى بالابصار يوم القيامة ، وصرح باثبات المجيء ، وصرح بفساد قول أهل التأويل للاستواء بالقهر ، وصرح باثبات الصفات الخبرية ، وصرح بأنه يقول بجميع ماقاله أهل الحديث ، كما تقدم نقل ذلك عنه ، ولكن نحن قد خالفناه في قوله بالكلام النفسي وأنتم معاشر النفاة خالفتموه في الفوق ، واثبات الصفات ، فلأي شيء كان خلافنا له كفراً ، وخلافكم له إيماناً ؟! ومع خلافكم له ، فقد خالفتم النصوص القطعية ، ونحن خالفناه في ذلك لأنه خلاف المنقول الصحيح ، والمعقول الصريح . ثم أقسم الناظم : أنه لاجواب لهم إلا التكفير بغير علم ولا حجة ، ثم استثنى أن لهم جواباً آخر ، وهو شكاية مخالفيهم الى السلطان اذا غلبهم بالحجة والبرهان ، ومع هذا قد خالفوا النصوص وخالفوا الاشعري ، فحاصل كلامهم كثرة الدعاوى بلا برهان ، وتكفير أهل العلم والايمان ، نعوذ بالله من الخذلان .

فصل

في أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ وخاصته ولا يبغض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر

يامبغضاً أهل الحديث وشاتماً أبشر بعقد ولاية الشيطان
أو ما علمت بأنهم أنصار ديـــن الله والايمان والقرآن ؟!
أو ماعلمت بأن أنصار الرسو ل هم بلاشك ولا نكران؟!
هل يبغض الأنصار عبدمؤمن أو مدرك لروائح الايمان ؟!
شهدالرسول بذاك وهي شهادة من أصدق الثقلين بالبرهان
أو ما علمت بأن خزرج دينه والأوس هم أبداً بكل زمان؟!
ماذنبهم إذ خالفوك لقوله ماخالفوه لأجل قول فلان
لو وافقوك وخالفوه كنت تشـــهد أنهم حقاً أولو الايمان
لما تحيزتم الى الأشياخ وانـــحازوا إلى المبعوث بالقرآن
نسبوا اليه دون كل مقالة أو حالة أو قائل ومكان
هذا انتساب أولي التفرق نسبة من أربع معلومة التبيان

قوله نسبة من أربع الخ. وهي النسب المعروفة وهي المماثلة والموافقة والمناسبة والمخالفة (١)

فلذا غضبتم حيثما انتسبوا إلى ... غير الرسول بنسبة الاحسان

فوضعتم لهم من الألقاب ما ... تستقبحون وذا من العدوان

تقدمت الألقاب التي وضعوها لأهل الحديث ومعانيها .

هم يشهدونكم على بطلانها ... أفتشهدونهم على البطلان ؟!

ماضرهم والله بغضكم لهم ... إذ وافقوا حقاً رضى الرحمن

يا من يعاديهم لأجل مآكل ... ومناصب ورياسة الاخوان

تهنيك هاتيك العداوة كم بها ... من حسرة ومذلة وهوان

ولسوف تجني غبها والله عن ... قرب وتذكر صدق ذي الايمان

فاذا تقطعت الوسائل وانتهت ... تلك المآكل في سريع زمان

فهناك تقرع سن ندمان على الـ ... ـتفريط وقت السير والامكان

وهناك تعلم مابضاعتك التي ... حصلتها في سالف الأزمان

إلا الوبال عليك والحسرات والـ ... ـخسران عند الوضع في الميزان

قيل وقال ماله من حاصل ... الا العناء وكل ذي الأذهان

---

(١) وعلى هامش الأصل : الظاهر ان النسب الاربع هي ماأشار اليه الناظم بقوله: نسبو اليه ، يعني إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، دون الانتساب الى مذهب أو غيره من الأربع المذكورات في البيت والله أعلم . قال ذلك شيخنا عبد الله بن عبد العزيز العنقري عفا الله عنه .

والله مايجدي عليك هناك إلاّ ذا الذي جاءت به الوحيان
والله ماينجيك من سجن الجحـــيم سوى الحديث ومحكم القرآن
والله ليس الناس إلا أهله وسواهم من جملة الحـــيوان
ولسوف تذكر برذي الايمان عن قرب وتقرع ناجذ الندمان
رفعوا به رأساً ولم يرفع به أهل الكلام ومنطق اليونان
فهم كما قال الرسول ممثلاً بالماء مهبطه على القيعان
لا الماء يمسكه ولا كلأ بها يرعاه ذو كبد من الحيوان

يشير الى الحديث الذي في الصحيح من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال : « مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكان منها طائفة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء ، فسقى الناس وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .

هذا إذا لم تحرق الزرع الذي بجوارها بالنار أو بدخان
والجاهلون بذا وهذا هم زوا ن الزرع أي والله شرزواني
وهم لدا غرس الاله كمثل غر س الدلب بين مغارس الرمّان

قوله : زوان . قال في « القاموس » الزوان: الذي يخالط البر .

قوله : الدلب . قال في « القاموس » : الدلب بالضم : الصغار «

واحدته بهاء ، وأرض مدلبة : كثيرته . وفي « مختار الصحاح » : الدلب : شجر ، الواحدة دلبة .

يمتص ماء الزرع مع تضييقه ‏ ‏ أبداً عليه وليس ذا قنوان
ذا حالهم مع حال أهل العلم أنـــصار الرسول فوارس الايمان
فعليه من قبل الاله تحية ‏ ‏ والله يبقيه مدى الأزمان
لولاه ماسقي الغراس فوق ذا ‏ ‏ ك الماء للدلب العظيم الشان
فالغرس دلب كله وهو الذي ‏ ‏ يسقى ويحفظ عند أهل زمان
فالغرس في تلك الحضارة شارب ‏ ‏ فضل المياه مصاوة البستان
لكنما البلوى من الحطاب قـــطّاع الغراس وعاقر الحيطان
بالفوس يضرب في أصول الغرس كي ‏ ‏ يجتثها ويظن ذا إحسان
ويظل يحلف كاذباً لم أعتمد ‏ ‏ في ذا سوى التثبيت للعيدان
ياخيبة البستان من حطّابه ‏ ‏ ما بعد ذا الحطاب من بستان
في قلبه غل على البستان فهـــو موكل بالقطع كل أوان
فالجاهلون شرار أهل الحق والـــعلماء سادتهم أولو الاحسان
والجاهلون خيار أحزاب الضلا ‏ ‏ ل وشيعة الكفران والشيطان
وشرارهم علماؤهم هم شر خلـــق الله آفة هذه الأكوان

يشير الى الحديث الذي ورد « علماؤهم شر من تحت أديم السماء ، منهم خرجت الفتنة ، وفيهم تعود »

فصل

في تعيين الهجرة من الآراء والبدع الى سنته كما كانت فرضاً من الامصار الى بلدته عليه السلام

ياقوم فرض الهجرتين بحاله والله لم ينسخ إلى ذا الآن
والهجرة الأولى الى الرحمن بالـــإخلاص في سر وفي إعلان
حتى يكون القصد وجه الله بالـــأقوال والأعمال والإيمان
ويكون كل الدين للرحمن ما لسواه شيىء فيه من انسان
والحب والبغض اللذان هما لكـــل ولاية وعداوة أصلان
لله أيضاً هكذا الاعطاء والمـــنع اللذان عليهما يقفان
والله هذا شطر دين الله والـــتحكيم للمختار شطر ثان
وكلاهما الإحسان لن يتقبل الـــرحمن من سعي بلا إحسان
والهجرةالأخرىالىالمبعوثبالـــإسلام والايمان والاحسان

ذكر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أن فرض الهجرتين باق لم ينسخ، فالهجرة الاولى الى الله تعالى، وذلك بالاخلاص له في السر والعلن، وأن يكون القصد وجهة الله بالاقوال والأعمال والايمان، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون الحب والبغض لله تعالى، وكذلك الإعطاء والمنع، وهذا شطر الدين، وشطره الثاني تحكيم المختار ﷺ، كما قال الناظم: والهجرة

الثانية هي الهجرة الى الرسول ﷺ ، باتباعه في الدق والجل ، ورد ما تنازع الناس فيه إلى سنته ، ورد كل قول لقوله .

أترون هذي هجرة الابدان لا والله بل هي هجرة الايمان
قطع المسافة بالقلوب اليه في درك الأصول مع الفروع فذان
ابداً إليه حكمها لا غيره فالحكم ما حكمت به النصان
ياهجرة طالت مسافتها على من خص بالحرمان والخذلان
ياهجرة طالت مسافتها على كسلان منخوب الفؤاد جبان

قال في « القاموس » : رجل نخب ، ونخب ، ونخبة ، ونخب ، كهجف ، ومنتخب ، ومنخوب ، ونخب ، ونخيب : جبان ، جمع نخب ، انتهى .

ياهجرة والعبد فوق فراشه سبق السعادة لمنزل الرضوان
ساروا أحث السير وهو فسيره سير الدلال وليس بالذملان

قوله : الدلال . قال في « القاموس » : أدل عليه : انبسط ، كتدلل .

قولــــه : الذملان محركة : هو السير اللين .

قال في « القاموس » العلم محركة : الجبل الطويل ، أو عام ، جمع أعلام ، وعلام . انتهى . وقاع ، وأرض وقيعة ، لا تكاد تنشف الماء ، قاله في « القاموس » .

رفعت له أعلام هاتيك النصو ص رؤوسها شابت من النيران
نار هي النور المبين ولم يكن ليراه إلا من له عينان

مكحولتان بمرودالوحيين لا بمراود الآراء والهذيان
فلذاك شمر نحوها لم يلتفت لا عن شمائله ولا أيمان
ياقوم لو هاجرتم لرأيتم أعلام طيبة رؤية بعيان
ورأيتم ذاك اللواء وتحته الـــرسل الكرام وعسكر القرآن
أصحاب بدر والألى قد بايعوا أزكى البرية بيعة الرضوان
وكذا المهاجرة الألى سبقوا كذا الـــأنصار أهل الدار والايمان
والتابعون لهم باحسان وسا لك هديهم أبداً بكل زمان
لكن رضيتم بالاماني وابتليـــتم بالحظوظ ونصرة الاخوان
بل غركم ذاك الغرور وسولت لكم النفوس وساوس الشيطان
ونبذتم عسل النصوص وراءكم وقنعتم بقطارة الأذهان

قال في « القاموس» القطارة بالضم: ماقطر من الشيء ، والقليل من الماء

وتركتم الوحيين زهداً فيهما ورغبتم في رأي كل فلان
وعزلتم النصين عما وليا للحكم فيه عزل ذي عدوان
وزعمتم ان ليس يحكم بيننا الا العقول ومنطق اليونان
فهما بحكم الحق أولى منهما سبحانك اللهم ذا السبحان
حتى اذا انكشف الغطاء وحصلت أعمال هذا الخلق في الميزان
واذا انجلى هذا الغبار وصار ميـــدان السباق تناله العينان

وبدت على تلك الوجوه سماتها　　وسم المليك القادر الديان

مبيضة مثل الرياض بجنة　　والسود مثل الفحم للنيران

معنى هذه الأبيات أنكم معاشر النفاة لما تركتم الوحيين ، وهما الكتاب والسنة ، وعزلتم النصين ، وزعمتم أن ليس يحكم بين الناس فيما تنازعوا فيه إلا العقول والمنطق ، فاذا انكشف الغطاء ، وذلك يوم القيامة ، وحصلت أعمال الناس ، وانجلى الغبار ، وصار ميدان السباق ، وبدت على الوجوه سماتها ، أي علاماتها ، وصارت وجوه مبيضة في الجنة ، ووجوه مسودة في النار ؛ عرفتم حاصلكم ومحصولكم ، ورأيتم ماأوجبته لكم أصولكم .

فهناك يعلم راكب ما تحته　　وهناك يقرع ناجذ الندمان

وهناك تعلم كل نفس ما الذي　　معها من الارباح والخسران

وهناك يعلم مؤثر الآراء والـ　　ـشطحات والهذيان والبطلان

أي البضائع قد أضاع وما الذي　　منها تعوض في الزمان الفاني

قولـــه : فهناك يعلم راكب الخ أي : إذا انجلى الغبار ، عرف راكب ماتحته ، أفرس أم حمار ؟ وهناك يقرع الندمان ناجذالندم وهناك تعلم نفس ما الذي معها من الربح والخسران ، وهناك يعلم مؤثر شطحات الصوفية وآراء المتكلمين وهذيانهم وأباطيلهم على الكتاب والسنة أنه فاته أعظم بضاعة ، وأنه تعوض أخسر بضاعة ، وأخس نصيب ، وأنه فاته أعظم الربح ، نعوذ بالله من موجبات غضبه .

سبحان رب الخلق قاسم فضله　　والعدل بين الناس في الميزان

لو شاء كان الناس شيئاً واحداً　　مافيهم من تائه حيران

لكنه سبحانه يختص بالـــفضل العظيم خلاصة الانسان
وسواهمُ لا يصلحون لصالح كالشوك فهو عمارة النيران
وعمارة الجنات هم أهل الهدى الله أكبر ليس يستويان
فسل الهداية من أزمّة أمرنا بيديه مسألة الذليل العاني

قولـــه : لو شاء كان الناس شيئاً واحداً الخ . هذا كما قال تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ...) هود : ١١٨ الآية ، ولكنه سبحانه يهدي من يشاء بفضله ، ويضلُّ من يشاء بعدله ، كما قال تعالى : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يونس : ٢٥ فعم بالدعوة ، وخص بالهداية

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع

قال الناظم :

وسل العياذ من اثنتين هما اللتا ن بهلك هذا الخلق كافلتان
شر النفوس وسيىء الأعمال ما والله أعظم منهما شران
ولقد أتى هذا التعوذ منهما في خطبة المبعوث بالقرآن

يشير الى خطبة الحاجة : وهي ماروى ابن مسعود قال : علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة « الحمد لله نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ان لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ... »

الحديث رواه أهل السنن الأربعة . وقال الترمذي ، حديث حسن .

لو كان يدري العبد أن مصابه ... في هذه الدنيا هو الشران
جعل التعوذ منهم ديدانه ... حتى نراه داخل الأكفان
وسل العياذ من التكبر والهوى ... فهما لكل الشر جامعتان
وهما يصدان الفتى عن كل طر ... ق الخير إذ في قلبه يلجان
فتراه يمنعه هواه تارة ... والكبر أخرى ثم يشتركان
والله مافي النار إلا تابع ... هذين فاسأل ساكني النيران
والله لو جردت نفسك منهما ... لأتت اليك وفود كل تهان

فصل

في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين .

والفرق بين الدعوتين فظاهر ... جداً لمن كانت له أذنان
فرق مبين ظاهر لايختفي ... ايضاحه إلا على العميان
فالرسل جاؤونا باثبات العلـــو لربنا من فوق كل مكان
وكذا أتونا بالصفات لربنا الـــرحمن تفصيلاً بكل بيان
وكذاك قالوا إنه متكلم ... وكلامه المسموع بالآذان

وكذاك قالوا انه سبحانه الـــمرئي يوم لقائه بعيان
وكذاك قالوا إنه الفعال حـــقاً كل يوم ربنا في شان
وأتيتمونا أنتم بالنفي والتـــعيطل بل بشهادة الكفران
للمثبتين صفاته وعلوه ونداءه في عرف كل لسان
شهدوا بايمان المقر بأنه فوق السماء مباين الأكوان
وشهدتم أنتم بتكفير الذي قد قال ذلك ياأولي العدوان
وأتى بأين الله إقراراً ونطـــقاً قلتم هذا من البهتان
فسؤالنا بالاين مثل سؤالنا ما الكون عندكم هما شيئان ؟
وكذا أتونا بالبيان فقلتم باللغز أين اللغز من تبيان
إذ كان مدلول الكلام ووضعه لم يقصدوه بنطقهم بلسان
والقصد منهم غير مفهوم به ما اللغز عند الناس الا ذان
ياقوم رسل الله أعرف منكم وأتم نصحاً في كمال بيان
أترونهم قد ألغزوا التوحيد إذ بينتموه ياأولي العرفان ؟
أترونهم قد أظهروا التشبيه وهـــو لديكم كعبادة الأوثان

مضمون ماذكره الناظم في هذه الأبيات ، هو اثبات الفرق بين دعوة المرسلين ، ودعوة المعطلين ، وذلك أن الرسل جاؤوا باثبات العلو والفوقية

واثبات الصفات تفصيلاً، وأنه سبحانه متكلم بكلام مسموع ، وأنه سبحانه يرى يوم القيامة رؤية العيان ، وأنه الفعال سبحانه ، وأنه كل يوم في شأن. وأما المعطلون فأتوا بالنفي والتعطيل ، بل شهدوا بالكفر لمثبتي علوه سبحانه فوق عباده بائناً عن المخلوقات ، أترونهم أيها المعطلة قد ألغزوا التوحيد وبينتموه أنتم ؟ أو أنهم أظهروا التشبيه بزعمكم والعياذ بالله

ولأي شيء لم يقولوا مثل ما … قد قلتموا في ربنا الرحمن؟

ولأي شيء صرحوا بخلافه … تصريح تفصيل بلا كتمان ؟

ولأي شيء بالغوا بالوصف بالـ … ـاثبات دون النفي كل زمان

ولأي شيء أنتم بالغـتم … في النفي والتعطيل بالقفزان

فجعلتم نفي الصفات مفصلاً … تفصيل نفي العيب والنقصان

وجعلتم الاثبات أمراً مجملاً … عكس الذي قالوه بالبرهان

أي مابال الرسل أيها المعطلة لم يقولوا مثل ما قلتم في الله تعالى ؟ ! بل صرحوا دائماً بخلافه تصريحاً على التفصيل بغير كتمان ، وأما أنتم فبالغتم في النفي والتعطيل بالقفزان . القفيز : مكيال ثمانية مكاكيك ، ومن الأرض قدر مائة وأربعة وأربعين ذراعاً ، جمع أقفزة ، وقفزان، قاله في « القاموس » فجئتم بنفي مفصل ، واثبات مجمل . وأما الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فجاؤوا باثبات مفصل ، ونفي مجمل ، ولهذا قال :

أتراهم عجزوا عن التبيان واسـ … ـتوليتم أنتم على التبيان ؟

أترون أفراخ اليهود وأمة التـ … ـعطيل والعباد للنيران

ووقاح أرباب الكلام الباطل الـــمذموم عند أئمة الايمان
من كل جهمي ومعتزل ومن   والاهما من حزب جنكسخان
بالله أعلم من جميع الرسل والـــتوراة والانجيل والقرآن

أي أترى الرسل عليهم الصلاة والسلام عجزوا عن التبيان ، واستوليتم أيها المعطلة عليه ؟ أم هل ترون أفراخ اليهود ، والمعطلة ، وأبناء المجوس عباد النيران ، وأوقاح أهل الكلام وغيرهم من الجهمية والمعتزلة ومن والاهم من حزب جنكسخان أعلم بالله من جميع الرسل والتوراة والانجيل والقرآن؟!

ثم قال رحمه الله تعالى :

فسلوهم بسؤال كتبهم التي   جاؤوا بها عن علم هذا الشان
وسلوهم هل ربكم في أرضه   أو في السماء وفوق كل مكان؟
أم ليس من ذا كله شيء فلا   هو داخل أو خارج الاكوان
فالعلم والتبيان والنصح الذي   فيهم يبين الحق كل بيان
لكنما الألغاز والتلبيس والـــكتمان فعل معلم الشيطان

فصل

في شكوك أهل السنة والقرآن أهل التعطيل والآراء المخالفة لهما الى الرحمن

لما كان أهل التعطيل يشكون أهـــل الحديث والسنة الى السلاطين ،

ويرمونهم بالعظائم والبهت ، قابلهم أهل السنة بالشكاية الى الرحمن سبحانه .

يارب هم يشكوننا أبداً ببغـــيهم وظلمهم إلى السلطان
ويلبسون عليه حتى أنه ليظنهم هم ناصروا الايمان
فيرونه البدع المضلة في قوا لب سنة نبوية وقران
ويرونه الاثبات للأوصاف في أمر شنيع ظاهر النكران
فيلبسون عليه تلبيسين لو كشفا له باداهم بطعان
يافرقة التلبيس لا حييتم أبداً وحييتم بكل هوان
لكننا نشكوهم وصنيعهم ابداً اليك فأنت ذو السلطان
فاسمع شكايتنا وأشك محقنا والمبطل اردده عن البطلان

أشك بقطع الهمزة .

راجع به سبل الهدى والطف به حتى تريه الحق ذا تبيان
وارحمه وارحم سعيه المسكين قد ضل الطريق وتاه في القيعان
يارب قد عم المصاب بهذه الـــ آراء والشحطات والبهتان
هجروا لها الوحيين والفطرات والـــ آثار لم يعبوا بذا الهجران
قالوا وتلك ظواهر لفظية لم تغن شيئاً طالب البرهان
فالعقل أولى أن يصار اليه من هذي الظواهر عند ذي العرفان
ثم ادعى كل بأن العقل ما قد قلته دون الفريق الثاني

يارب قد حار العباد بعقل من ... يزنون وحيك فأت بالميزان
وبعقل من يقضي عليك فكلهم ... قد جاء بالمعقول والبرهان
يارب أرشدنا إلى معقول من ... يقع التحاكم أننا خصمان

هذا كما قال شيخ الاسلام في «الحموية»: ثم المخالفون للكتاب والسنة في أمر مريج، فان من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علماً وقدرة، وأن يكون كلامه غير مخلوق، ونحو ذلك، يقول: إن العقل أحال ذلك، فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة، يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل، ومن زعم أن الله ليس فوق العرش، يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر الى التأويل، ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب مايدعي الآخر أن العقل أحاله، فياليت شعري، بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟ فرضي الله عن مالك بن أنس الامام حيث قال: أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد ﷺ لجدل هؤلاء؟! انتهى قوله.

جاؤوا بشبهات وقالوا إنها ... معقولة ببداية الأذهان
كل يناقض بعضه بعضاً وما ... في الحق معقولان مختلفان
وقضوا بها كذباً عليك وجرأة ... منهم وما التفتوا إلى القرآن
يارب قد أوهى النفاة حبائل الـ ... ـقرآن والآثار والايمان
يارب قد قلب النفاة الدين والـ ... ـإيمان ظهرا منه فوق بطان

يارب قد بغت النفاة و أجابوا | بالخيل والرجل الحقير الشان
نصبوا الحبائل والغوائل للألى | أخذوا بوحيك دون قول فلان
ودعوا عبادك أن يطيعوهم فمن | يعصيهم ساموه شر هوان
وقضوا على من لم يقل بضلالهم | باللعن والتضليل والكفران
وقضوا على أتباع وحيك بالذي | هم أهله لا عسكر الفرقان
وقضوا بعزلهم وقتلهم وحبـ | ـسهم ونفيهم عن الأوطان
وتلاعبوا بالدين مثل تلاعب الـ | ـحمر التي نفرت بلا ارسان
حتى كأنهم تواصوا بينهم | يوصي بذلك أول للثاني
هجروا كلامك هجر مبتدع لمن | قد دان بالآثار والقرآن
فكأنه فيما لديهم مصحف | في بيت زنديق أخي كفران
أو مسجد بجوار قوم همهم | في الفسق لا في طاعة الرحمن
وخواصهم لم يقرؤوه تدبرا | بل للتبرك لا لفهم معان
وعوامهم في السبع أو في ختمه | أو تربة عوضاً لذي الاثمان
هذا وهم حرفية التجويد أو | صوتية الأنغام والالحان
يارب قد قالوا بأن مصاحف الـ | ـاسلام ما فيها من القرآن
إلا المداد وهذه الأوراق والـ | ـجلد الذي قد سل من حيوان

هذا كما حكى الحافظ أبو محمد بن حزم في كتاب « الملل والنحل » قال: ولقد أخبرني علي بن حمزة المرادي الصقلي الصوفي أنه رأى بعض الأشعرية

ينطح المصحف برجله . قال : فأكبرت ذلك وقلت له : ويحك تفعل هذا الفعل بالمصحف وفيه كلام الله عز وجل ؟! فقال لي : ويحك والله مافيه الا السخام والسواد . وأما كلام الله تعالى فلا ، أو كلاماً هذا معناه . قال أبو محمد : وكتب إلي أبو المرجى علي بن زوار المصري رحمه الله تعالى أن بعض ثقات إخوانه من طلاب السنن أخبره أن رجلاً من الأشعرية قال له مشافهة على من يقول : ان الله تعالى قال : (قل هو الله احد . الله الصمد) ألف لعنة. قال أبو محمد : بل على من ينكر أن الله تعالى قالها ألف ألف لعنة وعلى من ينكر أنه يسمع كلام الله عز وجل ويقرأ كلام الله عز وجل ألف ألف لعنة تترى عليه من عند الله عز وجل ، ثم من ملائكته ، وأنبيائه ، وجميع الصالحين من الانس والجن ، فان قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل ، ومخالفة القرآن ، وتكذيب رسول الله ﷺ ، ومضادة جميع أهل الاسلام قبل حدوث هذه الطائفة . انتهى كلامه .

قوله : وعوامهم في السبع . قال في « القاموس » السبع بالضم وكأمير : جزء من سبعة .

قوله : أو في ختمة . ختم الشيء ختماً : بلغ آخره .

والكل مخلوق ولست بقائل أ ء لا ولا حرفاً من القرآن
إن ذاك الا قول مخلوق وهل هو جبرئيل أو الرسول فذان
قولان مشهوران قد قالتهما أشياخهم يامحنة القرآن

يشير الى قول الأشاعرة : إن كلام الله عز وجل هو المعنى النفسي ، وإن الفاظ القرآن مخلوقة ، ولكن هل الذي أنشأها جبريل ، أو محمد ﷺ ؟ على قولين لهم مشهورين .

لو داسه رجل لقالوا لم يطأ إلا المداد وكاغد الانسان

يارب زالت حرمة القرآن من تلك القلوب وحرمة الايمان
وجرى على الافواه منهم قولهم مابيننا لله من قرآن
ما بيننا إلا الحكاية عنه والـــتعبير ذاك عبارة بلسان
هذا وما التالون عمالا به إذهم قد استغنوا بقول فلان
إن كان قد جاز الحناجر منهم فبقدر ماعقلوا من القرآن
والباحثون فقدموا رأي الرجا ل عليه تصريحاً بلا كتمان
عزلوه إذ ولوا سواه وكان ذا ك العزل قائدهم إلى الخذلان
قالوا ولم يحصل لنا منه يقـــين فهو معزول عن الايقان
إن اليقين قواطع عقليـة ميزانها هو منطق اليونان
هذا دليل الرفع منه وهذه أعلامه في آخر الأزمان
يارب من أهلوه حقا كي يرى أقدامهم منا على الأذقان
أهلوه من لا يرتضي منه بديـــلاً فهو كافيهم بلا نقصان
وهو الدليل لهم وهاديهم الى الـــايمان والايقان والعرفان
هو موصل لهمُ إلى درك اليقـــين حقيقة وقواطع البرهان
يارب نحن العاجزون بحبهم يـاقلة الأنصـار والأعوان

فصل

في أذان أهل السنة الاعلام بصريحها جهراً على رؤوس منابر الاسلام

ياقوم قدحانت صلاة الفجر فانـــتبهوا فاني معلن بأذان
لا بالملحن والمبدل ذاك بل تأذين حق واضح التبيان
وهو الذي حقاً أجابته على كل امرىء فرض على الأعيان

هذا تأذين لغوي ، لأن الأذان في اللغة : الاعلام . قال الله تعالى (وأذان من الله ورسوله ...) التوبة : ٣ الآية .

الله أكبر أن يكون كلامه الـــعربي مخلوقا من الأكوان
والله أكبر أن يكون رسوله الـــملكي أنشأه عن الرحمن
والله أكبر أن يكون رسوله الـــبشري أنشأه لنا بلسان

خلافاً للجهمية والمعتزلة ، والله أكبر أن يكون رسوله الملكي أنشأه عن الرحمن ؛ أي : جبريل عليه السلام كما يقوله القائلون بالكلام النفسي ، والله أكبر أن يكون رسوله البشري أنشأه لنا بلسان . أي : محمد ﷺ ، كما هو أحد القولين للقائلين بالكلام النفسي .

هذي مقالات لكم يا أمة التـــشبيه ما أنتم على ايمان

أي : إنهم شبهوا الرحمن تعالى بالأصنام التي لا تتكلم ، ثم بين وجه التشبيه

بقولـــه :

شبهتم الرحمن بالأوثان في عدم الكلام وذاك للأوثان

مما يدل بأنهـا ليسـت بآ لهة وذا البرهان في القرآن

في سورة الأعراف مع طه وثا لثها فلا تعدل عن القرآن

يعني قوله تعالى في سورة الاعراف : ١٤٨ (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يرو أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) الآية وفي سورة طه : ٨٨ (فأخرج لهم عجلاً جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولاً) الآية .

أيصح كون الجاحدين لكونه متكلماً بحقيقة وبيـان

هم أهل تعطيل وتشبيه معاً بالجامدات عظيمة النقصـان

لا تقذفوا بالداء منكم شيعة الـــرحمن أهل العلم والعرفان

أي : لا تسموا أهل الحديث والسنة مشبهة ، فانكم أهل التشبيه ، لأنكم شبهتم الرحمن بالجامدات في عدم الكلام .

ان الذي نزل الأمين به على قلب الرسول الواضح البرهان

هو قول ربي اللفظ والمعنى جميـــعاً اذ هما أخوان مصطحبان

لا تقطعوا رحماً تولى وصلها الـــرحمن تنسلخوا من الايمان

ولقد شفانا قول شاعرنا الذي قال الصواب وجاء بالاحسان

إن الذي هو في المصاحف مثبت بأنامل الاشياخ والشبـان

هو قول ربي آيه وحروفه ومدادنا والرق مخلوقان

الرق بفتح الراء الورق .

والله أكبر من على العرش استوى لكنه استولى على الأكوان

والله أكبر ذو المعارج من الـيه تعرج الاملاك كل أوان

والله أكبر من يخاف جلاله أملاكه من فوقهم ببيان

والله أكبر من غدا لسريره أط به[1] كالرحل للركبان

والله أكبر من أتانا قوله من عنده من فوق ست ثمان

نزل الأمين به بأمر الله من رب على العرش استوى رحمان

والله أكبر قاهر فوق العبا د فلا تضع فوقية الرحمن

من كل وجه تلك ثابتة له لاتهضموها ياأولي العدوان

قهراً وقدراً واستواء الذات فو ق العرش بالبرهان والقرآن

أي : إن أنواع العلو ثابتة لله سبحانه ، وهي علو القهر ، وعلو القدر، وعلو الذات .

فبذاته خلق السموات العلى ثم استوى بالذات فافهم ذان

فضمير فعل الاستواء يعود للـ ذات التي ذكرت بلا فرقان

أي : إن الضمير في قوله تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ يعود على الله أي : استوى هو .

---

(١) لايصح في أطيط العرش حديث .

هو ربنا هو خالق هو مستو بالذات هذي كلها بوزان
والله أكبر ذو العلو المطلق الـ ـمعلوم بالفطرات للانسان
فعلوه من كل وجه ثابت فالله أكبر جل ذو السلطان
والله أكبر من رقى فوق الطبا ق رسوله فدنا من الديان
واليه قد عرج الرسول حقيقة لاتنكروا المعراج بالبهتان
ودنا من الجبار جل جلاله ودنا اليه الرب ذو الاحسان(١)
والله قد أحصى الذي قد قلتم في ذلك المعراج بالميزان
قلتم خيالاً أو أكاذيباً أو الـ ـمعراج لم يحصل إلى الرحمن
إذ كان مافوق السموات العلى رب اليه منتهى الانسان
والله أكبر من أشار رسوله حقاً اليه بأصبع وبنان
في مجمع الحج العظيم بموقف دون المعرف موقف الغفران

قد تقدم الحديث في ذلك .

من قال منكم من أشار بأصبع قطعت فعند الله يجتمعان

هذا اشارة الى قول من قال من المعطلة : إن من اشار بأصبعه الى السماء ، وإن الله تعالى فوق خلقه ، تقطع أصبعه .

والله أكبر ظاهر مافوقه شيء وشأن الله أعظم شان
والله أكبر عرشه وسع السما والارض والكرسي ذا الاركان
وكذلك الكرسي قد وسع الطبا ق السبع والأرضين بالبرهان

(١) هذا على من قال بأن الرب عز وجل هو الذي دنا فتدلى ، وهو غير صحيح وهو أيضاً خلاف ما اختاره المصنف في بعض كتبه ، كمدارج السالكين وغيره . والصحيح أن جبريل عليه السلام هو الذي دنا فتدلى. انظر الجزء الأول صفحة (٣٩٩) و(٤٠٠).

والله فوق العرش والكرسي لا يخفى عليه خواطر الانسان
لاتحصروه في مكان إذ تقو لوا ربنا حقاً بكل مكان
نزهتموه بجهلكم عن عرشه وحصرتموه في مكان ثان

اشارة الى قول النجارية ، والضرارية : إنه تعالي في كل مكان .

لا تعدموه بقولكم لا داخل فينا ولا هو خارج الأكوان

اشارة الى قول الجهمية وأتباعهم : إنه تعالى لا داخل العالم ، ولا خارجه ، فان ذلك صفة المعدوم .

الله أكبر هتّكت أستاركم وبدت لمن كانت له عينـــان
والله أكبر جل عن شبه وعن مثل وعن تعطيل ذي كفران
والله أكبر من له الأسماء والـــ أوصاف كاملة بلا نقصان
والله أكبر جل عن ولد وصا حبة وعن كفء وعن أخدان
والله أكبر جل عن شبه الجما د كقول ذي التعطيل والكفران
هم شبهوه بالجماد وليتهم قد شبهوه بكامل ذي شان
الله أكبر جل عن شبه العبا د فذان تشبيهان ممتنعان
الله أكبر واحد صمد وكـــل الشأن في صمدية الرحمن
نفت الولادة والأبوة عنه والـــكفء الذي هو لازم الانسان
وكذاك أثبتت الصفات جميعها لله سالمة من النقصان

واليه يصمد كل مخلوق فلا صمد سواه عز ذو السلطان

تقدم الكلام في تفسير الصمد بما يغني عن الاعادة .

لاشيء يشبهه تعالى كيف يشـــبهه خلقه ماذاك في الامكان

لكن ثبوت صفاته و كلامه وعلوه حقاً بلا نكران

لاتجعلو الاثبات تشبيهاً له يافرقة التلبيس والطغيان

كم ترتقون بسلم التنزيه للـــتعطيل ترويجاً على العميان

أي انكم تسمون التعطيل تنزيهاً للترويج على العميـــان والجهال ، فاستعار لفظة السلم لهذا المعنى .

فالله أكبر أن تكون صفاته كصفاتنا جل العظيم الشان

هذا هو التشبيه لاإثبات أو صاف الكمال فما هما سيان

فصل

في تلازم التعطيل والشرك

واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ كانا هما لاشك مصطحبان

أبداً فكل معطل هو مشرك حتماً وهذا واضح التبيان

فالعبد مضطر إلى من يكشف الـــبلوى و يغني فاقة الانسان

واليه يصمد في الحوائج كلها واليه يفزع طالب لأمان
فاذا انتفت أوصافه وفعاله وعلوه من فوق كل مكان
فزع العباد إلى سواه وكان ذا من جانب التعطيل والنكران
فمعطل الأوصاف ذاك معطل الـ ـتوحيد حقاً ذان تعطيلان
قد عطلا بلسان كل الرسل من نوح إلى المبعوث بالقرآن
والناس في هذا ثلاث طوائف ما رابع أبداً بذي امكان
إحدى الطوائف مشرك بالهه فإذا دعاه دعا الهاً ثاني
هذا وثاني هذه الاقسام ذا لك جاحد يدعو سوى الرحمن
هو جاحد للرب يدعو غيره شركاً وتعطيلاً له قدمان
هذا وثالث هذه الأقسام خـ ـير الخلق ذاك خلاصة الانسان
يدعو الاله الحق لا يدعو سوا ه قط في الاكوان والأزمان
يدعوه في الرغبات والرهبات والـ ـحالات من سر ومن اعلان

لما ذكر في هذا الفصل أن الشرك والتعطيل متلازمان ، ذكر أن الناس ثلاث طوائف أحدها : المشركون وهم الذين جعلوا مع الله إلهاً آخر. والثانية: الجاحدون الذين يدعون غير الله ويجحدونه ، وهؤلاء قد جمعوا الشرك والتعطيل. والثالثة : الموحدون خلاصة الانسان الذين يدعون الله سبحانه في الرغبات والرهبات وجميع الحالات ، ثم قال :

توحيده نوعان علمي وقصـ ـدي كما قد جرد النوعان

في سورة الاخلاص مع تالنصـــــر الله قـــل يا أيهـــا ببيـــان
ولذاك قد شرعا بسنة فجرنا ... وكذاك سنة مغرب طرفان
فيكون مفتتح النهار وختمه ... تجريدك التوحيد للديان
وكذاك قد شرعا بخاتم وترنا ... ختما لسعي الليـل بالآذان
وكذاك قد شرعا بركعتي الطوا ... ف وذاك تحقيق لهذا الشان
فهما إذاً أخوان مصطحبان لا ... يتفارقان وليس ينفصلان
فمعطل الأوصاف ذو شرك كذا ... ذو الشرك فهو معطل الرحمن
أو بعض أوصاف الكمال له فحـــقق ذا ولا تسرع إلى النكران

قوله : توحيده قصدي الخ . شرح هذه الأبيات ماذكره الناظم رحمه تعالى في «بدائع الفوائد» في الكلام على سورة (قل يا أيها الكافرون) قال : ولهذا كان النبي ﷺ يقرأبها وبـ (قل هو الله أحد) في سنة الفجر ، وسنة المغرب ، فان هاتين السورتين سورتا الاخلاص ، وقد اشتملا على نوعي التوحيد الذي لا فلاح للعبد ولا نجاة الا بهما ، وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزية الله عما لا يليق به من الشرك ، والولد، والوالد ، وأنه إله أحد صمد ، لم يلد . فيكون له فرع ، ولم يولد فيكون له أصل ، ولم يكن له كفواً أحد فيكون له نظير ، ومع هذا الذي قد اجتمعت له صفات الكمال كلها ، فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله ، من صفات الكمال ، ونفي ما لا يليق به من الشريك أصلا وفرعاً ونظيراً ، فهذا توحيد العلم والاعتقاد ، والثاني توحيد القصد والارادة ، وهو أن لا يعبد الا الله ، فلا يشرك به في عبادته سواه ، بل يكون وحده هو المعبود . وسورة (قل يا ايها الـكافرون)

مشتملة على هذا التوحيد، فانتظمت السورتان نوعي التوحيد، وأخلصت له، فكان النبي ﷺ يفتتح بهما النهار في سنة الفجر، ويختم بهما في سنة المغرب. وفي «السنن» أنه كان يوتر بهما فيكونا خاتمة عمل الليل، كما كانا خاتمة عمل النهار. انتهى.

فصل

في بيان أن المعطل شر من المشرك

لكن أخو التعطيل شر من أخي الـ ... إشراك بالمعقول والبرهان
إن المعطل جاحد للذات أو ... لكمالها هذان تعطيلان
متضمناً للقدح في نفس الالو ... هة كم بذاك القدح من نقصان
والشرك فهو توسل مقصوده الـ ... زلفى من الرب العظيم الشان
بعبادة المخلوق من حجر ومن ... بشر ومن قبر ومن أوثان
فالشرك تعظيم بجهل من قيا ... س الرب بالأمراء والسلطان
ظنوا بأن الباب لا يغشى بدو ... ن توسط الشفعاء والاعوان
ودهاهمُ ذاك القياس المستبين فساده ببديهة الانسان
الفرق بين الله والسلطان من ... كل الوجوه لمن له أذنان

إن الملوك لعاجزون وما لهم علم بأحوال الدعا بأذان
كلا و لاهم قادرون على الذي يحتاجه الانسان كل زمان
كلا وما تلك الارادة فيهم تقضي حوائج كلها انسان
كلا ولا وسعوا الخليقة رحمة من كل وجه هم أولو النقصان
فلذلك احتاجوا إلى تلك الوسا ئط حاجة منهم مدى الأزمان

ذكر رحمه الله في هذه الأبيات أن المعطل شر من المشرك ، ثم بين ذلك بقوله : إن المعطل جاحد للذات أو لكمالها الخ . وذلك يتضمن القدح في الألوهية ، وأما الشرك فهو توسل ، أي تقرب مقصوده الزلفى ، أي : تقريباً من الرب سبحانه ، وذلك بعبادة المخلوقات ، سواء كانت حجراً ، أو قبراً ، أو بشراً ، أو وثناً . وأصل الشرك تعظيم الله سبحانه ، لكن بجهل ، وذلك أن المشركين قاسوا الرب سبحانه بالملوك ، قالوا : إن الملك لا يحصل القرب منه إلا بتوسط الشفعاء ، وهذا القياس من أبطل الباطل ، وفساده ظاهر ببديهة العقل ، وذلك أن الملوك عاجزون لا علم لهم بأحوال الرعايا ، ولا قدرة لهم على حوائج الخلق ، ولا وسعوا الخلائق رحمة ، بل هم عاجزون ، ناقصون ، فقراء الى الله سبحانه فقراً ذاتياً ، والفرق بين الله تعالى وبين الملوك ظاهر من جميع الوجوه . ثم بين غناء الرب سبحانه وكمال علمه وقدرته ، وأن الخلق جميعهم في قبضته ، وهم فقراء اليه ، وهو الغني عنهم غناء ذاتياً ، وهم في غاية الحاجة اليه ، فقال :

أما الذي هو عالم للغيب مقـ تدر على ماشاء ذو إحسان
وتخافه الشفعاء ليس يريد منـ هم حاجة جل العظيم الشان

بل كل حاجات لهم فإليه لا لسواه من ملك ولا انسان
وله الشفاعة كلها وهو الذي في ذاك يأذن للشفيع الداني
لمن ارتضى ممن يوحده ولم يشرك به شيئاً كما قد جاء في القرآن
سبقت شفاعته اليه فهو مشفوع اليه وشافع ذو شان
فلذا أقام الشافعين كرامة لهمُ ورحمة صاحب العصيان
فالكل منه بدا ومرجعه اليه وحده ما من اله ثان
غلط الألى جعلوا الشفاعة من سواه اليه دون الإذن من رحمن
هذي شفاعة كل ذي شرك فلا تعقد عليها يا أخا الايمان
والله في القرآن أبطلها فلا تعدل عن الآثار والقرآن
وكذا الولاية كلها لله لا لسواه من ملك ولا انسان

تقدم بسط الكلام في معاني هذه الابيات بما أغنى عن الاعادة .

والله لم يفهم أولو الاشراك ذا ورآه تنقيصاً اولو النقصان
إذ قد تضمن عزل من يدعى سوى الرحمن بل أحدية الرحمن
بل كل مدعو سواه من لدن عرش الاله إلى الحضيض الداني
هو باطل في نفسه ودعاء عابده له من أبطل البطلان
فله الولاية والولاية ما لنا من دونه وال من الأكوان

فإذا تولاه امرؤ دون الورى　　طراً تولاه عظيم الشان

الولاية الأولى بفتح الواو لاغير ؛ أي المحبة والنصر . والثانية بكسر الواو : الامارة . قوله طراً ؛ أي : جميعاً .

وإذا تولى غيره من دونه　　ولاه مايرضى به لهوان
في هذه الدنيا وبعد مماته　　وكذاك عند قيامة الأبدان
حقاً يناديهم نداً سبحانه　　يوم المعاد فيسمع الثقلان
يامن يريد ولاية الرحمن دو　　ن ولاية الشيطان والأوثان
فارق جميع الناس في إشرا كهم　　حتى تنال ولايـة الرحمن
يكفيك من وسع الخلائق رحمة　　وكفاية ذو الفضل والاحسان
يكفيك من لم تخل من احسانه　　في طرفة تتقلب الأجفان
يكفيك رب لم تزل ألطافه　　تأتي اليك برحمة وحنان
يكفيك رب لم تزل في ستره　　ويراك حين تجيء بالعصيان
يكفيك رب لم تزل في حفظه　　ووقاية منه مدى الأزمان
يكفيك رب لم تزل في فضله　　متقلباً في السر والاعلان
يدعوه أهل الأرض مع أهل السما　　ء فكل يوم ربنا في شان
وهو الكفيل بكل مايدعونه　　لايعتري جدواه من نقصان
فتوسط الشفعاء والشركاء والـ　　ـظهراء أمر بيّن البطلان

مافيه إلا محض تشبيه لهم بالله وهو فأقبح البهتان
مع قصدهم تعظيمه سبحانه ماعطلوا الأوصاف للرحمن
لكن أخو التعطيل ليس لديه إلا النفي أين النفي من ايمان
والقلب ليس يقر إلا بالتعبـــد فهو يدعوه الى الأكوان
فترى المعطل دائماً في حيرة متنقلاً في هذه الأعيـــان
يدعو إلهاً ثم يدعو غيره ذا شأنه أبداً مدى الأزمان
وترى الموحد دائماً متنقلا بمنازل الطاعات والاحسان
مازال ينزل في الوفاء منازلا وهي الطريق له إلى الرحمن
لكنما معبوده هو واحد ماعنده ربان معبـــودان

قولـــه : لايعتريني جدواه من نقصان .

قولـــه : جدواه الخ . الجدا بكسر الجيم والجدى بالقصر والجدوى العطية ، وجداه واجتداه واستجداه ؛أي : طلب جدواه ، وأجداه : أعطاه الجدوى ، قاله في « مختار الصحاح » وهذا كما في الحديث القدسي حديث أبي ذر الذي رواه مسلم : « ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد ، ثم سألوني فأعطيت كل انسان مسألته مانقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر »

وقولـــه ﷺ « يمين الله ملأى لايغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار أرأيتم ماأنفق منذ خلق السموات والأرض ، فانه لم يغض ما في يمينه وبيده الأخرى القسط ، يخفض ويرفع الى يوم القيامة » ثم ضرب الناظم

مثلاً للمشرك والمعطل فقال :

فصل

في مثل المشرك والمعطل

أين الذي قد قال في ملك عظـــيم لست فينا قط ذا سلطان
ما في صفاتك من صفات الملك شـــيء كلها مسلوبة الوجدان
فهل استويت على سرير الملك أو دبرت أمر الملك والسلطان
أو قلت مرسوماً تنفذه الرعا يا أو نطقت بلفظة ببيان
أو كنت ذا أمر وذا نهي وتكـــليم لمن وافى من البلدان
أو كنت ذا سمع وذا بصر وذا علم وذا سخط وذا رضوان
أو كنت قط مكلماً متكلماً متصرفاً بالفعل كل زمان
أو كنت تفعل ما تشاء حقيقة الـــفعل الذي قد قام بالأذهان
أو كنت حياً فاعلاً بمشيئة وبقدرة أفعال ذي السلطان
فعل يقوم بغير فاعله محا ل غير معقول لذي الانسان
بل حالة الفعال قبل ومع وبعـــد هي التي كانت بلا فرقان
والله لست بفاعل شيئاً إذا ما كان شأنك منك هذا الشان

لا داخلا فينا ولست بخارج   عنا خيالاً درت في الأذهان
فبأي شيء كنت فينا مالكاً   ملكاً عظيماً قاهر السلطان
إسماً ورسماً لاحقيقة تحته   شأن الملوك أجل من ذا الشان
هذا وثان قال أنت مليكنا   وسواك لانرضاه من سلطان
إذ حزت أوصاف الكمال جميعها   ولأجل ذا دانت لك الثقلان
وقد استويت على سرير الملك واسـ   ـتوليت مع هذا على البلدان
لكنّ بابك ليس يغشاه امرؤ   إن لم يجيء بالشافع المعوان
ويذل للبواب والحجاب والشـ   ـفعاء أهل القرب والاحسان
أفيستوي هذا وهذا عندكم   والله ماستويا لدى انسان
والمشركون أخف في كفرانهم   وكلاهما من شيعة الشيطان
ان المعطل بالعداوة قائم   في قالب التنزيه للرحمن

حاصل كلام الناظم في هذا الفصل أنه ضرب مثلاً للمشرك والمعطل ، فلسان حال المعطل يقول في إلهه سبحانه : إنك لست فينا ذا سلطان ، لأنك لم تستو على سرير الملك ، ولم تدبر أمر الملك والسلطان ، ولم تكلم ولاتتكلم ولست بفاعل فعلاً حقيقة ، بل فعلك هو المفعول ، بل حالك قبل الفعل ومعه وبعده سواء ، ولست داخلاً في العالم ولا خارجاً منه ، بل أنت خيال في الأذهان ، فبأي شيء كنت فينا مالكاً ؟! تعالى الله عما تقول المعطلة علواً كبيراً .

قـــوله : هذا وثان الخ . هذا هو المشرك ؛ أي :إن المشرك قال : يارب أنت مليكنا وخالقنا ، والمتصرف فينا ، وقد حزت أوصاف الكمال جميعها ، وقد استويت على سرير الملك ، واستوليت على المخلوقات والاكوان ، ولكن بابك لايغشى إلا بالشفعاء ، ولا بد مع ذلك من الذل للبواب والحجاب والشفعاء المقربين ، أفيستوي هذان عندكم ؟! حاشا وكلا ، بل المشركون أخف في كفرانهم ، والكل من شيعة الشيطان ، ولكن المعطل يزيد على المشرك بأنه قائم بالعداوة في قالب التنزيه .

فصل

فيما أعد الله تعالى من الاحسان للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عند فساد الزمان .

هذا وللمتمسكين بسنة الـــمختار عندفساد ذي الأزمان
أجر عظيم ليس يقدر قدره إلا الذي أعطاه للأنسان
فروى أبو داود في سنن له ورواه أيضاً أحمد الشيباني
أثراً تضمن أجر خمسين امرىء من صحب أحمد خيرة الرحمن
إسناده حسن ومصداق له في مسلم فافهمه فهم بيان
ان العبادة وقت هرج هجرة حقاً إلي وذاك ذو برهان
هذا فكم من هجرة لك أيها الــــسني بالتحقيق لا بأمان

هذا وكم من هجرة لهمُ بما قال الرسول وجاء في القرآن
ولقد أتى مصداقه في الترمذي لمن له أذنان واعيتان
في أجر محيي سنة ماتت فذا ك مع الرسول رفيقه بجنان
هذا ومصداق له ايضاً أتى في الترمذي لمن له عينان
تشبيه أمته بغيث أول منه وآخره فمشتبهان

قال شيخ الاسلام في بعض أجوبته . والحديث الذي يروى « مثل أمتي كمثل الغيث لايدرى أوله خير أو آخره » قد تكلم في اسناده ، وبتقدير صحته إنما معناه أنه يكون في آخر الأمة من يقارب أولها حتى يشتبه على بعض الناس أيهما خير ، كما يشتبه على بعض الناس طرفا الثوب ، مع القطع بأن الأول خير من الآخر ، فانه قال : لايدرى ، ومعلوم أن هذا السلب ليس عاماً ، فانه لابد أن يكون معلوماً أيهما أفضل .

فلذاك لايدري الذي هو منهما قد خص بالتفضيل والرجحان
ولقد أتى أثر بأن الفضل في الطرفين أعني أولاً والثاني
والوسط ذو ثبج فأعوج هكذا جاء الحديث وليس ذا نكران
ولقد أتى في الوحي مصداق له في الثلثين وذاك في القرآن
أهل اليمين فثلة مع مثلها والسابقون أقل في الحسبان

قال في « القاموس » : الثبج محركة : وسط الشيء ، ومعظمه . قال الله تعالى : (إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكاراً . عرباً أتراباً . لأصحاب

اليمين . ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين) الواقعة : ٣٥ ـ ٤٠ الثلة: الجماعة التي لا يحصيها عدد . قال الزجاج : معنى ثلة : فرقة ، من ثللت الشيء إذا قطعته ، والمعنى أنهم جماعة ، أو أمة ، أو فرقة ، أو قطعة من الأولين ، وهم من لدن آدم إلى نبينا ﷺ . وقال أبو العالية ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، والضحاك : ثلة من الأولين يعني من سابقي هذه الأمة ، وثلة من الآخرين من هذه الأمة .

أخرج مسدد ، وابن المنذر بسند حسن ، عن أبي بكرة عن النبي ﷺ في الآية قال : « جميعها من هذه الأمة » وعنه قال : « هما جميعاً من هذه الأمة » . وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « هما جميعاً من أمتي » . أخرجه عبد بن حميد ، وابن عدي ، والفريابي ، وغيرهم . قال السيوطي : بسند ضعيف ، وعنه قال : « الثلثان جميعاً من هذه الأمة » وبه قال أبو العالية ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، والضحاك ، وهو اختيار الزجاج فان قيل : كيف قال قبل هذا (وقليل من الآخرين) ثم قال هنا (وثلة من الآخرين) الواقعة : ٤٠ قيل ذاك في السابقين الأولين ، وقليل من يلحق بهم من الآخرين ، وهذا في أصحاب اليمين ، وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعاً .

ما ذاك الا ان تابعهم هم الـــغرباء ليست غربة الاوطان
لكنها والله غربة قائم بالدين بين عساكر الشيطان
فلذاك شبههم به متبوعهم في الغربتين وذاك ذو تبيان
لم يشبهوهم في جميع امورهم من كل وجه ليس يستويان
فانظر الى تفسيره الغرباء بالـــمحيين سنته بكل زمان

طوبى لهم والشوق يحدوهم الى　　أخذ الحديث ومحكم القرآن
طوبى لهم لم يعبؤوا بنجاته الـ　　أفكار او بزبالة الاذهان
طوبى لهم ركبوا على متن العزا　　ثم قاصدين لمطلع الايمان
طوبى لهم لم يعبؤوا شيئاً بذي الـ　　آراء اذ أغناهم الوحيان
طوبى لهم وامامهم دون الورى　　من جاء بالايمان والفرقان
والله ما ائتموا بشخص دونه　　الا اذا ما دلهم ببيان
في الباب آثار عظيم شأنها　　أعيت على العلماء في الأزمان
اذا أجمع العلماء ان صحابة الـ　　مختار خير طوائف الانسان
ذا بالضرورة ليس فيه الخلف بـ　　ين اثنين ما حكيت به قولان
فلذاك ذي الآثار أعضل امرها　　وبغوا لها التفسير بالاحسان
فاسمع اذاً تأويلها وافهمه لا　　تعجل برد منك أو نكران
ان البدار برد شيء لم تحط　　علماً به سبب الى الحرمان
الفضل منه مطلق ومقيد　　وهما لأهل الفضل مرتبتان

قوله : والفضل منه مطلق ومقيد ، معنى ذلك أن الفضل منه مطلق ومقيد ، فالفضل المطلق كفضل رسول الله ﷺ ، وفضل أصحابه على من بعدهم ، والفضل المقيد ، مثل خلق الله سبحانه آدم بيده ، فهذا الفضل المقيد لايوجب تفضيله على سيدنا محمد ﷺ ، وكذا خصائص من أتى من بعد آدم

من الرسل لايوجب تفضيلهم عليه ﷺ ، و كذا الأثر الذي فيه أن المتمسك بدينه في آخر الزمان له أجر خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ ، لايوجب ذلك أفضلية على رسول الله ﷺ ، لأنه في آخر الزمان ، وغربة الدين ، قد عدم المعين ، وصعب عليه القيام في وجوه أعداء الدين. وأما الصحابة رضي الله عنهم ، فهم ذوو أعوان وأنصار .

والفضل ذو التقييد ليس بموجب فضلا على الاطلاق من انسان
لايوجب التقييد أن يقضى له بالاستواء فكيف بالرجحان؟!
إذ كان ذو الاطلاق حاز من الفضا ئل فوق ذي التقييد بالاحسان
فاذا فرضنا واحداً قد حاز نو عاً لم يحزه فاضل الانسان
لم يوجب التخصيص من فضل عليـــه ولا مساواة ولا نقصان
ماخلق آدم باليدين بموجب فضلا على المبعوث بالقرآن
و لذا خصائص من أتى من بعده من كل رسل الله بالبرهان
فمحمد أعلاهم فوقا وما حكمت لهم بمزية الرجحان
فالحائز الخمسين أجراً لم يحز ها في جميع شرائع الايمان
هل حازها في بدر أو أُحد أو الـــفتح المبين وبيعة الرضوان
بل حازها إذ كان قد عدم الـــمعين وهم فقد كانوا أولي أعوان
والرب ليس يضيع ما يتحمل الـــمتحملون لأجله من شان
فتحمل العبد الضعيف رضاه مع فيض العدو وقلة الأعوان

مما يدل على يقين صادق ومحبة وحقيقة العرفـان

أي : تحمل العبد مع ضعفه للمشاق لأجل رضى ربه ، يدل على صدق يقينه ، وشدة محبته له ، ومعرفته به .

يكفيه ذلاً واغتراباً قلة الـ ـأنصار بين عساكر الشيطان

في كل يوم فرقة تغزوه ان ترجع يوافيه الفريق الثاني

فسل الغريب المستضام عن الذي يلقاه بين عدى بلا حسبان

هذا وقد بعد المدى وتطاول الـ ـعهد الذي هو موجب الاحسان

ولذاك كان كقابض جمراً فسل أحشاءه عن حر ذي النيران

يشير الى الحديث « القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر »[١]

والله أعلم بالذي في قلبه يكفيه علم الواحد المنان

في القلب أمر ليس يقدر قدره إلا الذي آتاه للانسان

بر وتوحيد وصبر مع رضى والشكر والتحكيم للقرآن

سبحان قاسم فضله بين العبا د فذاك مولي الفضل والاحسان

فالفضل عند الله ليس بصورة الـ أعمال بل بحقائق الايمان

وتفاضل الأعمال يتبع مايقو م بقلب صاحبها من البرهان

حتى يكون العاملان كلاهما في رتبة تبدو لنا بعيان

---

(١) رواه الترمذي ، وأبو داود ، وهو حديث حسن .

هذا وبينهما كما بين السما والأرض في فضل وفي رجحان
ويكون بين ثواب ذا وثواب ذا رتب مضاعفة بلا حسبان
هذا عطاء الرب جل جلاله وبذاك تعرف حكمة الديان

أي : إن الفضل عند الله بحسب ما في القلوب من الايمان واليقين ، لا بحسب صور الأعمال وكثرتها ، كما قال بكر بن عبد الله المزني : ما سبقهم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، ولكن بشيء وقر في قلبه .

فصل

فيما أعد الله تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

ياخاطب الحور الحسان وطالباً لوصالهن بجنة الحيوان
لو كنت تدري من خطبت ومن طلبـت بذلت ماتحوي من الأثمان
أو كنت تدري أين مسكنها جعـلت السعي منك لها على الاجفان
ولقد وصفت طريق مسكنها فان رمت الوصال فلا تكن بالواني
أسرع وحث السير جهدك انما مسراك هذا ساعة لزمان
فاعشق وحدث بالوصال النفس وابـذل مهرها مادمت ذا امكان
واجعل صيامك قبل لقياها ويو م الوصل يوم الفطر من رمضان
واجعل نعوت جمالها الحادي وسر تلقى المخاوف وهي ذات أمان

لما حث الناظم رحمه الله تعالى على طلب الوصال للحور العين كما قال بعضهم : وصم عن لذات الدنيا ، واجعل فطرك الموت ، شرع في ذم الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة فقال :

لا يلهينك منزل لعبت به أيدي البلى مذ سالف الأزمان

البلى : بكسر الباء .

فلقد ترحل عنه كل مسرة وتبدلت بالهم والأحزان
سجن يضيق بصاحب الايمان لـــكن جنة المأوى لذي الكفران
سكانها أهل الجهالة والبطــ لة والسفاهة أنجس السكان
وألذهم عيشاً فأجهلهم بحــق الله ثم حقائق القرآن
عمرت بهم هذي الديار وأقفرت منهم ربوع العلم والايمان
قد آثروا الدنيا ولذة عيشها الـــفاني على الجنات والرضوان
صحبوا الأماني وابتلوا بحظوظهم ورضوا بكل مذلة وهوان
كدحاً وكداً لا يفتّر عنهم ما فيه من غم ومن أحزان
والله لو شاهدت هاتيك الصدو ر رأيتها كمراجل النيران

المراجل : جمع مرجل ، وهو القدر .

ووقودها الشهوات والحسرات والـــآلام لا تخبو مدى الأزمان
أبدانهم أحداث هاتيك النفو س اللاء قد قبرت مع الأبدان

أرواحهم في وحشة وجسومهم ... في كدحها لا في رضى الرحمن
هربوا من الرق الذي خلقوا له ... فبلوا برق النفس والشيطان

أي : إنهم والعياذ بالله هربوا من الرق الذي خلقوا له ، وهو عبادة الله وحده ، كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) الذاريات : ٥٦ فبلوا برق النفس والشيطان ؛ أي : فاستخدمتهم الشياطين ، واسترقتهم في تحصيل الشهوات الفانية ، وجمع عرض الدنيا الخسيس ، وحطامها الفاني ، فأعقبهم ذلك الحسرة والندامة ، وصار عاقبة ذلك العذاب الأليم ، نعوذ بالله من موجبات سخطه

لا ترض ما اختاروه هم لنفوسهم ... فقد ارتضوا بالذل والحرمان
لو ساوت الدنيا جناح بعوضة ... لم يسق منها الرب ذا الكفران
لكنها والله أحقر عنده ... من ذا الجناح القاصر الطيران

هذا معنى الحديث « لو ساوت الدنيا عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء »[1]

ولقد تولت بعد عن أصحابها ... فالسعد منها حل في الدبران
لا يرتجي منها الوفاء لصبها ... أين الوفا من غادر خوان
طبعت على كدر فكيف تنالها ... صفواً أهذا قط في الامكان؟
ياعاشق الدنيا تأهب للذي ... قد ناله العشاق كل زمان
أو ما سمعت بل رأيت مصارع الـ ... ـعشاق من شيب ومن شبان

(١) رواه الترمذي عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وقال: حديث حسن صحيح

فصل

في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل والمنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

فاسمع إذاً أوصافها وصفاتها   تيك المنازل ربة الاحسان
هي جنة طابت وطاب نعيمها   فنعيمها باق وليس بفان
دار السلام وجنة المأوى ومنـــزل عسكر الايمان والقرآن
فالدار دار سلامة وخطابهم   فيها سلام واسم ذي الغفران

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

درجاتها مائة وما بين اثنتـــين فذاك في التحقيق للحسبان
مثل الذي بين السماء وبين ها   ذي الأرض قول الصادق البرهان
لكنّ عاليها هو الفردوس مســـتوف بعرش الخالق الرحمن
وسط الجنان وعلوها فلذاك كا   نت قبة من أحسن البنيان
منها تفجر سائر الأنهار فالـــمنبوع منه نازل بجنان

«في مسند الامام أحمد» ، من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي ، فيقال : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله عز وجل » وفيه أيضاً من حديثه ﷺ « إن في الجنة مائة درجة ، ولو ان العالمين اجتمعوا في احداهن وسعتهم » وفيه عنه أيضاًصلى الله عليه وسلم قال: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأواصعد ، فيقرأ ويصعدبكل آية درجة ، حتى يقرأ آخر شيء معه » قال الناظم رحمه الله في « حادي الأرواح » وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة درجة . وأما حديث أبي هريرة عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة مائة درجة » فاما ان هذه المائة من جملة الدرج ، وإما أن يكون نهايتها هذه المائة ، وفي ضمن كل درجة درج دونها ، ويدل على المعنى الأول حديث معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى الصلوات الخمس ، وصام شهر رمضان ، كان حقاً على الله أن يغفر له هاجراً ، وقعد حيث ولدته أمه » قلت : يارسول الله ألا أخرج فأوذن الناس ؟ قال : « لا ، دع الناس يعملون ، فإن في الجنة مائة درجة ، بين كل درجتين مثل مابين السماء والارض ، وأعلاها درجة منها الفردوس ، وعليها يكون العرش ، وهي أوسط شيء في الجنة ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » رواه الترمذي . وروي أيضاً عن عبادة بن الصامت نحوه ، وفيه أيضاً من حديث أبي سعيد يرفعه « ان في الجنة مائة درجة » ورواه أحمد بدون لفظة « في » فان كان المحفوظ ثبوتها ، فهي من جملة درجها ، وان كان المحفوظ سقوطها ، فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار ، ولا تناقض بين تقدير مابين الدرجتين بالمائة ، وتقديرها بالخمس ، لاختلاف السير في

السرعة والبطء ، والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذا تقريباً للأفهام ، ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « في الجنة مائة درجة ، مابين الدرجتين مابين السماء والأرض ، وأبعد مما بين السماء والارض » قلت : يارسول الله لمن ؟ قال: « للمجاهدين في سبيل الله عز وجل » انتهى كلامه .

فصل

في أبواب الجنـــة

أبوابها حقاً ثمانية أتت　　في النص وهي لصاحب الاحسان
باب الجهاد وذاك أعلاها وباب الصوم يدعى الباب بالريان
ولكل سعي صالح باب ورب السعي منه داخل بأمان
ولسوف يدعى المرء من ابوابها　　جمعاً اذا وفى حلى الايمان
منهم ابو بكر هو الصديق ذا　　ك خليفة المبعوث بالقرآن

في « الصحيحين » من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان ، لايدخله إلا الصائمون » وفيهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله ، دعي من أبواب الجنة : ياعبد الله ، هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ،

ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان . فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يارسول الله ، ماعلى من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الابواب كلها ؟ فقال : «نعم وأرجو أن تكون منهم » .

وفي « صحيح مسلم » عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال : «مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ ، أو فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء » زاد الترمذي بعد التشهد « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » زاد أبو داود والامام أحمد « ثم يرفع نظره إلى السماء » وعند أحمد عن أنس يرفعه « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات : أشهد أن لا إله إلا الله الخ. وعن عتبة بن عبد الله السلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « مامن مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث ، الا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل » رواه ابن ماجه ، وعبد الله بن أحمد .

فصل

في مقدار مابين الباب والباب منها

سبعون عاماً بين كل اثنين منـــها قدرت بالعد والحسبان
هذا حديث لقيط المعروف بالخـــبر الطويل وذا عظيم الشان
وعليه كل جلالة ومهابة ولكم حواه بعد من عرفان

قال الناظم في « حادي الأرواح» روينا في « معجم الطبراني » عن عاصم ابن لقيط بن عامر ، خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ قال: قلت : يارسول الله ، فما الجنة والنار ؟ قال : لعمرو الهك ، ان للنار سبعة أبواب ، مامنها بابان الايسير الراكب بينهما سبعين عاماً ، وان للجنة ثمانية أبواب ، مامنها بابان الايسير الراكب بينهما سبعين عاماً . . » الحديث بطوله ، وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين هذا الباب والباب ، لان بين مكة وبصرى ، لا يحتمل التقدير بسبعين عاماً ، ولا يمكن حمله على باب معين ، بقوله « مامنها بابان ». انتهى كلامه .

فصل

في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها

لكنَّ بينهما مسيرة أربعيـــن رواه حبر الأمة الشيباني
في مسند بالرفع وهو لمسلم وقف كمرفوع بوجه ثان
ولقد روى تقديره بثلاثة الـــأيام لكن عند ذي العرفان
أعني البخاري الرضى هو منكر وحديث راويه فذو نكران

عن ابي هريرة في حديث الشفاعة بطوله قال ﷺ « فأنطلق وآتي العرش ، فأقع ساجداً لربي ، فيقيمني رب العالمين مقاماً لم يقمه أحدا قبلي ، ولا يقيمه أحداً بعدي ، فأقول : يارب أمتي أمتي ، فيقول : يا محمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن » وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب « والذي نفس محمد بيده إن مابين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو هجر ومكة » وفي لفظ « لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى » متفق على صحته ، وفي لفظ خارج الصحيح باسناده « ان ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر » وفي خطبة عتبة بن غزوان : لقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام » فهذا موقوف ، والذي قبله مرفوع . فان كان رسول الله ﷺ هو الذاكر لهم

ذلك ، كان هذا سعة مابين باب من أبوابها ، ولعله الباب الأعظم ، وان كان الذاكر غير رسول الله ﷺ ، لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقـــدم ، ولكن قد روى أحمد عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أنتم موفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله ، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وله كظيظ » وقد رواه ابن ابي داود عنه يرفعه « مابين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين » وفي « مسند عبد بن حميد » ثنا الحسن بن موسى ، ثنا ابن لهيعة ، ثنا دراج أبو السمح ، عن ابي الهيثم ، عن ابي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ قال « ان مابين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة » وحديث ابي هريرة أصح ، وهذه النسخة ضعيفة ، والله أعلم .

وروى ابو الشيخ عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « الباب الذي يدخل منه اهل الجنة مسيرة الراكب المجـــد » ثلاثاً « ثم انهم ليضغطون عليه ، حتى تكاد مناكبهم تزول » رواه ابو نعيم عنه . وهـــذا مطابق للحديث المتفق عليه « ان مابين المصراعين كما بين مكة وبصرى » فان الراكب المجود غاية الاجادة على اسرع هجين لايقر ليلاً ولانهاراً ، يقطع هذه المسافه في هذا القدر ، أو قريب منه . وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواته ، فحماد بن سلمة ذكر عن الجريري « أربعين عاماً » وخالد ذكر عنه « سبع سنين » . وفي حديث ابي سعيد المرفوع « أربعون عاماً » وفي طريقه دراج . قال أحمد : أحاديثه مناكير . وقال أبو حاتم الرازي : ضعيف . وقال النسائي : ليس بالقوي ، فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث ابي هريرة المتفق على صحته ، على أن حديث حكيم ليس التقدير فيه بظاهر الرفع ، ويحتمل أنه مدرج في الحديث موقوف ، فيكون كحديث عتبه بن غزوان ، والله اعلم . انتهى كلام الناظم في « حادي الارواح » ملخصاً فهذا كلامه في « حادي الأرواح »

وظاهره ترجيح رواية التقدير بثلاثة أيام ، ولهذا جمع بينه وبين حديث ابي هريرة المتفق عليه الذي فيه « ان مابين المصراعين لكما بين مكة وبصرى » وفي هذا النظم ذكر عن البخاري أنه منكر ، والله اعلم .

فصل

في مفتاح باب الجنة

هذا وفتح الباب ليس بممكن الا بمفتـــاح على أسنان
مفتاحه بشهادة الاخلاص والتــــوحيد تلك شهادة الايمان
أسنانه الاعمال وهي شرائع الـــاسلام والمفتاح بالاسنان
لاتلغين هذا المثال فكم به من حل إشكال لذي العرفان

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : « مفتاح الجنة شهادة ان لا اله الا الله » رواه احمد . وذكر البخاري في « صحيحه » عن وهب بن منبه أنه قيل له : أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح ، والا لم يفتح . وعن أنس قال : قال أعرابي : يارسول الله ، مامفتاح الجنة ؟ قال : « لا اله الا الله » رواه ابو نعيم . وذكر ابو الشيخ عن يزيد بن سخبرة أن السيوف مفاتيح الجنة . وفي « المسند » من حديث معاذ بن جبل

قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أدلكم على باب من أبواب الخير ؟ قلت : بلى ، قال : « لاحول ولاقوة الا بالله » .

قال الناظم في « حادي الارواح » : وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به ، فجعل مفتاح الصلاة الطهور ، ومفتاح الحج الاحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال ، وحسن الإصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر ومفتاح الولاية المحبة ، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ، ومفتاح الايمان التفكر فيما دعا الله عباده الى التفكر فيه ، ومفتاح الدخول على الله، إسلام القلب ، وسلامته له ، والاخلاص له في الحب والبغض له ، والفعل والترك ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن ، والتضرع بالاسحار ، وترك الذنوب ، ومفتاح حصول الرحمة ؛ الاحسان في عبادة الخالق ، والسعي في نفع عبيده ، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ، ومفتاح العز طاعـــة الله ورسوله ، ومفتاح الاستعداد الآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل . وهذا باب عظيم من أنفع ابواب العلم ، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر ، ولا يوفق لمعرفته ومراعاته الا من عظم حظه وتوفيقه ، فان الله سبحانه جعل لكل خير وشر ومفتاحاً وباباً يدخل منه اليه ، كما جعل الشرك والكبر والاعراض عما بعث الله به رسوله ، والغفلة عن ذكره ، والقيام بحقه مفتاحاً للنار ، كما جعل الخمر مفتاح كل إثم ، وجعل الغناء مفتاح الزنا ، وجعل اطلاق النظر في الصور مفتاح العشق والطلب ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان ، وجعل المعاصي مفتاح الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل ، وقطيعة الرحم ، وأخذ المال من غير

حله ، وجعل الاعراض عما جاء به الرسول ﷺ مفتاح كل بدعة وضلال ، وهذه أمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة ، وعقل يعرف به ما في نفسه ، وما في الوجود من الخير والشر ، فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح ، وماجعلت مفاتيح له ، والله من وراء توفيقه وعدله ، له الملك ، وله الحمد ، وله النعمة والفضل ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

فصل

في منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها .

المنشور : ما كان غير مختوم من كتب السلطان .

هذا ومن يدخل فليس بداخل الا بتوقيع من الرحمن
وكذاك يكتب للفتى لدخوله من قبل توقيعان مشهوران
إحداهما بعد الممات وعرض أر واح العباد به على الديان
فيقول رب العرش جل جلاله للكاتبين وهم أولو الديوان
ذا الاسم في الديوان يكتب ذاك ديـ ـوان الجنان مجاور المنان
ديوان عليين أصحاب القرا ن وسنة المبعوث بالقرآن
فاذا انتهى للجسر يوم الحشر يعـ ـطى للدخول اذاً كتاباً ثاني
عنوانه هذا كتاب من عزيـ ـز راحم لفلان ابن فلان

فدعوه يدخل جنة المأوى التي ار تفعت ولكنّ القطوف دواني

هذا وقد كتب اسمه مذ كان في الـــأرحام قبل ولادة الانسان

بل قبل ذلك وهو وقت القبضتيـــن كلاهما للعدل والاحسان

سبحان ذي الجبروت والملكوت والـــاجلال والاكرام والسبحان

والله أكبر عالم الاسرار والـــاعلان واللحظات بالأجفان

والحمد لله السميع لسائر الـــأصوات من سر ومن اعلان

وهو الموحد والمسبح والممجـــد والحميد ومنزل القرآن

والأمر من قبلُ ومن بعدُ له سبحانك اللهم ذا السلطان

قال الله تعالى (كلا ان كتاب الابرار لفي عليين . وما أدراك ما عليون . كتاب مرقوم . يشهده المقربون) المطففين : ١٨-٢١ فأخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم ، تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقـــة ، وخص كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به ، بشهد المقربين من الملائكه والنبيين ، ولم يذكر شهادة هؤلاء كتاب الفجار تنويها بكتاب الأبرار ، وماوقع به لهم واشهاراً له ، واظهاراً بين خواص خلقه ، كما تكتب الملوك تواقيع من تعظمه من بين الامراء وخواص أهل المملكة ، تنويهاً باسم المكتوب ، واشارة بذكره ، وهذا نوع من صلوات الله سبحانه وملائكته على عبده .

وروى أحمد ، وابن حبان ، وابو عوانة في « صحيحيهما » من حديث البراء بن عازب الطويل في شأن القبر مرفوعاً « فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه الى الارض» وقال : «فيقول الله عز وجل

اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى، وتطرح روحه طرحاً . ورواه ابو داود بطوله ، فهذا التوقيع والمنشور الأول ، وأما المنشور الثاني وهو التوقيع الثاني الذي ذكره الناظم ، فعن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة أحد الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » رواه الطبراني في « معجمه » وعنه أن النبي ﷺ قال « يعطى المؤمن جوازاً على الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » أخرجها الطبراني في « معجمه » .

قوله : هذا وقد كتب اسمه الخ . أي : إن المؤمن وقع في قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين ، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه ، ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته ، ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة ، والله المستعان . فهذا ما اشتمل عليه هذا الفصل .

فصل

في صفوف أهل الجنة

هذا وان صفوفهم عشرون مع مئة وهذي الامة الثلثان

يرويه عنه بريدة اسناده شرط الصحيح بمسند الشيباني

وله شواهد من حديث أبي هريـــرة وابن مسعود وحبر زمان

أعني ابن عباس وفي اسناده رجل ضعيف غير ذي إتقان

ولقد أتانا في الصحيح بأنهم شطر وما اللفظان مختلفان
إذ قال أرجو أن تكونوا شطرهم هذا الرجاء منه للرحمن
أعطاه رب العرش ما يرجو وزا د من العطاء فعال ذي الاحسان

في « الصحيحين » عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قال : فكبرنا ، ثم قال : اني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون في الكفار الا كشعرة بيضاء في ثور أسود ، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض » هذا لفظ مسلم . وعن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، هذه الأمة منها ثمانون صفاً » رواه أحمد والترمذي ، واسناده على شرط الصحيح . ورواه الطبراني في « معجمه » من حديث ابن عباس ، وفي سنده خالد بن يزيد البجلي ، وقد تكلم فيه . ورواه أيضاً من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « كيف انتم وربع الجنة لكم ، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : كيف أنتم وثلثها ؟ قالوا : ذاك أكثر . قال : كيف أنتم والشطر لكم ؟ قالوا : ذاك أكثر . قال : أهل الجنة عشرون ومائة صف ، لكم منها ثمانون صفاً » . قال الطبراني : تفرد به خالد بن زياد . وروى عبد الله بن أحمد عن أبي هريرة قال : لما نزلت (ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين) الواقعة : ١٣ ، ١٤ قال رسول الله ﷺ : «أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة ، أنتم ثلثا أهل الجنة » قال الطبراني : تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري . وروى خيثمة بن سليمان ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال :

« أهل الجنة عشرون ومائة صف ، أنتم ثمانون صفاً » .

قال الناظم : وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها ، واختلفت مخارجها، وصح سند بعضها ، ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر ، لأنه ﷺ رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة ، فأعطاه الله ، وزاد عليه سدساً آخر . وروى أحمد عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة ، فكبرنا ، فقال : أرجو أن يكونوا الشطر » واسناده على شرط مسلم .

فصل

في صفة أول زمرة تدخل الجنة

هذا وأول زمرة فوجوههم ... كالبدر ليل الست بعد ثمان

السابقون همُ وقد كانوا هنا ... أيضاً أولي سبق إلى الاحسان

فصل

في صفة الزمرة الثانية

والزمرة الاخرى كأضوء كوكب ... في الافق تنظره به العينان

أمشاطهم ذهب ورشحهم فمسـك ... خالص ياذلة الحرمان

في « الصحيحين » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، لايبصقون ، ولا يتمخطون فيها ، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ، ولاتباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً » وفيها أيضاً عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر. الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لايبولون ، ولا يتغوطون ، ولايتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، وأخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء » .

فصل

في تفاضل اهل الجنة في الدرجات العلى

ويرى الذين بذيلها من فوقهم مثل الكواكب رؤية بعيان
ماذاك مختصاً برسل الله بل لهمُ وللصدّيق ذي الايمان

في « الصحيحين » عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الافق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل مابينهم ، قالوا : يارسول

الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » ولفظ البخاري « في الافق » وهو أبين . الغابر: هو الذاهب الماضي الذي قد تدلى للغروب . وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس فائدتان ، إحداهما بعده عن العيون ، والثانية أنَّ الجنة درجات ، بعضها أعلى من بعض ، وان لم تسامت العليا السفلى ، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله ، والله تعالى أعلم .

قال الناظم : في « حادي الأرواح »

فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

هذا وأعلاهم فناظر ربه ... في كل يوم وقته الطرفان
لكنَّ أدناهم وما فيهم دني ... إذ ليس في الجنات من نقصان
فهو الذي تلقى مسافة ملكه ... بسنيننا ألفان كاملتان
فيرى بها أقصاه حقاً مثل رؤ ... يته لأدناه القريب الداني
أو ماسمعت بأن آخر أهلها ... يعطيه رب العرش ذو الغفران
أضعاف دنيانا جميعاً عشر أمـ ... ـثال لها سبحان ذي الاحسان

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه ، وأزواجه ، ونعيمه ، وخدمه ، وسرره ، مسيرة

ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشياً ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة) القيامة : ٢٢، ٢٣ رواه الترمذي وقال : روي هذا الحديث من غير وجه عن ابن عمر غير مرفوع . ورواه ابن الجبر موقوفاً .

قلت : ورواه الطبراني في « معجمه » مرفوعاً « إن أدنى أهل الجنة منزلة الرجل في ملكه ألفي سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وسرره، وخدمه ... الحديث » ورواه أبو نعيم أيضاً عنه مرفوعاً .

قوله : أو ماسمعت بأن آخر أهلها الخ . روى مسلم من حديث المغيرة ابن شعبة، عن النبي ﷺ « ان موسى سأل ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة فقال : رجل يجيء بعد ما دخل أهــل الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة فيقول : رب كيف وقـد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له ! أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيـا ؟ فيقول : رضيت رب فيقول : لك ذلك ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله . فقال في الخامسة : رضيت رب . قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلم تر عين ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر »

وفي « الصحيحين » عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، رجل يخرج من النـار حبواً ، فيقول الله تعالى له : اذهب فادخل الجنة ، قـال : فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول الله له : اذهب فادخل الجنـة

قال: فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فان لك مثل الدنيا ، وعشرة أمثالها ، أو أن لك عشرة أمثال الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بي ، أو تضحك بي وأنت الملك ؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه . قال : فكان يقال : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة .

فصل

في ذكر سن أهل الجنة

هذا وسنهم ثلاث مع ثلا ... ثين التي هي قوة الشبان
وصغيرهم وكبيرهم في ذا على ... حد سواء ماسوى الولدان
ولقد روى الخدري أيضاً أنهم ... أبناء عشر بعدها عشران
وكلاهما في الترمذي وليس ذا ... بتناقض بل هاهنا أمران
حذف الثلاث ونيف بعد العقـــود وذكر ذلك عندهم سيان
عند اتساع في الكلام فعندما ... يأتوا بتحرير فبالميزان

قال الناظم : روى أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكلحين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً ، في عرض سبعة أذرع » قيل : تفرد به حماد عن علي بن زيد. وروى الترمذي واستغربه عن معاذ بن جبل ، أن النبي ﷺ قال « يدخل

أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين ، بني ثلاث وثلاثين» . وروى أبو بكر ابن أبي داود ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث أَهل الجنة على صورة آدم ، في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة ، جرداً مرداً مكحلين ، ثم يذهب بهم الى شجرة في الجنة ، فيكسون منها ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم »

قوله : ولقد روى الخدري الخ . قال الناظم في « حادي الأرواح » عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير ، يردون بني ثلاثين سنة في الجنة ، لا يزيدون عليها أبداً ، وكذلك أَهل النار » رواه الترمذي . قال الناظم : فان كان محفوظاً لم يناقض ماقبله ، فان العرب اذا قدرت بعدد له نيف ، فان لهم طريقين ، تارة يذكرون النيف للتحرز ، وتارة يحذفونه ، وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم . وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أَهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك ، على حسن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ، ثلاثاً وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد ، جرداً مرداً مكحلين » وروى ابن وهب عن أبي هريرة أنه قال ﷺ : « إن أَهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعاً وعلى ذلك قطعت سررهم » وفي «الصحيحين» «أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء » والرواية « على خلق» بفتح الخاء وسكون اللام ، والاخلاق كما تكون جمعاً للخلق بالضم ، فهي جمع للخلق بالفتح ، والمراد تساويهم في الطول والعرض والسن ، وإن تفاوتوا في الحسن والجمال ، ولهذا فسره بقوله : « على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء » وأما أخلاقهم وقلوبهم ، ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة « إن أول زمرة

تلج الجنة ... الحديث ، وفيه « لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً » .

فصل

في طول قامات أهل الجنة وعرضهم

والطول طول أبيهم ستون لكن عرضهم سبع بلا نقصان
الطول صح بغير شك في الصحيحين اللذين هما لنا شمسان
والعرض لم نعرفه في احداهما لكن رواه أحمد الشيباني
هذا ولا يخفى التناسب بين هذا العرض والطول البديع الشان
كل على مقدار صاحبه وذا تقدير متقن صنعة الانسان

قد تقدمت الأحاديث في طول أهل الجنة في « الصحيحين » وغيرهما . وأما العرض فهو كما قال الناظم : ليس في « الصحيحين » لكن قد رواه أحمد . قال الناظم : وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى ، فانه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة ، لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة ، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها ، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء ، ولا يخفى التناسب بين هذا الطول والعرض ، وأنه لو زاد أحدهما على الآخر ، فات الاعتدال وتناسب الخلقة ، ويصير طولا مع دقة ، أو غلظاً مع قصر ، وكلاهما غير مناسب ، والله أعلم . انتهى .

فصل

في حلاهم وألوانهم

ألوانهم بيض وليس لهم لحى　　جعد الشعور مكحلو الأجفان
هذا كمال الحسن في أبشارهم　　وشعورهم وكذلك العينان

اللحى بضم اللام جمع لحية بكسرها ، وقد تقدمت الأحاديث بذلك ، كالحديث الذي رواه الترمذي عن معاذ بن جبل ، أن النبي ﷺ قال : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين ، بني ثلاث وثلاثين » وروي عن أبي هريرة مرفوعاً « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع » .

فصل

في لسان أهل الجنة

ولقد أتى أثر بأن لسانهم　　بالمنطق العربي خير لسان
لكنّ في اسناده نظر ففيه راويان وماهما ثبتان

أعني العلاء هو ابن عمرو ثم يحـــيى الأشعري وذان مغموزان

تقدم حديث أنس بن مالك عند ابن ابي الدنيا ، وفيه « يدخل أهل الجنة الجنة على لسان محمد ﷺ » وروي عن ابن عباس قال : لسان أهل الجنة عربي . وكذا قال الزهري .

فصل

في ريح الجنة في مسيرة كم يوجد

والريح يوجد من مسيرة أربعـــين وان تشأ مائة فمرويان
وكذا روي سبعين أيضاً صح هـ ذا كلـه وأتى به أثران
ما في رجالهما لنا من مطعن والجمع بين الكل ذو إمكان
ولقد أتى تقديره مائة بخمـــس ضربها من غير ما نقصان
إن صح هذا فهو أيضاً والذي من قبله في غاية الامكان
أما بحسب المدركين لريحها قرباً وبعداً ماهما سيان
أو باختلاف قرارها وعلوها أيضاً وذلك واضح التبيان
أو باختلاف السير أيضاً فهو أنـــواع بقدر إطاقة الانسان
ما بين ألفاظ الرسول تناقض بل ذاك في الافهام والاذهان

روى الطبراني عن ابن عمرو عن النبي ﷺ قال « من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام » ورواه البخاري وقال : « ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » وعند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه « وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » وصححه . قال محمد بن عبد الواحد المقدسي : واسناده عندي على شرط الصحيح ، وعند الطبراني مرفوعاً « وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة عام » وعن أبي بكرة عنده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ريح الجنة يوجد من مسيرة عام » .

قال الناظم : وهذه الألفاظ لا تعارض فيها . وفي « الصحيحين » من حديث انس في قصة عمه قال : فشهد مع رسول الله ﷺ أحد ، فاستقبل سعد بن معاذ ، فقال له : الجنة ورب الكعبة إني لأجد ريحها من دون أحد . فقال : فقاتلهم حتى قتل .

قال الناظم : وريح الجنة نوعان ، ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لا تدركه العبارة ، وريح تدرك بحاسة الشم للأبدان ، كما تشم روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد ، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذي وجده أنس بن النضر ، يجوز أن يكون من هذا القسم ، وأن يكون من الأول . وروى أبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام » وروى الطبراني عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « ريح الجنة يوجد من مسيرة الف ، ولا يجدها عاق ولا قاطع رحم » وروى أبو داود الطيالسي في « مسنده » عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها

ليوجد من مسيرة خمسين عاماً » وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار من آثار الجنة وأنموذجاً منها ، من الرائحة الطيبة ، واللذات المشتهاة ، والمناظر البهية الحسنة ، والنعيم والسرور وقرة العين . وقد روى أبو نعيم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل للجنة طيبي لأهلك » فتزداد طيباً ، فذلك البرد الذي يجده الناس في السحر . والله أعلم

فصل

في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة

ونظير هذا سبق أهل الفقر للـ جنات في تقديره أثران
مائة بخمس ضربها او أربعين كلاهما في ذاك محفوظان
فأبو هريرة قد روى اولاهما وروى لنا الثاني صحابيان
هذا بحسب تفاوت الفقراء في استحقاق سبقهم الى الاحسان
أوذا بحسب تفاوت في الاغنيا ، كلاهما لا شك موجودان

روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يدخل فقراء المسلمين إلى الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم » وهو خمسمائة ، وصححه الترمذي ، ورجال اسناده احتج بهم مسلم في « صحيحه » وروى الترمذي عن جابر أنه قال : « يدخل فقراء امتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً » .
وفي « صحيح مسلم » عن ابن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً» وروى الطبراني عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام .. » الحديث بطوله ، والذي في الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفاً ، فاما أن يكون هو المحفوظ ، وإما أن يكون كلاهما محفوظاً ، ويختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء ، فمنهم من يسبق بخمسمائة ، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب جرائمهم

قال الناظم رحمه الله :

هذا وأولهم دخولاً خير خلـــق الله من قد خص بالقرآن

والأنبياء على مراتبهم من التـــفضيل تلك مواهب المنان

روى مسلم في « صحيحه » من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : « آتي باب الجنـة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخـازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أول الناس خروجـاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وقائدهم إذا وفدوا ، وشافعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، لواء الحمد بيدي ، ومفتاح الجنة بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ، ولا فخر ، يطوف علي ألف خادم ، وكأنهم اللؤلؤ المكنون » رواه الترمذي ، والبيهقي واللفظ له . وفي « صحيح مسلم » من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » .

وروى الطبراني عن أنس مرفوعاً « فيقوم الخازن ، فيقول : لاأفتح لأحد قبلك ، ولا أقوم لأحد بعدك » وروى الدار قطني عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : « إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي » قال الدارقطني : غريب

هذا وأمة أحمد سبّاق با   قي الخلق عند دخولهم لجنان
وأحقهم بالسبق أسبقهم الى الـ   اسلام والتصديق بالقرآن
وكذا أبو بكر هو الصديق أسـ   بقهم دخولاً قول ذي البرهان

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، فاختلفوا ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » وفي « الصحيحين » عنه عن النبي ﷺ قال : نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولاً الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم »

قولـه : وكذا أبو بكر الصديق الخ . روى أبو داود في « سننه » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أتاني جبريل فأخذ بيدي ، فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي ، فقال أبو بكر : يارسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر اليه . فقال : « أما إنك ياأبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي »

وروى ابن ماجة أن أولهم يصا   فحه اله العرش ذو الاحسان
ويكون أولهم دخولاً جنة الـ   فردوس ذلك قامع الكفران

فاروق دين الله ناصر قوله ورسوله وشرائع الايمان
لكنه أثر ضعيف فيه مجـروح يسمى خالداً ببيان
لو صح كان عمومه المخصوص بالصـديق قطعاً غير ذي نكران

روى ابن ماجه في « سننه » عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « أول من يصافحه الحق عمر ، وأول من يسلم عليه ، وأول من يأخذ بيده ، فيدخله الجنة »

قال الناظم في « حادي الأرواح »: هو حديث منكر جداً ، قال أحمد: داود بن عطاء ليس بشيء . وقال البخاري : منكر الحديث ، ثم لو صح لكان مخصوصاً بالحديث الذي تقدم ، وفيه قوله ﷺ « أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي »

هذا وأولهم دخولاً فهو حـمّاد على الحالات للرحمن
ان كان في السراء أصبح حامداً او كان في الضرا فحمد ثاني
هذا الذي هو عارف بالهه وصفاته وكماله الرباني
وكذا الشهيد فسبقه متيقن وهو الجدير بذلك الاحسان
وكذلك المملوك حين يقوم بالـحقين سبّاق بغير توان
وكذا فقير ذو عيال ليس بالـملحاح بل ذو عفة وصيان

وفي « صحيح مسلم » من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه مرفوعاً قال : « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال »

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ،النبي في الجنة ، والصديق في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره الا لله في الجنة » أخرج النسائي من هذا الحديث فضل النساء خاصة ، وباقي الحديث على شرطه .

فصل

في عدد الجنات وأجناسها

والجنة اسم الجنس وهي كثيرة   جداً ولكن أصلها نوعان
ذهبيتان بكل ماحوتاه من   حلي وآنية ومن بنيان
وكذاك ايضاً فضة ثنتان من   حلي وبنيان وكل أوان
لكن دار الخلد والمأوى وعد   ن والسلام اضافة لمعان
أوصافها استدعت اضافتها اليـ   ـها مدحة مع غاية التبيان
لكنما الفردوس اعلاها وأو   سطها مساكن صفوة الرحمن
أعلاه منزلة لأعلى الخلق منـ   ـزلة هو المبعوث بالقرآن
وهي الوسيلة وهي اعلى رتبة   خلصت له فضلاً من الرحمن

قولـه : والجنة اسم الجنس الخ . أي : انها أجناس كثيرة ، ولهذا قال : اسم جنس ، لأن الجنس يصدق على بعض أفراده ، فالجنة اسم شامل

بجميع ماحوته من البساتين ، والمساكن ،والقصور ، وهي جنات كثيرة جداً ، ولكن أصلها نوعان . وفي حديث أنس يرفعه : « إنها جنان ، وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى » أخرجه البخاري . وفي « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « جنتان من ذهب آنيتها وحليتها وما فيها ، وجنتان من فضة آنيتها وحليتها وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » :

قال الناظم : وقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) الرحمن : ٤٥ فذكرهما ، ثم قال : (ومن دونهما جنتان) الرحمن : ٦١ فهذه أربع . قالت طائفة : من دونها أي : أقرب منها الى العرش ، فيكونان فوقها . وقالت طائفة : تحتها ، وهذا في لغة العرب . وفي الصحاح دون نقيض فوق . ويقال : دون هذا ، أي أقرب منه ، والسباق يدل على تفضيل الجنتين الأولين بوجوه ، أحدها قوله : (ذواتا أفنان) الرحمن : ٤٧ جمع فنن ، وهو الغصن أو جمع فن ، وهو الصنف ، أي : أصناف شتى من الفواكه وغيرها ، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما . الثاني (فيهما عينان تجريان) الرحمن : ٤٩ وفي الأخريين (فيهما عينان نضاختان) الرحمن : ٦٥ وهي الفوارة . والجارية السارحة وهي أحسن من الفوارة ، لأنها تتضمن الفوارة والجريان . الثالث : (فيهما من كل فاكهة زوجان) الرحمن : ٥١ وفي الأخريين (فيهما فاكهة ونخل ورمان) الرحمن : ٦٧ ولاريب أن الأول أكمل . قالت طائفة . الزوجان . الرطب واليابس ، وفيه نظر . وقالت طائفة : صنف معروف ، وصنف من شكل غريب . وقال آخرون : نوعان ، ولم يزيدوا ، والظاهر أنه الحلو والحامض ، والأبيض والأحمر ، لأن اختلاف أصناف الفواكه أعجب وألذ

للعين والفم ، والله أعلم . الرابع : (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) الرحمن : ٥٣ وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها وفي الآخرين (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) الرحمن : ٧٦ وفسر الرفرف بالمجالس ، والبسط ، والفرش ، وعلى كل فلم يصفه بما وصف به فرش الأولين. الخامس (وجنى الجنتين دان) الرحمن : ٥٤ أي قريب سهل ، يتناولونه كيف شاؤوا ، ولم يذكر ذلك في الآخرين . السادس : (فيهن قاصرات الطرف) الرحمن ٥٦ أي على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم . وقال في الآخرين (حور مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ ومن قصرت طرفها على زوجها أكمل ممن قصرت بغيرها . السابع أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون واشراقه وحسنه ، ولم يذكر ذلك في التي بعدها . الثامن (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) الرحمن : ٦٠ وهذا يقتضي أن أصحابها من أهل الاحسان المطلق الكامل ، فكان جزاؤهم باحسان كامل . التاسع : أنه جعلها جزاء لمن خاف مقامه . والخائفون نوعان ، مقربون ، وأصحاب يمين ، فذكر جنتي المقربين ، ثم جنتي أصحاب اليمين . العاشر : أنه قال : (ومن دونهما جنتان)الرحمن : ٦٢ السياق يدل على أنه نقيض فوق ، فكان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ، ولأصحاب اليمين اللتان دونها ، والراجح أن لكل واحد جنتان . وقيل : لمجموع الخائفين ، يشتركون فيها ، ويرجح الأول قوله ﷺ « هما شأنان في رياض الجنة ، إحداهما جزاء أداء الأوامر ، والثانية جزاء اجتناب المحارم » انتهى كلامه .

قولـــه : إضافة لمعان . أي : إنها سميت دار الخلد ، وجنة المأوى ، وجنات عدن ، ودار السلام ، ونحو ذلك ، للمعاني التي تدل عليها هذه

الأسماء ، فسميت دار الخلد لأن أهلها لا يظعنون عنها ، كما قال تعالى (عطاء غير مجذوذ) هود : ١٠٨ وقال تعالى (إن هذا لرزقنا ماله من نفاذ) ص : ٥٤ وقال (أكلها دائم وظلها) الرعد : ٣٥ وقال : (وماهم منها بمخرجين) الحجر ٤٨ وأما اسمها دارا لمقامة ، فقد قال تعالى حكاية عن أهلها : (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . الذي أحلنا دار المقامة من فضله) فاطر : ٣٤ ، ٣٥ قال مقاتل : أنزلنا دار الخلود ، أقاموا فيها ، أبداً لايموتون ، ولا يتحولون منها أبداً . وقال الفراء والزجاج : المقامة مثل الاقامة . يقال : أقمت بالمكان إقامة ، ومقامة ، ومقاماً . وأما جنة المأوى فقد قال تعالى (عندها جنة المأوى) النجم : ١٥ والمأوى مفعل من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار اليه واستقر به . قال عطاء عن ابن عباس : هي الجنة التي يأوي اليها جبريل والملائكة . وقال مقاتل والكلبي : هي جنة تأوي اليها أرواح الشهداء . وقال كعب : جنة المأوى جنة فيها طير خضر يرتقي فيها أرواح الشهداء . وقال تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) النازعات : ٤٠ وأما جنة عدن . فقيل : اسم لجنة من الجنان . قال الناظم : والصحيح أنه اسم لجملة الجنات ، فكلها جنات عدن . قال تعالى : (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) مريم : ٦١ وقال تعالى : (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) فاطر : ٣٣ وقال تعالى : (ومساكن طيبة في جنات عدن) الصف : ١٢ والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن ، فانه من الاقامة والدوام . يقال : عدن بالمكان إذ أقام به ، وعدنت البلد ، توطنته ، وعدنت الابل بمكان كذا : لزمته فلم تبرح منه . قال الجوهري : ومنه جنات عدن ، أي جنات الاقامة ، ومنه سمي

المعدن بكسر الدال، لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ، ومركز كل شيء معدنه ، والعادن ، الناقة المقيمة في المرعى ، وأما اسمها دار السلام فقد سماها الله تعالى بهذا الاسم في قوله : (لهم دار السلام عند ربهم) الانعام ١٢٧ وقوله :(والله يدعو إلى دار السلام) وهي أحق بهذا الاسم ، فانها دار السلامة من كل بلية و آفة ومكروه ، وهي دار الله ، واسمه سبحانه (السلام) الذي سلمها وسلم أهلها ، وتحيتهم فيها سلام ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم ، والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم كما قال تعالى (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون . سلام قولا من رب رحيم) وكلامهم كله فيها سلام ، أي لا لغو فيها ، ولا فحش ، ولا باطل ، كما قال تعالى (لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً) مريم : ٦٢ وقد ذكر الناظم رحمه الله تعالى للجنة اثني عشر اسماً في كتابه «حادي الأرواح» وتكلم عن معانيها وبسط الكلام في ذلك ، والله أعلم .

قولـــه : لكنما الفردوس أعلاها الخ . عن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ، ثم صلوا علي ، فانه من صلى علي صلى الله عليه عشراً ، ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لاتنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » أخرجه مسلم . وروى أحمد عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال : « إذا صليتم علي فاسألوا الله لي الوسيلة » قيل : وما الوسيلة قال « أعلى درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو » هكذا الرواية « أن أكون أنا هو » ووجهها أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان المستتر فيها ، ولا يكون (أنا) فصلاً ولا توكيداً ، بل مبتدأ . وفي « الصحيحين » من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال حين

يسمع النداء « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقامـــاً محموداً الذي وعدته ، الا حلت له الشفاعة يوم القيامة » قال الناظم : هذا لفظ الحديث مقاما بالتنكير ليوافق لفظ الآية ، ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخصه ، جرى مجرى المعرفة ، فوصف بما توصف به المعارف ، وهذا لفظ من جعل (الذي وعدته) بدلا ، فتأمله ، وفي « المسند » عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة ، فاسألوا الله لي الوسيلة » ورواه ابن أبي الدنيا وقال : « فيه درجة في الجنة ليس في الجنة درجة أعلى منها ، فسلوا الله أن يؤتنيها على رؤوس الخلائق » وسميت درجة النبي ﷺ الوسيلة ، لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى ، وهي أقرب الدرجات إلى الله ، ومعنى الوسيلة والوصلة والقربة والزلفى واحد ، ولهذا كانت أفضل الجنة ، وأشرفها وأعظمها نوراً . قال فضيل بن عياض : تدرون لم حسنت الجنة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفها . وقال ابن عباس : نور سقف مساكنكم نور عرشه . وقال الحسن : إنما سميت عدن ، لأن فوقها العرش ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وللحور العدنية الفضل على سائر الحور . وفي الوسيلة معنى القرب اليه بأنواع الوسائل . قال الكلبي : اطلبوا اليه القربة بالأعمال الصالحة ، وقد كشف الله سبحانه هذا المعنى بقوله : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الاسراء : ٥٧ فقوله (أيهم أقرب) هو تفسير الوسيلة . ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه ، وأعلمهم وأشدهم له خشية ، وأعظمهم له محبة ، كانت منزلته أقرب المنازل الى الله ، وهي أعلى درجة في الجنة . وقوله « حلت عليه » يروى عليه وله ، فمن رواه باللام

فمعناه حصلت له، ومن رواه بـ(على) فمعناه وقعت عليه شفاعتي. انتهى كلام الناظم رحمه الله تعالى.

ولقد أتى في سورة الرحمن تفـــضيل الجنان مفصلاً ببيان
هي أربع ثنتان فاضلتان و يليهما ثنتان مفضولان
فالأوليان الفضليان لأوجه عشر ويعسر نظمها بوزان
واذا تأملت السياق وجدتها فيه تلوح لمن له عينان

تقدم الكلام على مضمون هذه الابيات، وذكرنا الأوجه العشرة في تفضيل الجنتين الأولين من كلام الناظم.

سبحان من غرست يداه جنة الـــفردوس عند تكامل البنيان
ويداه أيضاً أتقنت لبنائها فتبارك الرحمن أعظم بان
هي في الجنان كآدم وكلاهما تفضيله من أجل هذا الشان

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله بنى الفردوس بيده، وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر» رواه الحسن بن سفيان. وعن عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ «خلق الله تبارك وتعالى ثلاثة أشياء بيده، خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر، ولا الديوث» رواه الدارمي، والنجاد، وغيرهما.

قال الناظم: المحفوظ أنه موقوف، وفيه أبو معشر متكلم فيه. وقال ابن عمر: خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وعدن، وآدم،

ثم قال لسائر الخلق (كن) فكان » رواه الدارمي. وعن ميسرة: إن الله لم يمس شيئاً من خلقه غير ثلاث، خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده. ونحوه عن كعب، زاد ثم قال لها: تكلمي فقالت: (قد أفلح المؤمنون) المؤمنون: ١ رواهما الدارمي، وذكر البيهقي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ « إن الله أحاط حائطها لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وغرس غرسها بيده، وقال لها تكلمي، فقالت: (قد أفلح المؤمنون) فقال طوبى لك منزل الملوك» . وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « خلق الله جنة عدن بيده، لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء، ملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ، وحشيشها الزعفران، ثم قال لها: انطقي. قالت: (قد أفلح المؤمنون) فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل، ثم تلا رسول الله ﷺ (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر: ٩ والتغابن: ١٦. فتأمل هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها بيده، لمن خلقه بيده، ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً واظهاراً لفضل ماخلقه بيده، وشرفه بذلك عن غيره، فهذه الجنة في الجنان كآدم في نوع الحيوان.

لكنما الجهمي ليس لديه من ذا الفضل شيء فهو ذو نكران
ولد عقوق عق والده ولم يثبت بذا فضلا على الشيطان
فكلاهما تأثير قدرته وتأ ثير المشيئة ليس ثم يدان
إلا هما أو نعمتاه وخلقه كل بنعمة ربه المنان

أي أن الجهمية لما أنكروا يده سبحانه، وقالوا: هي يد القدرة، أو يد

النعمة ، فلم يثبتوا فضيلة لأبيهم آدم عليه السلام ، لأن اليد إذا كان معناها القدرة ، استوى آدم وابليس ، فإن كلاهما مخلوق بقدرة الله تعالى ، وقد عقوا أباهم آدم عليه السلام بذلك ، أي فآدم والشيطان كلاهما تأثير قدرته ومشيئته ، أو نعمتيه ، فان الكل مخلوق بنعمة ربه . والله أعلم .

لما قضى رب العباد العرش قا ل تكلمي فتكلمت ببيـــان
قد أفلح العبد الذي هو مؤمن ماذا ادخرت له من الاحسان

يشير إلى حديث أنس الذي رواه ابن أبي الدنيا قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله جنة عدن بيده ، لبنة من درة بيضـاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، ملاطها المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفران ، قال لها : انطقي قالت (قد أفلح المؤمنون) فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لايجاورني فيك بخيل ، ثم تلا رسول الله ﷺ : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر : ٩ والتغابن : ١٦ .

ولقد روى حقاً أبو الدرداء ذا ك عويمر أثراً عظيم الشان
يهتز قلب العبد عند سماعه طرباً بقدر حلاوة الايمـان
مامثله أبداً يقـــال برأيه أو كان ياأهلا بذا العرفـان
فيه النزول ثلاث ساعات فاحـــداهن ينظر في الكتاب الثاني
يمحو ويثبت مايشاء بحكمة وبعزة وبرحمة وحنـان
فترى الفتى يمسي على حال ويصـــبح في سواها ماهما مثلان

هو نائم وأموره قد دبّرت ليلا ولا يدري بذاك الشان
والساعة الأخرى إلى عدن مسا كن أهله هم صفوة الرحمن
الرسل ثم الأنبياء ومعهم الصديـــق حسب فلا تكن بجبان
فيها الذي والله لاعين رأت كلا ولا سمعت به الأذنان
كلا ولا قلب به خطر المثا ل له تعالى الله ذو السلطان
والساعة الأخرى إلى هذي السما ويقول هل من تائب ندمان
أو داع او مستغفر أو سائل أعطيه إني واسع الاحسان
حتى تصلى الفجر يشهدها معالـــ أملاك تلك شهادة القرآن
هذا الحديث بطوله وسياقه وتمامه في ســـنة الطبراني

قولــــه : ولقد روى حقاً أبو الدرداء الخ ، أي أن أبا الدرداء روى هذا الأثر موقوفاً عليه. ومثله لايقال بالرأي . قوله :أوكان؛أي: أو كان قاله برأيه ، فيا أهلا بذلك ، ولفظه « ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل ، فينظر الله تعالى في الساعة الأولى في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره ، فيمحو ما يشاء ، ويثبت ، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن فيه لايكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون ، وفيها مالم يره أحد ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم يهبط آخر ساعة من الليل ، فيقول : ألا مستغفر يستغفرني فأغفرله ، ألا سائل يسألني فأعطيه ، ألا داع يدعوني فأستجيب له ، حتى يطلع الفجر » رواه الطبراني في « معجمه » .

فصل

في بناء الجنــة

وبناؤها اللبنات من ذهب وأخـــرى فضة نوعان مختلفان
وقصورها من لؤلؤ وزبرجد   أو فضة أو خالص العقيان
وكذاك من در وياقوت به   نظم البناء بغاية الاتقان
والطين مسك خالص أو زعفرا   ن جا بذا أثران مقبولان
ليسا بمختلفين لا تنكرهما   فهما الملاط لذلك البنيان

قال الناظم في « حادي الأرواح » : روى أبو بكر بن مردويه ، عن ابن عمر قال : سئل رسول الله ﷺ عن الجنة ، فقال : « من يدخل الجنة يحيى لا يموت ، وينعم لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه » قيل : يارسول الله ، كيف بناؤها ؟ قال : لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها مسك أذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران » هكذا جاء في هذه الأحاديث أن ترابها الزعفران ، وكذلك روى يزيد بن زريع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « الجنة لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، ترابها الزعفران ، وطينها المسك » وفي « الصحيحين » عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : « أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » وهو قطعة من حديث المعراج . وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد عن تربة الجنة ، فقال : درمكة بيضاء ،

مسك خالص. فقال : صدق . وروى سفيان بن عيينة عن جابر بن عبد الله في قصة اليهود : فلما أن جاؤوه ، قالوا: ياأبا القاسم كم عدد خزنة أهل النار؟ فقال رسول الله ﷺ بيديه كلتيهما « هكذا ، وهكذا » وقبض واحدة ، أي تسعة عشر ، فقال لهم رسول الله ﷺ « ماتربة الجنة ؟ » فنظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا : خبزة ، فقال : « الخبزة من الدرمكة » فهذه ثلاث صفات في تربتها ، لاتعارض بينها ، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين المسك والزعفران . قال مغيث بن سمي : الجنة ترابها المسك والزعفران ، ويحتمل معنيين آخرين ، أحدهما أن يكون التراب من زعفران ، فإذا عجن بالماء صار مسكاً ، والطين يسمى تراباً . ويدل على هذا قوله : « ملاطها المسك » والملاط الطين ، ويدل عليه أن في حديث العلاء بن زياد « ترابها الزعفران ، وطينها المسك » فلما كانت تربتها طيبة ، وماؤها طيباً فأنظم أحدهما إلى الآخر حدث لها طيب آخر فصار مسكاً . الثاني : أن يكون زعفراناً باعتبار اللون ، مسكاً باعتبار الرائحة ، وهذا من احسن شيء يكون في البهجة ، والاشراق في لون الزعفران ، والرائحة في رائحة المسك ، وكذلك شبهها بالدرمك ، وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة ، مع لينها ونعومتها ، وهو معنى ماذكره سفيان بن عيينة عن مجاهد أن أرض الجنة من فضة ، وترابها المسك ، فاللون في البياض لون الفضة ، والرائحة رائحة المسك . وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر قال : قيل : يارسول الله ، كيف بناء الجنة ؟ قال : « لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، وملاطها مسك أذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران » وروى أبو الشيخ عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « قلت ليلة أسري بي : ياجبريل : انهم يسألوني عن الجنة قال : فأخبرهم أنها من درة بيضاء ،

وأن أرضها عقيان ، والعقيان الذهب ، فان كان محفوظاً فهي أرض الجنتين الذهبيتين، فيكون جبريل أخبر بأعلى الجنتين وأفضلهما ، والله أعلم. آخر كلامه.

قوله : وقصورها من لؤلؤ وزبرجد الخ . في « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤ واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » ومن حديث ابن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبي ﷺ: هذه خديجة أقرأها السلام ربها ، وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لاصخب فيه ولا نصب . والقصب ههنا اللؤلؤ المجوف . وروى ابن أبي الدنيا عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال: « ان في الجنة لقصراً من لؤلؤ ، ليس فيه صدع ولا وهن ، أعده الله عز وجل لخليله ابراهيم ».

فصل

في أرض الجنة وحصبائها وترابها

والأرض مرمرة كخالص فضة   مثل المراة[1] تنالها العينان
في مسلم تشبيهها بالدرمك الـ   صافي وبالمسك العظيم الشان
هذا لحسن اللون لكن ذا لطـ   ـيب الريح صار هناك تشبيهان
حصباؤها در وياقوت كذا   ك لآلىء نثرت كنثر جمان

---

(١) أي المرآة ، وسهل الهمزة لوزن الشعر .

وترابها من زعفران أو من الـــــمسك الذي ماستل من غزلان

تقدم شرح هذا الفصل في الفصل الذي قبله

فصل

في صفة غرفاتها

غرفاتها في الجو ينظر بطنها   من ظهرها والظهر من بطنان
سكانها أهل القيام مع الصيا   م وطيّب الكلمات والاحسان
ثنتان خالص حقه سبحانه   وعبيده أيضاً لهم ثنتان

روى الطبراني عن أبي مالك الأشعري ، أن رسول الله ﷺ قال « ان في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » ورواه ابن وهب عن ابن عمرو ، ولفظه « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام » قال محمد بن عبد الواحد ، وهذا عندي إسناد حسن . وفي حديث أبي سعيد « إن أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرف فوقهم ، كما تراؤون الكوكب الغابر في الافق » وروى الترمذي واستغربه عن علي قال : قال رسول الله ﷺ « ان في الجنة لغرفاً ترى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها » فقام اعرابي ، فقال : لمن هي يارسول الله ؟ قال : « لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وصلى بالليل والناس نيام »

فصل

في خيام أهل الجنة

للعبد فيها خيمة من لؤلؤ　　قد جوفت هي صنعة الرحمن
ستون ميلا طولها في الجو في　　كل الزوايا أجمل النسوان
يغشى الجميع فلا يشاهد بعضهم　　بعضاً وهذا لاتساع مكان
فيها مقاصير بها الأبواب من　　ذهب ودر زين بالمرجان
وخيامها منصوبة برياضها　　وشواطىء الأنهار ذي الجريان
ما في الخيام سوى التي لو قابلت　　للنيرين لقلت منكسفان
لله هاتيك الخيام فكم بها　　للقلب من علق ومن أشجان
فيهن حور قاصرات الطرف خيـ　　ـرات حسان هن خير حسان
خيرات أخلاق حسان أوجهاً　　فالحسن والاحسان متفقان

قد تقدم حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤ واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً » متفق عليه . وعن ابن مسعود في قوله (مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ قال : « در مجوف » وروى ابن المبارك عن أبي الدرداء قال : الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً من در.

فصل

في أرائكها وسررها

فيها الأرائك وهي من سرر علي ـــــهن الحجال كثيرة الألوان
لا تستحق اسم الأرائك دونها تيك الحجال وذاك وضع لسان
بشخانة يدعونها بلسان فا رس وهو ظهر البيت ذي الأركان

قال تعالى (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) الطور : ٢٠ وقال تعالى (ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين . على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين) الواقعة : ١٣ - ١٦ وقال تعالى (فيها سرر مرفوعة) الغاشية : ١٣ فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ، ليس بعضها خلف بعض ، ولا بعيداً من بعض ، والوضين في لغتهم النضة والنسج المضاعف بعضه فوق بعض . وقال الليث : الوضن نسج السرير وأشباهه . قالوا : موضونة : منسوجة بقصبات الذهب ، مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد . قال ابن عباس : سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير ، مثل ما بين مكة وأيلة . وقال الكلبي : طول السرير في السماء مائة ذراع ، فاذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه ، فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه . وأما الأرائك ، فهي جمع أريكة حتى يكون السرير في الحجلة ، فان كان سرير بغير حجلة لا يكون أريكة ، وان كانت حجلة بغير سرير لم يكن أريكة ، ولا يكون أريكة إلا والسرير

في الحجلة ، فإذا اجتمعا كانت أريكة . وقال مجاهد : هي الأسرة في الحجال . وقال الليث : الأريكة : سرير حجلة ، فالحجلة والسرير أريكة . وقال أبو ابو اسحق : الأرائك الفرش في الحجال .

قال الناظم في « حادي الأرواح » قلت : هاهنا ثلاثة أشياء ، أحدها السرر ، والثاني الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه ، والثالثة الفراش الذي على السرير ، ولا يسمى السرير أريكة حتى يجتمع ذلك كله . وفي «الصحاح» الاريكة : سرير متخذ مزين في قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة . وفي الحديث أن خاتم النبي ﷺ كان مثل زر الحجلة ، وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها .

قولــه : بشخانة يدعونها الخ . أي : إن الأريكة تسمى بلسان الفرس بشخانة .

فصل

في أشجارها وثمارها وظلالها

أشجارها نوعان منها ماله ... في هذه الدنيا مثال ثان
كالسدر أصل النبق مخضود مكا ... ن الشوك من ثمر ذوي ألوان
هذا وظل السدر من خير الظلا ... ل ونفعه الترويح للأبدان
وثماره أيضاً ذوات منافع ... من بعضها تفريح ذي الأحزان

والطلح وهو الموز منضود كما نضدت يد بأصابع وبنان
أو أنه شجر البوادي موقراً حملا مكان الشوك في الأغصان
وكذلك الرمان والأعناب والـ ـنخل التي منها القطوف دواني

ذكر الناظم في هذا الفصل أن أشجار الجنة نوعان ، منها ماله نظير في هذه الدنيا ، والنوع الثاني مالا نظير له في الدنيا ، وبدأ بالنوع الأول وهو الذي له مثل في هذه الدنيا . وقد قال تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . في سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة : ٢٧ - ٣٣ وقال تعالى (ذواتا أفنان) الرحمن : ٤٨ جمع فنن وهو الغصن . وقال (فيها فاكهة ونخل ورمان) الرحمن : ٦٨

قال الناظم في « حادي الأرواح » والمخضوض الذي قد خضد شوكه ، أي : نزع وقطع فلا شوك فيه ، هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، ومقاتل ، وقتادة ، وأبي الأحوص ، وقسامه بن زهير . واحتجوا بحجتين . الأولى : أن الخضد في اللغة القطع . خضدت الشجر : قطعت شوكه ، فهو خضيد ، ومخضود . والثانية : ماروى ابن أبي داود عن عتبة السلمي قال : كنت جالساً مع رسول الله ﷺ ، فجاء أعرابي فقال : أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها ، يعني الطلح . فقال رسول الله ﷺ : « إن الله قد جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود ، فيها سبعون لوناً من الطعام ، لا يشبه لوناً آخر » الملبود الذي قد اجتمع شعره بعضه إلى بعض . وروى ابن المبارك عن سليم بن عامر قال : أقبل أعرابي يوماً فقال : ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية ، وما كنت أرى في الجنة

شجرة تؤذي صاحبها . قال : وما هي؟ قال: السدر ، فإن له شوكاً مؤذياً قال : أليس يقول عز وجل (في سدر مخضود) الواقعة : ٢٨ خضد الله شوكه ، فجعل مكان كل شوكة ثمرة . وقالت طائفة : هو الموقر حملاً، ولم يصب الذي أنكروا هذا القول ، وهو صحيح ، وأربابه ذهبوا إلى أن الله لما خضد شوكه فأذهبه وجعل مكان كل شوكة ثمرة أوقره بالحمل ، والحديثان المذكوران يجمعان القولين ، ومن قال المخضود مالا يعقر ولا يرد اليد منه شوك ولا أذى ، فقد فسره بلازم المعنى ، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة ، وفرداً من أفراده تارة ، ومثالاً من أمثلته ، فيحكيها الجماعون للغث والسمين أقولاً مختلفة ، ولا اختلاف بينها . وأما الطلح ، فأكثر المفسرين أنه شجر الموز ، وهذا قول علي ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري . وقالت طائفة : بل هو شجر عظام طوال من البوادي الكثير الشوك ، وله نور ورائحة طيبة ، وظل ظليل . قال ابن قتيبة : هو الذي نضد بالحمل أو بالورق ، فليس له ساق بارز . وقال مسروق: ورق الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها ، وأنهارها تجري من غير أخدود . وقال الليث : الطلح شجر أم غيلان ، من أعظم العضاة شوكا وأصلبه عوداً، وأجوده صمغاً . قال أبو اسحاق : له نور طيب الرائحة ، وليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسامي ؛ والظاهر أن التفسير بالموز تمثيل به لحسن نضده ، والا فالطلح في اللغة هو الشجر العظام من البوادي . والله أعلم

هذا ونوع ماله في هذه الدنيا نظير كي يرى بعيان
يكفي من التعداد قول إلهنا من كل فاكهة بها زوجان
وأتوا به متشابهاً في اللون مختلف الطعوم فذاك ذو ألوان

أو أنه متشابهاً في الاسم مخـــــتلف الطعوم فذاك قول ثاني

قال الله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً) البقرة : ٢٥ . قال الناظم : قال مجاهد : ما أشبهه به . وقال ابن زيد : يعرفونه . وقال آخرون : قيل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضاً في اللون والطعم ، وهو أعظم من المشابهة التي بينها وبين ثمار الدنيا ، ولشدة المشابهة قالوا : هذا هو . قال أبو عبيدة : كلما نزعت ثمرة عادت مـكانها أخرى . قال الحسن وقتادة وابن جريج وجماعة : خيار كله لا رذل فيه ، وعلى هذا ، فالمراد بالمشابهة التوافق والتماثل . وقال ابن مسعود ، وابن عباس ، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ : متشابهاً في اللون والمرئى ، وليس يشبه الطعم الطعم . وقال مجاهد : متشابهاً لونه مختلفاً طعمه ، وكذلك قال الربيع ابن أنس . وقـال يحيى ابن أبي كثير : عشب الجنة الزعفران ، وكثبانها المسك . ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ، ثم يأتون بمثلها فيقولون : هذا الذي جئتمونا به آنفاً فيقول لهم الخدم : كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف . وقـال عبـد الرحمن بن زيد : يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا التفاح بالتفاح ، والرمـــان بالرمان ، وليس هو مثله في الطعم ، واختاره ابن جرير .

أو أنه وسط خيار كله فالفحل منه ليس ذا ثنيان

أو أنه لثمارنا ذي مشبه في اسم ولون ليس يختلفان

لكن لبهجتها ولذة طعمها أمر سوى هذا الذي تجدان

فيلذها في الأكل عند منالها   وتلذها من قبله العينان
قال ابن عباس وما بالجنة الـــعليا سوى أسماء ما تريان
يعني الحقائق لاتماثل هذه   وكلاهما في الاسم متحدان
ياطيب هاتيك الثمار وغرسها   في المسك ذاك الترب للبستان
وكذلك الماء الذي يسقى به   ياطيب ذاك الورد للظمآن

تقدم شرح ماتضمنته هذه الأبيات

وإذا تناولت الثمار أتت نظـــيرتها فحلت دونها بمكان
لم تنقطع أبداً ولم ترقب نزو   ل الشمس من حمل إلى ميزان
وكذاك لم تمنع ولم تحتج إلى   أن ترتقي للقنــو في العيدان

قال الله تعالى (وفاكهة كثيرة. لامقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة : ٣٢، ٣٣ روى الطبراني عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى »

قولـــه : لم تنقطع أبداً الخ . قال الله تعالى (لامقطوعة ولا ممنوعة) أي : لاتكون في وقت دون وقت ، ولا يمنع من أرادها .

بل ذللت تلك القطوف فكيفما   شئت انتزعت بأسهل الامكان

قال الله تعالى (قطوفها دانية) الحاقة : ٢٢ القطوف : جمع قطف ، وهو مايقطف ، أي ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف شاء . قال البراء بن عازب : يتناول الثمرة وهو نائم. وقال تعالى (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) الدهر : ١٤ قال ابن عباس : إذا هم أن يتناولها تدلت اليه حتى يتناول مايريد . وقال غيره : قربت اليهم مذللة كيف شاؤوا، فهم

يتناولونها قياماً وقعوداً، ومضجعين، فيكون كقوله (قطوفها دانية) الحاقة: ٢٢ ومعنى تذليل القطف: تسهيل تناوله. وفي نصب (دانية) وجهان، أحدهما أنه على الحال عطفا على قوله (متكئين) والثاني أنه صفة الجنة.

وكذاك لم تمنع ولم يحتج إلى أن يرتقي للقنو في العيدان

القنو واحد الأقناء، والعيدان جمع عيدانه، وهي النخل الطوال

بل ذللت تلك القطوف فكيفما شئت انتزعت بأسهل الامكان

ولقد أتى خبر بأن الساق من ذهب رواه الترمذي ببيان

روى الترمذي وحسنه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب»

قال ابن عباس وهاتيك الجذو ع زمرد من أحسن الألوان

ومقطعاتهمُ من الكرم الذي فيها ومن سعة من العقيان

وثمارها ما فيه من عجم كأمـ ـثال القلال فجل ذو الاحسان

روى ابن المبارك عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وكربها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، فيها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال، والدلاء أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس له عجم.

وظلالها ممدودة ليست تقي حراً ولا شمساً وأنى ذان؟

أو ما سمعت بظل أصل واحد فيه يسير الراكب العجلان

مائة سنين قدرت لا تنقضي هذا العظيم الأصل والأفنان

ولقد روى الخدري أيضاً أن طو بى قدرها مائة بلا نقصان
تتفتح الأكمام فيها عن لبا سهم بما شاؤوا من الألوان

في « الصحيحين » عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها » واقرؤو ان شئتم (وظل ممدود) الواقعة: ٣٠ وروى أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد » وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال : الظل الممدود : شجرة في الجنة على ساق قدر مايسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ، فيخرج اليها أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها ، قال : فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله ريحاً من الجنة فيحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا ». وروى ابن وهب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رجل : يارسول الله ، ماطوبى ! قال « شجرة في الجنة مسير مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » وقد رواه حرملة عنه بزيادة في أوله أن رجلاً قال : طوبى لمن رآك وآمن بك . قال : « طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني » وروى أبو يعلى عن سلمى بنت أبي بكر قالت : سمعت رسول الله ﷺ ، وذكر سدرة المنتهى فقال « يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة » أو قال : « يستظل في الفنن منها مائة راكب فيها فراش من الذهب ، كأن ثمارها القلال » رواه الترمذي وقال : مثله يحيى ، وهو حديث حسن غريب

فصل

في سماع اهل الجنة

قال ابن عباس ويرسل ربنا ريحاً تهز ذوائب الأغصان
فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الـــ انسان كالنغمات بالأوزان
يالذة الأسماع لاتتعوضي بلذاذة الأوتار والعيدان
أو ماسمعت سماعهم فيها غنا ء الحور بالأصوات والألحان
واهاً لذياك السماع فانه ملئت به الأذنان بالاحسان
واهاً لذياك السماع وطيبه من مثل أقمار على أغصان
واهاً لذياك السماع فكم به للقلب من طرب ومن أشجان
واهاً لذياك السماع ولم أقل ذياك تصغيراً له بلسان
ماظن سامعه بصوت أطيب الـــ أصوات من حور الجنان حسان
نحن النواعم والخوالد خيّرا ت كاملات الحسن والاحسان
لسنا نموت ولا نخاف ومالنا سخط ولا ضغن من الأضغان
طوبى لمن كنا له وكذاك طو بى للذي هو حظنا لفظان
في ذاك آثار روين وذكرها في الترمذيّ ومعجم الطبراني

ورواه يحيى شيخ الاوزاعي تفـــسيراً للفظة يحبرون أُغانٍ

قوله : واهاً قد تقدم تفسير ذلك .

قال الله تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) الروم : ١٥ قال يحيي بن أبي كثير : الحبرة : اللذة والسماع ، ولا يخالف هذا قول ابن عباس : يكرمون . وقول مجاهد وقتادة : ينعمون. فلذة الاذن بالسماع من الحبرة والنعم. وروى الترمذي واستغربه عن علي قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن أصواتهم ، لم تسمع الخلائق بمثلها ، يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ان في الجنة نهراً طول الجنة ، حافتاه العذارى قيام متقابلات ، يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق ، مايرون في الجنة لذة مثلها . قلنا ياأبا هريرة ، وماذلك الغناء ؟ قال: إن شاء الله التسبيح ، والتقديس ، والتحميد، وثناء على الرب عزوجل. هكذا رواه موقوفاً جعفر الفريابي . وروى أبو نعيم عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب ، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ ، فتهب لها ريح فتصفق ، فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه » وروى جعفر الفريابي عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال « مامن عبد يدخل إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين ، تغنيانه بأحسن صوت سمـــعه الانس والجن ، وليس بزاميو الشيطان » وروى الطبراني عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط . إن مما

يغنين به : نحن الخيرات الحسان أزواج قوم كرام ، ينظرون بقرة أعيان».
وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا تمتنه ، نحن الآمنات فلا تخفنه ، نحن
المقيمات فلاتظعنه». تفرد به ابن أبي مريم . وروى ابن وهب أنه قال رجل من
قريش لابن شهاب : هل في الجنة سماع ، فانه حبب الي السماع؟ فقال : إي
والذي نفس ابن شهاب بيده ، ان في الجنة شجراً حمله اللؤلؤ والزبرجد ،
تحته حور ناهدات ، يغنين بألوان ، يقلن : نحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن
الخالدات فلا نموت ، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً ، فأجبن الجواري :
فلا ندري أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر ، ولهم سماع أعلى من
هذا . وروى ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي قال : بلغني أنه ليس من خلق
الله أحسن صوتاً من اسرافيل ، فيأمره الله تعالى ، فيأخذ في السماع ، فما يبقى
ملك إلا وقطع عليه صلاته ، فيمكث بذلك ماشاء الله أن يمكث ، فيقول
الله عز وجل : وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمتي ماعبدوا غيري . وعن محمد
ابن المنكدر قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الذين كانوا ينزهون
أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان ؟ أسكنوهم رياض
المسك ، ثم يقول للملائكة : أسمعوهم تمجيدي وتحميدي . وروى ابن أبي
الدنيا عن مالك بن دينار في قوله تعالى : (وإن له عندنا لزلفى وحسن
مآب) ص : ٤٠ قال : إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع ، فيوضع في
الجنة ، نودي ياداود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني
به في دار الدنيا ، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة . وروى حماد
ابن سلمة ، عن شهر بن حوشب أن الله جل ثناؤه يقول لملائكته : إن عبادي
كانو يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلي ، فأسمعوا عبادي ،

فيأخذون بأصوات ، من تسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط . وعن ابن عباس قال : في الجنة شجرة على ساق قدر مايسير الراكب في ظلها مائة عام فيتحدثون في ظلها ، فيشتهي بعضهم ، فيذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله ريحاً من الجنة فيحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا ، ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع ، وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله ، وسلامه عليهم ، وخطابه ، ومحاضرته لهم ، ويقرأ عليهم كلامه ، فإذا سمعوه منه كأنهم لم يسمعوه قبل ذلك . روى أبو الشيخ عن عبد الله بن بريدة قال : إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله ، فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد ، فلم تقر أعينهم بشيء ، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم وأحسن منه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين ، قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد

نزه سماعك ان أردت سماع ذياك الغنا عن هذه الألحان
لاتؤثر الأدنى على الأعلى فتحـــرم ذا وذا ياذلة الحرمان
إن اختيارك للسماع النازل الـــ أدنى على الأعلى من النقصان
والله إنّ سماعهم في القلب والـــ ايمان مثل السم في الأبدان
والله ماانفك الذي هو دأبه أبداً من الاشراك بالرحمن
فالقلب بيت الرب جل جلاله حباً واخلاصاً مع الاحسان
فاذا تعلق بالسماع أصاره عبداً لكل فلانة وفلان

حب الكتاب وحب ألحان الغنا　　في قلب عبد ليس يجتمعان

ثقل الكتاب عليهم لما رأوا　　تقييده بشرائع الايمان

واللهو خف عليهم لما رأوا　　مافيه من طرب ومن ألحان

قوت النفوس وانما القرآن قو　　ت القلب أنى يستوي القوتان؟!

ولذا تراه حظ ذي النقصان كالجـ　　ـهال والنسوان والصبيان

وألذهم فيه أقلهم من الـ　　ـعقل الصحيح فسل أخا العرفان

يالذة الفساق لست كلذة الـ　　أبرار في عقل ولا قرآن

شرع الناظم رحمه الله تعالى في التحذير من سماع الأغاني والألحان. وللعلماء رحمهم الله تعالى في هذه المسألة مصنفات مفردة، كالامام أبي بكر الطرطوشي، والقاضي أبي الطيب الطبري، وللحافظ ابن رجب «نزهة الأسماع في مسألة السماع» وغيرهم، وهو من مكائد الشيطان التي كادبها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب المبطلين والجاهلين سماع المكاء والتصديه. والغناء بالآلات المحرمة، هو الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقة غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة، وحسنه لها مكراً منه، وغروراً، وأوحى اليها الشبه الباطلة على حسنه، فقبلت النفوس وحيه، واتخذت لأجله القرآن مهجوراً، فلو رأيتهم عند ذاك السماع وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبابها انصبابة

واحدة اليه ، فتمايلوا له كتمايل النشوان ، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم ، ولا تحرك المخانيث والنسوان ، ويحق لهم ذلك وقد خالط خمارة النفوس ، ففعل فيها أعظم مما يفعله حميا الكؤوس ، فلغير الله ، بل للشيطان قلوب هناك تمزق ، وأثواب تشقق ، وأموال في غير طاعة الله تنفق ، حتى إذا عمل السكر في عمله ، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله ، واستفزهم بصوته وحيله ، وأجلب عليهم بخيله ورجله ، وخز في صدورهم وخزاً ، وأزهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزاً ، فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار ، وتارة كالذباب يترقص وسط الديار ، فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام ، واسوأتا من أشباه الحمير والأنعام وشماتة أعداء الاسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الاسلام . قال الامام أبو بكر الطرطوشي في خطبة كتابه في تحريم السماع : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، ونسأل الله أن يرينا الحق حقاً فنتبعه ، والباطل باطلا فنجتنبه ، وقد كان الناس فيما مضى يتستر أحدهم بالمعصية اذا واقعها ، ثم يستغفر الله ويتوب اليه منها ، ثم كثر الجهل ، وقل العلم ، وتناقص الأمر ، حتى صار أحدهم يأتي بالمعصية جهاراً ، ثم ازداد الأمر إدباراً حتى بلغنا أن طائفة من اخواننا المسلمين ، وفقنا الله واياهم ، استزلهم الشيطان ، واستغوى عقولهم في حب الأغاني واللهو وسماع الطقطقة والتغبير ، واعتقدته من الدين الذي يقربهم إلى الله ، وجاهرت به جماعة المسلمين ، وشاقت سبيل المؤمنين ، وخالفت الفقهاء والعلماء وحملة الدين (ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) النساء : ١١٥ فرأيت أن أوضح الحق ، وأكشف من شبه أهل الباطل بالحجج التي تضمنها كتاب الله وسنة رسوله ، وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تدور

الفتيا عليهم في أقاصي الأرض وأدانيها ، حتى تعلم هذه الطائفة أنها قد خالفت علماء المسلمين في بدعتها ، والله ولي التوفيق . ثم قال : أما مالك فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه ، قال : واذا اشترى جارية فوجدها مغنية ، فله أن يردها بالعيب . وسئل مالك عما ترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال : إنما يفعله عندنا الفساق . قال : وأما أبو حنيفة فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب ، وكذلك مذهب أهل الكوفة ، سفيان ، وحماد ، وابراهيم ، والشعبي وغيرهم ، لا اختلاف بينهم في ذلك ، ولا نعلم خلافاً أيضاً بين أهل البصرة في المنع منه. قال الناظم رحمه الله تعالى : مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب ، وقوله فيه أغلظ الأقوال ، وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها ، كالمزمار ، والدف ، حتى والضرب بالقضيب ، وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق ، وترد به الشهادة ، وأبلغ من ذلك قالوا : إن السماع فسق ، والتلذذ به كفر ، هذا لفظهم . ورووا في ذلك حديثاً لا يصح رفعه ، قالوا : ويجب عليه أن يجتهد في أن لا يسمعه إذا مر به أو كان في جواره . وأما الشافعي فقال في كتاب أدب القضاء : إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال ، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ، وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه ، وأنكروا على من نسب اليه حله ، كالقاضي أبي الطيب الطبري ، والشيخ أبي اسحاق ، وابن الصباغ . قال الشيخ أبو اسحاق في « التنبيه » ولا يصح يعني الاجارة على منفعة محرمة ، كالغناء والزمر ، وحمل الخمر ، ولم يذكر فيه خلافاً . وقال في « المهذب » : ولا يجوز على المنافع المحرمة ، لأنه محرم ، فلا يجوز أخذ العوض عنه كالميتة والدم ، فقد تضمن كلامه أموراً . أحدها : أن منفعة الغناء بمجرده منفعة محرمة . الثاني : أن الاستئجار عليها باطل .

الثالث : أن أكل المال به أكل مال باطل ، بمنزلة أكله عوضاً عن الميتة والدم . الرابع : أنه لايجوز للرجل بذل ماله للمغني ، ويحرم عليه ذلك ، فانه بذل ماله في مقابلة محرم ، وأن بذله في ذلك كبذله في مقابلة الدم والميتة . الخامس : أن الزمر حرام ، فان كان الزمر الذي هوأخف آلات اللهوحراماً ، فكيف بما هو أشد منه ؟ ! كالعود والطنبور ، واليراع ، ولا ينبغي لمن شم رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك ، فأقل مافيه أنه من شعار الفساق وشاربي الخمر ، وقد تواتر عن الشافعي رحمه الله أنه قال : خلفت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير ، يصدون به الناس عن القرآن ، فإذا كان هذا قوله في التغبير ، وتعليله أنه يصد عن القرآن ، وهو شعر مزهد في الدنيا ، يغني به مغن ، فيضرب بعض الحاضرين بقضيب نطع ، أو مخدة على توقيع غناه ، فليت شعري مايقول في سماع التغبير عنده كتفلة في بحر قد اشتمل على كل مفسدة وكل محرم ؟! فالله بين دينه وبين كل متعلم مفتون ، وعبد جاهل ، وأما مذهب الامام أحمد ، فقال عبد الله ابنه : سألت أبي عن الغناء فقال : الغناء ينبت النفاق في القلب ، لايعجبني ، ثم يذكر قول مالك : إنما يفعله عندنا الفساق . قال عبد الله : وسمعت أبي يقول : سمعت يحيى القطان يقول : لو أن رجلاً عمل بكل رخصة بقول أهل الكوفة في النبيذ ، وأهل مكة في المتعة ، لكان فاسقاً . قال أحمد : وقال سليمان التيمي : لو أخذت برخصة كل عالم ، اجتمع فيك الشر كله ، ونص في أيتام ورثوا جارية مغنية ، وأرادوا بيعها ، قال : لاتباع إلا على أنها ساذجة ، قالوا : إذا بيعت مغنية ساوت عشرين ألفاً أو نحوها ، واذا بيعت ساذجة لاتساوي ألفين ، ، فقال : لاتباع إلا على أنها ساذجة . ولو كانت

منفعة الغناء مباحة ، لما فوت هذا المال على الأيتام . وقد أحسن الناظم رحمه الله تعالى في قوله :

تلي الكتاب فأطرقوا لا خيفة ... لكنه إطراق ساه لاهي
وأتى الغناء فكالحمير تناهقوا ... والله مارقصوا لأجل الله
دف ومزمار ونغمة شادن ... فمتى شهدت عبادة بملاهي
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا ... تقييده بأوامر ونواهي
سمعوا له رعداً وبرقاً إذ حوى ... زجراً وتخويفاً بفعل مناهي
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن ... شهواتها ياويحها المتناهي
وأتى السماع موافقاً أغراضها ... فلأجل ذا غدا عظيم الجاه
أين المساعد للهوى من قاطع ... أسبابه عند الجهول الساهي
إن لم يكن خمر الجسوم فإنه ... خمر العقول مماثل ومضاهي
فانظر إلى النشوان عند شرابه ... وانظر إلى النشوان عند ملاهي
وانظر إلى تمزيق ذا أثوابه ... من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي
واحكم بأي الخمرتين أحق بالـــتحريم والتأثيم عند الله

وقد أكثر العلماء الكلام على هذا السماع الشيطاني المحدث ، ولكن آثرنا الاختصار ، والله أعلم .

فصل

في أنهار الجنة

أنهارها في غير أخدود جرت ... سبحان ممسكها عن الفيضان
من تحتهم تجري كما شاؤوا مفجـــرة وما للنهر من نقصان
عسل مصفى ثم ماء ثم خمـــــر ثم أنهار من الألبان
والله ما تلك المواد كهذه ... لكن هما في اللفظ مجتمعان
هذا وبينهما يسير تشابه ... وهو اشتراك قام بالأذهان

روى ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك قال : إنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض ، لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض ، إحدى حافتيها اللؤلؤ ، والآخر الياقوت ، وطينه المسك الأذفر ، قال معاوية بن قرة : ما الأذفر ؟ قال : الذي لا خلط له . رواه ابن مردويه في تفسيره عن أنس مرفوعاً هكذا ، وروى ابو خيثمة عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إنا اعطيناك الكوثر) فقال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت الكوثر ، فاذا هو نهر يجري ، ولم يشق شقاً ، واذا حافتاه قباب اللؤلؤ ، فضربت بيدي إلى تربته ، فاذا مسك أذفر ، واذا حصباؤه اللؤلؤ » وروى سفيان الثوري عن مسروق في قوله تعالى (وماء مسكوب) الواقعه : ٣١ قال : أنهار تجري في غير أخدود ، ونخل طلعها هضيم من أصلها الى فرعها ، أو كلمة نحوها .

قولـــه : من تحتهم تجري الخ . قد تكرر في القرآن الكريم في عدة مواضع قوله تعالى (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار) طه : ٧٦ وفي موضع (تجري تحتها الأنهار) التوبة : ١٠٠ وفي موضع (تجري من تحتهم الأنهار) الأنعام : ٦ وهذا يدل على أمور : أحدها : وجود الأنهار فيها حقيقة . والثاني : أنهاجارية لاواقفه . والثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم، كما هوالمعهود فيأنهار الدنيا . وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم ، وتصريفهم لها كيف شاؤوا ، وهؤلاء أتوا من ضعف الفهم ، فان أنهارها وإن جرت في غير أخدود ، فهي تحت القصور ، والمنازل، والغرف ، وتحت الأشجار ، وهو سبحانه لم يقل: من تحت أرضها . وقد أخبر عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيـــا . فقال (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأوض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) الأنعام: ٦ فهذا على المعهود المتعارف ، وكذلك ما حكاه عن قول فرعون (وهذه الأنهار تجري من تحتي) الزخرف : ٥١ وقال تعالى (فيهما عينان نضاختان) الرحمن: ٦٦ أي بالماء والفواكه ، قاله سعيد . وقـال أنس : بالمسك والعنبر تنضحان على دور أهل الجنة ، كما ينضح المطر على دور أهل الدنيا . وقال البراء : اللتان تجريان أفضل من النضاختين. رواها ابن أبي شيبة ، وقال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) محمد : ١٥ فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا ، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وآفة اللبن أن يتغير طعمه الى الحموضة ، وأن يصير قارصاً،

وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها ، وآفة العسل عدم تصفيته ، وهذا من آيات الرب تعالى أن يجري أنهاراً من أجناس لم تجر العاده في الدنيا باجرائها ، ويجريها في غير أخدود ، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها ، كما نفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا ، من الصداع ، والغول ، واللغو ، ونزف المال ، وتصدع الرأس ، وهي كريهة المذاق ، وهي رجس من عمل الشيطان ، توقع العداوة والبغضاء بين الناس ، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدعو الى الزنا ، وربما دعت الى الوقوع على البنت ، وذوات المحارم ، وتذهب الغيرة ، وتورث الخزي والندامة والفضيحة ، وتلحق شاربها بأنقص نوع الانسان ، وهم المجانين ، وتسلبه أحسن الاسماء والصفات ، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات ، وآفات الخمر أضعاف أضعاف ماذكرناه ، وكلها منفية عن خمر الجنة .

فصل

في طعام أهل الجنة

وطعامهم ما تشتهيه نفوسهم ... ولحوم طير ناعم وسمان
وفواكه شتى بحسب مناهم ... ياشيعة كملت لذي الايمان
لحم وخمر والنسا وفواكه ... والطيب مع روح ومع ريحان
وصحافهم ذهب يطوف عليهم ... بأكف خدام من الولدان

وانظر إلى جعل اللذاذة للعيو ن وشهوة للنفس في الشيطان
للعين فيها لذة تدعو إلى شهواتها بالنفس والأمران
سبب التناول وهو يوجب لذة أخرى سوى مانالت العينان

قال تعالى (إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) المرسلات : ٤١ وقال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها) الواقعة : ٢٥ وقال تعالى (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم) الرعد : ٣٥ وفي « صحيح مسلم » من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ « يأكل أهل الجنة ويشربون ، ولا يتمخطون ، ولا يتغوطون ولا يبولون ، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ، يلهمون التسبيح والحمد ». وفي « المسند » والنسائي بسند صحيح ، عن زيد بن أرقم قال : جاء رجل من أهل الكتاب الى النبي ﷺ فقال: ياأبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال « نعم ، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة » . قال : فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة وليس في الجنة أذى ، قال : « يكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كريح المسك فيضمر بطنه » . ورواه الحاكم في « صحيحه » بنحوه ، وروى الحسن بن عرفة عن ابن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ « إنك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه ، فيخرج من يديك مشوياً » وروى الحاكم عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة طيراً أمثال البخاتي » فقال أبو بكر : إنها لناعمة يارسول الله . قال « أنعم منها من

يأكلها، وأنت ممن يأكلها» . وروى الحاكم عن قتادة في قوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) الواقعة : ٢١ نحوه بلفظة اخرى . وعن ابن عمرو في قوله تعالى (ويطاف عليهم بصحاف من ذهب) الزخرف : ٧١ قال : بسبعين صحفة، كل صحفة فيها لون ليس في الأخرى . وروى الدراوردي عن أنس بن مالك أنه قال في الكوثر : ويرفعه فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر ، فقال: عمر: إنها لناعمة، فقال: آكلها أنعم منها، وفي رواية (أبوبكر) بدل (عمر) وقال تعالى (يطوف عليهم ولدان مخلدون . إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) الدهر : ٣٠ قال أبو عبيدة والفراء : مخلدون لايهرمون ولا يتغيرون . وقال آخر: مخلدون مقرطون مسورون، في آذانهم القرطة ، وفي أيديهم الأساور ، وهذا ابن الأعرابي . قال الأولون : الخلد هو البقاء . قال ابن عباس : لايموتون، وهذا قول مجاهد ، ومقاتل ، والكلبي ، وجمعت طائفة بين القولين ، لايعرف لهم الكبر والهرم ، وفي آذانهم القرطة ، وشبههم باللؤلؤ لما فيه من البياض وحسن الخلقة . وفي كونه منثوراً فائدتان: احداهما : أنهم غير معطلين، بل مبثوثون في خدمتهم وجوائجهم . والثاني : أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً لاسيما على بساط من ذهب أو حرير ، كان أحسن لمنظره ، وأبهى من كونه مجموعاً في مكان . وفي حديث انس عن النبي ﷺ « أنا أول الناس إذا بعثوا » وفيه يطوف على ألف خادم ، كأنهم لؤلؤ مكنون. المكنون: المستور المصون الذي لم تبتذله الأيدي .

وقول الناظم : وانظر إلى جعل اللذاذة للعيون الخ . أي : انظر إلى اللذاذة التي تحصل بالعيون بسبب النظر إلى ألوان الذين هم كاللؤلؤ المنثور ـ وشهوة النفس لما في الصحاف التي يطوفون بها ، فاجتمع لهم لذة النظر ولذة

الشهوة ، لما في الصحاف ، وذلك يوجب لذة أخرى ، فتكمل لهم اللذة . والله أعلم.

فصل

في شـــرابهم

يسقون فيها من رحيق ختمه بالمسك أوله كمثل الثاني
من خمرة لذت لشاربها بلا غول ولا داء ولا نقصان
والخمر في الدنيا فهذا وصفها تغتال عقل الشارب السكران
وبها من الأدواء ماهي أهله ويخاف من عدم لذي الوجدان
فنفى لنا الرحمن أجمعها عن الـــخمر التي في جنة الحيوان

قـــال تعالى (يسقون من رحيق مختوم. ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) المطففين: ٢٥،٢٦ رحيق مختوم ، أي : الخمر ختم بالمسك . وعن ابن مسعود : ختامه مسك ، أي : خلطه ، وليس بخاتم ختم .

قال الناظم : قلت : يريد والله أعلم أن آخره مسك يخالطه ، فهو من الخاتمة ، ليس من الخاتم ، وهو قول علقمة ومسروق ، قال : يجدون عاقبتها طعم المسك ، وقال مجاهد : طيبه مسك ، كأنه يريد مايبقى في أسفل الاناء

من الدردي . وقال أبو الدرداء: هو، أي: ختامه مسك، شراب أبيض مثل الفضة، يختمون به آخر شرابهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها . رواه الحاكم .

قوله: من خمرة لذت لشاربها الخ . نفى الله سبحانه عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع، والغول، واللغو، والانزاف، وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا: تغتال العقل، وتكثر اللغو على شربها، بل ولا يطيب شربها ذلك إلا باللغو، وتنزف في نفسها، وتنزف المال، وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق، وقد تقدم بعض آفاتها في فصل أنهار الجنة . والله أعلم .

وشرابهم من سلسبيل مزجه الـ ـكافور ذاك شراب ذي الاحسان
هذا شراب أولي اليمين ولكن الـ ـأبرار شربهم شراب ثاني
يدعى بتسنيم سنام شرابهم شرب المقرب خيرة الرحمن
صفّى المقرب سعيه فصفا له ذاك الشراب فتلك تصفيتان
لكنّ أصحاب اليمين فأهل مز ج بالمباح وليس بالعصيان
مزج الشراب لهم كما مزجوا هم الـ ـأعمال ذاك المزج بالميزان
هذا وذو التخليط مزجى أمره والحكم فيه لربه الديان

قال تعالى (ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) الدهر: ٥-٦ قال بعض السلف: معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم . قيل: الباء بمعنى من ؛ أي: يشرب منها .

وقيل : يروى بها ، وهذا أصح وألطف وأبلغ. وقيل : الباء الظرفية ، والعين اسم للمكان. وقال تعالى (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا. عيناً فيها تسمى سلسبيلا) الدهر : ١٧ ، ١٨ فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً ان شراب الابرار يمزج منها ، لأن أولئك أخلصوا الاعمال كلها لله تعالى فأخلص شرابهم ، وهؤلاء مزجوا ، فمزج شرابهم ، ونظير هذا قوله (يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تسنيم . عينا يشرب بها المقربون) المطففين ٢٥ ، ٢٨ فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين ، بالكافور ، وبالزنجبيل ، فما في الكافور من البرد ، وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ، ومجيء أحدهما على الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ، وتعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر. وما ألطف ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها ، فان شرابهم مزج أولا بالكافور والزنجبيل بعده فيعدله ، والظاهر أن الكأس الثانية غير الاولى وأنها نوعان لذيذان من الشراب ، أحدهما مزج بالكافور ، والثاني بالزنجبيل. وايضاً فانه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والايثار ، والصبر ، والوفاء ، بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعافها وهو ما أوجبوه على انفسهم بالنذر على الوفاء : باعلاها ، وهو ما أوجبه الله عليهم ، ولهذا قال : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) الدهر : ١٢ فان في الصبر الخشونة ، وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى ان يكون في إجزائهم من سعة الجنة ، ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة ، وجمع لهم بين النضرة والسرور ، وهذا جمال بواطنهم كما جملوا في الدنيا

ظواهرهم بشرائع الاسلام ، وبواطنهم بحقائق الايمان ، أفاده الناظم رحمه الله تعــــالى .

فصل

في مصرف طعامهم وشرابهم وهضمه

هذا وتصريف المآ كل منهم ... عرق يفيض لهم من الابدان
كروائح المسك الذي مافيه خلـ ... ـط غيره من سائر الالوان
فتعود هاتيك البطون ضوامراً ... تبغي الطعام على مدى الازمان
لاغائط فيها ولابول ولا ... مخط ولابصق من الانسان
ولهم جشاء ريحه مسك يكو ... ن به تمام الهضم بالاحسان
هذا وهذا صح عنه فواحد ... في مسلم ولأحمد الأثران

قوله : هذا وهذا صح عنه فواحد في مسلم الخ . تقدم الحديث الذي رواه مسلم في ذلك من حديث جابر ، وتقدم الحديث الذي رواه الامام أحمد والنسائي من حديث زيد بن أرقم قال : جاء رجل من اهل الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم . . . الحديث . قوله هذا وهذا اصح عنه الخ . أي أن تصريف مآ كل أهل الجنة قد بينه النبي ﷺ ، ففي حديث جابر أن ذلك جشاء ورشح كرشح المسك . وفي حديث زيد بن أرقم أن ذلك يكون رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك : قوله . ولأحمد الأثران ، اي ان حديث

جابر وحديث زيد بن أرقم قد رواهما الامام أحمد، وأما مسلم فلم يرو الا حديث جابر، ومع ذلك فهما صحيحان ، والله اعلم

فصل

في لباس اهل الجنة

وهم الملوك على الأسرة فوق ها   تيك الرؤوس مرصّع التيجان
ولباسهم من سندس خضر ومن   إستبرق نوعان معروفان
ماذاك من دود بني من فوقه   تلك البيوت وعاد ذو طيران
كلا ولا نسجت على المنوال نس   ج ثيابنا بالقطن والكتان
لكنها حلل تشق ثمارها   عنها رأيت شقائق النعمان
بيض وخضر ثم صفر ثم حم   ر كالرباط بأحسن الالوان
لا تقرب الدنس المقرب للبلى   ماللبلى فيهن من سلطان
ونصيف إحداهن وهو خمارها   ليست له الدنيا من الاثمان
سبعون من حلل عليها لا تعو   ق الطرف عن مخ ورا الساقان
لكن يراه من ورا ذا كله   مثل الشراب لدى زجاج أوان

قال الله تعالى (ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون . يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين) الدخان: ٥٣،٥٤ وقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا

لانضيع اجر من أحسن عملا. اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك) الكهف : ٣٠، ٣١ قال جماعة من المفسرين : السندس : من مارق الديباج والاستبرق ماغلظ منه. وقال آخرون : المراد به الصفيق. وقال الزجاج : هما نوعان من الحرير، وأحسن الالوان الأخضر والبني للملابس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس، والتذاذ العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به. وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «من يدخل الجنة ينعم فلا ييأس، لاتبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، في الجنة مالاعين رأت ولا أذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر». قال الناظم في «حادي الارواح»: والظاهر أن الثياب المعينة لايلحقها البلى، ويحتمل ان المراد الجنس، بل لاتزال عليه الثياب الجدد، كما انها لاينقطع أكلها في جنسه، بل كل مأكول يخلفه مأكول آخر، والله أعلم. وروى أحمد عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «قيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم خير من الدنيا ومثلها معها، ونصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها» قلت : وما النصيف ؟ قال : «الخمار» وروى ابن وهب عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ «إن الرجل في الجنة ليتكىء سبعين سنة قبل ان يتحول، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه، فيظهر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيىء مابين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام، ويسألها من أنت فتقول : انا المزيد، وانه ليكون عليها سبعون حلة ثوباً، ادناها مثل النعمان من طوبي، فينقدها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وان عليها التيجان، وان أدنى لؤلؤة عليها لتضيىء مابين المشرق والمغرب»

وروى احمد عن ابن عمرو مرفوعاً ، وفيه : فقام آخر اي اعرابي فقال : اخبرني عن ثياب اهل الجنة ، أتخلق خلقاً او تنسج نسجاً ؟ فضحك بعض القوم . فقال ﷺ «تضحكون من جاهل يسأل عالماً؟» فسكت النبي ﷺ ساعة ثم قال : « أين السائل ؟ » قال : ها هو ذا يارسول الله . قال : تشقق عنها ثمار الجنة ثلاث مرار . وروى البيهقي عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ويحل حلاله ويحرم حرامه ، خلطه الله بلحمه ودمه وجعله رفيق السفرة البررة ، واذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجا ، فقال : يارب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا ، الا فلاناً كان يقوم بي آناء الليل والنهار ، ويحل حلالي ، ويحرم حرامي ، يقول : رب فأعطه ، فيتوجه الله تاج الملك ثم يكسوه من حلل الكرامة ، ثم يقول : هل رضيت ، فيقول : يارب أرغب في أفضل من هذا ، فيعطيه الله الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ثم يقول هل رضيت ؟ فيقول : نعم يارب » وروى ابن وهب عن أبي سعيد الخدري ، ان رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى (يحلون فيها من اساور من ذهب) الكهف : ٣١ فقال : ان عليهم التيجان ، إن ادنى لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب . قوله : المنوال . قال في «القاموس» : والنول الوادي السائل ، وحبل السفينة . وخشبة الحائك كالمنوال ، والمنوال جمع أنوال . انتهى كلامه .

فصل

في فرشهم وما يتبعها

والفرش من إستبرق قد بطّنت ماظنكم بظهارة لبطان
مرفوعة فوق الأسرة يتكي هو والحبيب بخلوة وأمان
يتحدثان على الأرائك ماترى حبين في الخلوات ينتحبيان
هذا وكم زربية ونمارق ووسائد صفت بلا حسبان

قال الله تعالى (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) الرحمن : ٥٤. قال تعالى (وفرش مرفوعة) الواقعة : ٣٤ فوصف الفرش بكونها مبطنة بالاستبرق، وهذا يدل على أمرين، احدهما أن ظهارتها أعلى واحسن من بطانتها لانها للارض، وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة . قال سفيان الثوري : عن عبد الله في قوله (بطائنها من إستبرق) قال : هذه البطائن قد خبرتم عنها، فكيف بالظهائر ؟ الثاني : أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة . وقد روي في سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة ، فالمراد ارتفاع محلها . كما روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وفرش مرفوعة) الواقعة : ٣٤ قال : ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ، واستغربه الترمذي . وقيل : معناه ان الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها . وروى ابن وهب عنه عن النبي

ﷺ قال « بين الفراشين كما بين السماء والارض » وهذا أشبه ان يكون هو المحفوظ. وروى الطبراني عن كعب قال : مسيرة أربعين سنة . وعن أبي أمامة عند الطبراني قال : سئل رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة. قال : « لو طرح فراش في أعلاها لوقع الى قرارها مائة خريف » وفي رفع هذا الحديث نظر . فقد روى ابن أبي الدنيا عنه قال : لو أن أعلاها سقط مابلغ أسفلها أربعين خريفا . وأما البسط ، والزرابي ، فقد قال تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) الرحمن : ٧٦ وقال تعالى (فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة . ونمارق مصفوفة . وزرابي مبثوثة) الغاشية : ١٣ - ١٦ عن سعيد بن جبير قال : الرفرف رياض الجنة ، والعبقري عتاق الزرابي . وقال الحسن : هي البسط ، وبه قال أهل المدينة . وأما النمارق ، فقال الواحدي : هي الوسائد واحدها نمرقة بضم النون وكسرها . قال مقاتل : هي الوسائد مصفوفة على الطنافس ، وزرابي ، يعني : البسط. والطنافس واحدها زربية في قول جميع أهل اللغة والتفسير ، ومبثوثة مبسوطة ، منشورة.

قوله : فوق الأسرة يتكي الخ . الأسرة : جمع سرير . متكئين . قال في « القاموس » توكأ عليه تحامل واعتمد ، وانما جعل له متكأً .

وقوله ﷺ « أما أنا فلا آكل متكأً » أي : جالساً جلوس المنكمش المتربع ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الأكل ، بل كان جلوسه للأكل مستوفزاً ، مقعياً غير متربع ولا متمكن ، وليس المراد الميل على شق كما يظنه عوام الطلبة ، وذكر الاتكاء لأنه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن ، بخلاف المريض المهموم .

وقوله تعالى (متكئين على فرش ..) الاية الرحمن : ٥٤ منصوب على الحال من فاعل قوله (ولمن خاف مقام ربه) الرحمن : ٤٦ وانما جمع حملا على معنى من . وقيل : منصوب على المدح . وقيل : عاملها محذوف ، والتقدير : يتنعمون متكئين ، أي : مضطجعين أو متربعين

فصل

في حلي اهل الجنة

والحلي أصفى لؤلؤ وزبرجد   وكذاك أسورة من العقيان
ماذاك يختص الاناث وانما   هو للاناث كذاك للذكران
التاركين لباسه في هذه الـ   ـدنيا لأجل لباسه بجنان
أوماسمعت بأن حليتهم الى   حيث انتهاء وضوئهم بوزان
وكذاوضوءابي هريرة كان قد   فازت به العضدان والساقان
وسواهأنكر ذا عليه قائلا   ماالساق موضع حليه الانسان
ماذاك الاموضع الكعبين والـ   ـزندين لا الساقان والعضدان

قال الله تعالى (ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من أحسن عملا . اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب . . .) الكهف : ٣٠، ٣١ الاية يحتمل ان يكون اساور من لؤلؤ ، وان تكون مركبة منهما معاً . والله اعلم . وروى ابن ابي الدنيا عن وهب قال : ان الله عز جل منذ يوم خلق يصوغ علي اهل الجنة . وعن الحسن : الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء . وروى أحمد ابن منيع عن سعد ابن ابي وقاص عن النبي ﷺ قال : « لوأن رجلا من أهل الجنة

اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، وروى ابن وهب عن ابي أمامة ان رسول الله ﷺ حدثهم، وذكر حلي اهل الجنة فقال «مسورون بالذهب والفضه مكللون بالدر، عليهم اكاليل من در وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك، شباب جرد مكحلون» وفي «الصحيحين» والسياق لمسلم عن ابي حازم قال: كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة وكان يمد يده حتى يبلغ إبطه. فقلت: يا أبا هريرة هذا الوضوء فقال: يابني فروخ، انتم ها هنا، لو علمت انكم ها هنا ماتوضأت بهذا الوضوء: سمعت خليلي ﷺ يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء».

وكذاك اهل الفقه مختلفون في ... هذا وفيه عندهم قولان

والراجح الأقوى انتهاء وضوئنا ... للمرفقين كذلك الكعبان

هذا الذي قد حدد الرحمن في الـقرآن لاتعدل عن القرآن

واحفظ حدود الرب لاتتعدها ... وكذاك لاتجنح الى النقصان

وانظر الى فعل الرسول تجده قد ... أبدى المراد وجاء بالتبيان

ومن استطاع يطيل غرته فمو ... قوف على الراوي هو الفوقاني

فأبو هريرة قال ذا من كيسه ... فغدا يميزه اولو العرفان

ونعيم الراوي له قد شك في ... رفع الحديث كذا روى الشيباني

وإطالة الغرات ليس بممكن ... أبداً وذا في غاية التبيان

قال الناظم في «حادي الارواح» وقد ساق حديث أبي هريرة المتقدم: وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته، والصحيح أنه

لايستحب وهوقول اهل المدينة . وعن احمد روايتان ، والحديث لا يدل على الاطالة ، فان الحلية انما تكون زينا في الساعد والمعصم ، لا في العضد والكتف . واما قوله : فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل . فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام ابي هريرة ، لا من كلام النبي ﷺ ، بين ذلك غير واحد من الحفاظ . وفي « مسند الامام أحمد » في هذا الحديث قال نعيم : فلا ادري قوله : فمن استطاع ان يطيل غرته فليفعل . من تمام كلام النبي ﷺ ، اوشيء قاله ابو هريرة من عنده . وكان شيخنا رحمه الله يقول : هذه اللفظة لايمكن ان تكون من كلام النبي ﷺ ، فان الغرة لاتكون في اليد ، لاتكون الا في الوجه ، وإطالتها غير ممكنة ، اذ تدخل في الرأس ، ولايسمى ذلك غرة .

فصل

في صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذة وصالهن ومهورهن

يامن يطوف الكعبة الحصن التي ... حفت بذاك الحجر والاركان
ويظل يسعى دائماً حول الصفا ... ومحسر مسعاه لا العلمان
ويروم قربان الوصال على منى ... والخيف يحجبه عن القربان
فلذا تراه محرماً أبداً ومو ... ضع حله منه فليس بدان
يبغي التمتع مفردا عن حبه ... متجرداً يبغي شفيع قران

فيظل بالجمرات يرمي قلبه ... هذي مناسكه وكل زمان
والناس قد قضّوا مناسكهم وقد ... حثوا ركائبهم الى الأوطان
وحدت بهم همم لهم وعزائم ... نحو المنازل اول الازمان

يعني الى الجنة التي أسكنها آدم وحواء عليهما السلام كما اشار الى ذلك الناظم في الميمية بقوله :

وحيّ على جنات عدن فانها ... منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود الى أوطاننا ونسلم

واشار الناظم بهذه الاستعارات

رفعت لهم في السير أعلام الوصا ... ل فشمروا يا خيبة الكسلان
ورأوا على بعد خياماً مشرفا ... ت مشرقات النور والبرهان
فتيمموا تلك الخيام فآنسوا ... فيهن أقمارا بلا نقصان
من قاصرات الطرف لا تبغي سوى ... محبوبها من سائر الشبان
وقصرت عليه طرفها من حسنه ... والطرف في ذا الوجه للنسوان
أو أنها قصرت عليه طرفه ... من حسنها فالطرف للذكران
والاول المعهود من وضع الخطا ... ب فلا تحد عن ظاهر القرآن
ولربما دلت اشارته على الـ ... ـثاني فتلك اشارة للمعان

قوله : من قاصرات الطرف الخ . . . قال الله تعالى (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) الرحمن : ٥٩ (كأنهن الياقوت والمرجان)

الرحمن : ٦٠ وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاث مواضع : أحدها هذا ، والثاني قوله في الصافات : ٤٨ (وعندهم قاصرات الطرف عين) والثالث قوله في سورة ص : ٥٢ (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) والمفسرون كلهم على ان المعنى قصر طرفهن على ازواجهن ، فلا يطمحن الى غيرهم ، وهذا معنى قول الناظم : قصر عليه طرفها من حسنه الخ . وقيل: قصر طرف ازواجهن عليهم ، فلا يدعهم حسنهن وجمالهن ان ينظروا الى غيرهن ؛ وهذا صحيح من جهة المعنى دون اللفظ . قال مجاهد : والله ماهن متبرجات ، ولا متطلعات. وهذا معنى قول الناظم : أو أنها قصرت عليه طرفه الخ . قوله : والأول المعهود من وضع الخطاب . أي أن القول الاول وهو ان المعنى قصرت عليه طرفها من حسنه هو ظاهر القرآن .

هذا وليس القاصرات كمن غدت مقصورة فهما اذاً صنفان

قال تعالى (حور مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ أي محبوسات في الخيام ، قاله مقاتل . وقال ابو عبيدة: خدرن في الخيام. وقال الفراء محبوسات على ازواجهن لايطمحن الى من سواهم . قال الناظم : قلت : هذا معنى قاصرات الطرف ، وهؤلاء مقصورات، أي من في الخيام . قال الناظم :

يامطلق الطرف المعذب في الألى جردن عن حسن وعن احسان

لاتسبينك صورة من تحتها الـداء الدوي تبوء بالخسران

قحبٌ خلائقها وقبّح فعلها شيطانة في صورة الانسان

تنقاد للأنذال والارذال هم اكفاؤها من دون ذي الاحسان

مانم من دين ولاعقل ولا　　خلق ولا خوف من الرحمن
وجمالها زور ومصنوع فإن　　تركته لم تطمح لها العينان
طبعت على ترك الحفاظ فمالها　　بوفاء حق البعل قط يدان
ان قصر الساعي عليها ساعة　　قالت وهل أوليت من احسان
اورام تقويماً لها استعصت ولم　　تقبل سوى التعويج والنقصان
أفكارها في المكر والكيد الذي　　قد حار فيه فكرة الانسان
فجمالها قشر رقيق تحته　　ماشئت من عيب ومن نقصان
نقد رديء فوقه من فضة　　شيء يظن به من الاثمان
فالناقدون يرون ماذا تحته　　والناس اكثرهم من العميان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في ذكر عيوب نساء الدنيا، فقال: لاتسبينك صورة من تحتها الخ . أي : ان صورتها وان حسنت، فتحتها مالا يحصى من القبائح . قوله : تنقاد للانذال والارذال الخ . قال في «القاموس» : النذل والنذيل : الخسيس من الناس المحتقر في جميع أحواله ، جمع انذال ، ونذول ونذلاء ، ونذال . وقد نذل ككرم نذالة ، ونذولة . قال : والرذل ، والرذال، والرذيل والارذل : الدون الخسيس ، او الرديء من كل شيء، جمع أرذال ، ورذول، ورذلاء ، ورذال ، وأرذلون . وقد رذل ككرم وعلم رذالة ، ورذولة بالضم . انتهى : قوله هم اكفاؤها الخ . اي : انها لنذالتها ورذالتها تنقاد للانذال والأرذال . قوله : طبعت على ترك الحفاظ

الخ . اي : انها طبعت على عدم الوفاه بحق الزوج. قوله : ان قصر الساعي عليها ساعة الخ . يدل على ذلك الحديث الصحيح ، وهو قوله ﷺ « يامعشر النساء تصدقن ولو من حليكن ، فاني اطلعت في النار فرأيت اكثر اهلها النساء » فقامت امرأة جزلة فقالت: ولم ذاك يارسول الله ؟ قال : « انكن تكفرن العشير ، وتكثرن اللعن » قوله : أورام تقويها لها استعصت الخ . يشير الى ما في « الصحيحين » عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع ، وان اعوج مافي الضلع أعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » متفق عليه . وفي رواية في « الصحيحين » « المرأة كالضلع ان اقمتها كسرتها ، وان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ، وان ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها » قال الناظم :

أماجميلات الوجوه فخائنا ت بعولهن وهن للأخدان

الأخدان جمع خدن . قال في « القاموس » الخدن بالكسر وكأمير : الصاحب ، ومن يخادنك في أمر ظاهر وباطن .

والاخدان : الاحباب يزنون بهن في السر . قال الحسن : المسافحة هي ان كل من دعاها تبعته ، وذات خدن، أي تختص بواحد لاتزني الا معه ، والعرب تحرم الاولى ، وتجوز الثانية .

والحافظات الغيب منهن التي قد أصبحت فرداً من النسوان

فانظر مصارع من يليك ومن خلا من قبل من شيب ومن شبان

وارغب بعقلك ان تبيع العالي الـ باقي بذا الادنى الذي هو فاني

ان كان قد أعياك خود مثلما تبغي ولم تظفر الى ذا الآن
فاخطب من الرحمن خوداً ثم قـــدم مهرها مادمت ذا امكان
ذاك النكاح عليك أيسر اريكن لك نسبة للعلم والايمـــان
والله لم تخرج الى الدنيا للذة عيشها او للحطـام الفـاني
لكن خرجت لكي تعد الزاد لل أخرى فجئت بأقبح الخسران
أهملت جمع الزاد حتى فات بل فات الذي ألهاك عن ذا الشان
والله لوأن القلوب سليمـة لتقطعت أسفا من الحرمان
لكنها سكرى بحب حياتها الدنيا وسوف تفيق بعد زمان

قوله: خود . الخود : الحسنة الخلق الشابة الناعمة . قوله : والحافظات للغيب. أي : حافظات للفروج في غيبة الأزواج . وقيل : حافظات لسرهم. وقيل : حافظات للغيب بحفظ الله . وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خير النساء امرأة ، ان نظرت اليها سرتك ، وان أمرتها أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها » ثم تلا (الرجال قوامون على النساء) النساء : ٣٤ الاية. قوله : فانظر مصارع من يليك ومن خلا الخ . اي: انظر مصارع العشاق ، واقرأ ماصنفه العلماء في ذلك كـ« مصارع العشاق » للشيخ ابي محمد جعفر السراج ، ترى ماجرى على عشاق الصور . قوله : والله لوأن القلوب سليمة الخ . (لو) تدل على امتناع الشيىء لامتناع غيره ، فاذا كان ما بعدها مثبتاً كان منفياً ، نحو: لوجاءني أكرمته . واذا

كان منفياً كان مثبتاً، نحو: لولم يسيء لم أعاقبه . هكذا ذكر النحاة ، فمعنى البيت على هذا : إن القلوب ليست بسليمة لأن مابعد (لو) مثبت ، والله أعلم.

فصل

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اختر لنفسك ياأخا العرفان

حور حسان قد كملن خلائقا ومحاسناً من أجمل النسوان

قال الله تعالى (وزوجناهم بحور عين) الدخان : ٥٤ الحور جمع حوراء وهي : المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء ، شديدة سواد العين التي يحار الطرف فيها من رقة الجلد وصفاء اللون، قاله مجاهد . والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور في العين ، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها ، فهو يتضمن الأمرين . وقال تعالى (وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون) الواقعة : ٢٢ ، ٢٣ روى الطبراني عن أم سلمة قالت : قلت : يارسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل (وحور عين) قال : « حور، بيض، عين، ضخام العيون، شفر، الحوراء بمنزلة جناح النسر. قلت : اخبرني عن قوله (كأنهن بيض مكنون) الصافات : ٤٩ قال صفاؤهن صفاء الدر في الاصداف الذي لم تمسه الأيدي . قلت : أخبرني عن قوله (فيهن خيرات حسان) الرحمن : ٧٠ قال : خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه . قلت : أخبرني عن قوله (كأنهن بيض مكنون) الصافات : ٤٩ قال : رقتهن كرقة الجلد الذي رأيته في داخل البيضة مما يلي القشر ...الحديث .

حتى يحار الطرف في الحسن الذي　　قد ألبست فالطرف كالحيران

ويقول لما أن يشاهد حسنها　　سبحان معطي الحسن والاحسان

والطرف يشرب من كؤوس جمالها　　فتراه مثل الشارب النشوان

كملت خلائقها وأكمل حسنها　　كالبدر ليل الست بعد ثمان

والشمس تجري في محاسن وجهها　　والليل تحت ذوائب الأغصان

فتراه يعجب وهو موضع ذاك من　　ليل وشمس كيف يجتمعان

فيقول سبحان الذي ذا صنعه　　سبحان متقن صنعة الانسان

لا الليل يدرك شمسها فتغيب عنـــد مجيئه حتى الصباح الثاني

والشمس لا تأتي بطرد الليل بل　　يتصاحبان كلاهما أخوان

وكلاهما مرآة صاحبه إذا　　ماشاء يبصر وجهه يريان

فيرى محاسن وجهه في وجهها　　وترى محاسنها به بعيان

روى ابن وهب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ «ان الرجل في الجنة ليتكىء سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبه ، فينظر رجهه في خدها أصفى من المرآة . . » الحديث . وروى أبو يعلى الموصلي عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه ، فذكر حديث الصور . وفيه « والذي بعثني بالحق نبياً ، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل رجل منهم على اثنين وسبعين زوجة مما ينشىء الله ، وثنتين من ولد آدم ، لهما فضل على من أنشأ الله ، لعبادتهما الله عز وجل

في الدنيا ، يدخل على الأولى منها في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ ، عليها سبعون حلة من سندس وإستبرق ، وانه ليضع يده بين كتفيها ، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر الى مخ ساقها ، كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت ، كبده لها مرآة . . . إلى آخر الحديث ، هذا قطعة من حديث الصور الذي تفرد به اسمعيل بن رافع . وقد روى له الترمذي ، وابن ماجه . وقال الترمذي: ضعفه بعض أهل العلم . وسمعت محمد يعني البخاري يقول : هو ثقة مقارب.. الحديث .

قال الناظم : قال شيخنا أبو الحجاج الحافظ : هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ، ساقه اسماعيل وغيره ، وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد ، وما تضمنه معروف في الأحاديث ، والله أعلم .

حمر الخدود ثغورهن لآلئ ... سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها ... فيضيء سقف القصر بالجدران
ولقد روينا أن برقاً ساطعاً ... يبدو فيسأل عنه من بجنان؟
فيقال هذا ضوء ثغر ضاحك ... في الجنة العليا كما تريان
لله لاثم ذلك الثغر الذي ... في لثمه إدراك كل أمان

روى ابو نعيم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «سطع نور في الجنة رفعوا رؤوسهم ، فاذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها»

وروى ابن أبي الدنيا عن يزيد الرقاشي قال : بلغني أن نوراً سطع في الجنة لم يبق موضع في الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه . فقيل : ماهذا ؟

قيل: حوراء ضحكت في وجه زوجها . قال صالح: فشهق رجل من ناحية المجلس، فلم يزل يشهق حتى مات. ورواه الخطيب في «تاريخه» مرفوعاً، ولم يذكر (الشهق)

ريانة الأعطاف من ماء الشبا ... ب فغصنها بالماء ذو جريان
لما جرى ماء النعيم بغصنها ... حمل الثمار كثيرة الألوان
فالورد والتفاح والرمان في ... غصن تعالى غارس البستان
والقد منها كالقضيب اللدن في ... حسن القوام كأوسط القضبان
في مغرس كالعاج تحسب أنه ... عالي النقا أو واحد الكثبان
لا الظهر يلحقها وليس ثديها ... بلواحق للبطن أو بدوان
لكنهن كواعب ونواهد ... فثديهن كألطف الرمان

القضيب: الغصن وهو واحد القضبان. الكثيب: التل من الرمل. النقا من الرمل، والنقو والنقا: عظم العضد. وقوله: وليس ثديها هو بضم الثا وكسر الدال جمع ثدي

والجيد ذو طول وحسن في بيا ... ض واعتدال ليس ذا نكران
يشكو الحلي بعاده فله مدى الـ ... أيام وسواس من الهجران
والمعصمان فإن تشأ شبههما ... بسبيكتين عليهما كفان
كالزبد ليناً في نعومة ملمـ ... ـس أصداف در دورت بوزان
والصدر متسع على بطن لها ... حفت به خصران ذات ثمان
وعليه أحسن سرة هي مجمع الـ ... خصرين قد غارت من الأعكان
حق من العاج استدار وحوله ... حبات مسك جل ذو الاتقان

وإذا انحدرت رأيت أمراً هائلاً ... ماللصفات عليه من سلطان
لا الحيض يغشاه ولا بول ولا ... شيء من الآفات في النسوان
فخذان قد حفا به حرساً له ... فجنابه في غرة وصيان

قوله : والجيد ذو طول الخ . وصف الجيد وهو الرقبة بأنه ذو طول وحسن ، وأنه ليس بالطويل ولا بالقصير ، كما قال امرؤ القيس :

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش اذا هي رضته ولا بمعطل

قوله : والمعصمان الخ . المعصمان تثنية معصم ، وهو موضع السوار من الزند . والزند : طرف الذراع الذي انحسر عنه اللحم .

قوله : ذات ثمان . قال العلامة الميداني : لما تكلم على المثل المشهور : أخنث من هيت ، وذكر قوله لعبد الله بن أبي امية : إن فتح الله عليكم الطائف ، فسل ان تنفل بادية بنت غيلان بن سلمة ، فانها مبتلة هيفاء شموع نجلاء ، تناصف وجهها في القسامة ، وتجزأ معتدلا في الوسامة ، ان قامت تثنت ، وان قعدت تبنت ، وان تكلمت تغنت ، أعلاها قضيب ، وأسفلها كثيب ، اذا أقبلت أقبلت بأربع ، وإذا أدبرت أدبرت بثمان الخ ،

قوله : تقبل بأربع ، يعني : بأربع عكن في بطنها .

وقوله: وتدبر بثمان . يعني : أطراف هذه العكن الأربع في جنبها ، لكل عكنة طرفان ، لأن العكن تحيط بالطرفين والجنبين ، حتى تلحق بالمتنين من مؤخر المرأة . وقال : بثمان ، وانما هي عدد الأطراف ، وواحدها طرف ، وهو مذكر ، لأن هذا كقولهم : هذا الثوب سبع في ثمان ، على نية الأشبار . انتهى .

قاما بخدمته هو السلطان بيـــنهما وحق ه طاعة السلطان
وهو المطاع أميره لاينثني عنه ولاهو عنده بجبان
وجماعها فهو الشفاء لصبها فالصب منه ليس بالضجران
وإذا يجامعها تعود كما أتت بكراً بغير دم ولا نقصان
فهو الشهي وعضوه لاينثني جاء الحديث بذا بلانكران

روى الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم ، عدن أبكاراً » تفرد به يعلى . وروى أبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سئل : هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال : « نعم بذكر لايمل ، وفرج لايحفى ، وشهوة لاتنقطع » .

ولقد روينا أن شغلهمُ الذي قد جاء في (يس) دون بيان
شغل العروس بعرسه من بعد ما عبثت به الأشواق طول زمان
بالله لاتسألهُ عن أشغاله تلك الليالي شأنه ذو شـــان

قال عكرمة في قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) يسن : ٥٥ أي افتضاض الأبكار . رواه سعيد بن منصور . وروى عبد الله ابن احمد ، عن ابن مسعود في الآية المذكورة قال : شغلهم افتضاض العذارى . وروى الحاكم عن الأوزاعي في الآية المذكورة قال : شغلهم افتضاض الأبكار. ومثله قال ابن عباس فيها . رواه ابن أبي الدنيا .

واضرب لهم مثلاً بصب غاب عن محبوبه في شاسع البلدان

والشوق يزعجه اليه وماله بلقـــائه سبب من الامكان

وافي اليه بعد طول مغيبه عنه وصار الوصل ذا إمكان

أتلومه أن صار ذا شغل به لا والذي أعطى بلا حسبان

يارب غفراً قد طغت أقلامنا يارب معذرة من الطغيان

قوله : غفراً هو بفتح الغين مصدر منصوب . أي : اغفر غفراً ، والغفر التغطية . يقال : غفر الله ذنبك ، أي : ستره . ومعنى قول « رب اغفرلي » استر علي ذنبي في الدنيا وقني عقوبته في الآخرة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

أقدامها من فضة قد ركبت من فوقها ساقان ملتفـــان

والساق مثل العاج ململوم يرى مخ العظام وراءه بعيـــان

والريح مسك والجسوم نواعم واللون كالياقوت والمرجان

وكلامها يسبي العقول بنغمة زادت على الأوتار والعيدان

وهي العروب بشكلها وبدلها وتحبب للزوج كل أوان

وهي التي عند الجماع تزيد في حركاتها للعين والأذنان

لطفاً وحسن تبعل وتغنج ... وتحبب تفسير ذي العرفان
تلك الحلاوة والملاحة أوجبا ... اطلاق هذا اللفظ وضع لسان
فملاحة التصوير قبل غناجها ... هي أول وهي المحل الثاني
فإذاهما اجتمعا لصب وامق ... بلغت به اللذات كل مكان

قوله : وهي العروب الخ. قال الله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكاراً. عرباً...) الواقعة :٣٥ - ٥٧ الآية. عرباً جمع عروب، وهن المتحببات إلى أزواجهن ، وزاد ابن الأعرابي : المطيعات لأزواجهن . وقال أبو عبيد : الحسنة التبعل ، يريد حسن موافقتها وملاطفتها عند الجماع ، وقال المبرد : هي العاشقة لزوجها ، وذكر المفسرون في تفسير العرب : أنهن العواتق ، المتحببات ، الغنجات ، الشكلات ، الغلمات ، المغنوجات ، كل ذلك من ألفاظهم . قال البخاري في « صحيحه » عرباً : متصلة، واحدها عروب ، تسميها أهل مكة العربة ، وأهل المدينة : الغنجة ، وأهل العراق: الشكلة ، فجمع سبحانه بين حسن صورتها ، وحسن عشرتها ، وهذا غاية مايطلب من النساء ، وبه تكمل لذة الرجل بهن ، فان لذته بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها ، وكذلك هي قوله : تبعل . قال في « القاموس » تبعلت : أطاعت بعلها أو تزينت له .

قوله : تغنج. قال في « القاموس » ، الغنج بالضم وبضمتين وكغراب : الشكل ، غنجت الجارية كسمع ، وتغنجت ، وهي مغناج ، وغنجة ، وهذا شرح ماذكر الناظم في هذه الأبيات ، والله أعلم .

فصل

أتراب سن واحد متماثل سن الشباب لأجمل الشبان
بكر فلم يأخذ بكارتها سوى الـ محبوب من انس ولا من جان
حصن عليه حارس من أعظم الـ حراس بأساً شأنه ذو شان
فإذا أحس بداخل للحصن ولى هارباً فتراه ذا إمعان
ويعود وهناً حين رب الحصن يخـ ـرج منه فهو كذا مدى الأزمان
وكذا رواه أبو هريرة إنها تنصاع بكراً للجماع الثاني
لكن درّاجا أبا السمح الذي فيه يضعفه أولو الاتقان
هذا وبعضهم يصح عنه في الـ تفسير كالمولود من حبان
فحديثه دون الصحيح وإنه فوق الضعيف وليس ذا إتقان
يعطى المجامع قوة المائة التي اجـ ـتمعت لأقوى واحد الانسان
لا أن قوته تضاعف هكذا إذ قد يكون أضعف الأركان
ويكون أقوى منه ذا نقص من الـ إيمان والأعمال والاحسان

قوله : أتراب . الاتراب جمع ترب ، وهو لدة الانسان .

قوله : سن الشباب . وهو ثلاث وثلاثون سنة ، كما تقدم .

قوله : بكراً الخ . قال الله تعالى (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) الرحمن :٥٦ أي لم يمسهن . قاله أبو عبيدة. وقال الفراء الطمث : الافتضاض، وهو النكاح بالتدمية ، والطمث هو الدم ، والطامث هي الحائض . قال المفسرون : لم يطأهن ، ولم يغشهن ، ولم يجامعهن . هذه ألفاظهم . وقال بعضهم : هن اللواتي أنشئن في الجنة من حورها ، قاله مقاتل . وبعضهم يقول : يعني نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر أبكاراً ، قاله الشعبي . وزاد : لم يمسسن منذ أنشئن خلقاً . قال ابن عباس : هن الآدميات اللاتي متن أبكاراً.

قال الناظم : قلت : ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة ليس من نساء الدنيا ، وإنما هن من الحور العين ، وأما نساء الدنيا ، فقد طمثهن الانس ، ونساء الجن قد طمثهن الجن ، والآية تدل على ذلك كما قال أبو اسحاق ، ويدل عليه التي بعدها (حور مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ قال الامام أحمد : والحور العين لا يمتن عند النفخة في الصور ، لأنهن خلقن للبقاء. وفي الآية دليل لما ذهب اليه الجمهور ، أن مؤمني الجن في الجنة ، كما أن كافرهم في النار ، وبوب عليه البخاري في « صحيحه » فقال : باب ثواب الجن وعقابهم ونص عليه غير واحد من السلف .

قوله : وكذا رواه أبو هريرة الخ . هو ما روى ابن وهب عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : يارسول الله ، أنطأ في الجنة ؟ قال : « نعم والذي نفسي بيده ، دحماً ، دحماً ، فاذا قام رجعت مطهرة بكراً » وذكر الناظم أن في اسناده دراجا أبا السمح ، وهو ضعيف . قال أحمد : عامة أحاديثه مناكير . وقال النسائي منكر الحديث . وقال أبو حاتم ، والدارقطني . ضعيف ومتروك . وقال النسائي أيضاً : ليس بالقوي ، وساق

له ابن عدي أحاديث وقال : عامتها لا يتابع عليها ، ووثقه يحيى . وأخرج عنه ابن حبان في « صحيحه » . وقال ابن المديني : ثقة .

قولــــه : وبعضهم يصح عنه في التفسير الخ . المراد أبو حاتم : ابن حبان. وذكر الناظم في النظم أن حديثه دون الصحيح ، وفوق الضعيف ، والله أعــــلم .

قوله : يعطى المجامع الخ . روى ابو نعيم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة » فقلنا : يارسول الله ، أوله قوة على ذلك ؟ قال : « انه ليعطى قوة مائة رجل » في اسناده أحمد بن حفص السعدي ، له مناكير .

ولقد روينا أنه يغشى بيو ... م واحد مائة من النسوان
ورجاله شرط الصحيح رووا لهم ... فيه وذا في معجم الطبراني
هذا دليل أن قدر نسائهم ... متفاوت بتفاوت الايمان
وبه يزول توهم الاشكال عن ... تلك النصوص بمنة الرحمن
وبقوة المائة التي حصلت له ... أفضى إلى مائة بلا خوران
وأعفهم في هذه الدنيا هو الـــ ... أقوى هناك لزهده في الفاني
فاجمع قواك لما هناك وغمض الـــ ... ـعينين واصبر ساعة لزمان
ماههنا والله مايسوى قلا ... مة ظفر واحدة ترى بجنان
ماههنا الا النقار وسيء الـــ ... أخلاق مع عيب ومع نقصان
همّ وغم دائم لا ينتهي ... حتى الطلاق وبالفراق الثاني

والله قد جعل النساء عوانياً شرعاً فأضحى البعل وهو العاني
لاتؤثر الأدني على الأعلى فان تفعل رجعت بذلة وهوان

روى الطبراني عن أبي هريرة قال : قيل : يارسول الله ، هل نصل الى نسائنا في الجنة ». فقال : « ان الرجل ليصل في اليوم الواحد الى مائة عذراء» تفرد به الجعفي . قال محمد بن عبد الواحد المقدسي : رجاله عندي على شرط الصحيح . وروى ابو الشيخ عن ابن عباس قال : قيل : يارسول الله ، أنفضي الى نسائنا في الجنة كما نفضي اليهن في الدنيا ؟ قال : « والذي نفس محمد بيده ، أن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة الى مائة عذراء » فيه زيد ابن أبي الحواري ، وهو العمي . قال فيه ابن معين : صالح . وقال مرة : لا شيء ، وقال مرة : ضعيف يكتب حديثه ، وكذلك قال ابو حاتم . وقال الدار قطني : صالح ، وضعفه النسائي . وقال السعدي: متماسك .

قال الناظم : قلت : وحسبه رواية شعبة عنه ، والاحاديث الصحيحة إنما فيها «لكن منهم زوجتان » وليس في الصحيح زيادة على ذلك . فان كانت هذه الاحاديث محفوظة ، فاما أن يراد بها لكل واحد من السراري زيادة على الزوجين ، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة ، كالخدم ، والولدان . واما أن يراد به أن يعطى قوة من يجامع هذا العدد، ويكون هذا هو المحفوظ ، فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال : له كذا وكذا زوجة . قال : وقد روى الترمذي عن أنس عن النبي ﷺ قال : « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع» قيل : يارسول الله، أويطيق ذلك ؟ قال : « يعطى قوة مائة » هذا حديث صحيح ، فلعل من رواه

«يفضي الى مائة عذراء» بالمعنى، أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات، والله اعلم.

قال: ولاريب أن للمؤمن في الجنة اكثر من اثنتين، لما في «الصحيحين» من حديث أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «ان للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للعبد المؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم، لايرى بعضهم بعضاً». انتهى كلامه.

قوله: والله قد جعل النساء عوانياً الخ. قال في «القاموس»: العواني: النساء، لأنهم يظلمن، فلا ينتصرن.

فصل

وإذا بدت في حلة من لبسها ... وتمايلت كتمايل النشوان
تهتز كالغصن الرطيب وحمله ... ورد وتفاح على رمان
وتبخترت في مشيها ويحق ذا ... ك لمثلها في جنة الحيوان

قوله: ورد الخ. الورد في الخدود، والتفاح في الوجنات، والرمان في الصدر، وهما النهدان.

قوله: وتبخترت: البخترة والتبختر: مشية حسنة، والبختري: الحسن المشي والجسم، والمختال كالبختير، قاله في القاموس».

ووصائف من خلفها وأمامها ... وعلى شمائلها وعن أيمان

كالبدر ليلة تمه قد حف في غسق الدجى بكواكب الميزان

فلسانه وفؤاده والطرف في دهش وإعجاب وفي سبحان

فالقلب قبل زفافها في عرسه والعرس إثر العرس متصلان

حتى إذا ما واجهته تقابلا أرأيت إذ يتقابل القمران

فسل المتيم هل يحل الصبر عن ضم وتقبيل وعن فلتان

وسل المتيم أين خلف صبره في أي واد أم بأي مكان؟

وسل المتيم كيف حالته وقد ملئت له الأذنان والعينان

من منطق رقت حواشيه ووجـــه كم به للشمس من جريان

وسل المتيم كيف عيشته إذاً وهما على فرشيهما خلوان

يتساقطان لآلئاً منثورة من بين منظوم كنظم جمان

جمان كغراب: اللؤلؤ وهنوات اشكال اللؤلؤ من فضة ، الواحدة جمانة قاله في «القاموس» .

قوله : بكواكب الميزان ؛ اي : كوكب الجوزاء .

وسل المتيم كيف مجلسه مع الـــمحبوب في روح وفي ريحان

وتدور كاسات الرحيق عليهما بأكف أقمار من الولدان

يتنازعان الكأس هذا مرة والخود اخرى ثم يتكئان

فيضمها وتضمه أرأيت معشـــوقين بعد البعد يلتقيان

غاب الرقيب وغاب كل منكد　　وهما بثوب الوصل مشتملان

أتراهما ضجرين من ذا العيش لا　　وحياة ربك ماهما ضجران

ويزيد كل منهما حباً لصا　　حبه جديداً سائر الأزمان

ووصاله يكسوه حباً بعده　　متسلسلاً لا ينتهي بزمان

فالوصل محفوف بحب سابق　　وبلاحق وكلاهما صنوان

فرق لطيف بين ذاك وبين ذا　　يدريه ذو شغل بهذا الشان

ومزيدهم في كل وقت حاصل　　سبحان ذي الملكوت والسلطان

ياغافلا عما خلقت له انتبه　　جد الرحيل فلست باليقظان

سار الرفاق وخلّفوك مع الألى　　قنعوا بذا الحظ الخسيس الفاني

ورأيت أكثر من ترى متخلفاً　　فتبعتهم ورضيت بالحرمان

لكن أتيت بخطتي عجز وجهل بعد ذا وصحبت كل أمان

منّتك نفسك باللحاق مع القعو　　د عن المسير وراحة الأبدان

ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا　　ماذا صنعت وكنت ذا إمكان

فصل

في ذكر الخلاف بين الناس هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا ؟

والناس بينهمُ خلاف هل بها حبل وفي هـذا لهم قولان
فنفاه طاووس وابراهيم ثم مجاهـــد وهم أُولو العرفان
وروى العقيلي الصدوق ابو رزيـــن صاحب المبعوث بالقرآن
أن لا توالد في الجنان رواه تعلـــيقا محمـــدٌ العظيم الشان
وحكاه عنه الترمذي وقال اســـحاق بن ابراهيم ذو الاتقان
لا يشتهي ولداً بها ولو اشتها ه لكان ذاك محقق الامكان
وروى هشام لابنه عن عامر عن ناجي عن سعد بن سنان
إن المنّعم بالجنان إذا اشتهى الـــولد الذي هو نسخة الانسان
فالحمل ثم الوضع ثم السن في فرد من الساعات في الأزمان
اسناده عندي صحيح قد روا ه الترمذيّ واحمد الشيباني
ورجال ذا الاسناد محتج بهم في مسلم وهمْ اولو إتقان
لكن غريب ماله من شاهد فردٌ بذا الاسناد ليس بثان

لولا حديث ابي رزين كان ذا كالنص يقرب منه في التبيان
ولذاك أوّله ابن ابراهيم بالشـــرط الذي هو منتفي الوجدان
وبذاك رام الجمع بين حديثه وأبي رزين وهو ذو إمكان
هذا وفي تأويله نظر فان اذا لتحقيق وذي إتقـــان
ولربما جـــاءت لغير تحقق والعكس في ان ذاك وضع لسان

حاصل هـذا الفصل قد ذكره الناظم في « حادي الأرواح » ولنذكر كلامه ملخصاً . قال : فصل في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة ؟ روى الترمذي واستغربه ، عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا اشتهى الولد في الجنة ، كان حمله ووضعه وسنـــه في ساعة كما يشتهي » قال اسحق بن ابراهيم : ولكن لا يشتهي . قال بعضهم : في الجنة جماع ، ولا يكون ولد . وقد روي عن أبي رزين العقيلي عن النبي ﷺ قال « ان أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد ».

قال الناظم : قلت : حديث أبي سعيد على شرط الصحيح ، ورجاله محتج بهم فيه ، ولكنه غريب جداً ، وتأويل اسحاق فيه نظر . وروى أبو نعيم عن أبي سعيد المذكور قال : قيل : يارسول الله ، أيولد لأهل الجنة ، فان الولد من تمام السرور ؟ فقال : « نعم والذي نفسي بيده ماهو كقدر مايتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه في ساعة واحدة » وروى الحاكم مثله أيضاً عنه . قال البيهقي : وهذا إسناد ضعيف بمرة ، وفي حديث أبي رزين الطويل الذي أشار اليه البخاري « غير أن لاتوالد » رواه احمد ، والطبراني ، وأبو الشيخ ، وابن منده ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، وغيرهم ،

على سبيل القبول والتسليم ، فهذا حديث صريح في انتفاء الولد .

وقوله : إذا اشتهى . معلق بالشرط ، ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ، ولا المعلق به ، و(اذا) وان كانت ظاهرة في المحقق ، فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم من المحقق وغيره ، قالوا : وفي هذا الموضع يتبين ذلك بوجوه عشرة ، ثم ذكرها الناظم ، ثم قال : النافون للولادة في الجنة ، لم ينفوها لزيغ في قلوبهم ، ولكن لحديث أبي رزين « غير أن لا توالد » وقد حكى الترمذي في ذلك قولين للسلف والخلف ، وحديث الترمذي غريب ، فان كان رسول الله ﷺ قد قاله ، فهو الحق الذي لا شك فيه ، ولا تناقض بينه وبين حديث أبي رزين « غير أن لا توالد » إذ ذلك نفي للتوالد المعهود في الدنيا لا ينفي ولادة حمل الولد ووضعه ، وسنه ، وشبابه في ساعة واحدة . انتهى كلامه .

قوله : وروى هشام لابنه الخ . هذا هو حديث أبي سعيد الذي تقدم أول الفصل .

قوله : عن سعد بن سنان . هو أبو سعيد ، سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه .

قال الناظم :

واحتج من نصر الولادة أن في الجـــنات سائر شهوة الانسان

والله قد جعل البنين مع النسا من أعظم الشهوات في القرآن

فأجيب عنه بأنه لا يشتهي ولداً ولا حبلاً من النسوان

واحتج من منع الولادة أنها ملزومة أمرين ممتنعـان
حيض وإنزال المني وذانك الـ أمران في الجنات مفقودان
وروى صدي عن رسول الله أن منيهم إذ ذاك ذو فقدان
بل لا مني ولا منية هكذا يروي سليمان هو الطبراني
وأجيب عنه بأنه نوع سوى الـ معهود في الدنيا من النسوان
فالنفي المعهود في الدنيا من الـ ايلاد والاثبات نوع ثاني
والله خالق نوعنا من أربع متقابلات كلها بوزان
ذكر وأنثى والذي هو ضده وكذاك من انثى بلا ذكران
والعكس أيضاً مثل حوا أمنا هي أربع معلومة التبيان
وكذاك مولود الجنان يجوز أن يأتي بلا حيض ولا فيضان
والأمر في ذا ممكن في نفسه والقطع ممتنع بلا برهان

قوله: واحتج من نصر الولادة الخ . أي : احتج من نصر القول بالولادة في الجنة ، بأن في الجنة جميع الشهوات ، والنساء والبنين من أعظم الشهوات كما قال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين . .) آل عمران : ١٤ الآية .

قوله : وأجيب عنه الخ . أي : أجاب من منع الولادة بأنه لا يشتهي ولداً وحبلاً .

قوله : واحتج من منع الولادة . أي : احتج مانعو الولادة بأنه يلزمها

أمران يمتنعان في الجنة ، وهما الحيض ، وانزال المني .

قوله : وروى صدي ، أي : روى أبو أمامة صدي بن عجلان ، عن رسول الله ﷺ أنه سئل : هل يتناكح أهل الجنة ؟ قال « بذكر لايمل » وشهوة لاتنقطع ، دحماً دحماً » وفي لفظ عنه « دحماً دحماً ، ولكن لا مني ولا منية » أي : لاانزال ولا موت ، فهو صريح في انتفاء المني في الجنة ، فاحتج من أنكر الولادة بأنه نوع سوى المعهود في الدنيا من النسوان ، فالنفي للمعهود في الدنيا من الايلاد ، والاثبات نوع آخر .

قوله : والله خالق نوعنا من أربع الخ . أي : ان الله خلق نوع الانسان من أربعة أشياء متقابلة ، من ذكر وأنثى ، كبني آدم ، ولا من ذكر ولاأنثى ، كآدم عليه السلام ، وذكر بلا أنثى كحواء أمنا ، ومن أنثى بلا ذكر ، كعيسى عليه السلام ، فهذه أربع كما ذكره الناظم .

قوله : وكذاك مولود الجنان الخ . أي : ان مولود الجنان يجوز أن يوجد بلا حيض ولا فيضان ، أي مني ، وقدرة الله صالحة . والله أعلم .

فصل

في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم

ويرونه سبحانه من فوقهم   رؤيا العيان كما يرى القمران
هذا تواتر عن رسول الله لم   ينكره إلا فاسد الايمان

وأتى به القرآن تصريحاً وتعـــريضاً هما بسياقه نوعـــان
وهي الزيادة قد أتت في يونس تفسيره قد جاء بالقرآن
ورواه عنه مسلم بصحيحه يروي صهيب ذا بلا كتمان
وهو المزيد كذاك فسره أبو بكر هو الصدّيق ذو الايقان
وعليه أصحاب الرسول وتابعو هم بعدهم تبعية الاحسان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذا الفصل رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة ، كما يرى القمر . وقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، وجميع الصحابة والتابعين ، وأئمة الاسلام ، وأنكرها أهل البدع ، كالجهمية ، والمعتزلة ، والباطنية ، والرافضة .

قوله : وأتى بها القرآن تصريحاً وتعريضاً الخ . التصريح كما في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ وقوله تعالى (اتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه) البقرة ٢٢٣ وقوله (تحيتهم يوم يلقونه سلام) الاحزاب : ٤٤ وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) الكهف : ١١٠ وقوله (الذين يظنون أنهم ملاقو الله) البقرة : ٢٤٩ وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع ، اقتضى المعاينة والتعريض ، كقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين : ١٥ وقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس : ٢٦ .

قوله : وهي الزيادة قد أتت في يونس الخ . في « صحيح مسلم » عن صهيب قال : قرأ رسول الله ﷺ (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس : ٢٦ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : ياأهل

الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ، ويبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ، ويجرنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون اليه ، فما أعطاهم شيئاً أحب اليهم من النظر اليه ، وهي الزيادة . وروى الحسن بن عرفة عن أنس عنه ﷺ قال : «للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى ، وهي الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى»

قوله : وهو المزيد . كذا فسره أبو بكر الخ . يعني قوله تعالى (لهم مايشاؤون فيها ولدينا مزيد) ق : ٣٥ قال علي وأنس : هو النظر إلى وجه الله تعالى ، وقاله من التابعين زيد بن وهب ، وغيره .

قوله : وعليه أصحاب الرسول وتابعوهم الخ . أي ان إثبات رؤيته سبحانه هو قول أصحاب رسول الله ﷺ ، وتابعيهم باحسان .

ولقد أتى ذكر اللقاء لربنا الـــرحمن في سور من الفرقان
ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى الـــاجماع فيه جماعة ببيان
وعليه أصحاب الحديث جميعهم لغة وعرفاً ليس يختلفان

يعني قوله تعالى (واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه) البقرة : ٢٢٣ وقوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) الأحزاب : ٤٤ وقد أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع ، اقتضى الرؤية والمعاينة ، ولا ينتقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه) التوبة : ٧٧ فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة ، على أن المنافقين يرونه في عرصات القيامة والكفار أيضاً . كما في « الصحيحين » في حديث التجلي يوم القيامة .

وفي هذه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لايراه إلا المؤمنون . والثاني: يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك . والثالث: يراه المنافقون دون الكفار ، وكذلك الاقوال الثلاثة بعينها في تكليمه لهم . ولشيخ الاسلام في ذلك مصنف مفرد .

هذا ويكفي أنه سبحانه وصف الوجوه بنظرة بجنان
وأعادأيضاً وصفها نظراً وذا لاشك يفهم رؤية بعيان
وأتت أداة (إلى) لرفع الوهم من فكر كذاك ترقب الانسان
وأضافه لمحل رؤيتهم بذكـ ـر الوجه إذ قامت به العينان
تا لله ماهذا بفكر وانتظا ر مغيّب أو رؤية لجنان
مافي الجنان من انتظار مؤلم واللفظ يأباه لذي العرفان
لاتفسدوا لفظ الكتاب فليس فيـ ـه حيلة يافرقة الروغان
مافوق ذا التصريح شيء، ماالذي يأتي به من بعد ذا التبيان؟
لو قال أبين مايقال لقلتم هو مجمل مافيه من تبيان

قال الناظم في « حادي الأرواح » في الكلام على قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة) القيامة : ٢٢، ٢٣ وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها ، والكذب على المتكلم بها فيما أراد منها ، وجدتها منادية نداء صريحا : إن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة ، وإن أبيت الا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلا، فتأويل نصوص المع

والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا . واسمع الآن أيها السني تفسير النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الاسلام لهذه الاية . روى ابن مردويه عن ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) القيامة : ٢٢ قال : من البهاء والحسن (إلى ربها ناظرة) القيامة : ٢٣ وقال ابن عباس : تنظر الى وجه ربها عز وجل . وقال عكرمة : (ناضرة) من النعيم الى ربها (ناظرة) تنظر نظرا . وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث . وأما الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية ، فمتواترة ، منها حديث ابي بكر الصديق عند أحمد في ذكر استشفاع الناس من نبي الى نبي ، وهو طويل جداً ، فيه : « فاذا نظر إلى ربه عز وجل ، خر ساجداً » ومنها حديث أبي هريرة وأبي سعيد في « الصحيحين » أن أناسا قالوا : يارسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ » قالوا : لا. قال « هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا لا . قال « فانكم ترونه كذلك . . . » الحديث . وفي « الصحيحين » عن جرير بن عبد الله قال : كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر الى القمر ليلة أربع عشرة ، فقال « انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا ، لا تضامون في رؤيته ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا . . . » الحديث . والأحاديث بذلك كثيرة ، وهي متواترة ، كما تقدم قوله : وصف الوجوه بنظرة بجنان ، والمراد الحسن والجمال » ثم قال (الى ربها ناظرة) وهي الرؤية بالعيان . قوله : وأتت أداة (الى) لرفع

الوهم من فكر الخ . أي : أن المعنى النظر الى الرب تعالى وأتت أداة (الى) الدفع توهم الانتظار ، وذلك كما يقول المؤولة : ان معنى ناظرة : تنتظر الثواب، قوله : وإضافــة لمحل رؤيتهم بذكر الوجه أي : إنه تعالى قال : (وجوه يومئذ ناضرة) القيامة : ٢٢ فاضاف النظر الى الوجوه لأن العينان فيــه .

ولقد أتى في سورة التطفيف أنّ القوم قد حجبوا عن الرحمن
فيدل بالمفهوم ان المؤمنـين يرونـه في جنة الحيوان
وبذا استدل الشافعي واحمد وسواهما من عالمي الازمان
واتى بذا المفهوم تصريحاً بآ خرها فلا تخدع عن القرآن
واتى بذاك مكذبا للكافريـن الساخرين بشيعة الرحمن
ضحكوا من الكفار يومئذ كما ضحكوا هُم منهم على الايمان
وأثابهم نظرا اليه ضـد ما قد قاله فيهم اولو الكفران
فلذاك فسره الأئمـة انه نظر الى الرب العظيم الشان
لله ذاك الفهم يؤتيه الذي هو اهله من جاد بالاحسان

يشير الى قوله تعالى في سورة المطففين عن الكفار (كلا انهم عـن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين : ١٥ فمفهومه أن المؤمنين يرونه سبحانه .

قال الناظم في « حـادي الأرواح » (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) . أي : عن رؤيته وسماع كلامه ، فلو لم يره المؤمنون ويسمعوا

كلامه ، كانوا أيضاً محجوبين عنه . وقد احتج بهذا الشافعي وغيره من الأئمة . انتهى كلامه .

قوله : وأتى بذا المفهوم تصريحاً بآخرها الخ . يعني قوله تعالى (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون . على الأرائك ينظرون) المطففين : ٣٤، ٣٥ أي : ينظرون الى الرب سبحانه كما فسرها الأئمة بذلك ، وذلك أن الكفار في الدنيا كانوا من المؤمنين يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، فجزاهم الله تعالى بأن جعلهم يضحكون على الكفار وهم على الأرائك ، كما كانوا يضحكون عليهم في الدنيا ، والله أعلم

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وروى ابن ماجة مسنداً عن جابر ... خبراً وشاهده ففي القرآن

بيناهمُ في عيشهم وسرورهم ... ونعيمهم في لذة وتهان

وإذا بنور ساطع قد أشرقت ... منه الجنان قصيّها والداني

رفعوا اليه رؤوسهم فرأوه نو ... ر الرب لا يخفى على انسان

وإذا بربهم تعالى فوقهم ... قد جاء للتسليم بالاحسان

قال : السلام عليكم فيرونه ... جهراً تعالى الرب ذو السلطان

مصداق ذا (يس) قد ضمنته عند ... القول من رب بهم رحمان

من رد ذا فعلى رسول الله رد ... وسوف عند الله يلتقيان

في ذا الحديث علوّه ومجيئه ... وكلامه حتى يرى بعيان

هذي أصول الدين في مضمونه لا قول جهم صاحب البهتان

يعني قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) يس : ٥٨ روى ابن ماجه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، اذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم ياأهل الجنة وهو قول الله عز وجل (سلام قولا من رب رحيم) يس : ٥٨ فلا يلتفتون الى شيء مما هم فيه من النعيم ، ماداموا ينظرون اليه ، حتى يحتجب عنهم ، ويبقى فيهم بركته ونوره »

وكذا حديث أبي هريرة ذلك الـ ـخبر الطويل أتى به الشيخان

فيه تجلي الرب جل جلاله ومجيئه وكلامه ببيان

وكذاك رؤيته وتكليم لمن يختاره من أمة الانسان

فيه أُصول الدين أجمعها فلا تخدعك عنه شيعة الشيطان

وحكى رسول الله فيه تجدد الـ ـغضب الذي للرب ذي السلطان

إجماع أهل العزم من رسل الالـ ـه وذاك اجماع على البرهان

لا تخدعنّ عن الحديث بهذه الـ آراء فهي كثيرة الهذيان

أصحابها أهل التخرص والتنا قض والتهاتر قائلو البهتان

حديث أبي هريرة الذي أشار اليه ، هو ما في « الصحيحين » واللفظ لمسلم عن أبي هريرة قال : أتي رسول الله ﷺ يوماً بلحم ، فرفع اليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهلّ تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ،

فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ماأنتم فيه ؟ ألا ترون ماقد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض ، إيتوا آدم ، فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ ألا ترى إلى ماقد بلغنا ، فيقول آدم : ان ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى ابراهيم ، فيأتون إلى ابراهيم ، فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى مانحن فيه ؟ ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول لهم : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : ياموسى أنت رسول الله ، فضلك الله برسالاته ، وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا الى ربك ، ألا ترى الى مانحن فيه ؟ ألا ترى إلى ماقد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون

عيسى ، فيقولون : ياعيسى أنت رسول الله ، وكلمت الناس في المهد ، وكلمة منه ألقاها الى مريم وروح منه ، فاشفع لنا الى ربك ، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ، نفسي ، نفسي ، إذهبوا الى محمد ، فيأتونني فيقولون : يامحمد أنت رسول الله وخاتم النبيين ، وغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى الى مانحن فيه ؟ ألا ترى إلى ماقد بلغنا ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يقال : يامحمد ارفع رأسك سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : يارب ، أمتي أمتي ، فيقال : يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفسي بيده ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر » أو « كما بين مكة وبصرى » .

يكفيك أنك لو حرصت فلن ترى ... فئتين منهم قط يتفقان
الا اذا ماقلدا لسواهما ... فتراهما جيلا من العميان
ويقودهم أعمى يظن كمبصر ... يامحنة العميان خلف فلان
هل يستوي هذا ومبصر رشده ... الله أكبر كيف يستويان
أوَما سمعت منادي الايمان يخـــبر عن منادي جنة الحيوان ؟
يا أهلها لكمُ لدى الرحمن وعـــد وهو منجزه لكم بضمان

قالوا أما بيضت أوجهنا كذا أعمالنا ثقلت في الميزان
وكذاك قد أدخلتنا الجنات حين أجرتنا من مدخل النيران
فيقول عندي موعد قد آن أن أعطيكموه برحمتي وحناني
فيرونه من بعد كشف حجابه جهراً روى ذا مسلم ببيان

روى مسلم في « صحيحه » عن صهيب أن النبي ﷺ قال : « اذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ماهو ؟ ألم يثقل موازيننا ، ألم يبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ، وينجينا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون اليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب اليهم من النظر اليه .

ولقد أتانا في الصحيحين اللذيـن هما أصح الكتب بعد قران
برواية الثقة الصدوق جرير البجلي عمن جاء بالقرآن
أن العباد يرونه سبحانه رؤيا العيان كما يرى القمران

قد تقدم حديث جرير في الرؤية .

قوله : البردين . قال في « القاموس » الابردان : الغداة والعشي ، كالبردين .

فان استطعتم كل وقت فاحفظوا البردين ماعشتم مدى الأزمان
ولقد روى بضع وعشرون امرءاً من صحب احمد خيرة الرحمن
أخبار هذا الباب عمن قد أتى بالوحي تفصيلا بلا كتمان
وألذ شيء للقلوب فهذه الـ أخبار مع أمثالها هي بهجة الايمان

نقل الناظم في « حادي الارواح » قال الطبراني : فتحصل في الباب ممن
ى عن رسول الله ﷺ حديث الرؤية ثلاثة وعشرون نفساً ، ثم سرد
ماءهم . قال : وروى الدارقطني عن يحيى بن معين قال : عندي سبعة
سر حديثاً في الرؤية كلها صحاح . وقال البيهقي : روينا في اثبات الرؤية
ن أبي بكر ومن تقدم غيرهم ، ولم يرد عن أحد نفيها ، ولو كانوا فيها
ختلفين لنقل اختلافهم الينا ، فعلمنا أنهم كانوا على القول برؤيته بالأبصار
الآخرة متفقين ، وقد دل القرآن والسنة المتواترة واجماع الصحابة وأئمة
سلام وأهل الحديث عصابة الاسلام ، ويزك الايمان ، وخاصة رسول
ه ﷺ ، على أن الله سبحانه يرى يوم القيامة بالابصار ، كما يرى القمر ليلة البدر
حواً ، وكما ترى الشمس في الظهيرة ، فان كان لما أخبر الله ورسوله عنه
ن ذلك حقيقة ، فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم ، لاستحالة أن يروه
فل منهم ، أو خلفهم ، وأمامهم ، أو عن شمائلهم ، وان لم يكن لما أخبر
حقيقة كما تقوله فروخ الصابئة ، والفلاسفة ، والمجوس ، والفرعونية ،
المعتزلة ، والرافضة ، وغيرهم من أهل البدع ؛ بطل الشرع والقرآن ، فان
ذي جاء بهذه الاحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة ، والذي بلغها
الذي بلغ الدين ، فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عضين ، حيث يؤمن ببعض
يكفر ببعض ، فـــلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطـــلاع على
ذه الاحاديث وفهم معناها انكارها ، والشهادة بأن محمداً رسول الله أبداً .
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت
سل ربنا بالحق . والمنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان :
حدهما : من يزعم أنه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر . والثاني : من يزعم

أنه لا يرى في الآخرة البتة ، ولا يكلم عباده ، وما أخبر به الله ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين ، وبالله التوفيق .

والله لولا رؤية الرحمن في الـــجنات ماطابت لذي العرفان

أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه وخطابه في جنة الحيوان

وأشد شيء في العذاب حجابه سبحانه عن ساكني النيران

وإذا رآه المؤمنون نسوا الذي هم فيه مما نالت اليدان

قوله : أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه الخ ؟ اي : أن أعلى نعيم اهـل الجنة هو نعيم رؤية وجه ربهم تعالى كما في حديث صهيب الذي رواه مسلم قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الاية وقال : يكشف الحجاب ، فينظرون اليه ، فما أعطاهم شيئاً أحب اليهم من النظر اليه ؟ وهي الزيادة .وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه مرفوعـاً « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، اذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم ياأهـل الجنة ، وهو قول الله عز وجل (سلام قولاً من رب رحيم) يس : ٥٨ فلا يلتفتون الى شيء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون اليه ، حتى يحتجب عنهم . . . » الحديث .

قوله : وأشد شيء في العذاب حجابـه الخ . دليله قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين : ١٥

فاذا توارى عنهمُ عادوا الى لذاتهم مـن سائر الألوان

فلهم نعيم عند رؤيته سوى ... هـذا النعيم فحبذا الأمران
أو ماسمعت سؤال أعرف خلقه ... بجلاله المبعوث بالقرآن؟!
شوقا اليه ولذة النظر الذي ... بجلال وجه الرب ذي السلطان
فالشوق لذة روحه في هذه الـدنيا ... ويوم قيامة الابـدان
تلتذ بالنظر الذي فازت بـه ... دون الجوارح هـذه العينان

يعني الحديث الذي رواه الامام أحمد، والحاكم في « صحيحه » من حديث زيد بن ثابت. وفيه « وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق الى لقائك ».

والله ما في هذه الدنيا ألذ من اشتياق العبد للرحمن
وكذاك رؤية وجهه سبحانه ... هي أكمل اللذات للانسان
لكنما الجهمي ينكر ذا وذا ... والوجه أيضاً خشية الحدثان
تباً له المخدوع أنكر وجهه ... ولقاءه ومحبة الديـان
وكلامه وصفاته وعلوه ... والعرش عطله من الرحمن
فتراه في واد ورسل الله في ... واد وذا من أعظم الكفران

فصل

في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة

أوَ ماسمعت بأنه سبحانه   حقاً يكلم حزبه بجنان؟!
فيقول جل جلاله هل أنتم   راضون قالوا نحن ذو رضوان
أم كيف لانرضى وقد أعطيتنا   مالم ينله قط من انسان
هل ثم شيء غير ذا فيكون أفضـل منه نسأله من المنان
فيقول أفضل منه رضواني فلا   يغشاكمُ سخط من الرحمن
ويذكّر الرحمن واحدهم بما   قد كان منه سالف الأزمان
منه اليه ليس ثم وساطة   ماذاك توبيخاً من الرحمن
لكنّ يعرفه الذي قد ناله   من فضله والعفو والاحسان
ويسلم الرحمن جل جلاله   حقاً عليهم وهو في القرآن

في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: ياأهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لانرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك؟! فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: ربنا

وأي شيء أفضل من ذلك ؟ قال : أحل عليكم رضواني ، فلا أسخط أبداً »
ومن تراجم البخاري عليه : باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة ،
وساق فيه عدة أحاديث ، وقد أخبر سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة ، وأن
ذلك السلام حقيقة ، وهو قوله (سلام قولاً من رب رحيم) يس : ٥٨ وقد فسر النبي ﷺ
الآية في حديث جابر في الرؤية ، وأنه يشرف عليهم من فوقهم ، ويقول :
سلام عليكم يا أهل الجنة ، فيرونه عياناً . وفي هذا اثبات الرؤية والتكليم ،
والعلو . والمعطلة تنكر هذه الامور الثلاثة ، وتكفر القائل بها ، وفي حديث
أبي هريرة في سوق الجنة قال النبي ﷺ « ولا يبقى أحد في ذلك المجلس إلا
حاضره الله محاضرة ، فيقول : يافلان ، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا .. ؟ »
الحديث . وفي حديث عدي بن حاتم « مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم
القيامة » وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه « فيقول تبارك وتعالى للعبد :
ألم أكرمك وأسودك ؟ ... » الحديث . وحديث أنس في يوم المزيد ومخاطبته
فيه لأهل الجنة مراراً . وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها التكليم .

وكذاك يسمعهم لذيذ خطابه　　سبحانه بتلاوة الفرقان
فكأنهم لم يسمعوه قبل ذا　　هذا رواه الحافظ الطبراني
هذا سماع مطلق وسماعنا الـ　　ـقرآن في الدنيا فنوع ثاني
والله يسمع قوله بوساطة　　وبدونها نوعان معروفان
فسماع موسى لم يكن بوساطة　　وسماعنا بتوسط الانسان
من صير النوعين نوعاً واحداً　　فمخالف للعقل والقرآن

روى أبو الشيخ عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريده قال : ان أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله ، فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والزمرد ، فلم تقر أعينهم بشيء ، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه ، ثم ينصرفون الى رحالهم ناعمين ، قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد .

قوله : فسماع موسى لم يكن بو ساطة . أي : ان موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بغير وساطة ، وأما سماعنا كلام الله فهو بوساطة .

قوله : من صير النوعين نوعاً واحداً . أي : كالجهمية وأتباعهم ، ومخالفتهم للعقل والقرآن ظاهرة .

فصل

في يوم المزيد وما أعد الله لهم فيه من الكرامة

أو ما سمعت بشأنهم يوم المزيـــد وأنه شأن عظيم الشان؟!
هو يوم جمعتنا ويوم زيارة الـــرحمن وقت صلاتنا وأذان
والسابقون إلى الصلاة هم الألى فازوا بذاك السبق بالاحسان
سبق بسبق والمؤخر هاهنا متأخر في ذلك الميدان
والأقربون إلى الامام فهم أولو الـــزلفى هناك فها هنا قربان
قرب بقرب والمباعد مثله بعد ببعد حكمة الديان

ولهم منابر لؤلؤ وزبرجد ومنابر الياقوت والعقيان

هذا وأدناهم ومافيهم دنا من فوق ذاك المسك كالكثبان

ماعندهم أهل المنابر فوقهم مما يرون بهم من الاحسان

فيرون ربهم تعالى جهرة نظر العيان كما يرى القمران

ويحاضر الرحمن واحدهم محا ضرة الحبيب يقول يابن فلان

هل تذكر اليوم الذي قد كنت فيـــه مبارزاً بالذنب والعصيان

فيقول رب أما مننت بمغفرة قدماً فانك واسع الغفران

فيجيبه الرحمن مغفرتي التي قد أوصلتك إلى المحل الداني

يشير الى حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ « أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء ، فيها نكتة سوداء ، فقلت : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذه الجمعة يعرضها عليك ربك عزوجل لتكون لك عيداً ، ولقومك من بعدك ، تكون أنت الأول ، وتكون اليهود والنصارى من بعدك . قلت : مالنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير ، فيها ساعة من دعا الله تعالى فيها بخير قسم له ، أعطاه اياه ، أوليس له قسم ، إلا ذخر له ما هو أعظم منه . قلت : ما هذه النكتة السوداء فيها ؟ قال : هي الساعة تقوم يوم الجمعة ، وهو سيد الأيام عندنا ، ونحن ندعوه يوم المزيد في الآخرة . قلت : وماتدعونه يوم المزيد ؟ قال : ان ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح من مسك أبيض ، فاذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ، ثم

حف الكرسي بمنابر من نور ، ثم جاء النبيون حتى يجلسوا عليها ، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ، ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ، ثم جاء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثب ، فيتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه ، ثم يقول : أنا الذي صدقتكم وعدي ، وأتممت عليكم نعمتي ، وهذا محل كرامتي ، فيسألونه ، ويسألونه ، حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك مالاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، الى أوان منصرف الناس من يوم الجمعة ، ثم يصعد على كرسيه ، ويصعد معه الصديقون والشهداء ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ، درة بيضاء ، لافصم فيها ، ولا نظم ، أو ياقوتة حمراء ، أو زبرجدة خضراء ، فيها غرفها وأبوابها ، مطردة فيها أنهارها ، متدلية فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمها ، فليسوا إلى شيء أحوج منهم الى يوم الجمعة ، ليزدادوا من كرامته عز وجل ، وليزدادوا نظراً الى وجهه ، فلذلك دعي يوم المزيد . أخرجه عبد الله ابن أحمد في كتاب السنة .

قوله : والسابقون الى الصلاة الخ . روى أبو نعيم وأبو النضر وجماعة قالوا : حدثنا المسعودي عن المنهال بن عمرو ، وعن أبي عبيدة عن عبد الله قال : سارعوا الى الجمعة ، فان الله ينزل لأهل الجنة في كل جمعة في كثب من كافور أبيض ، فيكونون منه في القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة .

فصل

في المطر الذي يصيبهم هناك

ويظلهم إذ ذاك منه سحابة ... تأتي بمثل الوابل الهتان
بيناهم في النور إذ غشيتهم ... سبحان منشيها من الرضوان
فتظل تمطرهم بطيب ما رأوا ... شبهاً له في سالف الأزمان
فيزيدهم هذا جمالاً فوق ما ... بهم وتلك مواهب المنان

روى ابن ابي عاصم في كتاب « السنة » عن سعيد بن المسيب أنه لقي ا هريرة ، فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة . ل سعيد : أو فيها سوق؟ قال: نعم ،أخبرني رسول الله ﷺ ، أن أهل الجنة إذا خلوها نزلوها بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، زورون الله تبارك وتعالى ، فيبرز لهم عرشه ، ويتبدى لهم في روضة من ياض الجنة ، فيوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من برجد ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس ناهم وما فيهم دني على كثبان المسك والكافور ، ما يرون أن أصحاب كراسي بأفضل منهم مجلساً . قال : يا أبا هريرة : وهل نرى ربنا عز وجل؟ ل : نعم ، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا: لا . قال: كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد الا حاضره

الله محاضرة، حتى يقول : يافلان بن فلان ، أتذكر يوم فعلت كذا و كذا؟ فيذكره ببعض عذراته في الدنيـــا ، فيقول : بلى ، أفلم تغفرلي ؟ فيقول : بـــلى ، فبمغفرتي بلغت منزلتك هـذه ، فبيناهم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيباً لم يجـدوا مثـــل ريحه شيئاً قط ، قال : ثم يقول ربنا تبارك وتعالى : قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة ، فخذوا مااشتهيتم . قال : فيأتون سوقاً قد حفت بها الملائكة ، فيه ما لم تنظر العيون الى مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر على القلوب ، قال : فيحمل لنا مااشتهينا ، ليس يباع ولا يشرى . وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا ، قال : فيقبل ذو البزة المرتفعة ، فيلقى من هو دونه ومافيهم دني ، فيروعه مايرى عليه من اللباس والهيئة ، فما ينقضي آخر حديثـــه حتى يتمثل له أحسن من ذلك ، وذلك أنه لاينبغي لأحد أن يحزن فيها ، قال : ثم ننصرف الى منازلنا ، فيلقانا أزواجنا ، فيقلن : مرحباً وأهلاً ، لقد جئتنا ، وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فيقول : انا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل ، ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا . ورواه الترمذي وابن ماجه .

فصل

في سوق الجنة الذي ينصرفون اليه من ذلك المجلس

فيقول جل جلاله قوموا الى ماقدذخرت لكم من الاحسان

يأتون سوقاً لا يباع ويشترى　　فيه فخذ منه بلا أثمان
قد أسلف التجار أثمان المبيـــع بعقدهم في بيعة الرضوان
لله سوق قد أقامته الملا　　ئكة الكرام بكل ما احسان
فيها الذي والله لا عين رأت　　كلا ولا سمعت به أذنان
كلا ولم يخطر على قلب امرىء　　فيكون عنه معبراً بلسان
فيرى امرءاً من فوقه في هيئة　　فيروعه ماتنظر العينان
فاذا عليه مثلها اذ ليس يلـــحق أهلها شيء من الأحزان
واهاً لذا السوق الذي من حله　　نال التهاني كلها بأمان
يدعى بسوق تعارف مافيه من　　صخب ولا غش ولا أيمان
وتجارة من ليس تلهيه تجار　　ات ولا بيع عن الرحمن
أهل المروءة والفتوة والتقى　　والذكر للرحمن كل أوان
يامن تعوض عنه بالسوق الذي　　ركزت لديه راية الشيطان
لو كنت تدري قدر ذاك السوق لم　　تركن الى سوق الكساد الفاني

فصل

في حالهم عند رجوعهم الى أهليهم ومنازلهم

فاذا هم رجعوا الى أهليهم بمواهب حصلت من الرحمن
قالوا لهم أهلاورحباً ما الذي أعطيتمُ من ذا الجمال الثاني؟
والله لاازددتم جمالاً فوق ما كنتم عليه قبل هذا الآن
قالوا وأنتم والذي أنشاكم قد زدتم حسناً على الاحسان
لكن يحق لنا وقد كنا اذاً جلساءرب العرش ذي الرضوان
فهم الى يوم المزيد أَشد شو قاً من محب للحبيب الداني

تقدم حديث أبي هريرة في شرح ما تضمنه هذا الفصلان في الفصل قبلها ، والله أعلم .

فصل

في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحاله النوم والموت عليهم .

هذا وخاتمة النعيم خلودهم ابداً بدار الخلد والرضوان

أوَما سمعت منادي الايمان يخــبر عن مناديهم بحسن بيان
لكمُ حياة ما بها موت وعا فية بلا سقم ولا أحزان
ولكم نعيم مابه بؤس وما لشبابكم هرم مدى الأزمان
كلا ولا نوم هناك يكون ذا نوم وموت بيننا أخوان
هذا علمناه اضطراراً من كتا ب الله فافهم مقتضى القرآن
والجهم أفناها وأفني اهلها تباً لذاك الجاهل الفتان
طردالنفي دوام فعل الرب في الــماضي وفي مستقبل الازمان
وأبو الهذيل يقول يفنى كل ما فيها من الحركات للسكان
وتصير دار الخلد مع سكانها وثمارهــا كحجارة البنيان
قالوا ولولا ذاك لم يثبت لنا رب لأجل تسلسل الأعيان
فالقوم إما جاحدون لربهم أو منكرون حقائق الايمان

روى مسلم عن ابي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال : نادي مناد : ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وان لكم أن تحيوا تموتوا أبداً ، وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وان لكم أن تنعموا تبأسوا أبداً ، وذلك قول الله عز وجل (ونودوا أن تلكم الجنة رثتموها بما كنتم تعملون) الأعراف : ٤٣ وروى نحوه عثمان بن أبي بة مختصراً .

قوله : هذا علمناه اضطرارا الخ . يعني قوله تعالى (ونودوا أن تلكم

الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) وروى ابن مردويه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون » وروى الطبراني عنه بلفظ قال : سئل نبي الله ﷺ فقيل : أينام أهل الجنة ؟ فقال : « النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون » .

قوله : والجهم أفناها الخ . تقدم الكلام في معنى فناء الجنة والنار عند الجهمية ، وفناء حركاتها عند ابي الهذيل بما أغنى عن الاعادة .

فصل

في ذبح الموت بين الجنة والنار والرد على من قال ان الذبح لملك الموت وان ذلك مجاز لا حقيقة له .

أو ما سمعت بذبحه للموت بيـــن المنزلين كذبح كبش الضان
حاشا لذا الملك الكريم وانما هو موتنا المحتوم للانسان
والله ينشي منه كبشا أملحاً يوم المعاد يرى لنا بعيان
ينشي من الاعراض أجساماً كذا بالعكس كلٌ قابل الامكان

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « يجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيتوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون : نعم هذا الموت ، ثم يقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت . قال : فيؤمر به فيذبح ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل

النار خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (وأنذرهم يوم الحسرة ...) مريم : ٣٩ الآية . متفق عليه . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار الى النار ، أتي بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً الى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً الى حزنهم » وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، أتي بالموت ملبباً ، فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين ، يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون ـ هؤلاء وهؤلاء ـ قد عرفناه ، وهو الموت الذي وكل بنا ، فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لا موت » رواه النسائي ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

قال الناظم في « حادي الأرواح » : وهذا الكبش ، والاضجاع ، والذبح ، ومعاينة الفريقين ، ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل ، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً ، قال : الموت عرض ، والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح ، وهذا لا يصح ، فان الله سبحانه وينشيء من الموت صورة كبش يذبح ، كما ينشيء من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب ، والله تعالى ينشيء من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها ، وينشيء من الأجسام أعراضاً ، ومن الأجسام أجساماً ، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تبارك وتعالى ، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال . ولا حاجة الى تكلف من قال : إن الذبح لملك الموت ، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله

ورسوله ، والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل ، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول من كلامه ، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث دل على أن نفس العرض يذبح ، وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ، ويصير مكانه جسم يذبح ، ولم يهتد الفريقان الى هذا القول الذي ذكرناه ، الى آخر ما ذكره . ثم احتج الناظم لما ذكره بأن أعمال العباد توزن فتخف تارة ، وتثقل أخرى ، فقال :

أفما تصدق أن أعمال العبا   د تحط يوم العرض في الميزان؟
وكذاك تثقل تارة وتخف أخـــرى ذاك في القرآن ذو تبيان
وله لسان كفتاه تقيمه   والكفتان اليه ناظرتان
ما ذاك أمراً معنوياً بل هو الـــمحسوس حقاً عند ذي الايمان

أقول : يدل لما ذكره الناظم أن الأعمال توزن يوم القيامة ، فتثقل تارة ، وتخف أخرى ، كما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ...) الأنبياء ٤٧ الآية ، وذلك أمر محسوس ، فتوزن الأعمال بميزان له كفتان ولسان ، وليس ذلك أمراً معنوياً ، بل هو محسوس ، والله أعلم .

أوَ ما سمعت بأن تسبيح العبا   د وذكرهم وقراءة القرآن؟
ينشيه رب العرش في صور تجا   دل عنه يوم قيامة الأبدان
أوَ ماسمعت بأن ذلك حول عر   ش الرب ذو صوت وذو دوران ؟
يشفعن عند الرب جل جلاله   ويذكرون بصاحب الاحسان

أوَ ما سمعت بأن ذلك مؤنس   في القبر للملفوف في الأكفانْ؟

في صورة الرجل الجميل الوجه في   سن الشباب كأجمل الشبان

في الحديث أن ماتذكرون من جلال الله ، وتسبيحه، وتحميده ، وتهليله يتعاطفن حول العرش ، لهن دوي كدوي النحل ، يذكرن بصاحبهن . ذكره أحمد ، وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه ، للصورة التي يراها . فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، وأنا عملك السيىء ، وهذا حقيقة لا خيال ، ولكن الله أنشأ له من عمله صورة حسنة ، وصورة قبيحة . وقال قتادة : بلغنا أن نبي الله ﷺ قال : « ان المؤمن اذا خرج من قبره ، صور له عمله في صورة حسنة ، فيقول له : من أنت ؟ فوالله إني لأراك امرأ الصدق ، فيقول له : أنا عملك ، فيكون له نوراً وقائداً الى الجنـــة . وأما الكافر اذا خرج من قبره ، صور له عمله في صورة سيئة ، وبشارة سيئة ، فيقول : ما أنت ، فوالله اني لأراك امرأ السوء ، فيقول : أنا عملك ، فينطلق به حتى يدخله النار .

أوَ ما سمعت بأن ما تتلوه في   أيام هذا العمر من قرآن؟

يأتي يجادل عنك يوم الحشر للرحمن كي   ينجيك من نيران

في صورة الرجل الذي هو شاحب   ياحبذا ذاك الشفيع الداني

أو ماسمعت حديث صدق قد أتى   في سورتين من اول القرآن؟

فرقان من طير صواف بينها   شرق ومنه الضوء ذو تبيان

شبههما بغمامتين وان تشأ   بغيايتين هما لذا مثلان

هذا مثال الأجر وهو فعالنا　　كتلاوة القرآن بالاحسان
فالموت ينشيه لنا في صورة　　خلاّقة حتى يرى بعيان
والموت مخلوق بنص الوحي والـ　　ـمخلوق يقبل سائر الألوان
في نفسه وبنشأة أخرى بقد　　رة خالق الأعراض والألوان
أو ماسمعت بقلبه سبحانه الـ　　أعيان من لون إلى ألوان ؟
وكذلك الأعراض يقلب ربها　　أعيانها والكل ذو إمكان
لم يفهم الجهال هذا كله　　فأتوا بتأويلات ذي البطلان
فمكذّب ومؤوّل ومحير　　ماذاق طعم حلاوة الايمان
لما فسا الجهال في آذانه　　أعموه دون تدبر القرآن
فثنى لنا العطفين منه تكبراً　　وتبختراً في حلة الهذيان
إن قلت: قال الله قال رسوله　　فيقول جهلا: أين قول فلان؟

في « الصحيح » عن النواس بن سمعان الكلابي قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران » وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ، مانسيتهن بعد قال: « كأنهما غمامتان ، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما » قال النووي في « شرح مسلم » قال أهل اللغة : الغمامة والغياية: كل شيء أظل الانسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما . قال العلماء : المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين ، وقوله ﷺ « أو كأنهما فرقان من طير صواف » وفي الرواية الأخرى « كأنهما

حزقان من طير صاف » الفرقان بكسر الفاء واسكان الراء. والحزقان بكسر الحاء المهملة واسكان الزاي ومعناهما واحد ، وهما قطيعان وجماعتان . يقال في الواحد : فرق ، وحزق ، وحزيقة ، أي : جماعة .

قوله : « أو ظلتان سوداوان بينهما شرق » . الشرق بفتح الراء واسكانها ، أي ضياء ونور . وفي « الصحيح » عنه ﷺ « تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان ... » الحديث ، فهذه القراءة ينشئها الله تعالى غمامتين ، فان الله سبحانه ينشيء من الأعراض أجساماً ، ويجعلها مادة لها . وذكر ابن المبارك في رقائقه : أخبرنا رجل عن زيد بن أسلم قال : بلغني أن المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة في أحسن صورة ، أحسن ماخلق الله وجهاً وثياباً وأطيبه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه ، كلما أفزعه شيء أمنه ، وكلما تخوف شيئاً هون عليه ، فيقول له : جزاك الله من صاحب خيراً ، من أنت ؟ فيقول : أما تعرفني وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك ؟ أنا عملك كان والله حسناً ، فلذلك تراه حسناً ، وكان طيباً ، فلذلك تراني طيباً ، تعال فاركبني فطالما ركبتك في الدنيا . وهو قوله سبحانه (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم) الزمر : ٦١ حتى يأتي به الى ربه ، فيقول : رب إن كل صاحب عمل في الدنيا قد أصاب عمله ، وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب في تجارته ، غير صاحبي قد شغل في نفسه ، فيقول الرب تبارك وتعالى : فما تسأل ؟ قال : المغفرة والرحمة ، أو نحو هذا ، فيقول : فإني غفرت له ، ثم يكسى حلة الكرامة ، ويجعل عليه تاج الوقار ، وفيه لؤلؤة تضيء من مسيرة يومين ، ثم يقول : يارب ان أبويه قد كان شغل عنهما ، وكل صاحب عمل وتجارة قد كان يدخل على أبويه من عمله ، فيعطيان مثل ماأعطي . ويمثل للكافر عمله

في صورة أقبح ماخلق الله وجهاً ، وأنتنه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه ، كلما أفزعه شيء زاده ، وكلما تخوف من شيء زاده خوفاً ، فيقول : بئس الصاحب أنت ، ومن أنت ؟ فيقول : وما تعرفني ؟ فيقول : لا ، فيقول : أنا عملك كان قبيحاً ، فلذاك تراني قبيحاً ، كان منتناً ، فلذاك تراني منتناً ، فطأطىء رأسك أركبك فطالما ركبتني في الدنيا » وهو قوله تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) النحل : ٢٥

فصل

في أن الجنة قيعان وان أغراسها الكلم الطيب والعمل الصالح

أو ما سمعت بأنها القيعان فاغـــرس ماتشاء بذا الزمان الفاني
وغراسها التسبيح والتكبير والـــتحميد والتوحيد للرحمن
تباً لتارك غرسه ماذا الذي قد فاته من مدة الامكان
يامن يقر بذا ولا يسعى له بالله قل لي كيف يجتمعان ؟!
أرأيت لو عطلت أرضك من غرا س ما الذي تجني من البستان ؟
وكذاك لو عطلتها من بذرها ترجو المغل يكون كالكيان
ماقال رب العالمين وعبده هذا فراجع مقتضى القرآن

في « جامع الترمذي » من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لقيت ابراهيم ليلة أسري بي ، فقال : يامحمد

أقرأ أمتك السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». قال الترمذي: حديث حسن غريب، من حديث ابن مسعود، وفي الترمذي من حديث أبي الزبير، عن جابر عن النبي ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة» قال: الترمذي: حديث حسن صحيح. وروى ابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرساً. فقال: يا أبا هريرة، ما الذي تغرس؟ قال: غرساً. قال: ألا أدلك على غراس خير من هذا؟ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة».

وتأمل الباء التي قد عينت ... سبب الفلاح لحكمة الفرقان
وأظن باء النفي قد غرّتك في ... ذاك الحديث أتى به الشيخان
ان يدخل الجنات أصلاً كادح ... بالسعي منه ولو على الأجفان
والله ما بين النصوص تعارض ... والكل مصدرها عن الرحمن
لكنّ بالاثبات والتسبيب والـ ... ـباء التي للنفي بالأثمان
والفرق بينهما ففرق ظاهر ... يدريه ذو حظ من العرفان

قال الناظم في «حادي الأرواح»: روى أبو نعيم من حديث جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة، ولا يجيره من النار، ولا أنا إلا بتوحيد الله»، واسناده على شرط مسلم، وأصله في الصحيح وههنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله، وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها، وان كان سبباً، ولهذا أثبت الله دخولها بالأعمال في

قوله (بما كنتم تعملون) النحل : ٣٢ ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال في قوله « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » ولا تنافي بين الأمرين لوجهين أحدهما: ماذكره سفيان وغيره ، قال : كانوا يقولون : النجاة من النار بعفو الله ، ودخول الجنة برحمته ، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال. ويدل على هذا حديث أبي هريرة أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم. رواه الترمذي . الثاني : أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعارضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلًا للآخر ، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية مادخلت عليه لغيره ، وان لم يكن مستقلًا بحصوله. وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين في قوله «سددوا وقاربوا ، واعلموا ان أحداً منكم لن ينجو بعمله ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ، قال : ولا أنا إلا يتغمدني الله برحمته » . ومن عرف الله سبحانه ، وشهد مشهد حقه عليه ، وشهد تقصيره وذنوبه ، وأبصر هذين المشهدين بقلبه ، عرف ذلك ، وجزم به ، والله المستعان . انتهى كلامه .

فصل

في اقامة المأتم على المتخلفين عن رفقة السابقين

المأتم كمقعد: كل مجتمع في حزن اوفرح ،اوخاص بالنساء، قاله في «القاموس».

بالله ما عذر أمرىء هو مؤمن   حقاً بهـــذا ليس باليقظان ؟
بل قلبه في رقدة فاذا استفا   ق فلبسه هو حلة الكسلان

تالله لو شـاقتك جنات النعـــيم طلبتها بنفائس الأثمان
وسعيت جهدك في وصال نواعم وكواعب بيض الوجوه حسان
جليت عليك عرائس والله لو تجلى على صخر من الصوان
رقت حواشيه وعاد لوقته ينهال مثل نقى من الكثبان
لكنّ قلبك في القساوة جاز حـــد الصخر والحصباء في أشجان
لو هزك الشوق المقيم وكنت ذا حس لما استبدلت بالأدوان
أو صادفت منك الصفات حياة قلـــب كنت ذا طلب لهذا الشان
خود تزف إلى ضرير مقعد يامحنة الحسناء بالعميان
شمس تزف اليه مـا ذا حيلة العنين في الغشيان

ومعنى كلام الناظم: أنا تلونا عليك صفات الجنـــة ، ونعوت عرائسها ، فلو صادف لك أدنى حياة قلب منك وايمان ، لسعيت جهدك في طلبهـا ، وآثرت النعيم الباقي على الخـــزف الفاني ، لكن قلبك أقسى من الصخر ، ولكن نحن بما وصفنا لك من صفات الجنة وعرائسها بمنزلة من زف خوداً ، وهي المرأة البيضاء الناعمـة إلى ضرير مقعد ، أو زف أجمل النساء التي هي كالشمس الى عنين عاجز عن الجماع .

ياسلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان
ياسلعة الرحمن ليس ينالهـــا في الالف الا واحد لا اثنان -
ياسلعة الرحمن ماذا كفؤهـا الا أولو التقوى مع الايمان

ياسلعة الرحمن سوقك كاسد بين الأراذل سلفة الحيوان
ياسلعة الرحمن اين المشتري فلقد عرضت بأيسر الاثمان؟
ياسلعة الرحمن هل من خاطب فالمهر قبل الموت ذو إمكان؟
ياسلعة الرحمن كيف تصبّر الـخطاب عنك وهمُ ذوو ايمان ؟
ياسلعة الرحمن لولا أنها حجبت بكل مكاره الانسان
ما كان عنها قط من متخلف وتعطلت دار الجزاء الثاني
لكنها حجبت بكل كريهة ليصد عنها المبطل المتواني
وتنالها الهمم التي تسمو الى رب العلى بمشيئة الرحمن

قوله : ولكنها حجبت بكل كريهة الخ. روى البخاري ومسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات »

قوله : حفت . أصل الحفاف : الدائر بالشيء المحيط به، الذي لايتوصل اليه الا بعد أن يتخطى ، فمثل النبي ﷺ المكاره والشهوات بذلك ، فالجنة لاتنال إلا بقطع مفاوز المكاره ، والصبر عليها ، والنار لاينجى منها الا بترك الشهوات ، وفطام النفس عنها . وروي عن النبي ﷺ أنه مثل طريق الجنة وطريق النار بتمثيل آخر ، فقال : طريق الجنة حزن بربوة ، وطريق النار سهل بسهوة . والحزن : هو الطريق الوعر المسلك ، والربوة : المكان المرتفع، وأراد به أعلى ما يكون في الروابي. والسهوة بالسين المهملة: هو الموضع السهل الذي لاغلظ فيه ولا وعورة . والمكاره : كل ما يشق على النفس فعله ، ويصعب عليها عمله ، كالطهارة في السبرات ، وغيرها من

اعمال الطاعات ، والصبر على المصائب ، وجميع المكروهات . والشهوات: كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إليه ، ويوافقها . وذكر الناظم العلة في حجب الجنة بالمكاره ، وحف النار بالشهوات ، وذلك ليصد عن الجنة المبطل المتواني المتقاعد ، وتنالها الهمم التي تسمو الى معالي الأمور ، وتؤثر الأعلى على الأدنى ، ولو حصل من ذلك أعظم المشقة ، والله أعلم .

فاتعب ليوم معادك الادنى تجد　　راحاته يوم المعاد الثاني

واذا أبت ذا الشأن نفسك فاتهمها ثم راجع مطلع الايمان

فاذا رأيت الليل بعد وصبحه　　ما انشق عنه عموده لأذان

والناس قد صلوا صلاة الصبح وانتظروا طلوع الشمس قرب زمان

فاعلم بأن العين قد عميت فنا　　شد ربك المعروف بالاحسان

أي . إذا كان الصبح قد طلع والناس قد صلوا صلاة الصبح ، وقرب طلوع الشمس ، وأنت لجهلك وغفلتك لاتعلم بطلوع الفجر ، وتظن أن الليل لم يزل ، فاعلم بأن عينك قد عميت ، أي : عين بصيرتك ، فاسأل ربك سبحانه ايمانا يباشر قلبك المحجوب .

واسأله إيماناً يباشر قلبك المحجوب عنه لتنظر العينان

واسأله نوراً هادياً يهديك في　　طرق المسير اليه كل أوان

والله ما خوفي الذنوب فانها　　لعلى طريق العفو والغفران

لكنما أخشى انسلاخ القلب عن　　تحكيم هذا الوحي والقرآن .

ورضى بآراء الرجال وخرصها　　لا كان ذاك بمنة الرحمن

فبأي وجــه ألتقي ربي اذا أعرضت عن ذا الوحي طول زمان
وعزلته عما أريــد لأجله عزلا حقيقياً بـلا كتمان
صرحت أن يقيننا لا يستفــاد به وليس لديه من إتقان
أوليته هجراً وتأويلا وتحــريفا وتفويضا بــلا برهان
وسعيت جهدي في عقوبة ممسك بعراه لا تقليد رأي فلان

يقول الناظم : والله ما أخشى الذنوب ، لأن أسباب غفرانها متعددة ، وعفو الرب تعالى واسع ، وانما اخشى انسلاخ قلبي عن تحكيم الوحي المبين من كلام رب العالمين ، وقول نبيه الصادق الأمين ، فبأي وجـه ألقى الله تعالى إذا فعلت ذلك وأعرضت عن الوحي المنزل من السماء ، ورضيت بآراء الرجال وخرصها ، وقدمتها على كلام الله ورسوله ، وعزلت القرآن عما أريد لأجله ، وهو أنه أريد بانزاله الهدى واليقين ، فما حجتي عند الله اذا صرحت بأنه لا يفيد اليقين ، وأوليته هجراً وتأويلاً وتحريفاً وتفويضاً ، ومع ذلك سعيت جهدي في عقوبة من تمسك بالوحي النازل من السماء وقدمه على التقليد والآراء الهراء ، كما فعل ذلك من فعله من المبتدعين ، عياذاً بالله من ذلك .

يامعرضاً عما يراد به وقد جد المسير فمنتهاه داني
جذلان يضحك آمنا متبختراً وكأنــه قد نال عقد أمـان
خلع السرور عليه أوفى حله طردت جميع الهم والاحزان
يختال في حلل المسرة ناسيا ما بعدها من حلة الاكفان

ماسعيه الا لطيب العيش في الـــدنيـا ولو أفضى الى النيران

قد باع طيب العيش في دار النعـــيم بذا الحطام المضمحل الفاني

اني أظنك لاتصـدّق كونه بالقرب بـل ظن بلا إيقان

بل قد سمعت الناس قالوا جنة ايضـا ونار بـل لهم قولان

والوقف مذهبك الذي تختاره واذا انتهى الايمان للرجحان

أم تؤثر الأدنى عليه وقالت النـــفس التي استعلت على الشيطان

أتبيـع نقدا حاضراً بنسيئة بعد الممات وطي ذي الاكوان

لو أنـه بنسيئة الدنيـا لهـا ن الأمر لكن في معاد ثان

دع ماسمعت الناس قالوه وخذ ما قـد رأيت مشاهد بعيان

والله لو جالست نفسك خالياً وبحثتهـا بحثاً بلا روغان

لرأيت هـذا كامنا فيها ولو أمنت لألقته إلى الآذان

هذا هو السر الذي من أجله اختارت عليه العاجل المتداني

نقد قـد اشتدت اليه حاجة منهـا ولم يحصل لهـا بهوان

أتبيعه بنسيئة في غير هـــذي الدار بعد قيامة الابدان؟!

هذا وان جزمت بها قطعاً ولكـــن حظها في حيز الامكان

ما ذاك قطعي لها والحاصل الـــموجود مشهود برأي عيـان.

فتألفت من بين شهوتها وشبهـــتها قياسات من البطلان

واستنجدت منهارضى بالعاجل الـــ أدنى على الموعود بعد زمان
وأتى من التأويل كل ملائم لمرادهـا يارقة الايمان
وصغت الى شبهات اهل الشرك والــتعطيل مـع نقص من العرفان
واستنقصت اهل التقى ورأتهم في الناس كالغرباء في البلدان
ورأت عقول الناس دائرة على جمـع الحطام وخدمة السلطان
وعلى المليحة والمليح وعشرة الــأحباب والاصحاب والاخوان
فاستوعرت ترك الجميع ولم تجد عوضا تلذ به من الاحسان
فالقلب ليس يقر إلا في إنا ءٍ فهو دون الجسم ذو جولان
يبغي له سكنا يلذ بقربه فتراه شبه الواله الحيران
فيحب هذا ثم يهوى غـــيره فيظل منتقلا مدى الازمان
لو نال كل مليحة ورياسة لم يطمئن وكان ذا دوران
بل لو ينال بأسرها الدنيا لما قرت بما قد ناله العينان
نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى واختر لنفسك أحسن الانسان
فالقلب مضطر الى محبوبه الـــ أعلى فلا يغنيه حب ثاني
وصلاحه وفلاحه ونعيمه تجريد هذا الحب للرحمن
فاذا تخلى منه أصبح حائراً ويعود في ذا الكون ذا هيمان

قوله : جذلان . قال في « القاموس » : جـذل جذولا : انتصب ، ونبت ، وكفرح ، فرح فهو جذل وجذلان : انتهى .

فصل

في زهد أهل العلم والايمان وايثارهم الذهب الباقي على الخزف الفاني .

لكنّ ذا الايمان يعلم ان هـذا كالظلال وكل هذا فاني
كخيال طيف ما استتم زيارة الا وصبح رحيله بأذان
وسحابة طلعت بيوم صائف فالظل منسوخ بقرب زمان
وكزهرة وافى الربيع بحسنها او لامعاً فكلاهما اخوان
أو كالسراب يلوح للظمآن في وسط الهجير بمستوى القيعان
او كالأماني طاب منها ذكرها بالقول واستحضارها بجنان
وهي الغرور رؤوس أموال المفا ليس الألى تجروا بلا أثمان
او كالطعام يلذ عند مساغه لكنّ عقباه كما تجدان
هذا هو المثل الذي ضرب الرسو ل لها وذا في غاية التبيان

كما في « المسند » أن النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان : ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ، ثم تشرب عليه اللبن والماء؟ قال : بلى قال : فالى مايصير ؟ قال : الى ماقد علمت ، قال : فان الله عز وجل ضرب مثل

الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم .

واذا أردت ترى حقيقتها فخذ　　منه مثالا واحداً ذا شان
أدخل بجهدك أصبعاً في اليم وانـ　　ـظر ما تعلقه إذاً بعيان
هذا هو الدنيا كذا قال الرسو　　ل ممثلا والحق ذو تبيان

قال ﷺ « ماالدنيا في الآخرة الا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم ، فلينظر بم يرجع »

وكذاك مثلها بظل الدوح في　　وقت الحرور لقائل الركبان

في قوله ﷺ « مالي وللدنيا إنما أنا والدنيا كمثل راكب قال تحت ظل شجرة ثم راح وتركها »

هذا ولو عدلت جناح بعوضة　　عند الاله الحق في الميزان
لم يسق منها كافراً من شربة　　ماء وكان أحق بالحرمان

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء » رواه الترمذي وقال : حديث صحيح .

تالله ما عقل امرىء قد باع ما　　يبقى بما هو مضمحل فاني
هذا ويفتي ثم يقضي حاكماً　　بالحجر من سفه لذا الانسان
اذ باع شيئاً قدره فوق الذي　　يعتاضه من هذه الأثمان
فمن السفيه حقيقة ان كنت ذا　　عقل واين العقل للسكران؟!

معنى كلامه أن السفيه يحكم بالحجر عليه إذا باع شيئاً بأقل من قيمته ، فأولى بالسفه من باع الآخرة التي هذا قدرها بالدنيا وهي لاتساوي عند الله جناح بعوضة .

والله لو أن القلوب شهدن مـــنا كان شأن غير هذا الشان
نفس من الانفاس هذا العيش ان قسناه بالعيش الطويل الثاني
ياخسة الشركاء مع عدم الوفا ء وطول جفوتها مع الهجران
هل فيك معتبر فيسلو عاشق بمصارع العشاق كل زمان
لكن على تلك العيون غشاوة وعلى القلوب أكنة النسيان
وأخو البصائر حاضر متيقظ متفرد عن زمرة العميان
يسمو الى ذاك الرفيق الأرفع الـــأعلى وخلى اللعب للصبيان
والناس كلهم فصبيان وإن بلغوا سوى الافراد والوحدان
واذا رأى مايشتهيه قال مو عدك الجنان وجد في الأثمان
واذا أبت الا الجماح أعاضها بالعلم بعد حقائق الايمان
ويرى من الخسران بيع الدائم البـــاقي به يا ذلة الخسران
ويرى مصارع اهلها من حوله وقلوبهم كمراجل النيران
حسراتها هن الوقود فان خبت زادت سعيراً بالوقود الثاني
جاؤوا فرادى مثل ماخلقوا بلا مال ولا أهل ولا اخوان

ما معهمُ شيءٌ سوي الاعمال فهـــي متاجر للنار او لجنان

تسعى بهم أعمالهم سوقاً الى الـــدارين سوق الخيل بالركبان

صبروا قليلاً فاستراحوا دائماً يا عزة التوفيـــق للانسان

حمدوا التقى عند الممات كذا السرى عند الصباح فحبذا الحمدان

وخدت بهم عزماتهم نحو العلى وسروا فما نزلوا الى نعمان

باعوا الذي يفنى من الخزف الخسيـــس بدائم من خالص العقيان

رفعت لهم في اليسر أعلام السعا دة والهدى يا ذلة الحيران

فتسابق الاقوام وابتدروا لها كتسابق الفرسان يوم رهان

وأخو الهوينا في الديار مخلّف مع شكله يا خيبة الكسلان

قوله : وخدت بهم همم الخ . الوخد للبعير : الاسراع ، أو أن يرمي بقوائمه كمشي النعام ، أو سعة الخطو ، كالوخدان ، والوخيد . وقد وخد كوعد ، فهو واخد ، ووخّاد ، ووخود . قاله في « القاموس » .

قوله : خزف . الخزف محركة : الجر ، وكل ماعمل من طين وشوي بالنار حتى يكون فخاراً . قاله في « القاموس »

فصل

في رغبة قائلها إلى من يقف عليها من أهل العلم والايمان أن يتجرد لله ويحكم عليها بما يوجبه الدليل والبرهان، فان رأى حقاً قبله وحمدالله عليه، وإن رأى باطلاً عرف به وأرشد اليه .

ياأيها القاري لها اجلس مجلس الـــحَكَم الأمين أتى له الخصمان
واحكم هداك الله حكماً يشهد الـــعقل الصريح به مع القرآن
واحبس لسانك برهة عن كفره حتى تعارضها بلا عدوان
فاذا فعلت فعنده أمثالها فنزال آخر دعوة الفرسان
فالكفر ليس سوى العناد ورد ما جاء الرسول به لقول فلان
فانظر لعلك هكذا دون الذي قد قالها فتفوز بالخسران
فالحق شمس والعيون نواظر لا تختفي الا على العميان
والقلب يعمى عن هداه مثلما تعمى وأعظم هذه العينان

يقول الناظم : ياأيها القارىء لهذه المنظومة المباركة ، اجلس مجلس الحكم لأمين غير الخائن جلس اليه الخصمان ، واحكم حكماً يشهد له العقل لصريح مع محكم القرآن ، ولا تبادر بتكفير قائلها ، بل احبس لسانك ـهة ، أي : عن أن تحكم بكفره بمجرد هواك ، حتى تعارض ماقاله بغير

اعتداء ، فاذا فعلت ، أي : فعنده أمثالها ، وآخر الأمر يـــدعوك إلى المبارزة والمنازلة .

قوله : فنزالِ هذا ونحوه. اسم مبني على الكسر ، كحذام ، وقطام ونحوهما ، وهو بفتح أوله . ثم بين أن الكفر ليس إلا العناد ، ورد ما قال الرسول لأجل قول فلان وفلان ، ثم قال : فانظر لعلك هكذا الخ . أي : لعلك ممن يعاند ويرد قول الرسول ﷺ لأجل أقوال الناس . ثم أخذ الناظم في الشكاية من الأربعة الذين ذكرهم فقال :

هذا وإني بعدُ ممتحن بأر بعـــة وكلهمُ ذوو أضغان
فظ غليظ جاهل متمعلم ضخم العمامة واسع الأردان
متفيهق متضلع بالجهل ذو ضلع وذو جلح من العرفان
مزجي البضاعة في العلوم وإنه زاج من الايهام والهذيان
يشكو إلى الله الحقوق تظلماً من جهله كشكاية الأبدان
من جاهل متطبب يفني الورى ويحيل ذاك على قضا الرحمن

قوله : متفيهق . قال في « القاموس » : تفيهق في كلامه ، تنطع ، وتوسع ، كأنه ملأ به فمه .

قوله : متضلع . تضلع : امتلأ شبعاً أو رياً ، حتى بلغ الماء أضلاعه ، قاله في « القاموس » .

قوله : ذو ضلع . قال في « القاموس » ضلع كمنع : مال وجنف وجار . وفلاناً ضرب ضلعه . وضلع السيف كفرح : اعوج . والضالع : الجائر ،

والضلع محركة: الاعوجاج خلقة، ويسكن، ومنه: لأقيمن ضلعك بالوجهين.

قوله: زاج. قال في «القاموس»: وبضاعة مزجاة: قليلة، ولم يتم صلاحها، والزجاء: النفاذ في الأمر، وهو أزجى منه: أشد نفاذاً.

قوله: من جاهل متطبب الخ. قال الناس: أفسد مايفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي. هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان.

عجت فروج الخلق ثم دماؤهم وحقوقهم منه إلى الديان

ماعنده علم سوى التفكير والـــتبديع والتضليل والبهتان

فإذا تيقن أنه المغلوب عنـــد تقابل الفرسان في الميدان

قال اشتكوه إلى القضاة فإنهم حكموا وإلا اشكوا إلى السلطان

قولوا له: هذا يحل الملك بل هذا يزيل الملك مثل فلان

فاعقره من قبل اشتداد الأمر منـــه بقوة الأتباع والأعوان

وإذا دعاكم للرسول وحكمه فادعوه كلكم لرأي فلان

وإذا اجتمعتم في المجالس فالغطوا والغوا إذا ما احتج بالقرآن

هذا كما قال الشيخ نصر المنبجي لبيبرس الجاشنكير[1]: إن هذا يخشى على الدولة منه - كما جرى لابن التومرت صاحب المغرب - يعني شيخ الاسلام رحمه الله تعالى.

واستنصروا بمحاضر وشهادة قد أصلحت بالرفق والاتقان.

(١) هو محمد بن عبد الله بن تومرت البربري، أبو عبد الله المتلقب بالمهدي؛ ويقال له: مهدي الموحدين، صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب.

لا تسألوا الشهداء كيف تحمّلوا ... وبأي وقت بل بأي مكان؟
وارفوا شهادتهم وَمَشّوا حالها ... بل أصلحوها غاية الإمكان
فإذا هُمُ شهدوا فزكوهم ولا ... تصغوا لقول الجارح الطعان
قولوا العدالة منهمُ قطعية ... لسنا نعارضها بقول فلان

أي : إذا قدح قادح في شهودكم ، فلا تلتفتوا لقوله ، ولا تصغوا له ، وقولوا : الأصل في الناس العدالة ، ونحو ذلك .

ثبتت على الحكام بل حكموا بها ... فالطعن فيها ليس ذا إمكان
من جاء يقدح فيهمُ فليتخذ ... ظهراً كمثل حجارة الصوان
وإذا هو استعداهمُ فجوابهم ... أتردها بعداوة الأديان؟!

أي : قولوا: لا ترد شهادة العدول بعداوة الأديان .

فصل

في حال العدو الثاني

أو حاسد قد بات يغلي صدره ... بعداوتي كالمرجل الملآن
لو قلت: هذا البحر قال مكذباً ... هذا السراب يكون بالقيعان
أو قلت: هذي الشمس قال مباهتاً ... الشمس لم تطلع إلى ذا الآن
أو قلت: قال الله قال رسوله ... غضب الخبيث وجاء بالكتمان

أو حرّف القرآن عن موضوعه ... تحريف كذّاب على القرآن
صال النصوص عليه فهو بدفعها ... متوكل بالدأب والديدان
فكلامه في النص عند خلافه ... من باب دفع الصائل الطعان
فالقصد دفع النص عن مدلوله ... كي لا يصول إذا التقى الزحفان

فصل

في حال العدو الثالث

والثالث الأعمى المقلد ذينك الـ ... ـرجلين قائد زمرة العميان
فاللعن والتكفير والتبديع والـ ... ـتضليل والتفسيق بالعدوان
وإذا هم سألوه مستنداً له ... قال: اسمعوا ما قاله الرجلان

هذا العدو الثالث، وهو الجاهل المقلد للعدوين اللذين تقدما، وهما الجاهل المتمعلم، والحاسد.

قوله: قال: اسمعوا الخ. المراد بالرجلين: الجاهل، والحاسد.

فصل

في حال العدو الرابع

هذا ورابعهم وليس بكلبهم حاشا الكلاب الآكلي الانتان

خنزير طبع في خليقة ناطق متسوف بالكذب والبهتان

كالكلب يتبعهم يشمش أعظماً يرمونها والقوم للحمان

يتفكهون بها رخيصاً سعرها ميتاً بلا عوض ولا أثمان

هو فضلة في الناس لا علم ولا دين ولا تمكين ذي سلطان

فإذا رأى شراً تحرك يبتغي ذكراً كمثل تحرك الثعبان

قوله : كالكلب يتبعهم. الظاهر أن مراده أن هذا العدو الرابع يتبع الأعداء الثلاثة في أكل لحوم العلماء أتباع الكتاب والسنة ، والتفكه بها .

قوله : فاذا رأى شراً . أي : إن هذا العدو إذا رأى شرا رفع رأسه وتحرك يبتغي ذكراً كتحرك الثعبان ، وهو كما في « القاموس » الحية الضخمة الطويلة ، او الذكر خاصة ، او عام .

ليزول عنه أذى الكساد فينفق الـ ـكلب العقور على ذكور الضان

فبقاؤه في الناس أعظم محنة من عسكر يعزى إلى غازان

غازان من ملوك التتار . ثم أخذ الناظم في التشكي من عدم نفاق بضاعته هذه ، وان العلماء الكبار الذين هم أهل لها قد سافروا عن

هذه البلدان والأوطان، أي ماتوا ولم يجدوا الا الصعافقة، وهم كما في «القاموس» قوم يشهدون السوق للتجارة بلا رأس مال ، فاذا اشترى التجار شيئاً دخلوا معهم ، الواحد صعفقي ، وصعفق ، وصعفوق بالفتح ، جمع : صعافيق أيضاً . انتهى .

هذي بضاعة ضارب في الأرض يبـــغي تاجراً يبتاع بالأثمان

وجد التجار جميعهم قد سافروا عن هذه البلدان والأوطان

إلا الصعافقة الذين تكلفوا أن يتجروا فينا بلا أثمان

فهم الزبون لها فبالله ارحموا من بيعه من مفلس مديان

أي : بالله يامعشر المسلمين ارحموا تاجراً قد جاء ببضاعة ، فاذا التجار قد سافروا ولم يجدوا الا هؤلاء الصعافقه الذين لا مال لهم ، بل هم مفاليس مـديونين .

يارب فارزقها بحقك تاجراً قد طاف بالآفاق والبلدان

ما كل منقوش لديه أصفر ذهباً يراه خالص العقيان

وكذا الزجاج ودرة الغواص في تمييزه ما إن هما مثلان

ثم ختم الكتاب بالتوجه الى الله تعالى وسؤاله بأسمائه وصفاته أن ينصر كتابه ، ورسوله ، ودينه ، وأن ينصر حزب الايمان على حزب الضلال وعسكر الشيطان، فقال:

فصل

في توجه أهل السنة الى رب العالمين أن ينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين .

هذا ونصر الدين فرض لازم ... لا للكفاية بل على الأعيان

بيد وإما باللسان فإن عجز ... ت فالتوجه والدعا بجنان

مابعد ذا والله للايمان حبة ... خردل ياناصر الايمان

بحياة وجهك خير مسؤول به ... وبنور وجهك ياعظيم الشان

قوله : بحياة وجهك الخ . لا يقال : هذا يعارض ما رواه ابو داود عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « لا يسأل بوجه الله الا الجنة » لأنه ورد في دعاء النبي ﷺ منصرفه من الطائف ، حين كذبه أهل الطائف ومن في الطائف من أهل مكة ، فدعا النبي ﷺ بالدعاء المأثور « اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، الى من تكلني » وفي آخره « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ... » الخ والحديث المروي في « الأذكار » « اللهم أنت أحق من ذكر ، وأحق من عبد » وفي آخره « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والارض » . وفي حديث آخر « أعوذ بوجه الله الكريم ، وباسم الله القديم ، وبكلماته التامة ، من شر السامة واللامة ، ومن شر ماخلقت اي رب ، ومن شر هذا اليوم ، ومن شر مابعده ، ومن شر الدنيا والآخرة » وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة ، فيجاب عن ذلك بأن ما ورد من ذلك

أنه سؤال مايقرب من الجنة ، أويمنعه من الاعمال التي تمنعه من الجنة ، فيكون قد سأل بوجه الله ، وبنور وجهه مايقرب إلى الجنة ، كما في الحديث الصحيح « اللم اني أسألك الجنة وما يقرب اليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار ومايقرب اليها من قول وعمل » وأما ما يختص بالدنيا كسؤال المال ، والرزق ، والسعة في المعيشة رغبة في الدنيا ، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه على عمل الآخرة ، فلا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله . والناظم إنما سأل بوجه الله ما يقرب الى الجنة ، بل هو طريق الى الجنــــة ، وهو نصره كتاب الله ، ورسوله ، ودينه . وعلى هذا فلا تعارض بين الأحاديث كما لا يخفى . والله أعلم .

وبحق نعمتك التي أوليتها ... من غير ماعوض ولا أثمان
وبحق رحمتك التي وسعت جميــــع الخلق محسنهم كذاك الجاني
وبحق أسمائك الحسنى معا ... فيها نعوت المدح للرحمن
وبحق حمدك وهو حمد واسع الــ ... أكوان بل أضعاف ذي الأكوان
وبأنك الله الاله الحق معــــبود الورى متقدس عن ثان
بل كل معبود سواك فباطل ... من دون عرشك للثرى التحتاني
وبك المعاذ ولا ملاذ سواك أنـــت غياث كل ملدد لهفان
من ذاك للمضطر يسمعه سوا ... ك يجيب دعوته مع العصيان
إنا توجهنا اليك لحاجة ... ترضيك طالبها أحق معان
فاجعل قضاها بعض أنعمك التي ... سبغت علينا منك كل زمان

أنصر كتابك والرسول ودينك الـ ـعالي الذي أنزلت بالبرهان
واخترته ديناً لنفسك واصطفيت مقيمه من أمة الانسان
ورضيته ديناً لمن ترضاه من هذا الورى هو قيّم الأديان
وأقر عين رسولك المبعوث بالـ ـدين الحنيف بنصره المتداني
وانصره بالنصر العزيز كمثل ما قد كنت تنصره بكل زمان
يارب وانصر خير حزبينا على حزب الضلال وعسكر الشيطان
يارب واجعل شر حزبينا فدا لخيارهم ولعسكر القرآن
يارب واجعل حزبك المنصور أهـ ـل تراحم وتواصل وتدان
يارب واحمهمُ من البدع التي قد أحدثت في الدين كل زمان
يارب جنّبهم طرائقها التي تفضي بسالكها إلى النيران
يارب واهدهمُ بنور الوحي كي يصلوا اليك فيظفروا بجنان
يارب كن لهمُ ولياً ناصراً واحفظهمُ من فتنة الفتان
وانصرهمُ يارب بالحق الذي أنزلته يامنزل القرآن
يارب إنهمُ هم الغرباء قد لجؤوا اليك وأنت ذو الاحسان
يارب قد عادَوا لأجلك كل هـ ـذا الخلق إلا صادق الايمان
قد فارقوهم فيك أحوج ماهمُ ديناً اليهم في رضى الرحمن
ورضوا ولايتك التي من نالها نال الأمان ونال كل أمان

ورضوا بوحيك من سواه وما ارتضوا بسواه من آراء ذي الهذيان
يارب ثبتهم على الايمان واجـــعلهم هداة التائه الحيران
وانصر على حزب النفاة عساكر الـــ إثبات أهل الحق والعرفان
وأقم لأهل السنة النبوية الـــ أنصار وانصرهم بكل زمان
واجعلهم للمتقين أئمة وارزقهم صبراً مع الايقان
تهدي بأمرك لا بما قد أحدثوا ودعوا اليه الناس بالعدوان
وأعزهم بالحق وانصرهم به نصراً عزيزاً أنت ذو السلطان
واغفر ذنوبهم وأصلح شأنهم فلأنت أهل العفو والغفران
ولك المحامد كلها حمداً كما يرضيك لا يفنى على الأزمان
ملء السموات العلى والأرض والـــ موجود بعد ومنتهى الامكان
مما تشاء وراء ذلك كله حمداً بغير نهاية بزمان
وعلى رسولك أفضل الصلوات والـــتسليم منك وأكمل الرضوان
وعلى صحابته جميعاً والألى تبعوهم من بعد بالاحسان

وصلى الله على محمد عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، وسلم.

وقد كتب في آخر نسخة الأصل المخطوطة مايلي :

وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب بمعونة الملك الوهاب، منتصف شهر رجب من سنة ألف وثلاثمائة وأربعين، بقلم الفقير الى عفو الواحد المنان ، سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان ، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات .

وعلى هامشها :

الى هنـــا بلغ التصحيح حسب الطاقـــة والامكان على نسخة عليها خط المؤلف ، والتصحيح المذكور في حلقة التدريس ، على يـد شيخنا الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري ، نسأ الله في أجله ، وختم له بصالح عمله، غير أنا لم نتعرض لمـــا فيه من التحريف من جهـــة الاعراب ، وتكسر الاوزان ، بل أبقيناه على مافي الاصل[1]

---

(١) هذا وقد قمنا بتصيح ذلك حسب الطاقة والجهد . وعـــذر الشيخ العنقري رحمه الله واضح ، حيث أن النسخة الخطية لاتقع ـ غالباً ـ الا بيد عالم عارف بما فيها من خطأ ، وعذرنا أن النسخة المطبوعة تقع في كل يد ، فلابـــد من التصحيح .

بعون الله تبارك وتعالى ، تم طبع هذا الكتاب
بجزئيه : الأول والثاني ، للمرة الاولى في مطابع
المكتب الاسلامي للطباعة والنشر بدمشق
وذلك في ٢٥ من شوال ١٣٨٢ هـ .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
ورحم الله الناظم والشارح ، وكل من ساعد
على طبعه وإخراجه .

دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم
فيها سلام ، وآخر دعواهم أن
الحمد لله رب العالمين .

الفهرس

١٨١٤٦٠